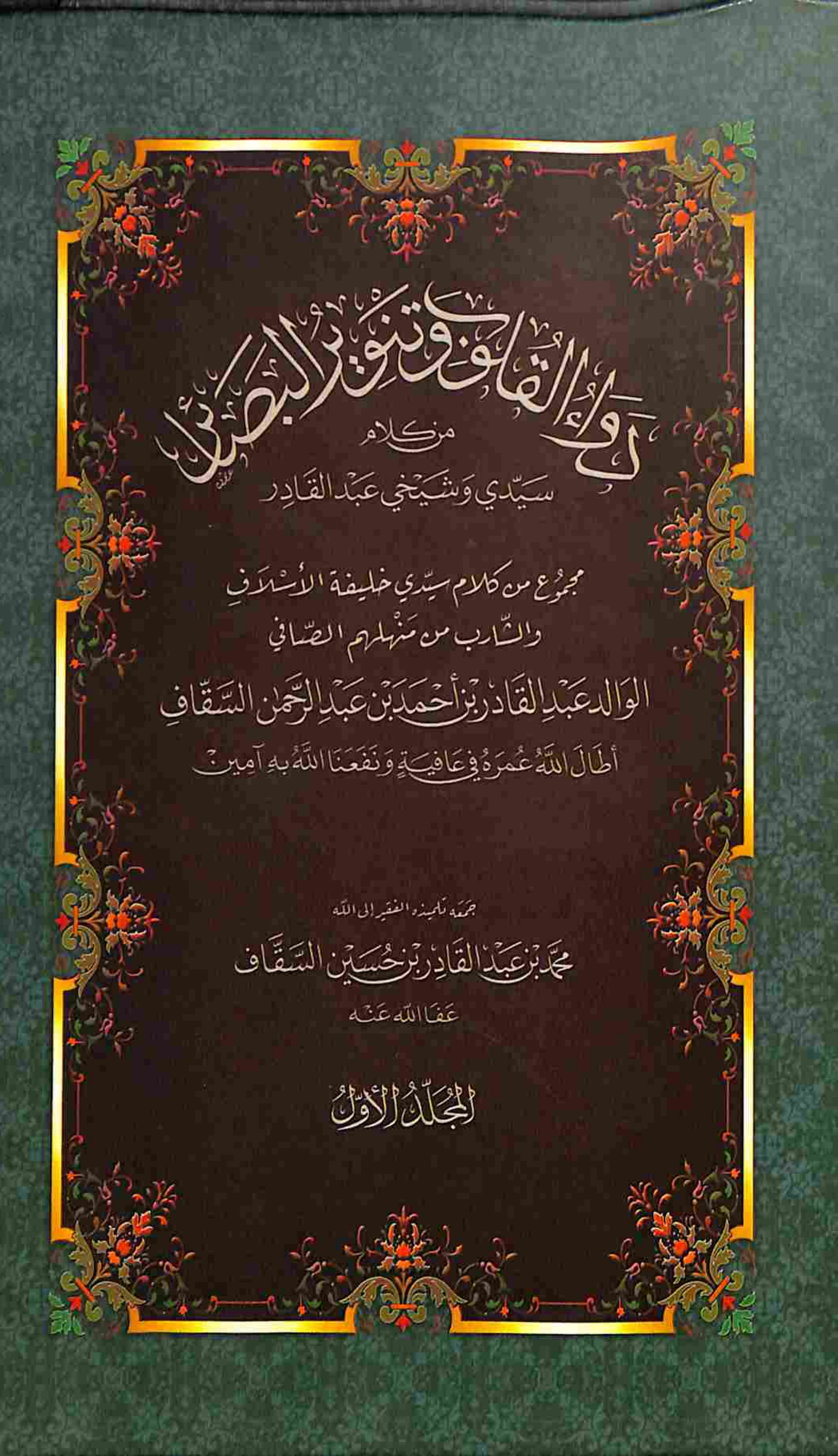


رواء القلوب وتنوير البصائر
من كلام
سيّدي وشيخي عبد القادر
مجموع من كلام سيّدي خليفة الأسلاف
والشّارب من منهلهم الصّافي
الوالد عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمن السقّاف
أطال الله عمره في عافية ونفعنا الله به آمين
جمعه تلميذه الفقير الى الله
محمد بن عبد القادر بن حسين السقّاف
عفا الله عنه
المجلد الأول





رواء القلوب وتنوير البصائر

من كلام

سيّدي وشيخي عبد القادر

مجموع من كلام سيّدي خليفة الأسلاف

والشّارب من منهلهم الصّافي

الوالد عبد القادر بن أحمد بن عبد الرّحمن السّقّاف

أطال الله عمره في عافية ونفعنا الله به آمين

جمعه تلميذه الفقير إلى الله

محمّد بن عبد القادر بن حسين السّقّاف

عفا الله عنه

المجلّد الأوّل

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

بين يدي الكتاب

الحمد لله الذي رفع مراتب العلماء ، وجعلهم ورثة الأنبياء ، وخلفاء الأصفياء ، فهم نجوم الأرض الذين يهدون الضال والمتحير ، وهم القائمون بالدعوة إلىٰ الله ، وتبيان محاسن الإسلام ، والتعريف بالحلال والحرام .

والصلاة والسلام الأتمان الأدومان الأكملان علىٰ صفوة الله من خلقه وخيرته من بريته أبي القاسم سيدنا محمد بن عبد الله الرحمة المهداة ، والنبي الأواه ، من كان يقوم مناجياً حتىٰ تتفطر قدماه ، خاتم النبيين وإمام المتقين وسيد العالمين ، القائل من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين .

فصلوات الله تترىٰ ، وسلامه يتوالىٰ عليه ما تعاقب النَّيِّران واختلف الجديدان ، وعلىٰ آله العترة سفن النجاة ، الذين من استمسك بهم فقد وُفِّقَ لهداه ، وحصل علىٰ مرامه ومبتغاه .

وعلىٰ الصحب الغُرِّ الميامين ، الذين حموا حياض الدين ، ونقلوا إلينا سنة خير المرسلين وجاهدوا في الله حق جهاده ، وعلىٰ التابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين .

أما بعد : فإن العلماء في كل عصر ومصر هم بركة الأنام ، وشفاء الأوام ، وبهم يُستسقىٰ الغمام ، ويدفع الله بهم عن الأمة ما شاء من البلاء والسوء ، وتتميز مجالس الراسخين منهم بخصائص تخرس الأقلام عن الإفصاح عن كنهها ، ويتلعثم المِنْطِيق عن توصيف

فوائدها ، ذلك لأن التشبع بالمفاهيم الشرعية ، والتقمص بالشخصية المحمدية والمتابعة التامة له ﷺ يتولد عنها معارف ربانية ، وفيوضات رحمانية تجري علىٰ ألسنة الراسخين ، لم يضمها كتاب ، ولم يفطن لها أولو الألباب ولم تنبس بها شَفَةٌ ، ولم تنقدح في فكر عَلَم إنه العلم الوهبي ، الذي يلقيه الله في روع هؤلاء المخبتين تصديقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ .

وصاحب هذه المجالس من هذه الطبقة العالية ، وأولي المراتب السامية ممن لا يعرج إلىٰ مقامهم إلا كل عليم عبقري ، مقتف للأثر المحمدي ، فَنِيَ في حبه وشرب من كأس الإخلاص ، وقرع باب المراقبة فَفُتِحَ له .

أقيما علىٰ باب الكريم أقيما ولا تَنيا في ذكره فتهيما
هو الرب من يقرع علىٰ الصدق بابه يجده رؤوفاً بالعباد رحيما

(١)

إنها مجالس يشع منها نور الإخلاص ، وتُلقح حكمها الأفكار ، وتهذب توجيهاتها أولي النهىٰ ، وتعرض نموذجاً من سلوك الأبرار ، ومواقف لصفوةٍ من أولئك الرجال تتجلّىٰ فيها العظمة الأخلاقية لأولئك المتخرجين في مدرسة النبوة ، الذين أنجبتهم مدارس القرآن ، وأنارت أفئدتهم مصابيح التوفيق ، وهُدُوا إلىٰ الصراط المستقيم فتفتحت لهم أبواب المعرفة ، وارتقوا في معارج القبول ، إلىٰ أن حطوا رحالهم في مراتب المراقبة ، فعزفوا عن سائر مِتَعِ الدنيا ، وهانت عندهم الحظوظ النفسية ، وأماتوا في أعماقهم

نزعات الاستعلاء ، ورتعوا في رياض الذكر ، يتقلبون من نعيم إلىٰ نعيم .

إن هذه المجالس التي لاحت من تضاعيفها إشارات القوم ، وهدىٰ الراشدين وأخلاق العلماء لهي جديرةٌ بالتقييد والمطالعة ، قَمِنَةٌ بالاقتناء والمذاكرة ؛ لما اشتملت عليه من علوم جمة ، وفوائد مهمة ، وفتوح تؤذن بسمو منزلة صاحبها ، وهي متضمخة بطيب الإخلاص ، متزينة بحلل السريرة الوَضَّاءة ، جارية علىٰ سَنَنِ الطراز المحمدي ، كيف لا وباني لُحْمتها وسَداها ، فرع العترة ، بقية السلف وفخر الخلف ، الداعية المتمكن والعلامة المتبحر ، فرد أوانه وقطب زمانه مُلحق الأحفاد بالأجداد السيد الألمعي عبد القادر ابن أحمد بن عبد الرحمن السقاف ، عمدة آل البيت ، ومفخرة بني هاشم ، أبو الفضائل والمكارم ، من طار صيته ، وعلا علىٰ قِمَم المعالي ، وشَرَّقَ وغَرَّب وأنجد وأتهم .

(٢)

لذلك لا يدري المتحدث عنه من أين يبدأ ، ولا يستطيع ذو القلم السَّيَّال والسحر الحلال أن يأتي علىٰ جميع مواهبه ، ولا أن ينتظم كافة مناقبه شعر :

حَلَفَ الزمانُ لَيَأتِينّ بمثله   حَنِثَتْ يمينك يا زمان فكفِّرِ

والذي يتابع مجالس هذا الإمام الإملائية ستدهشه تلك المفاهيم العجيبة ، والمعارف الجديدة ، والفتوحات الإلـٰهية التي تجري علىٰ لَهَوَاتِ لسانه ، وهي من فرائد جنانه ، ويحار اللب بل يستبد به العجب حين يربط هذا الإمام هذه المعاني اللطيفة بتلك النصوص الشرعية ، وكيف يوجد من رسوخه العلمي الصِّلات الحميمة

بينهما ، مما لا يخطر علىٰ بال طلبة العلم تلك التوجيهات ، ولا تقوىٰ الأفهام الثاقبة علىٰ تناول تلك العلوم ، أو الجري في هذا الميدان ، وهذه طريق العباقرة ، ومهيع الأفذاذ وفي هذه المجالس عقود درية من تلك القلائد .

(٣)

وإذا كان أولو الحكمة قد قالوا : « كلام سلاطين الرجال لا يخرج إلا سلاطين الكلام » فإن هذه المقولة العادلة منطبقة تماما علىٰ كلام هذا الإمام ، فإن كلامه يحرك القلوب الساكنة ، ويوقظ المشاعر النائمة ويُلَيِّن الأفئدة القاسية التي كاد ران المعاصي أن يغطيها بأوضاره ذلك لأن كُلَّ كلام يخرج وعليه كسوة القلب الذي منه برز ، بل أغرب من هذا وذاك أن مجرد مجالسة هذا الإمام مجالسة عابرة ، والنظر إلىٰ سَمْتِهِ وطريقته تُولِّدُ في أعماق القلوب إضاءات ربانية ، يندفع المرء بها إلىٰ تقفِّي سيرة القوم ، والشغف بهديهم وطريقتهم ، فهو من أولئك الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالىٰ .

وكلامه رضي الله عنه دُرٌّ مُنَظَّم ، وهو كلام من عرف ربّه ، فوهبه الحكمة ، ومنحه القبول ، لأنه كلام عظيم متناسق ، نتيجة علوم ومعارف اختلطت بلحم الإمام ودمه ، وترجم الأقوال إلىٰ أفعال ، وصدق القول بالعمل ، فجاء كله مكسواً بزينة الإخلاص .

والخلاصة أن من عرف هذا الإمام وجد أنه قد جمع من الفضائل والمحاسن ما لم يُسْمَعْ بمثله إلا في أفراد الأمة حتىٰ قيل عنه إنه : من عصر الصحابة ولكن الله تعالىٰ أخره إلىٰ زماننا رحمة من الله سبحانه . . فهو بحق من آخر من يستحيا منهم .

ولا مراءَ أن تلك المحبة الذائعة التي اكتسبها هذا الإمام في القلوب إنما هي نتيجة لمحبة المولىٰ تقدست أسماؤه له ، لِمَا ورد في الحديث الشهير « إذا أحبّ الله تعالىٰ عبداً نادىٰ في السماء ألا إني أحببتُ فلاناً فأحبوه ثم يوضع له القبول في الأرض » أو كما قال عليه الصلاة والسلام .

هذا ومن اطلع عن كَثَب علىٰ سيرة الإمام وسمته وهديه وأخلاقه في ليله ونهاره في نفسه وأهله ومجتمعه ، يدرك تماماً أن هذا الإمام منطلق في كل شؤونه من مقام المراقبة ، ومغترف من بحر الحبيب الأعظم ﷺ ، هذا الحبيب الذي حلاه القرآن الكريم بِعِقْدِ المدح إذ قال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

(٥)

وبعد : فدونك أيها المستفيد هذه المجالس المباركة ، والمعارف المفيدة ، وفيها من الفوائد والمعاني المستجادات ما تقر به أعين الموفقين ، وتهفوا إليها أفئدة الطلبة المهتمين بآثار السلف وقد تميزت هذه المجالس بكونها عُرضت علىٰ الإمام بعد استنساخها من أشرطة التسجيل ، فأقرها وربما حَوَّرَ عبارة مكان أخرىٰ فجاءت تامة زاهية ، يلمع سناها في سماء المعارف ويُقْطَف من ثمارها الفوائد واللطائف . وبعد مراجعتها وتصحيحها قُرِئَت على الإمام حفظه الله .

وبالجملة فنفَس الإمام في مجالس درسه وإملائه يتميّز بالسلاسة والإفهام ، وتقريب المعاني البعيدة ممتزجاً ببركة الصالحين ، وطبيعة المصلحين السلفيين ، وله حفظه الله تعالىٰ من الدعوات

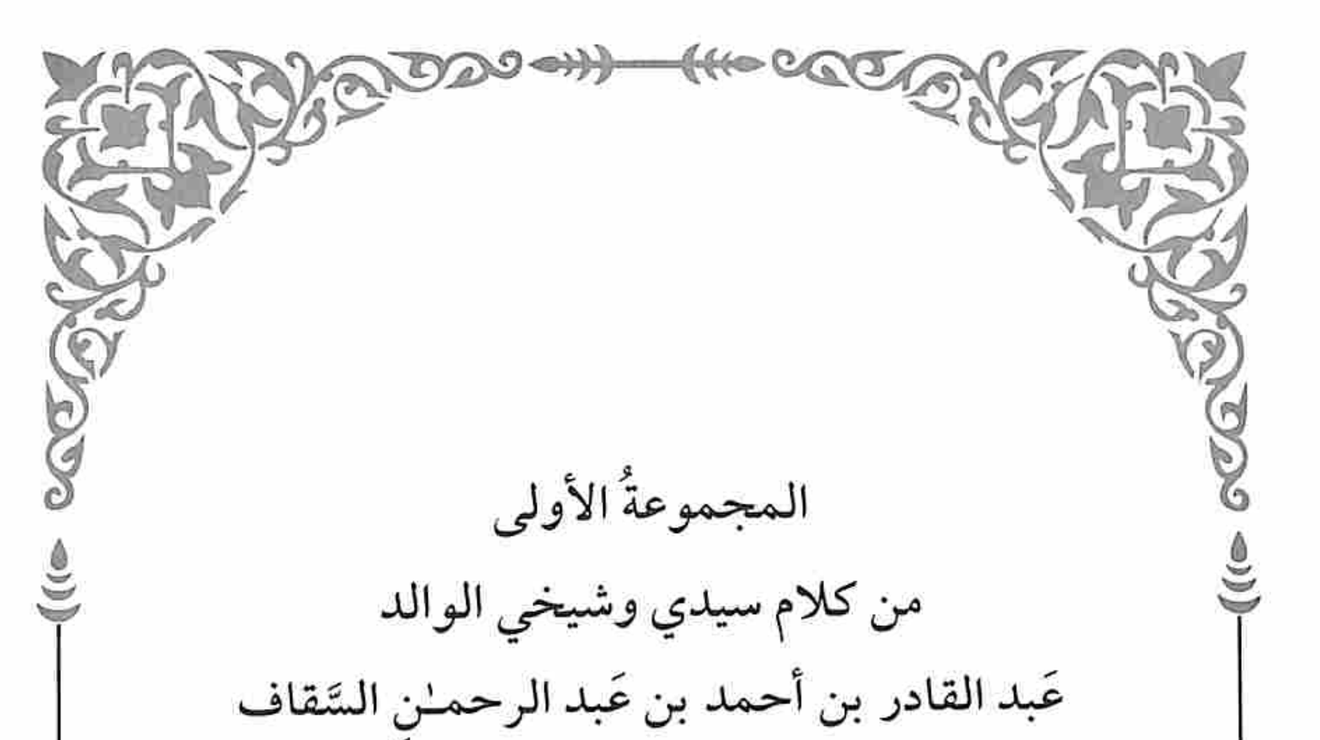
المباركات في أعقاب دروسه ومجالسه ما يثلج صدور المخبتين ، ويفتح مغاليق القلوب المستعصية ، ويحبب إلىٰ السامعين المناجاة الخاشعة والخضوع للمولىٰ ، واستمطار الجليل والحقير منه تعالىٰ .

الخاتمة

وهذه المعاني التي سقناها في هذه المقدمة ، ليست إلا وحيا من ناموس هذه المجالس ، واستنطاقاً لمحتواها ، ومحاولة لإبراز مُحَيّاها ، وتصويراً لبعض خصائصها ، والغريب في الأمر أن هذه المجالس المزبورة في هذه الأسفار لا تعدو كونها خواطر آنية ، وأفكاراً بدهية ، لم تنتظمها مقالة ، ولم تَخْبُرها يراعه ومع ذلك ففيها من المعاني الأبكار والفتوحات ما يقف دونه المتمكنون ، ويحجم عن ورود منهله المتفقهون ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

والله ذو الفضل العظيم ، اللهم متعنا بحبيبنا عبد القادر وطول عمره في خير وعافية وأمدنا من إمداداته وبركاته برحمتك يا أرحم الراحمين .

الناشر



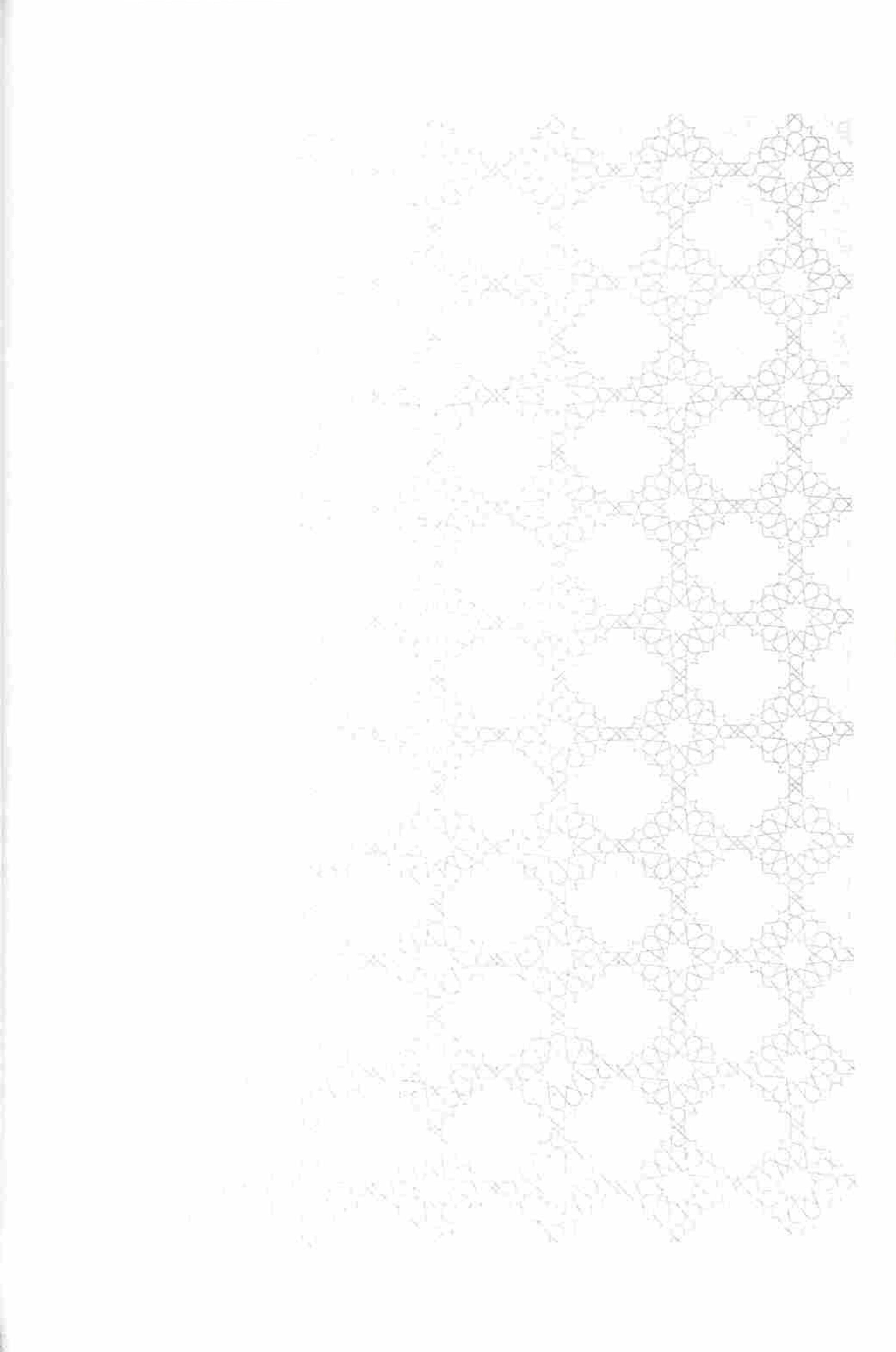
المجموعةُ الأولى
من كلام سيدي وشيخي الوالد
عَبد القادر بن أحمد بن عَبد الرحمـٰنِ السَّقاف

جامعه

محمد عبد القادر حسين السقاف

كاتبه

عبد الله بن علي الجفري



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدِّمة

الحمد للهِ وبه نستعين ، ومنه نستمدُّ وعليه نتوكَّل ، وإليه المصير : ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ .

وصلَّىٰ ٱلله علىٰ سيِّدنا ومرشدنا ، ومنقذنا وهادينا ، حبيبنا مُحَمَّد صلَّىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

أَمَّا بعد :

فإِنَّ ٱلله سبحانه وتعالىٰ ٱختصَّ مِنْ خَلْقه عباداً له ، جعلَهم خلفاءَ عن الحبيب الأَعظم صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم ، يَحملون دعوته ويبلِّغونها للخَلْق ، ووهبَ لهم من سِرِّه ، وكسا وجوههم مِنْ نوره ، وحبَّبهم إِلىٰ خَلْقه ، وأَجرىٰ علىٰ أَلسنتِهم ينابيع الحكمة ، فهم الأَنجُم المضيئَة ، والسُّرج المنيرة ، يُنيرون لنا الطَّريق ، ويُنقذون مِنْ بحور الضَّلالة كلَّ غريق .

وجهٌ عليه مِنَ الحياءِ سَكينةٌ ومحبَّـةٌ تجـري مـع الأَنفـاسِ
وإِذا أَحـبَّ ٱللهُ يـومـاً عبـدَهُ أَلقـىٰ عليـهِ محبَّـةً فـي النَّـاسِ

فأَحاديثُهم لذيذة ، وحضور مجالسهم تجارة مفيدة ، وٱلارتباط بهم حياة سعيدة ، فعلينا أَن نحرِص علىٰ حضور

المجالس الَّتي يقيمونها ، وأَن نعيَ كلَّ كلمة يقولونها .

وكلامهم يقع كالبذر علىٰ القلوب ، فإن كان القلب مُهيّأ وصالحاً له . . نزلت عليه أمطار الرّحمة مِنْ علاّم الغيوب ، فنبت وصار كلامهم كما قال حبيبنا علي الحبشي : (حَبَّةْ إذا بارك المولىٰ تلَقّي حبوب) .

وأمّا إِنْ [كان] القلبُ غيرَ صالح ، وأَحاطت به الشَّهوات ، وكان مريضاً بالمعاصي والشُّبهات . . تحوّل كلامهم له دواء شافياً ، وشراباً سلسبيلاً صافياً .

فالواجب علىٰ الإنسان أَن لا يضع حجاباً بينه وبينهم ، وأَن لا يَبعد وينقطع عن مجالسهم ؛ فإن أنت حجبت نفْسك عنهم . . فقد منعت قلبك مِنْ غذائِه ، وٱمتنعت عن علاجه ودوائِه ، وتركتَه ليعشعش عليه الشَّيطان . حفظنا ٱلله وإِيّاكم وجعلَنا منه في أَمان .

ومِن نِعم ٱللهِ علينا أَنْ جمعَ ٱلله بيننا وبين سيِّدنا ، وأُستاذنا وشيخنا ، وخليفة أَسلافنا حبيبنا الوالد عبد القادر بنِ أَحمد بن عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ السَّقّاف في هـٰذه البلاد ، فصيَّرها كما قال أَخونا الوفيُّ عبد القادر بنُ سالم خَرِد :

صَيَّـرْتَ جـدَّةَ معهـداً فكـأَنَّهـا ‏ ‏ ‏ فـي عَهـدكَ الغنّـاءُ أَو سيئُـونُ

فهو يلقي علينا في كلِّ مجلس يحضره مِنْ نفائِس كلامه نصائحَ ثمينة . والكلام الحسن مصائِد القلوب .

وقد وفَّقني ٱلله تعالىٰ أَنْ سجَّلت علىٰ الأَشرطة بعضاً ممّا

أَسمعُه منه ويلقيه ، وقصدي مِنْ ذلك أَنْ أُكرِّر سماعي لهٰذا الكلام ، ولينفع ٱلله به الخاصَّ والعامَّ ، ولَرُبَّ مبلَّغ أَوعىٰ مِنْ سامع .

ثمَّ إِنَّ ٱلله شرح صدري وقوَّىٰ عزيمتي ، فعزمت أَنْ أَجمع ما سجَّلتُه وما جمعته مِنْ كلامه ـ حفظه ٱلله ـ في كتاب ؛ ليكون النَّفع أَعمَّ ، وإِنْ كان ما معي سوىٰ قطرة مِنْ بحر ، وإِنَّما :

قليـلٌ منـكَ يَكفينـي ولٰكـنْ   قليلُـكَ لا يُقـالُ لَـهُ قليـلُ

وقصدي ومرادي الأَوَّل : أَنْ أَربِط نفْسي بهٰذا الحبيب كما ٱرتبط سيِّدي الوالد ـ رحمه ٱلله ـ بوالده وبه ، فعسىٰ أَنْ تبقىٰ السِّلسلة مربوطة وإِنْ كنتُ مفلساً مِنْ أَعمالهم ، وبعيداً عن مَنالهم ، ولٰكنَّ الوالد يَقْبَل ٱبنه علىٰ ما فيه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ .

أَسأَلُ ٱلله أَنْ يعينني علىٰ ما نويتُ القيام به ، وأَنْ يوفِّقني لإِتمامه ، وأَنْ يبارك لنا في الأَوقات ، ويبارك لنا في السّاعاتِ ، وأَنْ يحفظ أَعمالنا مِنَ الرّياء ، وأَنْ يجعلَها كلَّها خالصةً لوجهه الكريم ، آمين .

وقد آن الشُّروع في كلام حبيبنا عبد القادر بن أَحمد بن عبد ٱلرَّحمٰن السَّقّاف ، فنقول ـ وبٱلله التَّوفيق ـ :

مُحمَّد عبد القادر بن حسين السَّقّاف

في ختم كتاب «الإحياء» للغزالي، وفضل «الإحياء»، ومحبة العلويين «للإحياء»، وتعلقهم به وثَنَائِهم عليه

تكلّم سيّدي ـ حفظه ٱلله ونفعنا بما قال ـ في إندونيسيا ، في ختم كتاب « إحياء علوم الدّين » في شعبانَ (١٣٩٣هـ) منقول مِنْ شريط أرسله لنا سيّدي الوالد المرحوم عبد القادر بن حسين السّقّاف .

قال ـ حفظه ٱلله ـ بعد أَنْ قرأَ ختم « إِحياءِ علوم الدِّين » :

الحمد لله علىٰ هـٰذه النِّعمة العظيمة الَّتي وفَّق الأَخ عبد القادر ـ أي : سيِّدي الوالد ـ وحاضري حضرته للحصول عليها ، تلك هي قراءَة هـٰذا الكتاب الجامع لعلوم الدِّين وعلوم الآخرة ، ولأَقاويل سيِّد المرسَلين صلوات ٱلله وسلامه عليه ، وأَقاويل العلماءِ العامِلين ، الدُّعاة إِلىٰ سبيلِ الحقِّ ، وإِلىٰ سبيل الهداية وإِلىٰ سبيل الرُّشد .

فإِنَّ هـٰذا الكتاب قالوا : جَمع فأَوعىٰ .

كان السَّلف الصَّالح مِنْ قديم الدَّهرِ ـ ممَّا قبل أَنْ يظهر في حضرموتَ ـ كانوا يجعلونه الكتاب الثَّالث بعد كلام الله وسُنَّة رسول ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

أَمّا العلَويّون فلمّا جاءَهم هـٰذا الكتاب ـ وكان إِذ ذاك جاءَهم فيما قبل ٱلشَّيخ عبد ٱلرَّحمـٰن السَّقّاف ـ وٱنتشر فيهم في أَيَّام ٱلشَّيخ عبد ٱلرَّحمـٰن السَّقّاف . . فأَقبلوا عليهِ إِقبالاً كليّاً ، وجعلوه عقدة فصلهم وجعلوا مرجعهم إِليه ، وجعلوه وِرداً مِنْ أَورادهم

يقرؤُون منه كلَّ يوم جزءً ، وأَثنوا عليه ثناءً عاطراً ، وبشَّروا مَنْ قرأَه ومَنْ كتبه ، ومَنْ سمعه ومَنْ حضر مجالسه ، ومَنْ حضر دعوته بالجنَّة .

فقد بشَّر ٱلشَّيخ الكبير عبد ٱلله بن أَبي بكر العيدروس أَنَّ مَنْ كتب هـٰذا « الإِحياءَ » . . ضمِن له علىٰ ٱلله بالجنَّة ، ومَنْ قرأ هـٰذا « الإِحياءَ » . . ضمِن له علىٰ ٱلله بالجنَّة .

وكتب بخبخة كبيرة ، البخبخة : قال العلماء : أَصلها مِنْ جهة العربيَّة هي التَّوسُّع والزِّيادة في كلِّ شيءٍ مِنَ الخير ؛ وهـٰذا أَعطاهُ ٱلشَّيخ العيدروس هـٰذه البخبخة ـ التَّوسعة لمَنْ قرأَ هـٰذا « الإِحياءَ » ـ فقالَ : (بخٍ بخٍ لمن قرأَه ، بخٍ بخٍ لمن كتبه ، بخٍ بخٍ لمن سمعه ، بخٍ بخٍ لمَنِ ٱنتفع به) وكثَّر مِنْ هـٰذه البخبخة .

وإِذا أَرادَ الإِنسانُ أَنْ يقرأَها مختصَرة . . فقد جمعها ٱلشَّيخ عبد القادرِ بن شيخ العيدروس في هامش هـٰذا « الإِحياءِ » هـٰذه الصَّفحة بخصوصها ، سمّاه : « تعريف الأَحياءِ بفضائِل الإِحياءِ » في هـٰذا الكتاب ، وجمع فيه قليلْ مِنَ البخبخة .

والبخبخة للشَّيخ العيدورس هي أَكبر يستغرق قارئها إِلاَّ أَقلَّ مِنْ نصف ساعة ، وكلَّما مرَّ علىٰ جملة . . قال : بخٍ بخٍ ، بخٍ بخٍ ، بخٍ بخٍ .

وأَنا لا أَزال أَذكر ، حضرت قراءته في القرن في (باسالم) ختمه هـٰذا الأَخ عبد القادر ـ أَي سيِّدي الوالد ـ بحضور والدي فيما بعدَ العصر في دكَّتهم الشَّرقيَّة ، وقرأَ البخبخة الأَخ

عبد القادر ، ولا تزال تطنُّ في أُذني ، ولولا طول الوقت . . لأَوردتها عليكم ؛ لأَنَّني أَكاد أَحفظها كلَّها مِنْ كثرة قراءَتي ومِنْ كثرة ما أَسمعه مِنْ هـٰذه البخبخة .

ثمَّ قالوا : إنَّ ٱلشَّيخ عبد ٱلله العيدروس ضمِن ـ كما ذكرنا ـ لِمَنْ كتبَ « الإِحياءَ » فكتبوه كثير ، حتَّىٰ أَنَّهُم قالوا : إِنَّه في عام واحد بلغ كُتّاب « الإِحياءِ » أَربعين كاتباً كتبوه في سَنة واحدة ، جاؤُوا إِلىٰ ٱلشَّيخ عبد ٱلله بن أَبي بكر العيدروس فضمِن لهم وأَعطاهم الضَّمانة .

ومِنْ جملة مَنْ جاءَ إِليهِ : ٱلشَّيخ عبد ٱلله بن أَحمد باكثير . هـٰذا كتب « الإِحياءَ » وجعل له خرائِطْ وجعل له جلودْ ، وقدَّمه للشَّيخ عبد ٱلله العيدروس وقال له : هـٰذا « الإِحياءُ » الَّذي ضمنتم لكاتبه ، قد كتبتُه .

قال : فأَخذ ٱلشَّيخ يتصفَّح « الإِحياءَ » ، فلمّا جاءَه ورَأَىٰ عليه الخرائِط . . قال له : عادك تحتاج مننا زيادة يا باكثير! آه الزِّيادة الَّتي تطلبها ؟

قال له : إذا كنت عادك ستعطيني زيادة . . فإِنَّ رغبتي في الزِّيادة أَنْ تريني الجنَّة في هـٰذه الدّار .

قال له : سأُريكَ إِيّاها علىٰ شرط ؛ لا تجلس عندنا .

قال : ثمَّ أَخذ كمَّه وأَخذ يريه الجنَّة حتَّىٰ رأَها بعيني رأْسه!

فسافر ٱلشَّيخ مِنْ ذلك الوقت ، وسار يفكِّر إِلىٰ أَين يكون المسير ؟ فسارَ إِلىٰ (مكَّة المكرَّمة) لأَنَّها بلد ٱلله الحرام ، ومأْوىٰ العلماءِ ومهوىٰ الأَولياءِ ، ومثوىٰ الصّالحين ، وإِليها يفرُّ

كلُّ المسلِمين ، حاجّين ومعتمرين ، وزوّاراً لسيِّد المرسَلين صلَّى ٱللهُ عليه وآله وسلَّم .

فلمّا وصل . . أَخذ يتلمَّس العلماءَ ويتَّصل بهم ، وإِذا جاءَ وفد الحجيج . . خرج يتعرَّض لهم ؛ ليرىٰ ما معهم ، وما هم عليه . ثمَّ جلس في بيته ، فقال له أَهل (مكَّة) : ٱخرج ٱستقبل الحجيج ، فهٰذه الأَيّام أَعياد وغنائِمُ .

قال لهم : أَنا كلَّما رأَيت أَحد مِنَ العلماءِ أَو الأَولياءِ . . رأَيتهُ أَقلَّ مِنْ شيخي عبد ٱلله بن أَبي بكر العيدروس ، فأَنا لا أَحتاج إِلىٰ أَحد بعد عبد ٱلله بن أَبي بكر .

ويقال أَنَّه قال : أَنا ملأَني ٱلشَّيخ عبد ٱلله العيدروس فلا أَحتاج إِلى غيره .

وهٰكذا كان ٱلشَّيخ العيدروس ، وكان العلَويّون يُحرِّضون علىٰ قراءَة هٰذا الكتاب وعلىٰ ما في هٰذا الكتاب .

والنَّظرُ إِلىٰ الجنَّة ربَّما يستغربه أَحد النَّاس ، وليس ذلك بغريب ؛ فإِنَّ إِمامهم وسيِّدهم وقائِدهم ودليلَهم محمَّد بن عبدِ ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم قال ذات يوم ، وقد أَصبح بعد صلاة الصُّبح : « **عُرِضَتْ عَلَيَّ ٱلْجَنَّةُ عَرْضَ هَـٰذَا ٱلْحَائِطِ** » وهٰذا الحديث صحيح في « البخاريِّ » « **وَوَدِتُ أَنْ آخُذَ غُصْناً مِنْ عِنَبِهَا وَلَـٰكِنْ تَرَكْتُهُ** ـ قال صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ـ **لِلْيَوْمِ ٱلآخِرِ** » فإِذا كان سيِّد الوجود قد رآها في هٰذه الدّار . . فلا غرابة ،

ولا يُستغرب أَنْ يراها التّابعون له مِنْ أَحبابه ومُحبّيه ، والقائمون على دينه والمبلِّغون عنه ، صلوات ٱلله وسلامه عليه .

وقد جعل العلَويّون هٰذا « الإِحياءَ » قاعدة مِنْ أُصولهم ، وجعلوا ٱلشَّيخ الغزالي إِمامَهم ، وجعلوه شيخَهم ، وجعلوه قائِدَهم ، وجعلوه طريقَهم وإِنْ كانوا هم أَعلىٰ منه في الدَّرجة والنَّسَب ، ولٰكنْ . . لَمَّا آتاه ٱلله العقل ، وأَعطاه هٰذا العِلْم ، وأَعطاه ٱلله هٰذا الفتح الكبير ، وأَعطاه ٱلله هٰذِهِ الحكمة ، فالعلَويّون دائِماً يأْخذون العِلْم والحكمة مِنْ حيث ما جاءَتْ ؛ لأَنَّ ٱلله سبحانه وتعالىٰ قالَ : ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ .

هٰذا الإِمام[1] أُوتي الحكمة ، وأُوتي العِلْم ، وأُوتي الإِلهام ، وكانوا حتّىٰ مخالفيه مِنْ أَهل العِلْم الظّاهر إِذا قالوا خلافاً للغزالي . . ما يعجبهم ؛ لأَنَّ له كتبْ كثيرة في عِلْم الفقه .

كتب في عِلْم الفقه أَوّل كتاب سمّاه : « الوجيز » ، ثمَّ توسَّع فكتب « الوسيط » ، ثمَّ توسَّع فكتب « البسيط » ، ثمَّ توسَّع فكتب « الخلاصة » .

قال الشّاعر فيه :

حَرَّرَ المذهبَ شيخٌ أَحسنَ ٱللهُ خَلاصَهْ
بِوجيزٍ ووسيطٍ وبَسيطٍ وخُلاصَهْ

رحمَه ٱلله .

---

(١) (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ) حجة الإسلام الإمام الغزالي .

وكان السّلَف ـ كما ذكرنا ـ يعوّلون علىٰ قراءَة هـٰذا الكتاب ، ويتدارسونه في أَوقاتهم دائِماً .

كان ٱلشَّيخ الحبيب عبد القادر بن حسن السَّقّاف[1] ـ مِنْ جماعتنا ـ كان شيخَهُ والدُهُ الحبيب حسن بن عمر السَّقّاف ، ولمّا توفّي والده . . أَلقىٰ قياده لعمِّه علي بن عمر بن سقّاف ، ولمّا توفّي عمُّه علي بن عمر بن سقّاف . . أَلقىٰ قياده للحبيب عبد ٱلله بن حسين بن طاهر ، وقام مِنْ (سيئُون) إِلىٰ (المسيلة) لإِلقاءِ القياد ؛ لأَنَّ كلَّ واحد لابدَّ له مِنْ شيخ .

قال الإِمام الحدّاد شِعراً :

ولابدَّ مِنْ شيخٍ تسيرُ بسَيرهِ إِلىٰ ٱللهِ مِنْ أَهلِ ٱلقلوبِ الزَّكيَّةِ

وقال الحبيب علي :

مَنْ لا صَحِبْ في زمانهْ شيخْ عارفْ مكينْ
عَـدَّتْ حيـاتُـهْ وهُـوْ معـدودْ فـي ٱلمفلسيـنْ

وقالوا الشُّيوخ حقّنا :

من لا يَرىٰ وجه مفلح ما أَفلح .

لأَنَّ نظرات الأَولياءِ ـ قالوا ـ تخرق القلب ، وإِذا خرقت القلب . . أَثمرت فيه غراس ، والغراس هـٰذا لا يزال ينشأُ ، ينشأُ ، ينشأُ ، وتسقيه الرَّحمات الإِلـٰهيَّة والمطرات الفيوضاتيَّة حتَّىٰ يصير ذلك الرَّجل مِنَ المقرَّبين بسبب نظرات تلكَ الأَولياءِ .

---

(١) (١٢٢٥ـ١٢٩٦ هـ) .

قال الشّاعر :

ونَظرةٍ منهُ إنْ صحَّتْ علىٰ أحدٍ بِعَيْــنِ ودٍّ بــإِذنِ ٱللهِ تُحييــهِ

وقال الإمام الحدّاد :

هُداةُ ٱلورىٰ طوبىٰ لِشَخْصٍ رآهُمُو وجالَسَهُمْ لَو مَرَّةً منهُ في ٱلعمرِ

إلىٰ آخِر كلام الشُّيوخ . لأَنَّ هـٰؤلاءِ الشُّيوخ مثالهم مثال الكبريت الأَحمر ، إِنْ نظروا إِلىٰ أحد . . أكسبوه البركة والرَّحمة ، وإنْ نظر أَحدٌ إِليهم . . ٱستفاد منهم وٱستضاءَ مِنْ أَنوارهم ، وٱستقىٰ مِنْ تلكَ الأَنوار ، فصارت تلكَ الأَنوار تكسوه وتغذوه حتَّىٰ يصل إِلىٰ ٱلله ، وحتَّىٰ يرتفع عن غفلته أَو عن معاصيه أَو عن لَهوه .

وهـٰكذا الشُّيوخ ، شوفوهم ، أَصل لطلاَّب طريق الآخرة ، وأَصل للدِّين ، وأَصل للرَّحمة ، وأَصل للهداية .

والجلوسُ تحت شيخ ـ يقولون ـ إِنَّه أَفضل مِنْ قراءَة الكتب بدون شيخ .

ثمَّ قال : ٱلشَّيخ الإمام علي بن أَبي بكر السَّكران[١] قال : إِنَّ ٱلشَّيخ محمَّد بن حسين البجلي ـ كان مِنْ أَئِمَّة اليَمن ـ كان يجتمع بالنَّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، فقال له : يا رسول ٱلله ، ما أَفضل أَعمال البرِّ في هـٰذا الوقت ؟ فقال صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم : « **أَفضل أَعمال البر في هذا الوقت جلوسُك بين يدي**

(١) (٨١٨ ـ ٨٩٥ بتريم) .

وليٍّ لله تعالىٰ حيّاً أَو ميتاً كحلب شاة أَو شجٍّ بيضة خير مِنْ أَنْ تتقطَّع في العبادة إِرْباً إِرباً إِرباً » .

وهـٰكذا شوفوها ؛ لأَنَّ الولي هـٰذا لا تزال النَّظرات الإلـٰهيَّة تمطر علىٰ سماءِ قلبه ، وإِذا كان الإِنسان متَّصل بالوليِّ ، أَو محبّ للوليِّ ، أَو محبوب عند الوليِّ ، أَو متعلِّق بالوليِّ ، أَو يحضر عند الوليِّ . . أَصابه مِنْ تلكَ النَّظرات رشاش علىٰ قدر ٱلاستعداد .

وٱلاستعداد يختلف : فبعض النّاس عندهم ٱستعداد كبير ، وٱلاستعداد الكبير ـ قالوا ـ يختلف كذلك :

فبعضهم عنده ٱستعداد قلبيٌّ ، بأَنْ كان قلبُه كبير دائما ، يجلب الماءَ ويجلب الأَخذ الكبير ، ذا قالوا : هـٰذا مباشرة يصله الخير فيتَّسع المدد له ، ويكون مِنَ الأَولياءِ مباشرة ، وربَما يظهر عليه السِّرُّ ، وربَّما لا يظهر ، فإِنْ ظهر عليهِ السِّرُّ . . فهو متأَهِّل ، وإِنْ لَم يظهر عليه السِّرُّ . . فسوف يظهر له عند التَّأَهُّل ، ولـٰكنَّه لا يزال المدد ، يمدُّه القاسم وهو محمَّد صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، ويتَّصل بهِ .

والمهمُّ مِنْ هـٰذا أَنْ نحن لا نزال نحدوكم إِلىٰ كتب السَّلَف ، وإِلىٰ قراءَة ما كان عليه السَّلَف ، وإِلىٰ الحرص علىٰ ما عمل عليه السَّلَف الصّالح ؛ فإِنَّهم قد عرفوا ربَّهم أَكثر منكم ، وقد عرفوا الطَّريق أَكثر منكم ، وقد ٱجتمعوا بنبيِّهم صلوات ٱلله وسلامه عليه أَكثر مِنْ غيرهم ، وقد حصل لهم الإِذن منه صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم بالتَّصرُّف في هـٰذا الكون كلِّه ، بعيده وقريبه وغريبه ؛ لأَنَّها

أَرواح طائِفة ، هم إلاَّ ماشي يخفىٰ عليهم ، لآه ؟ غاية ما هناك أَنَّ الإِنسان مأْذون له في الكلام ، أَو غيرَ مأْذون له في الكلام ، وبعضهم يُخبر ؛ لأَنَّه مأْذون له ، وبعضهم ما يُخبر ؛ لأَنَّه غيرْ مأْذون له ، ولٰكنْ! كلُّ وليٍّ مِنْ أَولياءِ هٰذهِ الأُمَّة ، النَّائِب الخليفة الكامل ، قالوا : دائماً يتهلهل له النّاس وما وراءَ النّاس ، فيشاهدهم علىٰ آختلاف أَنواعهم ، ولهٰذا كثير مِنَ المأْذون لهم ما يخرجون مِنْ بيوتهم ؛ مثل الحبيب عبد ٱلله بن محسن العطّاس .

هٰذا الإِمام الكبير في (بوقور) ، تسمعون به ؟ كان ما يخرج مِنْ بيته ؛ لأَنَّه يرىٰ النَّاس علىٰ بهيميّاتهم ، يرىٰ الكذّاب وكذبه ، يرىٰ ذا الفاحشة وفاحشته ، ويرى ذا الغفلة وغفلته ، ويرىٰ ذا العمل القبيح وقُبحه ، ويرىٰ أَصحاب الزِّنا وزناهم ، ويرىٰ المقصِّر في صَلاته .

صح ، أَوْلىٰ له أَنْ يجلس في بيته حتَّىٰ لا يرىٰ النّاس فتختلف عليه هٰذه الأَحوال وهٰذه الأَشياءُ فينبذ النّاس نبذاً ؛ لأَنَّهم مأْمورون بتقريب النّاس .

ٱلله ينفعنا وإِيّاكم بـ« الإِحياءِ » أَوَّلاً ، وينفعنا بشيوخنا ، وينفعنا برجال هٰذا الوادي ، وينفعنا بالعلَويّين خاصَّة وينفعنا بٱلانتساب إِليهم عامَّة ، وينفعنا بالإِمام الغزالي ، وينفعنا بٱلشَّيخ العيدروس ويجعل لنا نصيب مِنْ بخبخته ، إِنْ شاءَ ٱلله ، ومِنْ ضمانه ومِنْ دخول الجنَّة إِنْ شاءَ ٱلله ، ندخل معهم ونُحشر

معهم ، ونُكتب منهم وفي ديوانهم .

وربّي إنْ شاءَ ٱللهُ يسعدنا بما أَسعدهم ، ويفتح بصائر القلوب حتَّى تتَّسع لِلعِلْم اللَّدني ، وحتَّى تتَّسع لِلعِلْم الوهبي ، وحتَّى تتَّسع للأَخذ مِنْ فوق وٱلاتِّصال بفوق ، والتَّعلُّق بما هو فوق ، وتتَّسع لِما كان عليه أَهلكم .

شُوْا هٰذيلا السَّلَف ، ذَلاَّ شوفوها عبارة عن خِلَع ، كأَنها موجودة هٰذِهِ الخِلَع ، فمَنْ أَراد أَنْ يلبس خِلْعة مِنْ خِلَعهم ، مِنَ المَقامات الَّتي كانوا فيها أَو الأَحوال الَّتي ٱرتَقوا إِليها . . فالخِلْعة موجودة ، بغت إِلاَّ تأَهّل منه ، والتَّأَهُّل آه ؟ التَّأَهُّل ما هو بعيد ، لا! ذَلاَّ حتَّى في نفْس هٰذا المجلس ؛ لأَنَّ الإِنسان ذَلاَّ بين خِصلتين ، ذَلاَّ تبديل صفات بصفات ، واحد في غفلة يبدِّل صفات الغفلة بصفات اليقظة ، وواحد في كذب يبدِّل صفة الكذب بصفة الصِّدق ، وواحد في لهو يبدِّل صفة اللَّهو بصفة الجِدِّ ، وواحد في بُعد ومعاصي يبدِّل صفة المعصية في نفْس المجلس .

معاد شي ، ذَلاَّ يقلب كما يقولون : يقلب الغفلة إِلىٰ اليقظة انتهىٰ الكلام .

ذَلاَّ في لحظة واحدة ، إِذا عمل هٰكذا . . جاءَ له التَّوفيق ، وأُسبغ عليه الفضل ، فصار بعيد عن الغفلة ، وبعيد عن أَهل الغفلة ، وبعيد عن العصيان ، وبعيد عن أَهل العصيان ، وبعيد عن المنكَرات ، وبعيد عن أَهل المنكَرات .

وٱلله يدخلنا وإيّاكم تلكَ الدَّائِرة ولا يخرجنا عنها طرفة عين ، وينفعنا بـ« الإِحياءِ » إِنْ شاءَ ٱلله ، وينفعنا بشيوخ « الإِحياءِ » ، وينفعنا بقُرَّاءِ « الإِحياءِ » ، وينفعنا بأَهلنا وسلَفنا ، وينفعنا بالعِلْم ، وينفعنا بالعمل ، ويدخلنا ـ إِنْ شاءَ ٱلله ـ تلكَ الدَّائِرة ولا يخرجنا عنها طرفة عين ، ويجعل ثمرة الإِحسان ٱلانتفاعات هـٰذه ، إِنْ شاءَ ٱلله يتكرَّم ٱلله علينا بالإِحسان وسَعة رحمته ، يدخلنا تلكَ الرَّحمة الواسعة ، حتَّىٰ نجتمع بنبيِّنا صلوات ٱلله وسلامه عليه ، وهو راضٍ عنّا ، وحتَّىٰ يَسقينا مِنْ حوضه ، وحتَّىٰ نَرِد تلكَ الموارد الهنيَّة ، ونجلس علىٰ المواهب ، وتُسبغ علينا تلكَ المواهب العليَّة الَّتي كان المولىٰ يسبغها عليهم سبحانه وتعالىٰ ، ولا يقطع فضله ، ولا يقطع مدده عنّا ولا عنكم ، ولا عن هـٰذا البيت ، ولا عن أَخينا عبد القادر ، ولا عن أَولاده ، ولا عن إِخواننا هـٰؤُلاءِ كلّكم ، ولا عن أَولادكم ، ولا عن أَحبابكم ، ولا عن أَهل جهتكم ، ولا عن أَهل بلدكم .

يواصل مدده علينا وعليكم إِنْ شاءَ ٱلله حتَّىٰ نتَّصل بأَهلنا ، وحتَّىٰ يتَّصل الفرع بأَصله ، وحتَّىٰ لا يتأَخَّر الولد عن والده ، وحتَّىٰ لا تتأَخَّر البنت عن أُمِّها ، وحتَّىٰ لا يتأَخَّر الغيث أَو الفيض الرَّحمانيُّ عنّا وعنكم طرفة عين ولا أَقلَّ مِنْ ذلكَ .

والعفو منكم .

ثمَّ بعد ذلكَ رتَّب الفاتحة هٰذه :

الفاتحةَ أَنَّ ٱلله يتقبَّل هٰذه الدَّعوات ، ويُعجِّلُ بالإجابات ، ويجعل هٰذه الجلسة مِنْ أبرك السّاعات علينا وعليكم ومِنْ أبركِ الجلسات ، ويجعلَها ـ إنْ شاءَ ٱلله ـ ساعةً مشهودة بالنَّفحات . مشهودة بالتَّجلّيات ، مشهودة بالرَّحمات ، مشهودة بسوابغ الخيور والبركات ، الَّتي تتنزَّل علىٰ قُرّاءِ « الإحياء » ، وعلىٰ مَنْ قرأَه مِنْ قبلنا ، ومِنْ شيوخنا ، ومِنْ أَهلنا ، ومِنْ رجالنا ، ومِنْ رجال السِّر ، يمدّنا ٱلله ـ إنْ شاءَ ٱلله ـ بما أَمدَّهم ، وينفعنا بما نفعهم ، ويعطينا ما أَعطاهم ، ويحلّينا بملا حلاَّهم ، ويجعلنا ـ إنْ شاءَ ٱلله ـ وإيّاكم داخلين دائِرتهم لا خارجين منها ، ويشملنا ببركتهم ويؤَهِّلنا وإيّاكم لِبرِّهم ، ويؤَهّلنا لنورهم ويؤَهّلنا للطائِفهم .

ويمتِّعنا وإيّاكم ـ إنْ شاءَ ٱلله ـ بأَخينا عبد القادر ، وحبيبنا عمر ، وحبيبنا أَحمد ، وأَخينا محمَّد بن سالم[1] وإيّاكم ـ إنْ شاءَ ٱلله ـ متعة صالحة ، تكون ـ إنْ شاءَ ٱلله ـ مصروفة في الطّاعة ، مصروفة في القُرَب ، مصروفة في البرِّ ، مصروفة في الخير ، مصروفة في القُرْب مِنْ محمَّد صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، مصروفة فيما يُرضي محمَّدْ .

---

(١) يقصد الحبيب عبد القادر بن حسين وعمر بن محمد وأحمد بن علي آل السقاف .

وأَنَّ ٱللهَ يوسِّع علينا وعليكم في ٱلأَرزاق ، ويعمِّر بنا وبكم الدِّيار ، ويجعلنا وإِيّاكم - إِنْ شاءَ ٱلله - أَهلَ القيام بالآثار ومطالعة الأَنوار ، وكشف الحجب - إِنْ شاءَ ٱلله - والأَستار ، في لُطف وعافية .

وختمها سيِّدي الوالد بقوله : وإِلىٰ حضرة النَّبيِّ محمَّدٍ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

* * *

ختم «صحيح البخاري»، وفضل الإمام البخاري، وفضل العلم، وفضل السند، والتأكد عن رجال السند

ومِنْ كلامه ـ حفظه ٱلله ونفعنا بما قال ـ هـٰذه الكلمة الّتي تكلّم بها في (إندونيسيا) أيضاً في خَتْم « صحيح البخاريّ » في رجب عام (١٣٩٣هـ) .

قال حفظه ٱلله :

أَنا دخلت هنا ، ولمّا دخلت في هـٰذه اللّحظة والحاجّ أحمد الجفري يتكلّم في فضل العِلْم وأَهل العِلْم ، وفي فضل أَهل البيت الطّاهر وأَفضليّة أَهل البيت الطّاهر ، وقد ساق لنا مِنَ الآيات القرآنيّة ما كفىٰ وشفىٰ .

ساق أَدلّة منَ الآيات القرآنيّة : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ ما يتأتّىٰ .

وكثير مِنَ الآيات القرآنيّة ؛ لأَنَّ ٱلله تعالىٰ قالَ : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ ﴾ .

وقالَ : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ ﴾ .

وقال : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ ﴾ . إلىٰ آخِر ٱلآيات العظيمة الكريمة والأَحاديث النّبويّة الواردة ، وكلام ٱلشّيخ أَدلّ دليل على هـٰذا المجلس نفسه .

<نحن حضرنا لسماع حديثه صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلّم ، ومَنِ الّذي نقل لنا هـٰذا الحديث ؟ هل رآه أَحد في المنام وقال له

النَّبيُّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم : شفنا قلت شي كذا ؟ أَوحد عمل شيء مننا ؟ لا ! ولٰكنَّه هٰذا هو العِلْم المربوط ، جابه لنا ٱلشَّيخ البخاريُّ ؛ جمعه في سِتَّ عَشَرْ سَنة ! وهو ينتقل مِنْ بلدٍ إلىٰ بلد ؛ لأَخذ هٰذا العِلْم مِنْ بلدان شتَّىٰ متباعدة ، مِنْ مشرق الأَرض إلىٰ مغربها ، حتَّىٰ جاب لنا هٰذا الكتاب العظيم القيِّم ، الَّذي أَجمعت عليه الأُمَّة الإسلاميَّة بكاملها أَنَّهُ أَفضل الكتب بعد كتاب ٱلله .

فإذا كان جاءَنا هٰذا الحديث الطري عن رسول ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، وخدم الأُمَّةَ به ٱلشَّيخُ محمَّد البخاري[1] هٰذا ٱبنُ إسماعيلَ ٱبن بَرْدِزْبَه الجُعفي البخاري ، ثمَّ جاءَ وأَخذ سندَه وٱختصره ٱلشَّيخ الحسينيُّ الزبيديُّ ، هٰذا . . فإنَّ هٰؤلاءِ لولا عِلمهم ورغبتُهم في العِلْم ، وتحصيلهم للعِلْم ، وبحثهم عن رجال العِلْم . . لَما وصل إلينا هٰذا الكتاب ، ولَما سمعنا حديثاً عن محمَّد بن عبد ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم . >

بل هٰذا القرآن ، الكتاب الخالد ، لولا العلماءُ المؤدِّين . . لَما وصل إلينا ، ولولا تواتر السِّنينَ ، وتحصيل العِلْم مِنْ هٰؤلاءِ الباحثين . . لَما أَدركناه ، ولَما قرأناه ، ولَما ٱكتحلت به العيون . ولٰكنَّه كلُّه جاءَ بفضل العِلْم وأَهل العِلْم ، فعرفنا مِنْ ذلكَ أَنَّ لأَهل العِلْم فضلْ ، فضلاً عن الدَّرجة الَّتي ذكرها لَنا الجفري في القرآن .

< لهم فضل علينا في هٰذه الحياة ، ولهم ميزة علينا في هٰذه الحياة ، ولهم شرف علينا في هٰذه الحياة ، ولهم مناقب سامية

---

(١) (١٩٤ـ٢٥٦ هـ) .

علينا في هـٰذه الحياة ؛ لأَنَّ البَوْن بيننا وبينهم شاسع .

نحن بين رجُلَين : إمّا رجل غافل لاهي ، وإمّا رجل شغلته دنياه فأَصبح ضائعْ ، والعياذ بٱلله منهما .

وفرق بيننا : هاذولا بحثوا عن العِلْم ، وأَدَّوا لنا حديث رسول ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم كاملاً طريّاً الَّذي تكلَّمت به اللِّسان المحمَّديَّة في تلكَ المجالس الَّتي كان يعقدها صلوات ٱلله وسلامه عليه لأَصحابه للدَّعوة ، وللبلاغ وللتَّبليغ ، جاء به إلينا طري .

وهـٰؤلاء الجهّال الَّذين يريدون أنْ يقيسوا أَنْفسهم بأَهلِ العِلْم ، أَو ربَّما عادهم رأَوا أَنَّهم زايد على أَهل العِلْم ، ماذا عملوا لنا ؟ آه عملوا ؟

حَدْ جاب لنا منهم شيْ ؟

حَدْ أَورد لنا منهم كتابْ ؟

حَدْ نقل لنا منهم شيْ ؟

حَدْ أَورد لنا منهم علمْ ؟

أَحد عقد مجلس مِنْ مثل هـٰذه المجالس الَّتي تُعقد حتَّىٰ لقراءَة هـٰذه الكتب ؟ شتّان : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

فرْق فيما بين المقامَين ، وفرْق فيما بين هـٰؤلاءِ وهـٰؤُلاءِ : هـٰؤُلاءِ ٱختارهم ٱلله صفوة ، وجعلَهم نوّاب عن الحبيب صلىٰ ٱلله

عليه وآله وسلَّم في أَداءِ الرِّسالة ، وفي تبليغ الرِّسالة ، وفي حفظ كلامه وتبليغ شريعته وتعليمها إلىٰ مَنْ بعدَه ، حتَّىٰ وصلت إلينا علىٰ ألف وثلاث مئَة وثلاثة وتسعين عاماً مِنْ وفاته ومِنْ هجرته صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، جاءَتنا أَحاديثه ودعوته ، وكتاب ٱلله المبيْن طريَّ يُتلىٰ باللِّسانِ الَّتي قرأَ بها مُحَمَّد ، والَّتي تكلَّم بها مُحَمَّد ، والَّتي عقد المجالس لها مُحَمَّد صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، فلا أَفضل منهم بعد أَصحابِ رسولِ ٱللهِ ، ولا أَكرمَ منهم عند ٱلله ، ولا أَشرفَ منهم عند ٱلله .

وهٰؤلاءِ الآخرين الجهّال لا يُلقىٰ لهم بال ، ولا يُلتفَت إليهم في كلام ، ولا يُعوَّل عليهم في قول ، ولا في مجلس ، ولا في أَخْذ ولا في رد ، ولا في عمل ، ولا في شيءٍ قَطُّ أَبداً ، إنَّما يُعتبرون مِنْ سَقط النّاسِ .

إذا ما شرَّفوا أَنفُسهم بٱلانتماءِ إلىٰ هٰؤلاءِ أَهل العِلْم وبالحضور في مجالس مِثل هٰؤلاءِ ، وإذا ما قَدَّروا هٰؤلاءِ ، وإذا ما عَرفوا حقَّ هٰؤلاءِ . . فهٰؤلاءِ الجهّال ممَّنْ قال فيهم ٱلله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ لأَنَّهم يريدون أَنْ يفاخِروا بجهل ، وهل يفخر الجهل مع العِلْم ؟ وهل تتقدَّم الظُّلمة مع النّور ؟ وهل يحصل لأَهل الفضل المتَّبعين لمُحَمَّد صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم كمَنِ ٱتَّبع الشَّيطان ؟ شَتّان ما بين الفريقين ، وفرق بينهما .

نحن هنا في هٰذا المجلس الَّذي نعتقده ـ إنْ شاءَ ٱلله ـ أَنَّ

روحانيَّة الحبيب حضرت فيه . . صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، وروحانيَّة رجالنا الَّذين نتوكَّأُ عليهم ونعتمد عليهم ، في أمورنا الظَّاهرة وأُمورنا الباطنة ، والَّذين إِنْ حصل لنا شيء . . فإنَّما نحن عالة عليهم في جميع أُمورنا وفي جميع أَحوالنا ، في دنيانا وفي دِيننا .

لا شكَّ أَنَّهم حاضرون في هٰذا المجلس ، ومَنْ قام بحقِّ هٰذا المجلس ؟

أُقيم عقد هٰذا المجلس لأَجْلِ قراءَة هٰذا « الصَّحيح » الخالد العظيم ، الَّذي جاءَ به إِلينا ٱلشَّيخ مُحَمَّد بن إسماعيلَ وأَورده إِلينا بعد أَنْ قضىٰ في جمعه ستَّةَ عشرَ عاماً ، يتنقَّل مِنْ بلادٍ إِلىٰ بلاد .

هٰذا ٱلشَّيخ أَصلُهُ مِنْ (روسيا) ـ مِنْ (بُخارىٰ) ، و(بخارىٰ) في أَرض (روسيا)[1] .

وتنقَّل في (روسيا) أَوَّلاً ، ثمَّ ٱنتقل منها إِلىٰ (سمرقند) ثمَّ ٱنتقل منها إِلىٰ (الشَّام) ثمَّ ٱنتقل منها إِلىٰ (العراق) ثمَّ ٱنتقل منها إِلىٰ بلاد الأَكراد بـ(العراق) ثمَّ ٱنتقل منها إِلىٰ الحرمَين الشَّريفين ، ثمَّ ٱنتقل منها إِلىٰ بعض بلادِ العرب .

لاه! ذا يَتَّجِر ؟ ذا يسرح ويضوي قفا أَهل المراكب ، يعمل آه هٰذا ؟

---

(١) وذلك قبل تفكك روسيا . . أما في الوقت الحاضر فهي تقع في دولة أوزباكستان .

ماذا كان مِنْ عمله ؟

ثمَّ كان مِنْ أَدبه مع الحبيب صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ؟

مِنْ أدبه مع مُحَمَّد : أَنَّه لا يأْخذ الحديث حتَّىٰ يغتسل له ـ تكرِمةً لحديث مُحَمَّد ـ ويركع في المسجد ركعتين لأَجْل حديث مُحَمَّد صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، ثمَّ يروح إِلىٰ ذلكَ العالم فيقف تحتَه متواضع ، تحت بيته حتَّىٰ يفتح له ، ويستأْذن حتَّىٰ يدخل ، ثمَّ يقول له : بلَغني أَنَّكَ تحفظ مِنْ أَحاديث رسول الله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، فَسُقْ لي ما تحفظه وسُقْ لي ما سمعتَه ، وسُقْ لي ما قرأْتَه ، وسُقْ لي سندَك .

فيسرد له ذلكَ السَّند مسأَلةً مسأَلةً ، مسأَلةً مسأَلةً ، حتَّى يرد الحديث عن النَّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، فإِذا ورد الحديث عن النَّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم . . كتبَه ، كتب السَّند الَّذي أَخذه عن رجالِ العِلْم ، ثمَّ كتب الحديث ، ثمَّ كتبه عن ذلكَ ٱلشَّيخ ، ثمَّ كتب تاريخ الجلسة الَّتي عُقدِت ، وقام وسعىٰ إِلىٰ عالِم ثاني إِنْ كان بتلكَ البلاد أَو كان خارج تلكَ البلاد .

عاد شيء أفضليَّة فوق هـٰذه ؟ عاد شي قيمة تقاس بمثل هـٰؤلاءِ ؟

هـٰؤلاء إذا ما وضعَهم أَهل الإِسلام علىٰ الرّؤُوس . . كان قليل وضعُهم علىٰ الرُّؤُوس لهم منهم ؛ لأَنَّهم هم كذلكَ علىٰ رؤُوس الخلائِقِ تشريف لهم مِنْ ربِّهم . بعد ما يقول المولىٰ : ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ﴾ .

فين هم هـٰؤلاءِ الجهّال الصّغار ؟

فين هم هـٰؤلاءِ الأَذناب ؟

فين هم هـٰؤلاءِ السَّفلَة ؟

فين هم هـٰؤلاءِ العامَّة ؟

فين هم هـٰؤلاءِ الجهلَة بعد ما يقول القرآن ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وذا با يرتفع إلىٰ فين ؟ وفي أَيِّ شيءٍ بايرتفع ؟ بالمال! بَدا رفع أَحدْ المالْ ؟ ما رفع أَحدْ المالْ .

قال آه الشّاعر :

فَقَدْ رَفعَ ٱلإسلامُ سلمانَ فارسٍ وقد وَضعَ الشِّركُ ٱلحَسِيبَ أَبا لهبْ

ما يرفع المال ، ولا يرفع الحسب ، ولا يرفع النَّسَب ، إنَّما يرفعُ العِلْم ، والكرامة إنَّما هي بالتَّقوىٰ ، لا أَقلَّ مِنْ ذلكَ ولا أَكثر .

فجَزَىٰ ٱلله الإِمام البخاريَّ أَلفَ جزاء ، وجزاه ٱلله بأَنْ جعل الجنَّة مرجعاً له ومَأْوَىٰ .

هـٰذا مجلس لا يُشابهُه مجلس ، لا في السَّماءِ ولا في الماءِ ولا في الأَرض ، ولا في الجنَّة ولا فيما حولها .

ونسأَل ٱلله سبحانه وتعالىٰ أَنْ يجعلنا ممَّنْ جلس ذلكَ المجلس ، وأَنْ يُعرِّفنا قَدْرَ العِلْم ، وأَنْ يُعرِّفنا قَدْرَ حملَةِ العِلْم ،

وأَنْ يُعرِّفنا قَدْر حملَةِ القرآن ، وأَنْ يُعرِّفنا فضل أَهل القرآن ، وأَنْ يُعرِّفنا الشَّرف الخالد الَّذي وسمه ووصفهم ٱلله بأَهل القرآن .

ونسأَله سبحانه وتعالىٰ أَنْ يغفر في هـٰذه اللَّيلة ذنوبنا ، وأَنْ يستر لنا عيوبنا ، وأَنْ يكشفَ لنا كروبنا ، وأَنْ يفتح عَيْنَ بصيرتنا حتَّىٰ نشاهِد ما وراءَ السِّتار . وأَنْ يجعلَنا ممَّنْ قَرُبَ إِلىٰ المصطفىٰ ، وممَّنْ خدم المصطفىٰ ، وممَّنْ قام بالمحبَّة والقُرْب بالمصطفىٰ ، وممَّن جعلَه المصطفىٰ نائِباً عنه في الملأ ، وفي التَّبليغ ، وفي حفظ الشَّريعة وفي القيام بالشَّريعة ، حتَّىٰ نكون محفوظين في هـٰذه الدَّار ، ملحوظين مِنْ مُحَمَّد سيِّدِ الأَبرار ، مسعودين بقُرْبه في الجنَّة . . ولا يجعلنا من أهل النَّار .

والحمد لله ربِّ العالَمين . <

وبعد ذلكَ رتَّب الفاتحة ، وقال حفظه الله :

ثمَّ إِلىٰ روح سيِّدنا مُحَمَّد بن علي باعلوي وبقيَّة رجالنا وشيوخنا ، وإِلىٰ روح ٱلشَّيخ المحقِّق مُحَمَّد بنِ إِسماعيلَ البُخاري ، وسيِّدنا جعفر بن شيخان ، ووالدينا ووالديكم ، وشيوخنا وشيوخكم ، والمتقدِّمين في هـٰذِهِ البلد ، وحبيبنا علوي بن سقّاف ، وبقيَّة الدَّاعين ، وبقيَّة المحافظين ، وبقيَّة الثّابتين علىٰ المنهج القويم . . أَنَّ ٱلله يتغشّاهم بالرَّحمة والمغفرة ، وأَنَّ ٱلله يبارِك ، في هـٰذه اللَّيلة ؛ يظهر علينا نور الحبيب ، ونور العِلْم ، ونور القراءَة ، ونور المجلس ، ونور البركة ، ونور الختم ، حتَّىٰ يغمرنا ٱلله بالنّور ، ويجعلنا مِنْ أَهلِ

النّور ، ويدخلنا مع أَهل الحضور ، ويجعلنا وإِيَّاكم ممَّن عليه الدَّوائِر تدور ، في جميع الأُمور .

وإِلىٰ حضرة النَّبيِّ مُحَمَّد صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم : (الفاتحة) .

* * *

حول الحبيب علوي بن سقاف

وتكلَّم ـ حفظه ٱلله ـ بهٰذهِ الكلمة في حول الحبيب علويّ بن سقّاف بـ(إندونيسيا) في شهر شعبانَ (عام ١٣٩٣هـ) .

وقالَ :

ٱجتمعتوا في هٰذا الاجتماع حول قبره الشَّريف ، وحول جسده وحول روحه . لاشكَّ أَنَّ روحه ـ الَّتي كانت صالحة ـ تستدعي الصّالحين مِنْ جميع الجهات ، كما أَنَّها ٱستدعتكم للحضور ؛ لأَنَّكم ٱعتقدتوه مِنْ صالح هٰذه الأُمَّة ، ومِنْ خيار هٰذه ألأُمَّة ، فكذلكَ الأَرواح كلُّها جنود مجنَّدة ، وتتآخىٰ في عالَمها ، وتتقارب في محلِّها ، وتجتمع وقت حاجتها ووقت دعوتها .

واليومَ ، الدَّعوة المبارَكة لحضور اليوم الَّذي كانت وفاته فيه .

يوم حَولِهِ المشهود ، ويوم ٱجتماعه المشهود ، فيه باتحضر الأَرواح كلُّها ، وإِذا حضرتِ الأَرواح . . باتغمر نحن السَّكينةُ ، وباتتنزَّل علينا البركة ، وبايتكرَّم ٱلله علينا وعليكم أَوَّلاً بالمغفرة ، ثمَّ بصلاح القلب .

ثمَّ مِنْ بعد صلاح القلب : إِنبعاث الهمَّة ، والنَّشاط إِلىٰ ما كان عليه الحبيب علوي بن سقّاف ، مِنْ تعليم العِلْم ، ومِنْ نشر العِلْم ، ومِنَ القيام به ، ومِنَ العناية به ، ومِنَ ٱلاهتمام به ،

ومِن تعاضده ، ومِنْ تآزره ، ومِنْ إِفراغ وقته كلِّه في هـٰذا السّبيل القيِّم .

ذلكَ لأَنَّه أَفضل الذُّخر ، بعد ما يأْتينا القرآن ، ويقول لنبيّه : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ .

قال العلماءُ : إنَّ قوله : ﴿ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ وهو الأصل ، أَشركهم في تَبعَيتِه صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم وفي دعوته صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، والنَّاس إذا يشتركون مع مُحَمَّد فإنَّهم يفوزون ، مثاله مثال شركات الدُّنيا هـٰذه ، إذا ٱشتركَ الإنسان مع نشيط ، أو مع ذو حظٍّ ، أَو مع ذو يُمْنٍ ، أَو مع ذو بركة . . فرح بشركته معه وٱستبشر ؛ لأَنَّه يشوف الرِّبح يتزايد .

وهـٰذه الشَّركة مع مُحَمَّد ، ومُحَمَّد أَفضل الخلْق ، وأَكمل الخلْق ، وأَشرف الخلْق ، يقول : ﴿ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ ، شركاءُ في هـٰذه الدَّعوة وفي تبليغ هـٰذه الرِّسالة . مزيَّة عظيمة ، ونعمة كبيرة ، وموهبة جسيمة ، ولـٰكنْ! بعض النّاس ربَّما لا يُدركْ بعض أَسرار القرآن ، فيتخلَّف الواحد وينشغل بولده ، أَو ينشغل بفتوره ، أَو ينشغل برعوناته .

وكيف بايدخل في شركة مع مُحَمَّد .

كيف يتركها الإِنسان ، كيف يغفلها الإنسان ، كيف يتأَخَّر عنها الإِنسان ؟ والدَّعوة هـٰذه ما هو أَمر كبير :

مَنْ دَعا إِلىٰ ٱلله في تعليم ولده . . كان داعياً . ومَنْ دعا إِلىٰ ٱلله في تعليم زوجه . . كان داعياً . ومَنْ دعَا إِلىٰ ٱلله في تعليم

بنته . . كان داعياً . ومَنْ دعَا إلىٰ ٱلله في تعليم جاره . . كان داعياً . ومَنْ صلَّىٰ في جماعة بطمأْنينة وأَركان ، وخشوع وحضور . . كانت صلاتُه دعوةً .

كلُّ مَنْ شاهَدَه علىٰ هـٰذه الحالة . . بايتأَثَّر بتلكَ الصَّلاة ، وبايصلِّي عليها .

ومَنْ رآه يمشي في طريقه وعليه السَّكينة وعليه الوقار ، يعطي الطَّريق حقَّها ، يُعطي الجار حقَّه ، ويُعطي الرَّحم حقَّه ، ويُعطي القريب حقَّه ، ويُعطي البعيد حقَّه ، ويُعطي الشَّريكَ حقَّه ، ويُعطي ذا الصِّلة حقَّه . . كان داعياً .

كلُّها دعوة ، سواءٌ إنْ كانت بالقول أَو كانت بالفعل ، كلُّها دعوة إلىٰ ٱلله سبحانه وتعالىٰ .

والدَّعوة إلىٰ ٱلله ـ كما ذكرنا لكم ـ يشترك فيها مع مُحَمَّد ، ويطلع في ديوان مُحَمَّد ، ويُكتب في ديوان مُحَمَّد صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم .

هـٰذا الحبيب علي الحبشي[1] يقول لواحد مِنْ أَصحابه :

يا بو عمر بَخْت في ديواننا مَن كُتِبْ نبني علىٰ ساسْ مُحكَمْ قَطّ مايَخْتَرِبْ

في ديوان الحبيب علي ، فكيف بديوان النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ؟

إلىٰ آخِر كلام الإِمام العظيم ، وإلىٰ آخِر قصيدته .

---

(١) (١٢٥٩ـ١٣٣٣ هـ) .

ٱللهَ ٱللهَ يا إِخواني أَنْ يهتمَّ كلُّ واحد منكم بالدَّعوة ، ويهتم بالتَّربية ، ويهتم بالتَّعليم ، ويهتم بالخدمة ، ويهتم بالقيام .

سمعتم أخينا عبد القادر بن حسين السَّقّاف لَمَّا ذَكر لكم ، ما هـٰذهِ إِلاَّ نبذة يسيرة مِنْ أَحوال هـٰذا الإِمام ، وليس ذلك ببدع ، وليس ذلكَ بغريب ، تَأَثَّر بأَهله ، تأَثَّر بأَبيه ، شافه مِنَ الصّالحين ، تأَثَّر ببني عمِّه ، رآهم مِنَ الصّالحين ، تأَثَّر بشيوخه ، رآهم صالحين .

قرأَ علىٰ الحبيب علي وأَلقىٰ قياده إِليه ، فرآه مِنَ الصّالحين فتأَثَّر به ، فطلع وعليه ذلك الأَثر مِنْ (حضرموتَ) يخبط به الأَودية والبحار ، والهواء والجبال والأَراضي ، حتَّىٰ وصل إِليكم وعليه سَكِينة مِنْ آثار النُّبوَّة ، وعليه لمعة مِنْ لمعات النُّبوَّة ، وعليهِ أَنوار تغشىٰ وجهه مِنْ أَنوارِ النُّبوَّة .

وتلكَ الأَنوار جعلَت النّاس يُقبلون عليه ، حتَّىٰ دخل في دِينِ ٱللهِ كثير مِنْ أَفواج هـٰذه الأُمَّة ، وحتَّىٰ تعلَّم منه كثير ، وحتَّىٰ ٱنتفع به كثير ، وحتَّىٰ ٱهتدىٰ به كثير . فكلُّ متعلِّم ، وكلُّ مهتديْ ، وكلُّ قارىء ناظر إِليه . . لاشكَّ أَنَّه سينال الحبيب علويّ مِنْ ذلكَ نصيب ؛ لأَنَّ مَنْ قرأَ عليه حتى ﴿بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمـٰنِ ٱلرَّحِيْمِ﴾ وحتَّىٰ فاتحة الكتاب ﴿الحمد لله رب العالمين . . .﴾ إِذا قرأَها الإِنسان . . كُتبت ـ قالوا ـ في صحيفته ، وكُتبت في صحيفة معلِّمه . وإِذا صلَّىٰ . . كُتبت في صحيفته ، وكُتبت في صحيفة معلِّمه .

وإذا ذَكر ٱلله . . كُتبت في صحيفته ، وفي صحيفة معلِّمه .

وإذا قرأ ـ قالوا ـ القرآن . . كُتب في صحيفته ، وفي صحيفة معلِّمه .

وإذا مشىٰ إلى مجلس ذِكْرٍ كُتب ممشاه في صحيفته وفي صحيفة معلِّمه .

وإذا أُعطي شيء مِنَ النِّعم وشكر ٱلله عليها . . كُتبت في صحيفته وفي صحيفة معلِّمه .

وإذا ٱطمأنَّ إلىٰ ٱلله سبحانه وتعالىٰ بفرح ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ . . كُتبت في صحيفته وفي صحيفة معلِّمه . وكلُّ شيء ، لو حتَّىٰ دخل بيت الخلاء ـ البركة علىٰ قولكم ـ وٱستراح في البركة[1] ، وخرج مِنَ البركة ، وهو ممتلىءُ القلب بالعافية ـ وبالطُّمأْنينة وبخروج الأَذى مِنْ باطنه . . قالوا : كُتب ذلكَ في عِداد الشّاكرين ، وكُتب في صحيفته وصحيفة معلِّمه .

وكم يُكتب في صحائِف المعلِّم ، وكم يُكتب في صحائِف أَهل الخير ، وكم يُكتب في صحائِف الدُّعاة ، وكم يُكتب في صحائِف أَهل لا إلـٰهَ إلاَّ ٱلله ؟ فلهـٰذا حرص النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم عليكم ، وأَحبَّ منكم أنْ تكونوا علىٰ طريقته صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، وأَنْ تأْخذون مِنَ العِلْم بنصيب وتُعلِّمون به مَنْ

(١) البِركة ـ بكسر الباء ـ : محل قضاء الحاجة بلغة آل جاوه .

وراءكم ، قال صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم : « فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَىٰ مِنْ **سَامِعٍ** » .

رُبَّما واحد يهتدي بك أَو يصلح بك يكون ثوابه كلُّه يأتي إليك . وهـٰذه نِعَم ـ شوفوها ـ كبيرة ، يدرك الإنسان بها ما لا يدركه . ذا الحين هـٰذا في برزخه له تسعين سَنة مِنْ وفاته ، وبعد التِّسعين لا يزال الثَّواب يُكتب له كلَّ يوم[1] .

الجفري هـٰذا قرأ عليه ، يُكتب له .

الحبيب عمر هـٰذا ٱتَّفق به وعرفه ، يُكتب له .

النِّساءُ اللاَّتي أَدركنه يُكتبن له .

و(رباط جفري) هـٰؤلاءِ الَّذين قرءُوا علىٰ جفري والَّذين يقرَءُون في معهده كلُّهم في صحائِف علوي بن سقّاف ، وكثير جالِسين هنا ، وأَتباعُه ومَنْ علىٰ شاكلته كلُّهم في صحائفِ علوي بن سقّاف ، بل أَكثر هـٰذه الجهات ، ما هي هـٰذه القرية ، أما القرية هـٰذه ، قال الشُّيوخِ : إنَّها تشابه بلدان (حضرموت) لأَنَّها أَسبغَ عليها علوي بن سقّاف مِنْ عِلمه ومِنْ عمله ، ومِنْ ورَعه ومِنْ عبادته ، حتَّىٰ صيَّرَ أَهلها أَكثرَهم صالحين ، وأَكثرَهم عليهم سَكينة الإِيمان ، وأَكثرَهم عليهم وقار الإِيمان ، وأَكثرَهم عليهم هيبة الإِيمان ، بشهادة الرِّجال الَّذين تصلح شهادتهم ، ما هو شهادتنا .

شهد له مُحَمَّد المحضار ، وشهد له مُحَمَّد العيدروس ،

---

(١) يقصد : الحبيب علوي بن سقاف .

وشهد له أَبو بكر بن مُحَمَّد السَّقّاف ، وشهد له أَحمد بن محسن الهدّار ، وشهد له عبد ٱلله بن محسنِ العطّاس ، وشهد له أَحمد بن عبد ٱلله العطّاس .

هٰؤلاءِ الَّذين يَصلحون للشَّهادة ، ما هي شهادتنا نحن ، هٰؤلاءِ هم الَّذين ٱنتقاهم ٱلله وجعلَهم صفوة ، وجعلَهم أُمناءَ علىٰ الشَّهادة ، فقال في حقِّهم : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ ﴾ .

ما هي شهادتنا ، هٰؤلاء رَبَط ٱلله شهادتَه بشهادتهم وشهادتَهم بشهادته سبحانه وتعالىٰ ، تصلح منهم الشَّهادة ، وتَصلح لهم الشَّهادة .

لا يزال واردُ الخير يرِد عليهم وهم في قبورهم ؛ لأَنَّ الإِنسان كما ورد في الحديث الصَّحيح عن النَّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم : أَنَّ عمل ٱبن آدم يَنقطعُ إِلاَّ مِنْ ثلاث : « **صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالحٍ يَدْعُوْ لَهُ** » .

قال العلماءُ : والعالمُ الدّاعي إِلىٰ ٱلله تجتمع له هٰذه الثَّلاث كلُّها ، فعِلْمه هٰذا صدقة جارية ؛ لأَنَّ الصَّدقة بالعِلْم أكثرُ مِنَ الصَّدقة بالمال ، ولا أَفضلَ مِنْ صدقةٍ بالعِلْم . والأَولاد الَّذين علَّمهم ينتسبون إِليه ، ويدخلون تحت قوله : « **أَوْ وَلَدٍ صَالحٍ يَدْعُوْ لَهُ** » والصَّدقة الجارية هي نشر العِلْم .

« **صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالحٍ يَدْعُوْ لَهُ** »

كلُّها ـ قالوا ـ تجتمع في العالِم وفي الصّالح أكثر ممّا تجتمع في غيرهم ؛ لأنَّ صاحب المال ما تقع له ـ إنْ تصدّق ـ إلاّ صدقته . وصاحب الولد ـ الوالد الّذي ما هو عالم ـ ما يقع له إلاّ ما يجيء مِنَ الولدِ إنْ كان الولد صالحْ .

وأمّا العلماءُ هٰؤلاء . . تأْتيهم كلُّها الصّدقات ؛ ولهٰذا قال العلماءُ بالإجماع : إنَّ أعمال هٰذه الأُمّة كلّها ، قديماً وحديثاً إلىٰ قيام السّاعة ، تُكتب في صحائِف النّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلّم .

لماذا تُكتب في صحائِفه ؟ لأنّه هو المعلّم الّذي علّم النّاس ، وهو الدّاعي الّذي دعا النّاس ، وهو الّذي أتىٰ لنا بالإسلام ، وهو الّذي أتىٰ لنا بالهداية .

فكلُّ واحد منّا ، وممّن قَبْلَنا ، ومَنْ يأْتي بعدَنا إلى قيام السّاعة تُكتب أعماله في صحائِفه وفي صحائِف النّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلّم ؛ لأنّه المعلّمُ الأوّل .

وغيره كذلكَ تُكتب أعمالهم ؛ مثل الحبيب علوي بن سقّاف ، ومثل الحبيب علي بن مُحَمَّد الحبشي ، ومثل سيّدي الوالد ، ومثل الشّيوخ هٰؤلاءِ الّذين علّموا وربّوا وهَدَوا ، ودَعَوا إلىٰ ٱلله علىٰ بصيرة .

تُكتب أعمال مَنْ سمع منهم كلمة وعمل بها ، أوِ ٱنتفع بها ، أو تأثّر بها ، كُتبت ثمرة تلكَ الكلمة أو ثمر ذلكَ العمل في

صحائِفهم ، ولهٰذا قالوا : العالِم سيِّد أَهل الأَرض وسيِّد أَهل السَّماءِ . « **وٱلْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ ٱلأَنْبِيَاءِ** » .

قالوا : في الزَّمان السَّابق كانت الأَنبياءُ فيه تتوارث وتتوالا ، نبي قفا نبي ، ونبي قفا نبي ، ونبي قفا نبي . . حتَّىٰ جاءَ مُحَمَّد خاتِم الرُّسل ، والنُّبوَّةُ ٱنقطعت بموته . ولأَنَّهُ ٱنقطعت برسالته الرِّسالة . . قالوا : أَعطاه ٱلله أَنَّ علماءَ هٰذه الأُمَّة صاروا كأَنبياءِ بني إِسرائِيلَ .

قالوا شرّاح الحديث : والكاف إنَّما هي للتَّمثيل ، والتَّمثيل ـ قالوا ـ حاله مِنْ وراءِ الحالات ، ربَّما يكون لها شأْن غير شأْن الأَوّل ؛ لأَنَّ الكاف ذَلاَّ تدخل للتَّشبيه . قال أَبو الطَّيِّب المتنبي :

كفاتكٍ ودخولُ الكافِ منقصةٌ كالشَّمسِ قُلْتُ وما للشَّمسِ أَمثالُ

ذلاَّ الكاف تأْتي أَمثال يضرب ٱلله بها ، وهٰؤلاءِ العلماءِ الَّذين هم ورثةٌ عن النَّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ـ قالوا ـ يقومون نوّاباً عن الحبيب صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم في الأَمر الباطن وفي الأَمر الظّاهر ، وفي العِلْم الباطن وفي العِلْم الظّاهر ، وفي الولاية وفي تبليغ الولاية ، وفي التَّصريف في هٰذا الكون ، يؤْذَن لهم في التَّصريف في هٰذا الكون ؛ لأَنَّ ٱلله سبحانه وتعالىٰ قال لنا في كتابه : ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ .

قالوا : إنَّ الخليفة هو مُحَمَّد ، ظهر آدم نائِباً عنه ، وظهر نوحٌ

نائِباً عنه ، وظهر إِبراهيمُ نائِباً عنه ، وظهر هودٌ نائِباً عنه ، وظهر صالحٌ نائِباً عنه ، وظهر شعيبٌ نائِباً عنه ، وظهر إِلياسُ نائبا عنه ، وظهر موسىٰ وهارونُ نوّاب عنه ، وظهر عيسىٰ نائبا عنه ، وظهرت جميع الرُّسل نوّاب عنه ، وظهرت جميع الأنبياء كذلك وإِنْ كان لم يُؤْمروا بالتَّبليغ ، لٰكن! كلُّ ما يَرد عليهم إِنَّما يرِدُ مِنْ حياض مُحَمَّد بن عبد ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ؛ لأَنَّ نوره متَّصل بنور الأَوَّليَّة الأَزليَّة ، والَّتي لا نهاية ولا ٱنقضاء ولا ٱنقطاع لها ، خُلِق مِنْ نور ٱلله سبحانه وتعالىٰ .

فذلكَ النُّور جاءَ مِنَ النُّور ، وكلُّ ما يَرِد مِنَ النُّور يَرد على النُّور ، ثم يَرِد مِن ذلكَ النُّور مِنَ الأَنوار الَّتي تفجَّرت مِنْ مُحَمَّد بن عبد ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، ومنهم هٰؤلاءِ يَرِد عليهم شيءٌ مِنْ تلكَ الأَنوار ، ومِنْ تلكَ الخيرات ، ومِنْ تلكَ البركات ، ومِنْ تلكَ الإِفاضات ، ومِنْ تلك السَّعادات ، ومِنْ تلكَ البركات حتىٰ يرثَ ٱلله الأَرض ومَنْ عليها وهو خير الوارثين .

دائِماً يبقىٰ نورهم وإِنْ كانوا في قبورهم ؛ لأَنَّ ٱلله نبَّهنا علىٰ ذلكَ ، قال : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ .

قال العلماءُ : ويُعطون التَّصرُّف الشَّكلي ، والتَّصرُّف الخَلْقي ، والتَّصرُّف الذَّاتي ، والتَّصرُّف الرُّوحي ، والتَّصرُّف الأَصلي ؛ بأَنْ يتشكَّل الإِنسان منهم علىٰ صورته وعلىٰ غير

صورته ، وعلىٰ صوَر متعدِّدة ، واَللّٰهُ ـ قالوا ـ إذا أَعطىٰ الجانَّ التشكل ، وهم الأَقلُّ مِنَ الجنِّ . . فهـٰؤلاءِ الإِنس أَحسنُ مِنَ الجانِّ .

هـٰذا الجانُّ يتشكَّل ساعة بشكل آدمي ، وساعة يتشكَّل بشكل غيره مِنَ الحيوانات الأُخرى ، وساعة يظهر في صورة غير الصُّورة الأُولىٰ ، فكيف لا يتشكَّل أَولياءُ ٱلله ، ونوّاب مُحَمَّد والقائِمون عن مُحَمَّد ؟ والإِنس أَفضل مِنَ الجانِّ ، وأَولياءُ الإِنس أَفضل مِنْ غيرهم بلا شكٍّ . ثمَّ هم نوّاب عن مُحَمَّد بن عبد ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، فربَّما هم حاضرين عندنا في صور كثيرة .

قالوا : حتَّىٰ الملائِكةُ أُعطيت التَّشكُّل إلاَّ بواسطة مُحَمَّد بن عبد ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، حتَّىٰ جبريلُ ـ قالوا ـ كان ينزل علىٰ مُحَمَّد فيظهر في أَصحابه في صورة دِحْيَةَ الكَلْبيِّ ، والملائِكة في يوم بدر خَرجوا وعليهم عمائِمُ معروفة وقتلاهم معروفين ، يَضربون كلَّ واحد علىٰ بنانه ؛ ليُعرف قتيلُ الملائِكة مِنْ قتيل غيره ، وخرجوا وهم راكبين علىٰ خيول مُسْرَجة ومعهم السُّيوف متقلِّدينها ، وظهروا في ذلكَ اليوم نُصرةً لمُحَمَّد بن عبد ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

وكلُّ هـٰؤلاءِ ـ قالوا ـ أُعطوا التَّشكُّل بواسطة مُحَمَّد ، فإذا أُعطوا التَّشكُّل بواسطة مُحَمَّد . . فكيف لا يُعطاهُ أولياءُ مُحَمَّد ؟ وكيف لا يُعطاه خلفاءُ مُحَمَّد ، وكيف لا يتولَّونه خلفاءُ مُحَمَّد ـ أي التَّشكُّل والتَّصرُّف ـ ؟

فهٰؤلاءِ لهم ذلكَ ولَهم أَكثر مِنْ ذلكَ ، ولهم ما فوق ذلك ، كرامة مِن ٱلله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ورحمة بهٰذه الأُمَّة ؛ لأنَّ النُّبوَّة وَالرِّسالة ٱنقطعت ولٰكنَّ أَسرارها لا تزال متوالية في علوي بن سقّاف ، وفي مَنْ قَبْل علوي بن سقّاف ، وفي الرِّجال الّذين ٱمتلأَت قلوبهم إيمان ، وباشر الإيمانُ روحَ قلوبهم حتىٰ أدركت فيهــا أَســرارُ « لا إلٰــهَ إلاَّ ٱلله » ، وظهــرت عليهــا معــارج « سبحان ٱلله » ، وتنزّلت فيها لطائِف ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ .

قالوا : تسبيحٌ مِنْ أَسفلِ إلىٰ أعلىٰ ، يرتقي به الأدنىٰ إلىٰ الأَعلىٰ ، فيصل إلىٰ حضرة مقدَّسة ، حضرة مباركة ، حضرة معظَّمة ، حضرة مُشرِقة ، حضرة ما يأْتي إليها إلاَّ مَنْ سبقت لهم الخصوصيَّة بالنِّيابة عن مُحَمَّد ، وبالأَخْذ مِنْ مُحَمَّد ، يداً بيدٍ حتىٰ مقامِ النُّبوَّة .

هٰكذا كانت تلكَ الأَحوال ، وهٰكذا كانت الأَخلاق ، وهكٰذا كانت تلكَ الأَسرار . والخير لا يزال في هٰذه الأُمَّة ، والبركة لا تزال في هٰذه الأُمَّة ، والرَّحمة لا تزال في هٰذه الأُمَّة ، وقد بشَّركم مُحَمَّد ؛ لأَنَّ هٰذه الأُمَّة لا يزال الخير فيها ، ولا يُدرىٰ في أَوَّلها أَو في آخِرِها ، فقد يظهر وقد لا يظهر .

وَكَمْ للهْ مِنْ نِعمةٍ تَبْدُو لَدَينَا ‏ ‏ ‏ وَكَمْ للهْ مِنْ نِعمةٍ فِينا قديمهْ

لا تزال النِّعم تتوافد ، ولا تزال الخيرات تتوافد ، ولا تزال البركات تتوافد ، ولا تزال الإمدادات تتوافد ، ولا تزال الرِّعايات تتوافد ، ولا تزال الهدايا تتوافد ، ولا تزال تتواتر الرَّحمات ،

تتوافد عليكم كلّكم بواسطة مُحَمَّد بن عبد ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، فمَن وَسَّع لها . . وُسِّعت له ، ومَنْ أَدركها . . أَدركتْه ، ومَن فتح لها قلْبه . . ٱمتلأَ منها ، ومَنْ غفل عنها . . بقي في غفلته حتَّىٰ يرجع فترجع إليه الرَّحمة .

وأَمّا الغافل ، قالوا : ما ناله شيءٌ منها ، يبقىٰ في غفلته ، ومتىٰ ٱنتبهَ . . عادَ لَهُ نصيبُه .

ٱلله يجعل لنا ولكم نصيبْ مِنْ هـٰذا المجلس ، ومِنْ تلك الرَّحمة ، ومِنْ تلكَ البركة ، ومِنْ تلكَ الخيرات . ويجعلنا مِنْ ورّاث مُحَمَّد ، ومِنْ حاملي شريعة مُحَمَّد صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، ومِنَ القائمين عن مُحَمَّد ، ومِن المبلِّغين عن مُحَمَّد ، ومِنَ الدّاعين إلىٰ مُحَمَّد ، ومِنَ التّابعين كلام مُحَمَّد ، والنّاطقين بلسان مُحَمَّد وعن مُحَمَّد صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم .

الحمد لله ، ٱحمدوا ٱلله وٱشكروه ، لا يزال الخير .

مات علوي بن سقّاف ؛ جاءَكم جعفر بن شيخان .

مات جعفر بن شيخان ، جاءَكم هـٰذا الأَخ مِنْ عِباد ٱلله الصّالحين ـ أَي : سيِّدي الوالد عبد القادر بن حسين السَّقّاف ـ الَّذي مِنْ حين نشأ وهو في طاعة ، ولا تزال معمورةً به (جاوه) كلُّها ، يرحل مِنْ هنا إلىٰ هنا ، مَنْ طلبَه . . ما يردُّه ، مِنْ أَجل الدَّعوة ، ومِنْ أَجل تبليغ الرِّسالة ، وإلاَّ . . أَوراده حريص عليها يظلي لسانه يلهث بالأَوراد ويذكر ٱلله ، ولـٰكنَّه لأَجل تبليغ الرِّسالة ، ولأَجل حمل الأَمانة ، ولأَجل هداية الخَلْق ؛ لأَنَّ

النّاس ـ شوفوهم العلماء ـ يوم القيامة باتأْتي رايات وراء رايات ، وراءَ رايات ، وراءَ رايات .

أَوَّل راية باتتقدَّم راية مُحَمَّد ، ثمَّ العلماءُ النُّوَّاب عن مُحمَّد ، كلٌّ واحد بايحمل راية وباتجي قفاه أُمَّة كبيرة . . هٰكذا في ذلك اليوم .

ولا تزال تتوارد الرّايات ، وتأْتي الرّايات ، وتظهر الرّايات للخلافة القائِمة في هٰذه الأَرض عن مُحَمَّد صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، ٱلله يجعل لنا وإيّاكم نصيبْ .

ٱلله يمتِّعنا بعلمائِنا ، ويمتِّعنا بدُعاتنا ، ويمتِّعنا بهُداتنا ، ويمتِّعنا بأَوليائِنا ، ويمتِّعنا بصُلحائِنا ، ويمتِّعنا بأَخيارنا ، ويمتِّعنا بظاهرنا ، ويمتِّعنا بظواهرنا ، ويمتِّعنا ببواطننا ، ويمتِّعنا بداعينا ، ويمتِّعنابناطقنا ، والنّاطقِ عن مُحَمَّد صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

ويسبغ علينا وعليكم أَذيال المغفرة في هٰذا المجلس ـ والحفظ فيما بعده ـ حتَّىٰ ينتهي علينا هٰذا الشَّهر ونحن محفوظين ، ويدخل علينا رمضان فيُطلِعنا ٱلله علىٰ كنوزه ، وعلىٰ خيراته ، وعلىٰ بركاته ، ويُشهدنا ليلةَ قَدْره ، ويجعلنا ممَّنْ صامه وقامه إِيماناً وٱحتساباً ، ويجعلنا فيه مِنَ المغفور لهم ، ويجعلنا ممَّنْ يصافح الملائِكة بيده يوم أَخْذ الجوائِز ، في يوم العيد وفيما قبل العيد .

والحمد لله ربِّ العالَمين .

* * *

في سيؤن في مجلس البردة والشمائل النبوية بداره العامر

ومِمّا تكلَّم به في أَرض الوطن بـ(سيئُون) ـ أعاد ٱلله صفاها ـ هـٰذه الكلمة . تكلَّم بها بعد قراءة « البُردة » صباح الجمعة بمنزله المعمور بـ (سيئُون) وبعد أنْ أَنشد عُمر محفوظ بقصيدة .

وقد تحصَّلنا علىٰ تسجيل هـٰذه الكلمة مِنْ أحد الأَقارب ولَم نقف علىٰ تاريخها .

قال ـ حفظه ٱلله ونفعنا بما قال ، آمين ـ :

أحسنتَ وأَحسن ٱلله إليك ، ونفعنا بما سمعناه . وكلُّ ما سمعناه في هـٰذا المجلس وفي هـٰذه الحضرة إنَّما هو أَخبار مُحَمَّد ، أَو شمائِل مُحَمَّد ، أَو أَحوال مُحَمَّد ، أَو دعوة إِلىٰ دِين مُحَمَّد ، صلوات الله وسلامه عليه .

والحبيب صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم إنَّما هو سيِّد العالَمين ، قالوا : إنَّ السَّيِّدة عائِشةَ كانت ذات يوم جالسة عنده صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، وبعد أَقبل سيِّدنا علي لمّا قرب منه بحيث يَسمع صوتَه ـ صلوات ٱلله وسلامه عليه ـ قال له النَّبي : « **أَهْلاً بِسَيِّدِ ٱلْعَرَبِ** » قالت له عائشةُ : سيِّدُ العرب أَنت ! ! قال لها : « **أَنَا سَيِّدُ ٱلْعَالَمِيْنَ ، أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلاَ فَخْر** » صلوات الله وسلامه عليه ، ما أَعظم منه ، ولا أَكرم منه ، ولا أَفضل عند ٱلله ، ولا عند الخَلْق ، ولا في الأَكوان ، ولا في العوالِم كلِّها أَفضل مِنْ هـٰذا

الحبيب صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، حتَّىٰ قالَ العلماءُ بمناسبة ميلاده في شهر ربيع الأَوَّل ، قالوا :

إنَّ كثيراً مِنَ العلماءِ قالوا : لِمَ لَمْ يولَد ـ صلواتُ الله وسلامه عليهِ في الأَشهر المعظَّمة الَّتي خصَّها ٱلله بشيءٍ مِنَ التَّعظيم ، في الأَشهر الحُرم ، أَو في رمضانَ ، أَو في اللَّيالي الَّتي هي ذوات الفضل ؟

قالوا لهم : إنَّه هو إلاَّ شُرِّفَ به الزَّمان ، ما هُوَ شُرِّفْ بشيء ، وإنَّما الكون والزَّمان والأَوان والأَكوان كلُّها شُرِّفت بمُحَمَّدٍ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم . فأيّ شيء يقع عليه مُحَمَّدٌ . . يُشَرَّف ؛ مِنْ شَرَفِهِ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

ولهٰذا قالوا : شهر ربيع الأَوّل كان مِنَ الأَشهر ذوات الفضل العظيم بسبب ولادته صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

وقال العلماءُ : إنَّ ليلة ميلاده ـ صلوات ٱلله وسلامه عليه ـ قال كثير مِنَ العلماءِ : إنَّها أَفضل في حقِّ الأُمَّةِ المحمَّديَّة وفي حقِّ الأكوان مِنْ ذوات الفضل الكبير ، لماذا ؟ لأَنَّها ـ قالوا ـ برزت فيها الأَنوار في تلكَ اللَّيلة العظيمة كلِّها ، وكان الكون وأَهل الكون ، وكانت كلُّها الأَشياءُ في عمىً وفي ضلال ، فلمّا أَشرق وجهُه الصَّبيح صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم وظهر علىٰ الأَكوان . . ظهرت الأَنوار مِنْ نوره صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، فكانت تلكَ اللَّيلةُ ـ قالوا ـ ذاتَ فضل كبير ، أَو أَفضل اللَّيالي علىٰ الإِطلاق في حقِّ الأُمَّة .

قالوا : وليلةُ إسرائِه ـ صلوات ٱلله وسلامه عليه ـ أَفضل في حقِّه صلوات ٱلله وسلامه عليه ؛ لأَنَّه في تلكَ اللّيلة شاهد ربَّه كفاحْ ، وخاطبه كفاحْ ، وجلس بين يديه كفاحْ ، فكانت تلكَ اللَّيلةُ في حقِّه أَفضلَ اللَّيالي .

وقال العلماءُ : لِمَ لَمْ يُسْرَ به رأساً إلىٰ السَّمٰوٰاتِ العُلىٰ وإلىٰ حضرة القدس ؟ عَبروا به أَوّلاً إلىٰ المسجد الحرام بالقدْس ثمَّ صلَّىٰ فيه بالأَنبياءِ!

قالوا : لتظهر معجزته للعامَّة كلِّهم ؛ لأَنَّ النّاس متفاوتون بالإِيمان والتَّصديق به .

أَمّا أَبو بكر الصِّدِّيق . . فٱزداد في تلكَ إِيماناً ، قال : لو أَتانا بخبر السَّماءِ في غَدْوَة أَو رَوْحَة . . لَصدَّقتهُ .

معاد يحتاج ، وغيره مِنْ قريش محتاجين إلىٰ أَشياءَ تثبت بها في نظرهم . . مثل ما تثبت عندهم ، فجاءَ لهم بالمسجد الحرام بالقدْس ، وهو لا يعرفه ، ولا يدري عنه شَيْ ، ولا سافر! وهم يعرفون أَنَّهُ مقيم بين ظهرانيهم ، ما خرج مِنْ مكَّة المكرَّمة .

فلمّا قال لهم : « **إِنِّي أُسْرِيَ بي إِلَىٰ مَسْجِدِ ٱلْقُدْسِ** » . . قالوا له : صِفْهُ لنا ؟ هت لنا وصفه ؛ لأَنَّ كثير مِنْ حاضري المجلس كانوا يعرفون المسجد بالقدس .

فأَخذ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ينعت لهم المسجد حتَّىٰ ٱلتبس عليه الأَمر ، فلمّا ٱلتبس عليه الأَمر . . وقف .

ولٰكنَّ ٱللهَ سبحانه وتعالىٰ جعلَه حبيبه ، جيءَ إليه بالمسجد وجُعِل دون دار عقيل ـ أَو عقال ـ في (مكَّة) كأَنَّه عندهم ، وأخذ يشاهد المسجد ويصفه لهم ، أَبواب المسجد ، وأحوال المسجد ، وهم يَرون كُلَّ ما يصفه لهم حقاً ؛ لأَنَّ الكثير منهم زاره ، وهو صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم عاده إلاَّ في ليلة واحدة وفي لحظة واحدة!

وفي تلكَ اللَّحظة أُسْرِي بهِ إلىٰ السَّمٰوات ، ثمَّ مِنْ فوق السَّمٰواتِ إلىٰ ما فوقَها ، ثمَّ مِنْ فوقِها إلىٰ ما فوقَها. . حتَّىٰ سدرةِ المنتهىٰ ، حتَّىٰ قاب قوسين ، حتَّىٰ إلىٰ مقام المكالمة .

فهو صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم أَفضل الكون وأَهل الكون علىٰ الإطلاق .

قال العلماءُ أَيضاً : وهٰذا الإسراءُ وقع له بروحه وجسده . ولَم يكن لنبيٍّ قبلَه إسراءٌ بالرُّوح والجسد ، إنَّما صار لنبيِّكم صلوات ٱلله وسلامه عليه ، فالحمد لله .

فمجلس يُذكَر فيه الحبيب صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم مِنْ خيار المجالس ومِنْ خيار الحزوب ، ومِنْ أفضلها ومِنْ أَكرمها .

ثمَّ إنَّ الإنسان كذلكَ إذا تمثَّل أَنَّ المجلسَ عُقد لأَجْل دعوته ، أَو لأَجْل صفاته ، أَو لأَجْل شمائِله ، وتمثَّل روحانيَّته صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم. . لا شكَّ أَنَّه يخرج مِنْ بشريَّته ، فيقع له ما في وسعه مِنَ المشاهَدة .

فإِنْ كان القلب في منتهىٰ الصَّفاءِ ، وفي منتهىٰ القُرب ، وفي منتهىٰ الحرص ، وفي منتهىٰ البُعد مِنْ كثافاته البشريَّة . . لاشكَّ أنَّه يشاهد الصَّفحة المحمَّديَّة ؛ لأَنَّ وَرَىٰ شِيْ يحجبها في ذا الكون ؟ ذَلاَّ :

حِجَـابُـكَ مِنْـكَ وَلاَ تَشْعُـرُ وداؤُكَ فيـكَ وَمَـا تُبْصِـرُ

الحجاب ذلاَّ موقوت مِنْ كلِّ واحد .

ذَلاَّ : صاحب الذُّنوب كانت ذنوبه حجابْ علىٰ قلْبه ، وصاحب الغفلة كانت غفلته حجابْ علىٰ قلْبه ، وصاحب الشَّهوات كانت شهواته حجابْ علىٰ قلْبه ، وصاحب الموبقات كانت موبقاته حجابْ علىٰ قلْبه .

فكلُّها هـٰذه ذَلاَّ حجب تحجب عن الكون وأَسرار الكون ، وتحجب عن السِّرِّ المُوْدَع في الكون ، والنُّور الموجود في هـٰذا الكون .

وإِذا صَفَّىٰ الإِنسان بشريَّته كلَّها ، وجعلَها كلَّها تسير بسَير الدِّين الحنيف ، وبسَير الأَوامر الَّتي جاءَ بِهَا ٱلسَّيِّد المعصوم صلوات ٱلله وسلامه عليه . . قالوا : ٱنكشف له بقدر مشاهدته ما يشاهده مِنْ ذلكَ العالَم ، ومِنْ خيرات ذلكَ العالَم .

وهـٰذا الإِنسان ما خُلِقَ لهـٰذا الكون ، ما خُلِق إِلاَّ لعالَم ثاني ، وخُلِق لشيء ثاني ، وخُلِق لِسر ثاني ، وخُلِق لأَمر ثاني ، ما خُلق لهـٰذا الحال! هـٰذا الحال إِلاَّ يمرُّ به مثلما يمرُّ المسافر .

ذلاَّ الكون ذا ، يمتدُّ بالإنسانِ إلىٰ السّتّين السّنة ، والأربعين السّنة ، والعشرين السَّنة ، والخمسين السَّنة ، والثّمانين سنة ، وقد قال صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم : « **أَعْمَارُ أُمَّتِي مِنَ السَّتِّينَ إِلَىٰ ٱلسَّبْعِيْنَ** » . ومِنْ بعدها يُنقَلون إلىٰ عالَم ثاني ، والعالم الثاني ـ قالوا ـ هو عالَم الجزاء ، وفيه يحصل الوفاء .

كذلكَ يُنقَل الإنسان : إنْ كان يصلح لحضيرة القدس . . نُقل إلىٰ حضيرة القدس .

وإنْ كان يصلح إلاَّ للحضيض ، وكان قلْبه معلّق بالفانيات واللَّذائِذ وما شاكلها . . يُنْقَل إلىٰ ما كان يناسبها وما كان يقابلها مِنْ ذلكَ العالَم الثّاني .

وهٰكذا قال الحبيب عبد ٱلله الحدّاد :

يا أَيُّها الرُّوحُ هل تَرضَىٰ مجاورَةً	علىٰ الدَّوام لهٰذا ٱلمظلِمِ ٱلكَدِرِ
وأَيـنَ كنـتَ ولا جسـمٌ تُسـاكِنُـهُ	أَلستَ في حَضَراتِ ٱلقدسِ فاذَّكِرِ
تأْوي معَ ٱلملإِ ٱلأَعلىٰ وتَكْرَعُ مِنْ	حِياضِ قُدْسٍ كما تَجني مِنَ ٱلثَّمرِ
تأْتي إِليكَ نَسِيمُ ٱلفَضْلِ مُهْدِيَةً	عَرْفَ ٱلجمالِ كعَرْفِ ٱلمَنْدَلِ ٱلعَطِرِ
حتَّىٰ جُعِلْتَ بأَمْرِ ٱللهِ في قَفَصٍ	لِيَبْتَلِيْـكَ فكُـن مِـنْ خَيـرِ مُخْتَبَـرِ

ذلاَّ كلّها ، هٰذه الدُّنيا وخشوناتها ورعوناتها ، شفوها تُشْغِل عن ٱلله ، وتميل بالإنسان عمّا خُلِق مِنْ أَجْله .

ما خُلِق الإنسان مِنْ أَجْله إلاَّ ٱلاتّباع للحبيب صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، حتَّىٰ يسير بقَدمه صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، وإذا

سار علىٰ قدمه صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم. . رقىٰ إلىٰ المراقي الَّتي كان رقاها أَتباعه الكرام حتَّىٰ يصل إلىٰ ذلكَ المقعد .

ما هو المقعد ؟ المقعد حكاه لنا ربنا ، قال : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ .

قالوا العلماء : ولَنْ يضع قدمه ذلكَ حتَّىٰ يذوق لذَّة القرآن ، ولذَّة الصَّلاة ، ولذَّة الإِنتماءِ للإِمام الأَعظم صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

فمَنْ وجد لذَّة مِنْ قراءَة القرآن ، أَو وجد لذَّة في صَلاة ، أَو وجد لذَّة في مجالس الخير ، أَو وجد لذَّة عند ٱستماع حديثهِ صلوات الله وسلامه عليه . . قالوا : هو الَّذي يسوغ له أَنَّه وضع قدمه حيث ٱنتدبه مُحَمَّد ، وعندها ـ قالوا ـ يشعر بشيء ، مثلما قال أَحد الصّوفيَّة : إنْ كان أَهل الجنَّة علىٰ ما نحن فيه . . إنَّهم لفي عيش طيِّب .

ما هو العيش الطَّيِّب ؟ في كلِّ واحد : نحن نرىٰ أَنَّ العيش الطَّيِّب إمَّا لُقمة ، أَو حرمه ، أَو برمة ، أَو منزل يعمره ، أَو حركة يتحرَّكها في هٰذه الدّار فيعتقد أَنها هي الحياة الطَّيِّبة .

والحياة الطَّيِّبة إلاَّ غير هٰذي! الحياة الطَّيِّبة حكاها لنا ربّي ؛ قال : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴾ .

قالوا العلماء : النَّعيم في هٰذه الدّار ؛ يتنعَّمون بأَنَّ الواحد إذا قرأَ القرآن وهو في تلك المرتبة وفي تلكَ الحالة . . كأَنَّه تسمعه مِنَ

المتكلِّم ، والمتكلِّم هو ٱلله سبحانه وتعالىٰ ، فإذا سمعه مِن المتكلِّم ـ قالوا ـ فكيف عاده ما يحضر فيه ، أو كيف عاده ما يلتذ به ، . . . . أو كيف عاده ما يخلو به ؟

هـٰؤلاءِ الَّذين تركوا النَّوم باللَّيل ، وهل شيء ألذ مِن النَوم ؟ يلتذُّ بهِ الإنسان لأَنَّ الجسم يهدأ ويستريح ، ولـٰكنَّهم يجدون راحة في ترك النَّوم ؛ لأَنَّهم عندما يخاطبون حبيبهم ، ويناجون حبيبهم ، ويتكلَّمون مع حبيبهم . . يجدون لذَّة ، ويجدون راحة ما تساويها لذَّة النَّوم ، ولا تساويها لذَّة الحياة ، ولا تساويها شيء مِنْ هـٰذه المحسوسات كلِّها قَط أَبداً .

قال ٱلشَّيخ العيدروس ـ رحمه ٱلله ـ قال : إنَّه كان أَحد الصّوفيَّة الكبار كلَّف نَفْسَه علىٰ عدم النَّوم ، ولمّا كلَّف نفْسَه علىٰ عدم النَّوم في ليلة . . أَخذ مدَّة طويلة علىٰ ذلكَ ، ثمَّ جلس مِنْ آخِر ليلة في ذات ليلة فأَخذه النُّعاس ، فلمّا أَخذه النُّعاس ـ وقد أَلِفَ السَّهر ، وٱنبسط بالسَّهر ، وٱستراح بالسَّهر ، لأَنَّه يناجي حبيبه ـ قال : لَمَّا أَنْ أَخذه النُّعاس . . قال إنَّه رأَىٰ ربَّه في تلكَ النَّعسة الَّتي حصلت له ، فصار يتكلَّف النَّوم بَعد ، بغىٰ النوم يجِيْه لأَجل ربَّما تحصل له رؤْيا مثل هـٰذه الرُّؤْيا الَّتي حصلت له في نُعاسه ، فلَم يقدر علىٰ النَّوم قَطُّ :

رأَيتُ سرورَ قَلْبي في مَنامي فـأَحببـتُ التَّنفُّـسَ وٱلمَنـامـا

وهوَ نفْسه ٱلشَّيخ العيدروس ـ قالوا ـ كان عشرين سَنة وهو

ما وضع جنبه علىٰ الأَرض قَط أَبداً! وكانَ أَحدُ أَقاربهِ تأَخَر عن قيام اللّيل ذات ليلة مِنَ اللّيالي ، فعتبه ٱلشَّيخ العيدروس وقال له : كأَنَّكَ حُوَيش ؛ أَي : كأَنَّكَ ولد البقرة ، ما يعرف إِلاَّ النَّومَ :

قال ٱلشَّيخ العدنيُّ :

نُصِبَـتْ لأَهـلِ ٱلمُنـاجـاة فـي حنـدسِ اللَّيـلِ أَعـلامْ

وقال ٱلشَّيخ علي بن أَبي بكر ـ رحمه ٱلله ـ : إِنَّ السَّهر باللَّيل ولو علىٰ تقريب الحطب أَفضل مِنَ النَّوم ، حتَّىٰ إِذا بايقطِّع حَطَبُه وبايجعله باللَّيل ، فضلاً عن مَنْ يأْنس به في عبادة أَو خلوة ؛ لأَنَّ ذلكَ الوقت ـ قال ـ لا يحضر فيه فِكر ، ولا يشغله شيء مِنَ المُشغِلات ، ولا شيء مِنْ هـٰذه الأَشياءِ ، فيستريح بمحبوبه ، ويستريح بربِّه ، ويأْنسُ بربِّه .

ثمَّ إِنَّ أكثر التَّنزُّلات ، وأَكثرَ النَّفحات ، وأَكثر التَّجلّيات . . ما تأْتي إِلاَّ وقت الخلوة ، وإِنْ كانت ـ قالوا ـ للشُّيوخ هـٰؤلاءِ والأَولياءِ هـٰؤُلاءِ الَّذين صفت بواطنهم . . كلُّها أَوقاتُهم أَوقات نفحات وأَوقات تجلّيات ؛ لأَنَّ العطاءَ الإِلـٰهيَّ لا يزال يُهدي سُحُبه وأَمطاره العظيمة في كلِّ وقت مِنَ الأَوقات ، وفي كلِّ ساعة مِنَ السّاعات ، وفي كلِّ لحظة مِنَ اللَّحظات ، وإِنَّما ـ كما قلنا ـ النّاس المنشغِلين هـٰذيلا ما يدرون به ، وإِنَّ الحبيب نبَّهَنا بقوله : « **إِنَّ لِرَبِّكُم فِيْ أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ أَلاَ فَتَعَرَّضُوْا لَهَا** » .

قالَ العلماء : ولمّا كان مِنْ آخِرِ اللّيلِ ، قالت ٱلسّيّدةُ عائشة لمّا سُئِلَت عن قيامه ـ صلوات ٱلله وسلامه عليه ـ متىٰ يقوم ؟ قالت : كانَ يقومُ إذا سمع الصّارخ . يعني : إذا سمع الدّيالكَ هٰـؤُلاء تصيح . ٱنتبَه الحبيب صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم لقيامه .

وقد كانت له قيامات ذكرها لنا القرآن قبل هٰذا ، ولٰكنَّ ٱلله أَشفق عليه وأَشفق علينا نحن أُمَّته ، قال : ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ﴾ إِلىٰ آخِرِ الآيات الكريمات العظيمة .

ثمَّ رجع الحبيب صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم لمّا أَشفق عليه المولىٰ سبحانه وتعالىٰ ، وأَشفق أَنْ يوجبه ربُّه علىٰ هٰذِهِ الأُمّة ، كان يقوم إلاَّ مِنْ آخِرِ اللَّيلِ .

قال : ولمّا ٱنتبه ذات ليلة مِنَ اللَّيالي رأىٰ الخزائن ٱلإلٰهية تفيض بالعطاءِ . . قال : « **أَيْقِظُوْا صَوَاحِبَاتِ ٱلْحُجُرِ** » حُجره صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم يبتن فيهن زوجاته .

قال : « **أَيْقِظُوْا صَوَاحِبَاتِ ٱلْحُجُرِ ، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي ٱلدُّنْيَا عَارِيَةٌ فِي ٱلآخِرَةِ** . . » إلىٰ آخِرِ الحديث . فنبهوهنَّ مِنْ تلكَ اللَّيلة .

وكان أَصحابه ، وكان السّابقون ـ وكانوا كلُّهم ـ كانوا يعتبرون قيام اللَّيل ذا كأَنَّه فريضة فُرضت عليهم ؛ لأَنَّ ما يصفو الوقت للإِنسان في طاعة أَو في عبادة أو في غيرها ، بل قال الكثير : ما تُعقد الولاية إلاَّ لأَهل آخِرِ اللَّيل ، وفي آخرِ اللَّيل .

بل قال الشُّيوخ عندنا : إنَّ موضوع التَّنزُّل وساعات الإجابة هي ساعة ولادته ، ما بين ولادته وخروجه من بطن أُمِّه صلوات ٱلله وسلامه عليه ؛ لأَنَّه فيها يُعقد ديوان الأَولياءِ خلفاءَ عنه صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، ولأَنَّه هو القائِم بأَمر الكون كلِّه ، فجاءَ بعده خلفاؤُه وورّاثه ، ونوّابه وأَحبابه ، كلُّهم جاءُوا نوّاب عنه صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، يجتمعون في ذلكَ الوقت .

وأَفضل ما يجتمعون ، قال : في غار حِراء ؛ لأَنَّهُ كان هو يتحنَّث فيه اللَّيالي ذوات العَدد الطَّويلة صلوات ٱلله وسلامه عليه .

وذا الحين ، نحن نحمد ٱلله ونشكره ، مثل هـٰذه المجالس ومثل هـٰذه المقاعد ، الَّتي تُعقد مِنْ أَجْله مربوطة به صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، وربطونا به صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم أَهلنا ، وهـٰذه المجالس تربط صاحبها بالرِّجال ، وتربطه بالحبيب صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

ٱللهَ ٱلله يا إِخواني ، كلّ واحد منكم يحرص علىٰ أَنْ لا تفوته ؛ فإِنَّ الواحد سيُسأَل عن العالِم في زمنه ، وسيُسأَل عن المجالس في زمنه ، وسيُسأَل عن الهُداة في زمنه ، وسيُسأَل عن وقته ، وسيُسأَل عن عمله ، وسيُسأَل عن عمره ، وسيُسأَل عن شبابه ، وسيُسأَل عن صحَّته ، وسيُسأَل عن ماله . كلّها بايُسأَل عنها الإِنسان ، فإِذا ٱرتبط بعالِم ، أَو ٱرتبط بمجالسهم ، أَو ٱرتبط بهم . . قالوا : إِنَّهم كلُّهم بايطلع كلُّه في صحائِفهم ، وبايجي معهم وبايدخل معهم .

سمعتوا قصيدة الحبيب علي ٱلحبشي :

فٱلمرءُ يُكتَبْ في حديثِ ٱلمصطفىٰ مَعْ مَنْ أَحَبّ .

ونحن ، ٱلله يجعلْنا وإِيَّاكم مِنَ ٱلمحبّين له صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، ويجعلْنا محبوبين عنده ، ويربط نحن به رَبْط لا ينحلّ .

المحبَّة أَمرها كبير ، وأَمرها عظيم ، قالوا : حتّىٰ في الحديث القدسيِّ هـٰذا ما أُعْطِيَتْها هـٰذه الأُمَّة إلاَّ لله ولرسول ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ؛ لأَنَّ ٱلله قال في القرآن : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ .

قال العلماء : الحديث الَّذي جاءَ « إِذَا أَحَبَّ ٱللهُ عَبْداً . نَادَىٰ جِبْرِيْلَ : **إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ فُلاَناً فَأَحِبَّهُ . قالَ : ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيْلُ فِي أَهْلِ ٱلسَّمَاءِ : إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ فُلاَناً فَأَحِبُّوْهُ . قالَ : ثُمَّ يُوْضَعُ لَهُ ٱلْقَبُوْلُ فِي ٱلأَرْضِ** » لأَنَّ ٱلمحبَّةَ إنَّما هي للهِ ولرسوله ، وهـٰذا إِلاَّ نصيب يُكتَب للوليِّ أَو يُكتب للعالِم مِنْ ذلك الَّذي أُعطيَه رسولُ ٱلله مِنَ ٱلله سبحانه وتعالىٰ .

ٱلله يجعلْنا وإِيَّاكم محبوبين ويجعلْنا محبِّين ، ويربطنا بٱلسَّيِّد الأَمين صلوات ٱلله وسلامه عليه ، ويَقْسِم لنا مِنَ ٱلمدد الَّذي يتنزَّل في هـٰذا ٱلشَّهر العظيم ، ويجعلْنا مرتبطين به ٱرتباطاً لا يَنحلُّ في جميع الأُمور .

والعفو .

❊ ❊ ❊

الأخلاق المحمدية، وفضائل أهل البيت
ـ وعلي زين العابدين ـ وسقاية مُشَيّخ

ومِمّا تكلّم به ـ حفظه ٱلله ـ في روحة الجمعة بمنزل الأخ طـٰه بن مُحَمَّد بن طـٰه (٧) جمادىٰ الأُولىٰ عام (١٣٩٤هـ) الموافق (١) يونيو (١٩٧٤م) بعد القراءَة في الفقه ، وبعد أَنْ أَنشد الحبيب سالم بن علويّ خرد ـ رحمه ٱلله ـ قصيدة بن شهاب الَّتي يمدح بها آل بيت الرَّسول صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، والَّتي يقول فيها :

أول القصيدة :

مـن غـرامـي بقـرطهـا والقـلاده	إنْ أَمُتْ مغرَماً فموتي شهادهْ
آلَ بيـتِ الـرَّسـولِ أَشـرفُ آلٍ	في ٱلورىٰ أَنتمو وأَشْرفُ سادهْ
أَنتـمُ السّـابقـونَ فـي كـلِّ فخـرٍ	أَسَّـسَ ٱللهُ مجـدَكُـمْ وأَشَـادَهْ

بعد أَنْ ختمها قال ـ حفظه ٱلله ـ :

أَحسنتَ وأَحسنَ ٱلله إِليكَ . نظرة إِلىٰ كلام الشّاعر بن شهاب :

ٱلسَّيِّد أَبو بكر هو واحد مِنْ أَهل البيت لا شكَّ ، ثمَّ إِنَّه إِذا نظرنا النَّظرة الثّانية . . وجدناه نَهَجَ نَهْج أَهل البيت ؛ لأَنَّ أَهل البيت في ٱلأصل ـ قالوا ـ سُمّوا بأَهل البيت لأَنَّ ٱلله سمّاهم مِنْ فوق سبع سمـٰوات ، فقال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

فلمّا سُمّوا بهـٰذا ٱلاسم ـ قالوا ـ كان البيت الَّذي يتردَّد إِليه جبريلُ بالرِّسالة مِنْ ربِّ السَّمـٰواتِ ، ذلكَ هو البيت نفْسه ، وذلكَ هو البيت بيت مُحَمَّد صلوات ٱلله وسلامه عليه .

وكان السّابقون مِنْ أَهل البيت ومَنْ كان علىٰ نمطهم مِنْ أَصحاب رسول ٱلله ومِنْ أَتباع رسول ٱلله ، ومِنْ محبّي أهل البيت الطّاهر مِنْ بعدهم إلىٰ آخِرِ الزّمن ، قالوا : كان نَمَط أَهل البيت أَنَّ الواحد منهم مسؤُول عمّا كان في ذلكَ البيت ، وعمّا كان يعمله أَهل ذلك البيت ، وعمّا كان يجب عليه القيام بما كان عليه أهل ذلكَ البيت . فإنَّ هٰذه التَّخصيصات ـ قالوا ـ كانت لنوعين :

أَمّا النّوع الأَوّل : فهو كما سمعتوا ٱلسّيِّد الشّاعر هٰذا قال :

لا بما قد عَمِلْتُموهُ مِنَ ٱلفضـ ـلِ ولٰكِنْ جَرَتْ بِذاكَ ٱلإِرادَهْ

والأَمر الثّاني ـ قالوا ـ : كانت الإِرادةُ منوطةً بأَمرٍ ثاني ؛ إنَّهم كانوا منزَّهين عن النَّقائِص وعن العيوب وعن ما يسمَّىٰ بالتَّخليلات .

والتَّخليلات ، قالوا : هي الّتي يقدح الإِنسان فيها ويجد القدح مساغْ فيها .

هٰكذا كانوا أَهل البيت علىٰ ذلكَ النَّمط ، وكان مُشرِّفهم الّذي شُرِّفوا به ، وشُرِّف الكون به ـ هو الحبيب ـ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ـ كان بعيد عن هٰذه النَّقائِص ، ما عُرفت له هَفوة أَو كبوة ، أَو شيء مِنْ هٰذا في أَيّام صِغره ، قبل رسالته أَو قبل نبوَّته ، بينما هو جاءَ في زمان كثرت فيه الفحشاء وكثر فيه الخَنا ، وكثرت فيه العيوب ، وكثرت فيه الجرائِم ، وكثرت فيه المعايب ، لٰكن هٰذا الحبيب ـ عليه أَفضل الصَّلاة والسّلام ـ كان

منزَّهاً عن جميع ذلك بالإرادة الَّتي أَرادها ٱلله له بها وبها .

وكان مِنْ ضِمن تلكَ الإرادة ـ قال العلماء ـ أَنَّ ٱلله سبحانه وتعالىٰ لمّا تنازَعوا علىٰ وضع الحَجَر الأَسود في ذلكَ الوقت ، فحكموا بأَوَّل داخل يدخل ، فكان مُحَمَّد الأَمين ، حكموا له وٱرتضَوْه ؛ لأَنَّهم يعرفون أَنَّه طاهر الذّات ، طاهر العِرض ، كلُّهم رضوه .

وعندنا ـ الصّوفيَّةَ ـ يقولون : لمّا قال عليه أَفضل الصَّلاةِ والسّلام « **ٱلْحَجَرُ ٱلأَسْوَدُ يَمِيْنُ ٱللهِ** » فمحقوق ليَمين ٱلله أَنْ يضعه يمينُ ٱلله ، وهو : رسول ٱلله مُحَمَّد بن عبدِ ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، لابدَّ وأَنْ تضعه يد مُحَمَّد ـ حاملِ الرِّسالة مِنْ عند ٱلله ـ عليه أَفضلُ الصَّلاة والسّلام .

ثمَّ قالوا : جاءَت هٰذهِ التَّشريفات والتَّكريمات بعد رسالته عليه أَفضل الصَّلاة والسّلام : الخلُق القويم ، والمكارم الَّتي ما عُرفت كاملة في ذلكَ الوقت .

كانت في ذلكَ الوقت مكارم ، وكانت أَخلاق ، وكانت مظاهر ، لٰكنْ! جاءَ هٰذا ٱلسَّيِّد فأَكملها وبعثها مِنْ أَوَّلها إِلىٰ آخِرها ؛ لهٰذا قال : « **إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ ٱلأَخْلاَقِ** » .

قالوا : ومكارم الأَخلاق حكَتها لنا ٱلسَّيِّدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ وحكاها لنا جعفرُ ٱبنُ عمِّهِ لمّا هاجر إِلىٰ الحَبشة .

فجعفر لمّا وصل إِلىٰ الملِكِ ، لمَّا أَرسلَت قريش مَنْ يطلبهم

مِنَ الملكِ ليَردُّوهم ويعذِّبوهم في مكَّةَ . . قال : أَيُّها الملكُ ، كنَّا أَهلَ جاهليةٍ : نعبد الأَصنام ، ونأكل الميتة ، ونأْتي الفواحش ، ويأْكل القويُّ منّا الضَّعيفَ ، حتَّىٰ بعث ٱلله فينا رسولاً منّا ، نعرف نسبه وصِدقَه ، وأَمانتَه وعَفافه ، فدعانا لتوحيد ٱلله وأَنْ لا نُشرِكَ به شيئاً ، ونخلَع ما كنّا نعبد مِنَ الأَوثان ، وأَمَرنا ـ إلىٰ آخِرِ الرِّواية ـ بصلة الرَّحم ، والقيام بالواجب . . .

وممّا قالته له ٱلسَّيِّدة خديجة عندما جاءَ مِنْ غار حِراءَ ، بعد أَنْ أُنزل عليه الوحي وجاءَ يرتجف ، ويقول : « زَمِّلُوْنِي ، زَمِّلُوْنِي » فغطَّته ٱلسَّيِّدة خديجة ، وقالت له : أَبشِر ، وٱلله لا يخزيك ٱلله أبداً ، إنَّكَ لَتصِل الرَّحم ـ ومَنْ كان يصل الرَّحم لا شكَّ الرِّعاية ترعاه ـ وتحمل الكَلَّ ، وتُعين علىٰ نوائِب الحقِّ ، وتَقري الضَّيف ، وتقوم بالمعدوم . . إلىٰ آخِرِ هـٰذا الكلام الحكيم الَّذي كأَنَّما هو جاءَ علىٰ لسان صاحب الرِّسالة .

قالوا : لأَنَّها ٱمتزجت به فكانت أَحقَّ بالأَخذ عنه صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، وأَهل المرءِ ممتزجون بالمرءِ ومختلطون به ، ذاتاً وأخلاقاً ، وصفةً ومُلاءَمَةً . فكانت ٱلسَّيِّدة علىٰ ذلكَ النَّمط ، جاءَت بهـٰذه الأَخلاق .

ثمَّ كان صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم مِنْ تلكَ الأَخلاق أَنْ أَعطىٰ العبوديَّة مع مولاه حقَّها ، فأَقامها كاملة ، وأَعطىٰ الخلْقَ مِنَ الرِّعاية والعناية والتَّخلُّق معهم والقيام بهم ، فأَعطاهم فوق ما يجبُ لهم ؛ ذلكَ لأَنَّه كالأَب ، والأَب مِنْ شأْنه أَنْ يكونَ

عطوفاً ، ومِنْ شأنه أَنْ يكونَ رحيماً ، ومِنْ شأنه أَنْ يكونَ شفيقاً ، ومِنْ شأنه أَنْ يكون ذَا لِيْنٍ ، ومِنْ شأْنِهِ أَنْ يتسامح ، ومِنْ شأنه أَن يحمل عنهم .

بلغ مِنْ أَمره صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم أَنَّه كان يسأَل ربَّه أَنْ يغفر لهم جرائِمَ كانت كبيرة ، فأَنزل ٱلله عليه : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ . فكان صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم يقول في دعائِه المعروف ـ الَّذي أَخذ ٱلشَّيخُ الغزالي منه الكثير ـ في دعاءِ عرفةَ يقول لمولاه : « **فَأَرْضاكَ عَنْهُمُ ٱلإِقْرَارُ بِكَلِمَةِ ٱلتَّوْحِيْدِ بَعْدَ ٱلْجُحُوْدِ** » .

قالوا : كان ذلكَ رحمةً مِنْ مُحَمَّد عليه أَفضل الصَّلاة والسّلام .

ثمَّ كان مِنْ رحمته أَنَّه كان يقْبلهم علىٰ ما فيهم . ثمَّ كان مِنْ رحمته أَنَّه كان يواسيهم ويعطيهم .

جاءَ هـٰذا الأَعرابيُّ إِلىٰ قومه بعد ما أَعطاهُ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلّم ما بين الجَبلَين غَنماً ، فلمّا ساقها إِلىٰ واديه . . **قال** : يا قوم! أَسلموا وٱتَّبعوا هـٰذا ؛ **فإِنَّه يُعطي عطاءَ مَنْ لا يخشىٰ** الفقر . فجاءَ إِليه أَهل تلكَ البادية كلُّهم مستسلِمين ، **منقادِين** طائِعين .

فكانت الدُّنيا عَرَضاً للآخرة ، جعلها ، بينما هو ما عنده مِنَ الدُّنيا شيء ، ولـٰكنَّه إِذا دخل عليه شيء مِنَ الغنائِم . . كان

يُنفقه ، ولا يبيت علىٰ معلوم ، ولا يبيت علىٰ شيء صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

وكان مِنْ شأْنه ـ قالوا ـ أَنَّه كان لا يصلِّي علىٰ مَنْ مات وعليه دَين ؛ لأَنَّ صلاتَه عليه الصَّلاة والسّلام مقبولةٌ ، والدّاين بايبقىٰ مظلوم ، فكان صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم لا يُصلِّي عليه ، وكان يحبُّ أَنْ يُصلِّي عليه ، حتَّىٰ جاءَتْه الأَموال ، فقال : « **مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ . . فَعَلَيَّ قَضَاؤُهُ ، وَمَنْ لَهُ مَالٌ . . فَلِوَرَثَتِهِ** » . كانت هـٰذه الأَخلاق آية في السُّموِّ ، وآية في ٱلارتفاع ، وآية في العُلوِّ ، وآية في المكان ، وآية في البشريَّة الَّتي لا نقدر عليها لولا رعاية ٱلله .

قال ٱلشَّيخ البوصيريُّ :

وكيفَ تدعو إلىٰ الدُّنيا ضرورة مَنْ ... لَولاهُ لَم تُخرَجِ الدُّنيا مِنَ ٱلعَدمِ

أَو : لَم تُخلَقِ الدُّنيا مِنَ ٱلعَدم .

قالوا : كان مِنْ شأْنه أَيضاً : أَنْ عفا عن قريش ، إلاَّ أَحدَ عشر أَو ثلاثةَ عشرَ ـ علىٰ الرِّوايتين ـ هدر دماءَهم ، جاءَ منهم البعض فقبِلَهم وعفا عنهم .

وعفا عن أَبي سفيانَ ، وهو الَّذي آذاه وأَراد قتله ، وعفا عن الكثير .

إذاً ، هـٰذا البيت كان حاز الشَّرفين بهـٰذه القضيتين .

الأُولىٰ : أَنَّه في سابق الإِرادة كما سمعتوا .

الأمر الثّاني : هـٰذه الأَخلاق العظيمة ، والشَّمائِل الكريمة ، والصِّفات الَّتي لا تصلح للبشريَّة إِذا أَرادت أَن تتأهل للخلافة علىٰ النّاس إلاَّ بمثلها .

جاءَ مَنْ بعدَه مِنْ أَهل الكساءِ ، ومَنْ بعدَه مِنْ جعفرَ الصّادق والباقر والسَّجّاد ، ومَنْ بعدهم مِن المهاجر والنَّقيب ، ومَنْ بعدَهم مِنَ الفقيه ، ومَنْ بعدَهم مِنَ السَّقّاف ، ومَنْ بعدَهم مِنَ العيدروس ، ومَنْ بعدَهم مِنَ الحدّاد ، ومَنْ بعدَهم مِنَ ٱلشَّيخ أَبي بكر بن سالم . . وهـٰكذا دواليكَ ، إِلىٰ آخِر الزَّمن في الشُّيوخ الَّذين عرفناهم . رَأَوا أَنَّهم أَحقُّ بهـٰذا الأَمر ، أَولىٰ مِنْ غيرهم ، فأَخذوا بالعبادة فيما بينهم وبين مولاهم ، فأَدَّوها كما كان جدُّهم وأَبوهم يؤَدّيها ، فكانوا مثالاً حسناً ، وصادقاً مع ٱلله .

ثمَّ كانوا مع النّاس ، رَأَوا أَنَّ أَبوهم مُحَمَّد بن عبد ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم كان يدعوهم إِلىٰ ٱلله بالإِحسان وبالكلمة الطَّيِّبة ، وباللُّطف والاحتمال ، فدعوا إِلىٰ ٱلله علىٰ مثل هـٰذا .

ثمَّ رأَوا أَنَّ الدِّين خرج مِنْ بيت أَبيهم، فبنوا المساجد، وأَقاموا الأَربطة ، وسَعوا في سبيل إِحياءِ العِلْم حتَّىٰ كانوا علماءَ مِنَ النَّمط الأَوَّل ، مِنَ النّاس الَّذين لا يُجارَون ؛ لأَنَّهم معهم النَّصيبين :

النَّصيب الأَوَّل : أَنَّهم مِنْ بيت مبارَك ، ومِنْ بضعة مبارَكة أَرادها ٱلله لسرٍّ ؛ لأَنْ تكون مثالاً لأَهل الأَرض في الأَرض ، ولأَهل السَّماءِ في السَّماءِ ، ولِمَنْ قَبْلَهم مِنَ السّابقين ، ولمَنْ يأْتي بعدَهم مِنَ اللاَّحقين ، فكانوا خيرَ مثال .

هـٰذا المهاجر إلىٰ ٱلله مِنْ جملتهم ، والسَّجّاد ، تسمعون عنه! سُمِّي السَّجّاد ـ قالوا ـ لأَنَّه يركع كلَّ يوم أَلف ركعة .

وكثيراً ما أَذكرُ ممّا يحكيه أَهل الطَّبقات ، قالوا : إنَّه كانت له سجدة كرُكْبة العنز ، وكان عليها مِنَ النّور والجلال والجمال ما لا يوصف . حتّىٰ قالوا : إنَّ البحتري مدح صاحبه بقوله : (لَسَجّادةُ السَّجّاد) إنَّما أَخذَه مِنْ أَعرابي دخل يوم النّاس يطوفون ، وهشام عليه التّاج ، والسَّجّاد دخل ليُقبِّل الحَجَر الأَسود ، فتنحَّىٰ النّاس للسَّجّاد ولَم يتنحَّ النّاس لهشام بن عبد الملك ، مع تاجه ، ومع كبرياه ، ومع بَذخِه ، ومع خلافته! فلمّا رآه الأَعرابيُّ هـٰذا ورأَىٰ عليه السَّجدة ، ورأَىٰ عليه مِنَ النّور ـ قالوا ـ : دائِماً يكون الأَعراب علىٰ الفِطرة ، كانت العرب تُرسل أَولادها ليأْتوا علىٰ هـٰذه الفِطرة ، يكونون أَقوياءَ اللِّسان أَقوياءَ الجَنان ، عندهم مِنَ الفِطرة الذَّكيَّة في معرفة الأُمور ما لا يكون عند أَهل الحَضَر ـ قال : فلمّا رأَىٰ السَّجّادَ ورأَىٰ هشامْ . . قال : (لَسَجّادةُ هـٰذا خيرٌ مِنْ تاجِ هـٰذا) .

فجاءَ البحتريُّ وٱغتنم الفرصة ونظَمَها ، قال :

لَسَجّادةُ السَّجّادِ أَحسنُ مَنظراً مِنَ التّاجِ في أَحجارِهِ وٱتِّقادِها

قال العلماءُ : ذلكَ إشارة إلىٰ أَنَّ مَنْ عرف نفْسه وأَقام جانِب العبادة لله ، وجانِب الكرامة مع النّاس . . أَسبغَ ٱلله عليه مِنْ أَنواره فصار مِثالاً لأَهل الأَرض ، يعرفه أَهل السَّماءِ قبل أَهل الأَرض ، فإِذا رآه الإِنسان لأَوَّل وَهْلَة ـ قالوا ـ أَخذ بمجامِع قَلْبه ، فأَقبل

عليه ولا يدري ما سبب الإِقبال ؟ وسبب الإِقبال أَنَّه عنده نور مِنَ ٱللهِ سبحانه وتعالىٰ .

جاءَ ذلكَ النّور بواسطة الصِّلة فيما بينه وبين ٱلله ، وأَنَّىٰ لِمَنْ لَم تكن له صلة بٱلله أَنْ يظهر علىٰ وجهه نور ؟ ما يتأَتَّىٰ أَبداً .

هـٰذا الأَمر الأَوّل .

الأَمر الثّاني : أَنَّه كانوا ـ كما ذكرنا ـ مِنَ السَّيْر علىٰ طريقة مُحَمَّد بن عبد ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، علىٰ هـٰذا المنهج ، وعلىٰ هـٰذا الصِّراط ، وعلىٰ هـٰذا المَهْيَع ، وعلىٰ هـٰذا الطَّريق .

فكانوا خير مثال ، خير خلَف لخير سلَف . وكانوا النّاس يأْخذون عنهم العِلْم ، ويأْخذون عنهم الأَخلاق ، ويأْخذون عنهم الكرم .

سمعتم أَنتم بقضيَّة السَّجّاد لمّا دخل عليه واحد وفي هِمْيانه[1] أَلف دينار وفَقَدَهُ ، وٱعتقد أَنَّه فَقَدَهُ في المسجد ؛ لأَنَّه دخل إِلىٰ المسجد ، وخرج .

فرجع فوجد السَّجّاد يُصلّي ، فسبَّ السَّجّاد وٱشتدَّ عليه في الكلام ، وقال له : أَنتَ الَّذي سرقت الهميان .

قال له : وكم في الهميان ؟

قال : أَلف دينار .

---

(١) هميانه : أي كيس نقوده .

قال له : ٱتبعني . وهو ما سَرَقَهُ السَّجاد ، ولٰكنْ كانت الأَخلاقُ سياجَه ، وكانوا لا يَعدلون عنها ولا يعرفون العدو ـ أي : المعاداة ـ ولا يعرفون السَّب ، ولا يعرفون مراجعة القول بالقول ، ولا هُجْرَ القول ، ولا شيء مِنْ هٰذا .

فتبعَهُ وأَعطاه الأَلف ، وقال له : العفو منكَ يا أَخي .

قال : جزاكَ ٱللهُ خيراً . أَخذ الأَلف ، فلمّا رجع إِلىٰ الدّار . . وجد أَلْفَه ! ! فخرج ، ولمّا دخل إِلىٰ المسجد . . رآه بعض النّاس ، قالوا له : بغيت إِلىٰ فيين ؟

قال : بغيت عند هٰذا الَّذي يُصلّي ، سَببْتُه وأَخذت أَلْفَه ! ! وحسبت أَنَّه هو الَّذي سَرقني .

قالوا له : هل تدري مَنْ هٰذا ؟

قال لا ! ما أَدري .

قالوا : هٰذا ٱبن بنت رسول ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

قال : لا وٱلله ، ما أَدري .

دخل إِلىٰ عنده ، وٱعتذر له ، وقال له : العفو يا سيِّدي ؛ فقد وجدت هميانِي في بيتي ، وهٰذا الأَلف دينار .

ماذا قال له ؟ قال له : إِنّا أَهلُ بيتٍ إِذا أَخرجنا شيئاً . . لا نَسْتَعيده ، أَو : لا نستردُّه .

خذوا لكم عبرة مِنْ هٰذه المَكْرُمَة الَّتي جمعت بين أَشياء

جمّ ، جمعت بين بذل المال الّذي شحّت به النُّفوس اليوم ؛ لأَنّها ما قرأت وما سمعت ، وبين ٱلاحتمال والصَّبر علىٰ هٰذا البدويّ الجلْف الّذي يَسبُّه ، وما كفاه السَّبُّ حتّىٰ ٱتّهمَه بالسّرقة ـ قالوا : حتّىٰ ٱشتدَّ عليه أيضاً ـ ، ثمّ كان مِنْ أَمْره أَنّه أَعطاه وأَرضاه ، ولَم يقبل منه عندما رجع .

مَنْ هٰذا ؟

فكلُّ واحد إِذا أَراد أَنْ يشمخ بأَنفه بذِكر أَهل البيت ، ويرفع بذِكر مدائِحهم . . يلاحظُ أَنَّ أَهل البيت هم أَهل الكرامة ، وهم أَهل العبادة ، وهم أَهل العِلْم ، وهم أَهل الفضل .

ولا يليق بواحد يَنتسب إِلىٰ أَهل البيت الطّاهر أَنْ يتخلّف عنهم في شيء أَبداً ؛ لأَنَّ التَّخلُّف عنهم شَيْن ، وإِذا وجد الإِنسان الشَّيْن في صاحب المَكْرُمة ـ قالوا ـ كان محقوقاً أَنْ يُهان .

قال أَبو الطَّيِّب :

إِذا عَلَويٌّ لَم يَكُن مثلَ طاهرٍ   فما هوَ إِلاَّ حُجَّةٌ للنَّواصبِ

معلومٌ : إِذا كان العَلَوي ما عنده شيء مِنَ ٱلانتساب ، ولا عنده شيء ممّا كان عليه هٰؤلاءِ ، ولا عنده شيء مِنَ الأَخْذ بما كان عليه هٰؤلاءِ . . فما معنىٰ نسبته إِليهم .

معناه : أَنَّه دنَّس نفْسَه بما لا ينبغي له أَنْ يدنِّس به عِرضَه .

كان الشَّريف الرَّضِيُّ ـ عليه الرَّحمة ـ قالوا : لمّا ولدت زوجته . . أَرسل له المِلك الخليفة الطّائع مالٌ للوِلادة ، فردَّه لَمّا

كانت نفْسُه كبيرة ، ورأَىٰ أَنَّ الطّائِع سوف يمنُّ عليه بذلكَ المال ، فقال له : ما نحتاج إِليه .

قال : ٱجعلوه في القابلة ـ الخدّامة ـ الَّتي تُنَفِّس .

قال له : نحن ما نحتاج إِلىٰ قوابلَ ، إنَّما ينفِّس أَهلَنا نساؤُنا الخاصَّة ، ولا يدري بنا أَحد ، ولا يطَّلع أَحد علىٰ نسائِنا ، أَو علىٰ شيء مِنْ عادتنا أَبداً .

وردَّ المال إِليه خشيةَ أَنْ يمنَّ به عليه .

ولهٰذا قال أَبو الحسن الجرجاني ـ تسمعون به ؟ قالوا : كان مِنَ الأَشراف ، وكان كبير النَّفْس ، وكان مِنْ علماءِ ذلكَ الزَّمان ، وكان إِلىٰ جَنْبه سعد الدين التَّفتازاني عالِم أَيضاً في تفتازان ، ولٰكنَّ هٰذا ما سَمح لنَفْسه إلاَّ أَنْ يكون فوق النّاس ، فأَرسل إِليه الخليفة ذات يوم فجاءَ علىٰ خيل ، يمرح علىٰ ذلكَ الخيل ، وكان عنده أَحدُ الوزراءِ ، فلمّا رآه . . قال : ما ترىٰ ـ يقول للخليفة ـ يا سيِّدي ؟ ترىٰ أَبو الحسن هٰذا ، صاحب العِلْم ، يمرح علىٰ هٰذا الخيل كأَنَّما هو مَلِك! قال له : محقوق ، له أَنْ يطير بخيلهِ إِلىٰ السَّماء ، بين جنبيهِ وِراثة النَّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم وهٰذا هو الَّذي يقول :

يَقولونَ ليْ : فيكَ ٱنقباضٌ، وإنَّما ... رَأَوا رَجلاً عن موقفِ ٱلذُّلِّ أَحجما
أَرىٰ ٱلنّاسَ مَنْ داناهُمو . . هانَ عندَهُمْ ... ومَنْ أَكرمَتْهُ عِزَّةُ ٱلنَّفْسِ أُكرِما
وما كلُّ برقٍ لاحَ ليْ يَستفِزُّني ... ولا كلُّ مَنْ أَهواهُ أَلقاهُ مُنعما

الكثير مِنَ النّاس بايعطونه ـ قال ـ ما قَبِل عطاهم .

ولَم أَقْضِ حَقَّ ٱلعِلْمِ إِنْ كانَ كلَّما بَـدَا طَمَـعٌ صَيَّـرْتُـهُ لِـيَ سُلَّمـا
أَأَشْقَىٰ بِهِ غَرساً وأَجْنِيهِ ذِلَّةً! إِذاً فٱتِّباعُ ٱلجهلِ قد كانَ أَحْزَما
ولَو أَنَّ أَهْلَ ٱلعِلْمِ صانوهُ صانَهُم ولَو عَظّموهُ في ٱلنُّفوسِ لَعُظِّما

أَو : (لَعَظَّما) علىٰ الرِّوايتين . إِلىٰ آخِرِ الأَبيات المشهورة عن هـٰذا الإِمام الفحل .

وكان رجالكم السّابقون علىٰ هـٰذا النَّمط ، سمعتوا قضيَّة عليّ زين العابدين هـٰذه ، وكثير مِنَ القضايا كانت علىٰ هـٰذا النَّمط ، وكثير أنا ما أَذكر :

هـٰذهِ سقاية الحبيب مشيَّخ ـ يعرفها الكثير ـ في (حيد قاسم) قريباً من تريم ، بنىٰ هـٰذه السِّقاية هـٰذا الحبيب ، وشُفوا كيف الأَخلاق العظيمة : لمّا بناها . . قيل له : إنَّ واحد يضع فيها دمان . فأَرسل إليها ٱثنين يحرسونها ، وقال : تفقَّدوا هـٰذا الصّاحب ولا تتركونه يعرفكم أَو يراكم . فتفقَّدوه فإِذا هو ٱبنُ عم مِنْ أَبناءِ عمومته ، فجاءُوا إِليه وقالوا له : هو فلان ٱبن فلان ، ٱبن عمك!

قال لهم : تأَكَّدتوا منه ؟

قالوا : نعم .

قال لهم : ٱكتُموا الأَمر ، واللَّيلة عادكم بيتوا عند السِّقاية .

فأَصبح الحبيب إِلىٰ عند هـٰذا ٱلسَّيِّد وسار إِلىٰ عنده هو وأَولاده ، وحمل له الطَّعام ، وحمل له السُّكَر ، وحمل له

الجَفَل ، وحمل له الفلوس ، وجاءَ إِليه وقال له : شف ، نحن نعتذر إِليكَ ، مقصِّرين وغافلين ، ولٰكنْ! جئْنا معتذرين ومنطرحين بقهوتنا لكَ هٰذه ؛ والسَّبب في أَنَّها ربَّما تنوبك حاجة فلا تجيء إِلىٰ عندنا ؛ لأَنَّ نحن ما كان بيننا وبينك شدَّة تعارف حتَّىٰ تجي إِلىٰ عندنا ، فاليوم وما بعد اليوم إِذا ٱعترتكَ حاجة نحن أَولىٰ بقضاها . . لا تذهب إِلىٰ الغير ، فإِنْ لم نقدر عليها . . فسِرْ وٱطلبها مِنَ الغير .

قال لهم : جزاكم ٱلله خيرْ ، وأَكرَمَكُم ٱلله ، ومرحباً .

هٰؤلاء ساروا الَّذين باتوا يحرسون السَّقاية ، وقالوا : معاد حد جاء . لمّا معاد حد جاء . . قال لهم : هٰذه أُجرتكم وٱكتموا الأَمر .

وهٰذا الأَمر مِنْ أَين ؟ هٰذا هو مِنْ سيرة أَبيه مُحَمَّد صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، ما أَحد ثاني قَط أَبداً لأَنَّ ٱلله علَّمه ، والنَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم قال : « **أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيْبِي** » .

وجاءَت التَّعليمات هٰذه والتَّأْديبات في القرآن : قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ .

هٰكذا كانت السِّيرة ، وهٰكذا كانت الأَخلاق ، وما هي هٰذه المسأَلة بالأُولىٰ ، لماذا ؟ كانت كثيرة مِنْ هٰذا النَّمَط ، وكثير مِنْ هٰذه الأَخلاق ، لو بقينا نذكر لكم شيء مِنْ قضايا هٰؤلاءِ

السّابقين علىٰ هـٰذا النَّمط . . لذهب الوقت وما ٱنتهت ، ولـٰكنْ! في هـٰذا غُنْية .

ليَعرف كلُّ واحد منكم يُنسب إلىٰ مُحَمَّد بن عبد ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم أَنَّ عليه حقّاً لذلكَ النَّسَب ، وعليه حقّاً لربِّه ؛ حيث خصَّصه بهـٰذه الإرادة وشرَّفه بهـٰذه النِّسبة ، وعليه حقّاً لسائِر الأُمَّة الَّتي تنتمي إلىٰ أَبيه مُحَمَّدِ بن عبد ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم علىٰ ٱختلافِ طبائِعهم وعلىٰ ٱختلاف أَنواعهم .

فمَنْ كان ينبغي أَنْ يُعَلَّم . . واجب علىٰ العَلَوي أَنْ يعلِّمه ، ومَنْ كانَ ينبغي أَنْ يُحسَن إليه . . واجب علىٰ العَلَوي أَنْ يُحْسِن إليه ، ومَنْ كان ينبغي أَنْ يُقصَدَ إلىٰ بيته . . واجب علىٰ العَلَوي أَنْ يقصده إلىٰ بيته .

وأَنْ يكون ذلكَ العَلَوي إذا أَرادَ أَنْ يحقِّقَ النّسبتين ، أَنْ يكون علىٰ مثال مَنْ قَبْلَه مِنْ هـٰؤلاءِ الرِّجال ، وأَنْ تكون له أُسوة بهـٰؤلاءِ الأَعلام والقادة الأَبطال .

وفَّقنا ٱلله وإيّاكم لِما كانوا عليه ، وجعل نسبتنا محقَّقة إليه صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

ثمَّ رتَّب الفاتحة ، وقال :

الفاتحة أَنَّ ٱلله يلحقنا بهـٰؤلاءِ الرِّجال ويتحفنا بما أَتحفهم ، ويجعل لهـٰذه النِّسبة أَثراً يظهر علينا وعليكم ، وعلىٰ أَولادنا

وعلىٰ أَولادكم ، وعلىٰ أهلينا وعلىٰ أَهليكم ، وعلىٰ إِخواننا وعلىٰ إِخوانكم .

ويلحقنا بهـٰؤلاءِ في أَقوالنا وفي أَفعالنا ، وفي حركاتنا وفي سكناتنا ، وينفعنا بهـٰذا العِلْم ، وينفعنا بهـٰذا العمل ، وينفعنا بهـٰذه الجلسة ، وينفعنا بهـٰؤلاءِ الدُّعاة ، وينفعنا بسائِرِ إِخواننا مِنْ رجال الدّين ، وأَساطين الدّين ، ويجعلنا وإِيّاكم مِنْ أَساطين الدّين ، ومِنْ أَعلام الدّين ، ومِنَ المبلِّغين عن سيِّد المرسَلين ، ومِنَ الحاملين سُنَّة سيِّد المرسَلين ، ومِنَ الذّائِدين عن سيِّد المرسَلين صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، ويؤَهّلنا لذلكَ ، ويأْخذ بأَيدينا لذلكَ ، حتّىٰ نلحقَ بمَنْ قَبْلَنا مِنْ خيارِ الرِّجال ، وإِلىٰ حضرة النَّبيِّ مُحَمَّد صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

* * *

الحج وأنواع الدماء في الحج وفتح مكة

وفي مساء الجمعة (٢٩) ذي القعدة عام (١٣٩٤هـ) عُقدت الرَّوحة كالعادة بمنزل الأخ طٰه بن مُحَمَّد بن طٰه ، وتحوّلت هٰذه الرَّوحة إلىٰ كلام ومحادثة مع مَنْ حضر هٰذه الرَّوحة مِنَ الآباءِ والإخوان الَّذين وفدوا مِنْ أرض الوطن (سيئُون) الميمون ؛ لأداءِ فريضة الحجِّ ، وفي مقدّمتهم : أُستاذنا ومربّينا العمّ مُحَمَّد بن شيخ المساوىٰ . والعمّ أحمد بن هاشم الحبشي . والعمّ علي بن عيسىٰ الحدّاد . والأخ سقّاف الكاف . وكثيرٌ مِنَ الإخوان .

وبعد أَنْ أنشد العمّ مُحَمَّد المساوىٰ والعمّ سالم خرد . . تكلَّم حبيبنا العمّ عبد القادر بن أحمد السَّقّاف ـ حفظه ٱلله ـ بهٰذه الكلمة القيِّمة عن الحجِّ ، وعن حَجَّة رسول ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، وتكلَّم فيها عن الرُّؤيا ، وأَنَّها جزءٌ مِنَ النُّبوَّة .

ثمّ تكلَّم عن الأولياءِ والصّالحين . وكلُّها حِكَم ، وكلُّها دُرَر منظومة .

نسأَلُ ٱلله أَنْ ينفعنا بها ، وينفعَ كلَّ مستمع وقارىءٍ لها آمين .

وقَبْلَ كلمته أنشد أُستاذُنا المساوىٰ قصيدةَ ابن شهاب الَّتي مطلعها :

بُشراكَ هٰذا منارُ ٱلحيِّ تَرمقُهُ وهٰذهِ دُورُ مَنْ تهوىٰ وتَعشقُهُ

قال ـ حفظَهُ ٱلله ـ بعد أَنْ رحَّبَ ببعضِ مَنْ حضر ممَّن طلع للحجِّ ، قال ـ نفعنا ٱلله بمقاله آمين ـ : دم الهدي علىٰ ثلاثة أَنواع :

[الأَوّل] يكون صاحبه متمتِّع .

و[الثّاني] يكون صاحبه قارِن .

و[الثّالث] يكون صاحبه مُحصَر ، علىٰ قولِهِم .

فالقارن أوّلاً : هو أَنْ يُحرِمَ بالحجِّ مع العُمرة معاً .

والحُكم : أَنَّ إحرامَه بالحجِّ والعُمرة معاً يجوز ، وتصحُّ عُمرته مع حجِّه ، ولٰكنْ! عليه دم .

والمتمتِّع ، قالوا : هو أَنْ يُحرِمَ بالعُمرة أَوّلاً في أَشهر الحجِّ ، ثمَّ يتحلَّل منها ، حتّىٰ إذا جاءَ وقت الحجِّ . . يُحرم بالحجِّ .

والمتمتِّع ـ قالوا ـ : إنْ أَحرمَ بالحجِّ مِنْ (مكَّةَ) كمُقيمي أَهل (مكَّة) ـ قالوا ـ عليه دم ؛ لأَنَّه جاءَ مِنْ بلاده وبقي في (مكَّة) .

فإنْ لَم يُحرِم بالحجِّ إلاَّ مِنَ الميقات ، وخرجَ مِنْ (مكَّةَ) إلىٰ الميقات . . قالوا : ٱرتفع عنه الدَّم .

والقِسم الثّالث : **المُحصَر** : هٰذا ما لنا حاجة بالخوض فيه كثيراً ؛ لأنَّ ما أَحد مُحصَر في القضيَّة هٰذه .

المفسِّرون ٱستَشكلوا حَصْر الحبيب صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم . هٰذه مسأَلة تستفيدونها علىٰ خلاف أَقسامها :

النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم في غزوة (الحديبية) ـ سمّاها غزوة ، وسمّاها عُمرة وهو لَم يعتمر صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ـ

جاءَ إِلىٰ (الحديبية) ، علىٰ مسافة أَميال مِنْ (مكَّة) فصدَّه المشركون ، ورجعَ عليه الصَّلاة والسّلام ؛ لأَنَّه لا يريدُ قتالاً ولا إِراقة دم ، وكتب بينهم وبينه شروطاً .

قالوا : النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم كان معه هَديٌ ، وهٰذي مسأَلة كثير ما تخفىٰ علىٰ النّاس ، يخفىٰ عليهم الهَديُ ، ويخفىٰ عليهم الفِداءُ ، ويخفىٰ عليهم الأُضحية ، ثلاثة دماء هٰذي! ودماءُ الحجِّ كلُّها أَربعة ، لٰكنْ هٰذي ثلاثة دماء تخفىٰ علىٰ الكثير منهم .

فالأُضحية : مسنونة وواجبة ، وهي معروفة .

فمن نذر أَنْ يضحِّي . . فقد وجبت عليه .

ومَن ضحَّىٰ لِلسُّنَّة ـ قالوا ـ يأْكل منها ويقسِّم .

والواجبة يُنفقها ويتصدَّق بها . هٰذي تسمَّىٰ أُضحية ، وهي مطلوبة ؛ لأَنَّ النَّبيَّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ـ الشّارع ـ دعا إِلىٰ الأُضحية وطلبها .

ثمَّ أَبسط الحاضرين ـ حفظه ٱلله ـ بهٰذه النُّكته ، فقال :

فيما قبل أَيّام نذكر للأَخ مُحَمَّد وعَلْوي والجماعة في إِحدىٰ الأُمسيات أَنَّه كان ٱبن عبيد ٱلله يدرِّس الأُضحية ـ رحمه ٱلله ـ وبعد كان عندنا موجود عمِّي علي بن صالح الحامد[1] ، مِنْ صالحي

---

(١) والد العلامة الشاعر الأديب صالح بن علي الحامد توفي بسيون في ربيع الثاني سنة ١٣٨٧ .

الرِّجال ومِنْ أَثرياءِ النّاس ، ولـٰكنَّه حضر الدَّرس حقَّ ٱبن عبيد ٱلله ، قال له : وقت الأُضحية يا عمّ عليّ بغيناك تضحّي .

قال له : آه الأُضحية ذي يا عبد ٱلرَّحمـٰن ؟

قال له : النَّبي قال : « مَطَايَاكُم عِنْدَ ٱلصِّراطِ » . وطلب النَّبي أَنْ لا تكون عوراء ، ولا مكسورة قَرْن ، ولا ذاتَ جَرَب ، ولا ، ولا . . . وعدَّد له الأُضحية وشأْنَها ، وأَنْ تكونَ سَمينةً ؛ لتكون قويَّة في مرورها علىٰ الصِّراط .

قال له : إِنْ شاءَ ٱلله نضحِّي .

ضحَّىٰ عمِّي عليّ بأُضحية كاملة . في السَّنة الثّانية قال له : بغينا أُضحية ثانية للحُبَابة ـ يعني زوجتَه ـ .

قال له : أُضحية ثانية للحُبَابة . ضحىٰ عمِّي عليٌّ بالأُضحية الثّانية عن زوجته .

والسَّنة الثّالثة قال له ٱبن عبيد ٱلله : اِنتبه مِنَ الأُضحية يا عمّ عليّ .

قال له : بغيتنا راعي غنم هناكَ! وعمِّي عليّ إلاَّ بطبيعة الحال ، ما هو تقول إنَّه قال ذلك للنُّكتة ؛ لأَنَّه أَرسل وحدَه له ووحدَه لزوجته ، ويكفي للمرور علىٰ الصِّراط ثمَّ عاد ـ حفظه ٱلله ـ إلىٰ الموضوع ، وقال :

الشّارع سَنَّها علىٰ التّكرار دائِماً .

الدَّم الثّاني ، هـٰذا الَّذي يغفل عنه الكثير : الهَدي : كانَ

النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلم ـ قالوا ـ ٱعتمر أَربعَ عُمَر ، والرابعة مع حجَّة الوداع[1] ، وفي كلِّ عُمرة كان يهدي للبيت الحرام .

والهَدي ـ قالوا ـ هو الَّذي أَشار إِليه القرآن ، وقَصْد القرآن بالذِّكر ، وهٰذا هو الَّذي يغفل عنه الكثيرين .

ثمَّ وجَّه الخطاب علىٰ سبيل البسط للعم مُحَمَّد المساوىٰ ، فقال : وما أَدري مساوىٰ علىٰ باله وبايهدي ، أَوْلاَ ؟ ٱنتبه منها مِنْ ذا الحين . وفي تلك اللَّحظة قال العمُّ سالم خرد ـ رحمه ٱلله ـ : إِذا بايهدي للبيت . . لازم يهدي لأَهل البيت .

وتخلَّلَ المجلس شيء مِنَ المرح والضَّحك والبسط .

ثمَّ ٱسترسل حبيبنا عبد القادر في الحديث ، وقال : هٰذا الهَدي ٱختلف العلماء وأَئِمَّة المذاهب فيه :

قالوا : كثر القائِلون بسُنِّيَّته وتأْكيده ؛ لأَنَّه هو المشار إِليه بقوله : ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ .

قال العلماء : بقيَّة الدِّماء الأَربعة الَّتي أَوجبها الشّارع وذكرها الشّارع في الحجِّ لِمَنْ وجبت عليه ، وسَنَّها لِمَنْ سُنَّت عليه ، وفَرَضها لمَنْ فُرضت عليه . هٰذا كثير مِنَ النّاس ما يعتنون بالهَدي .

والهديُ ـ قالوا ـ هو مقدَّم علىٰ غيره إِلاَّ الواجب .

---

(١) الرابعة مع حجته في «صحيح البخاري» اعتمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث ردوه ومن القابل عمرة الحديبية وعمرة في ذي القعدة وعمرة مع حجته .

المسأَلة الثّالثة ، الَّتي ذكرناها لكم : دمُ القِران ، ودم التَّمتُّع .

ودم التَّمتُّع : ذكرنا لكم أَنَّ الحبيبَ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم تمتَّع ، ولمّا تمتَّع الحبيب صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم (والتَّمتُّع - قالوا - يأْتي في ثلاثة أَشياء : يأتي في الحَلْق ، ثمَّ بعده للمُحصَر خاص . قالوا : يرجع المُحصَر ، ويجب عليه الحجُّ مِنْ عام قادم .

هٰذا في حقِّ الأُمَّة ، أَمّا في حقِّ الحبيب صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم . فلا وجوب ؛ لأَنَّه هو الدّاعي .

الحبيب صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم - قالوا - لمّا كتب الشُّروط فيما بينه وبين قريش ، وعقد الميثاق فيما بينه وبينهم - والشُّروط أَربعة كلُّها تعرفونها لا تخفىٰ علىٰ أَحد منكم ، تسمعون بها كلُّكم - رجع الحبيب صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ومعه الهَدي لـ(مكَّةَ) وهو معتمِر .

والهَدي - كما قلنا لكم - هٰذ للبيت الحرام بايهديه .

والواقع أَنَّه - كما قرأْنا الآية - إنَّما هو قُربان لله سبحانه وتعالىٰ - أَرادَ أَنْ يُهدِي الحبيب صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، وأَن يحلق ؛ ليتحلَّل ، فأَخذ يخبر أَصحابه بذلكَ ، فرأَىٰ علىٰ وجوههم ما لا يُرضيه صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم مِنْ عدم الموافقة علىٰ ذلكَ ؛ لأَنَّهم غير راضين بالشُّروط الَّتي كتبها .

الشُّروط كلُّها فيها إجحاف علىٰ النَّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، ولٰكنْ! شأنه كما قال المولىٰ في حقِّه وفي حقِّ كثير مِنَ الأَنبياء : ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ ، يَعرف ما لا يعرفونه ، ويُدرِكُ ما لا يُدركونه ، ويأْتيه خبر السَّماءِ ولا يأْتيهم .

فكأَنَّ الحبيب صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم أَخبرهم فرأَىٰ منهم عدمَ الرِّضىٰ بذلكَ ، ولٰكنْ ما أَحد قال للحبيب شيء ، وإِنَّما رأَىٰ في وجوههم .

فدخل الحبيب صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم إِلىٰ خيمة زوجته أُمِّ سَلَمة ، ورأَت علىٰ وجهه الأَثر ، فقالت له : ما شأْنُكَ يا رسول ٱلله ؟

قال لها : شأْني ، أَخبرت أَصحابي إِنْ نحن بانتمتَّع وبانقدِّم الهدي حقّنا وبانرجع إِلىٰ (المدينة المنوَّرةِ) فرأَيتهم كلُّهم غير راضيين بهٰذا الأَمر .

قالت له : ما يحتاج هٰذا . أَخرج أَنته إِلىٰ وراءِ الخيمة ، وٱستدعِ الحلاَّق حقَّك ، فإِذا رأَوكَ أَصحابكَ تحلِق . . كلّهم بايبتدرون الحلاقة .

فكانت ذات رأْي مصيب ، وكانوا يُسمّونها بعد هٰذا : ذات الرَّأْي الصّائِب ، أُمُّ سَلَمة رضي الله عنها .

فخرج الحبيب صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم وعجبَه رأْيها ، وٱستدعىٰ الحلاَّق وكشف رأْسَه للحلاّق ، وحلَق الحبيب ، فكلُّ

مَنْ مَرَّ مِنْ أَصحابهِ وراَه يحلق . . ٱبتدر وحلَق .

قالوا : حتَّىٰ كانوا أَرادوا أَنْ يحلقوا بعظام بعضهم لمَا أَدركوه ؛ لأَجْل ينالون السُّنَّة مع النَّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، والمبادرة مع الحبيب صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

وعندها ـ قالوا : ذَبَحَ هديَهُ الحبيب ونحر . ورجع الحبيب مِنْ ذلكَ العام ، ولـٰكنَّه جاءَ العام هـٰذا ، فكان له ـ كما قلنا لكم في المُحصَر ـ واجب عليه مِنَ العام القابل أَنْ يحجَّ ، لـٰكنَّ الحبيب صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم لا يدخل تحت الوجوب ، وإِنَّما هو فتَح ٱلله له (مكَّةَ) ودخلها عليه الصَّلاة والسّلام .

وقَبْل الفتح خانت قريش الشُّروط . قالوا : خانت قريش أَربعَ مرّات :

أَوّل خيانة أَنَّها : كان بين النَّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم وبين خُزاعةَ عهد أَنْ لا يمسَّه أَحد بسوء إِلاَّ وكانت خزاعة معه ، ولا يمسُّهم أَحد بسوء إِلاَّ كان مُحَمَّد معهم ، عليه الصَّلاة والسّلام . وبين قريش وبني بكر قالوا عهد كذلكَ ؛ أَنْ لا يمسَّهم أَحد بسوء إِلاَّ كانت بني بكر مع قريش ، ومثلها كذلكَ قريش مع بني بكر .

فجاءَت بني خزاعة معتمرة ، فلمّا دخلت إِلىٰ (مكَّة) ٱتَّفقت قريش مع بني بكر ، وطلبت مِنْ بني بكر أَنْ تضرب خزاعة وهي في المسجد الحرام .

فجاءَت بني بكر وقريش ترعاها قائِمة معها بالوعد ، فضربت خزاعةَ وهي معتمرة في المسجد وأَثخنَتها .

فأَرسلَت خزاعة مِنْ (مكّةَ المكرَّمة) وافدْ رسولْ منهم ٱسمه عَمرو بن سالم الخزاعي ، قالوا : وصل علىٰ ستّ أَيّام ، خرج ببكرته ليلاً ونهاراً حتّىٰ وصل (المدينةَ) ليلاً في اليوم السّادسِ .

ولمّا دخل المدينةَ ليلاً . . وجد أَهلَها قد ناموا ، فبات في المسجد ، فلمّا أَصبح النَّبيُّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم وصلّىٰ بالنّاس الفجر وسلَّم مِنَ الصَّلاة ، وقام النّاس . . قام هٰذا عَمرو بن سالم وأَنشد هٰذه الأَبيات ، يقول :

يا ربِّ إنّي نَاشِدٌ مُحَمَّدا حِلْفَ أَبيهِ وأَبينا ٱلأَتلدا
إنَّ قريشاً أَخلفوكَ ٱلموعدا ونَقضوا ميثاقَكَ ٱلمؤَكَّدا
وقَتلونا رُكَّعاً وسُجَّدا

اِهتزَّ النَّبيُّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، وقال : « **مَنِ ٱلْقَائِلُ** » ؟ قالوا : عَمرو بنُ سالم الخزاعي . قال له : « **نُصِرْتَ يَا عَمْرُو ، نُصِرْتَ يَا عَمْرُو ، نُصِرْتَ يَا عَمْرُو** » وأَمر أَصحابه أَنْ يتجهَّزوا ـ عليه الصَّلاة والسَّلام وتجهَّزوا إِلىٰ مكَّةَ . هٰذه أَوّل واحدة .

المسأَلة الثّانية : قالوا : إِنَّه كذلكَ جاءَ أَحد أَصحاب رسول ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، ولقيَه شخص مِنْ قريش في الطَّريق ، فضربه وأَثخنه كذلكَ .

فجاءَ إِلىٰ النَّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم وشكا إليه قال له : « **أَيْنَ ضَرَبَكَ ؟** » فذكر ٱلمكانَ ، قال له : إِنَّه ضربنا في مكان الفلاني . يعني في غير مكان العهد الَّذي فيما بينه وبينهم .

أَدركت قريش أَنَّ النَّبيَّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم بايقوم عليهم ، فَأَرسلَت سهيلَ بنَ عَمرو ـ هـٰذا الَّذي كتب الشُّروط فيما بينه وبينهم ـ فسلَّم سهيل علىٰ النَّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، فقال له النَّبيُّ : « **مَا شَأْنُكَ ؟** » قال له : جئْت لنُجدِّد العهد .

قال له : « **هَلْ بَلَغَكَ أَنَّ مُحَمَّداً ـ عليه الصَّلاة والسّلام ـ خَلَفَ مَوْعِداً ، أَوْ خَانَ عَهْداً ، حَتَّىٰ تُجَدِّدَ ، لَمْ يَحْصُلْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ** » .

قال لَه : لا ، إِنَّما جئْنا للتّأْكيد .

ثمَّ أَرسلَت قريش كذلكَ الثّاني ، أَرسلت أَبا سفيان ، فجاءَ أَبو سفيان إِلىٰ (المدينة) مسرعاً ، ولمّا دخل المدينة أَبو سفيان . . وصلَ إِلىٰ النَّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، وسلَّم علىٰ النَّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، فسأَله وقال له : « **مِنْ أَيْنَ جِئْتَ ؟** » قال له : جئْتُ مِنْ (مكَّةَ) .

قال له : « **مَا شَأْنُكَ ؟** »

قال له : جئْتُ لتجديد العَهد .

قال له : « **هَلْ بَلَغَكَ أَنَّ مُحَمَّداً خَانَ عَهْداً! أَنَا لاَ أَزَالُ عَلَىٰ ذَلِكَ ٱلْعَهْدِ ، فَهَلْ حَصَلَ مِنْكُم شَيءٌ نَقْضٌ أَوْ نَكْثٌ لِلْمِيثَاقِ ؟** » .

قال له : لا .

قال له : « **لاَ يَكُوْنُ مَجِيْئُكُم إلاَّ لِسَبَبٍ** » .

فتلعثمت اللِّسان منهم ، ورجعوا . وعرفوا أَنَّ مُحَمَّداً يُبيِّت لهم أَمرْ مكتومْ .

أَرسل النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم في قومه وتجهَّزوا ، وساروا حتَّىٰ وصلوا إِلىٰ (مكَّة) . . . الحكاية لا تخفىٰ علىٰ أَحد منكم جاءُوا في رايات كبيرة وعديدة وكثيرة جمّ .

ولمّا وصلوا إِلىٰ تحت (مكَّةَ) باتوا ، فرأَتْ قريش النِّيران ، وكانت ٱمرأةٌ لها صلة بأَبي سفيان ـ قالوا ـ مِنْ أَوّل ليلة كانت ترىٰ رؤْيا مفزعة ، فإِذا أَخبرت أَبا سفيان . . قال لها : شرٌّ ٱقترب !

قال : وكان أَبو سفيان يرىٰ أَنَّ الشَّر مِنْ نكث العهد هـٰذا . فكان كلّ ليلة يطلع إِلىٰ أَكمَة مِنْ أَكمات (مكَّةَ) يرقب ، هل أَحد أَقبل ؟ هل أَحد أَقبل ؟ حتَّىٰ وقع له في تلكَ اللَّيلة فرأَىٰ النِّيران ، فخرج وأَسرع ، ولمّا وصل . . لقيَ العبّاس ـ أَرسلَه النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم يطوف بالكتائب كتيبة كتيبة ، حتَّىٰ أَدركَ أَبا سفيان عند إِحدىٰ الكتائِب ـ فسلَّم عليه ، فقال العبّاس : أَبا سفيان ؟

قال له : لبَّيكَ .

قال له : ما الَّذي جاءَ بكَ ؟

قال له : ما أَعرف ما هو السَّبب ؟

قال له العبّاس : السَّبب مُحَمَّد وقومُه ، جاءُوا إلى (مكّة) ما في ذلكَ شكّ ، فهل فيه سبب آخَر ؟

قال له : هل ترىٰ يقبلني ؟

قال : ٱركب .

فأَركبَه وراءَه علىٰ البغلة حقَّه ، وسار به حتَّىٰ وصل به إلىٰ النَّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، فقال له : يا رسول ٱلله ، لو أَتاكَ أَبو سفيان تائِباً . . تقبله ؟

قال له : « **نَعَمْ!** » النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَم شأْنُه كريم ، وينبغي لكلِّ واحد أَنْ يكون عندَه شيء مِنْ أَخلاق النَّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

فخرج أَبو سفيان وٱطمأَنَّ في تلكَ اللَّحظة ، وسلَّم علىٰ النَّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، وأَخذ بيدِ النَّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم وأَسلم .

فلمّا أَسلم . . كان مِنْ شأْن النَّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم في شفقته علىٰ قريش ورأْفته بهم قال للعبّاس : « **ٱحْبِسْ أَبا سُفْيَانَ عِنْدَ مُرُوْرِ ٱلْخَيْل** » لأَجل يرىٰ قوَّة الإسلام وعزَّ الإسلام في ذلك الوقت .

فحبس أَبا سفيان عند مرور الخيل ، فكانت الخيل تمرُّ والكتائِب تمرُّ ، حتَّىٰ وصلت إِحدىٰ كتائِب الأَنصار وعليها سَعْدٌ ، فلمّا رأَىٰ أَبا سفيان . . كان ـ أَي : سعد ـ غاضب عليه ،

وكانوا يتمنَّون أَنْ يَلقوا أَبا سفيان فيقسِّمونه بسيوفهم قِسْم قِسْم ، لـٰكنَّ أَبا سفيان عصمَهُ ٱللهُ مِنْ سيوفهم .

قال سعد : يا أَبا سفيان .

قال : لبَّيكَ .

قال له : اليومَ يومُ الملحمة ، اليومَ تستحلُّ الكعبةُ ، اليومَ يذلُّ ٱللهُ قريش .

قال له أَبو سفيان : حبّذا يوم الذِّمار . واللِّسان تشرد معاد عنده ٱستعداد للذِّمار ولا للقتال .

فلمّا جاءَت الكتيبة الكبيرة ، كتيبته صلىٰ ٱللهُ عليه وآله وسلَّم . ٱستوقفه أَبو سفيان ، وقال له : يا مُحَمَّد!

قال : « **لَبَّيْكَ** » .

قال له : أَمرتَ بقتلِ قومكَ ؟

قال له : « **لاَ** » .

قال له : لـٰكنَّ سعد يقول : اليومَ يومُ الملحمة ، اليومَ تُستحلُّ الكعبةُ ، اليومَ يذلُّ ٱللهُ قريشاً!

قال له : « **لاَ! ٱلْيَوْمَ يَوْمُ ٱلْمَرْحَمَةِ ، ٱلْيَوْمَ تُكْسَىٰ ٱلْكَعْبَةُ ، ٱلْيَوْمَ يُعِزُّ ٱللهُ قُرَيْشاً** » .

فٱرتفع رأْسُ أَبي سفيان وٱطمأَنَّ . وٱستوقفَ ٱلنَّبيُّ صلىٰ ٱللهُ عليه وآله وسلَّم الكتائِبَ حتَّىٰ قال لهم : « **أَوْقِفُوْا كَتِيْبَةَ سَعْدٍ** » فأَخذ الرّاية مِنْ سعدٍ وأَعطاها لولده قيس ؛ لأَنَّه لَو أَعطاها غيرَ

قيس . . لحدث في نَفْس سعد شيء ، لكنَّ الوالد والولد الحال الواحد ، ما يختلف الوالد عن الولد .

وسارت الكتائِب ، وأَمرَهم النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم أَنْ يدخلوا :

خالدُ بنُ الوليد يدخل مِنْ أَعلىٰ (مكَّةَ) .

والحبيب صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم دخل مِنْ أَسفلِ (مكَّةَ) وهي (المسفلة) .

ودخل النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم وأَقام في (مكَّةَ) ثلاثةَ أَيّام مُطْمَئِنّين ، وقريش ـ قال ٱبن سعد ـ في ٱلثّلاثة الأَيّام كلِّها جلَستْ في حرزِ بيوتها ، لَم تدري ماذا يصنعُ مُحَمَّد ؟ وماذا يجري عليهم في الغد وبعد الغد ؟ حتَّىٰ مرَّت الثَّلاثةُ الأَيّام ، فنادىٰ النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم في أَصحابه وقال : « **ٱسْتَدْعُوْا لِي قُرَيْشْ ، وَٱجْمَعُوْهُم لِيَ في صَحْنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَام** » .

فٱستدعوا له قريشاً ، وحضرت قريش في صحن المسجد الحرام ، ولمّا حضرت قريش في صحن المسجد الحرام . . قالوا : إنَّه قام فيهم الحبيب صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، وأخذ بعضادة الباب ـ باب الكعبة ـ وقال لهم : « **يَا مَعْشَرَ قُرَيْش ،**

مَا تَرَوْنِي فَاعِلٌ بِكُم ؟ »

قالوا له : إنْ تُعذِّبْ . . فقد أَسأْنا ، وإِنْ تغفِرْ . . فخيرٌ ، أَخٌ كريمٌ وٱبنُ أخٍ كريمٍ .

قال لهم : الحبيب صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم : « **لاَ أَقُوْلُ لَكُم إلاَّ كَمَا قَالَ ٱلْعَبْدُ ٱلصَّالِحُ** : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ **اِذْهَبُوْا فَأَنْتُمُ ٱلطُّلَقَاء** » .

والطُّلقاءُ هٰؤلاءِ الَّذين أَطلقَهم النَّبيُّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ؛ لأَنَّهم كلُّهم في قبضتِهِ ، سُمُّوا الطُّلقاءَ مِنْ ذلكَ اليوم .

وأَهل العير وأَهل النَّفير ، قالوا : أَهل بدر كذلكَ يُسمّونَ أَهل العير ، يقال لمَنْ لَم يحضر تلكَ الوقعة ، أَو لم يُدلي فيها بشيء ، يقولون له : لَسْتَ في العير ولا في النَّفير .

وكان مِنْ شأْن الحبيبِ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم أَنْ أَطلقهم فاطمأَنَّت قلوبهم ؛ لأَنَّ شأْنَه صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم الصَّفحُ وشأْنَه الحِلْم .

رجعنا إِلى المتعة وإِلىٰ التَّمتُّع :

ذكرنا لكم في شأْنه صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم أَنَّه ذبحَ هديَهُ في ذي الحليفة .

المسألة الثّانية : أَنَّ الهدي مقرَّرٌ أَنْ يكون في البيت الحرام ؛ لأَنَّه قربان إِلىٰ ٱلله حول البيت الحرام في (مكَّة المكرَّمة) .

قالوا : كان مِنْ خصوصيّاته عليه الصَّلاة والسّلام .

ثمَّ قالوا أَيضاً : إنَّه في حقِّه عليه الصَّلاة والسَّلام الهدي بخصوصه كان واجباً ؛ لأَنَّه لا أَحد أَعرف بٱلله غير مُحَمَّد بن عبد ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، فهو أَعرف بحقِّ الشُّكرِ بما

أَولاه مِنَ النِّعَم . أَولاه ما لَم يولي غيره ، هل أَحد أُعطي نِعم مثلَما أُعطيها مُحَمَّد ؟ لا ! ما أَحد أُعطيَها ، فهو كان أَشكرَ النّاس ؛ ولهٰذا كان يقوم حتَّىٰ ورِمت قدماه ، وقالت له ٱلسَّيِّدة عائِشة : أَوَ تفعل ذلكَ يا رسول ٱلله وقد غفرَ ٱلله لكَ ما تقدَّم مِنْ ذنبك وما تأخَّر ؟ قال صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم : « أفَلاَ أَكُوْنُ عَبْداً شَكُوْراً » .

قالوا : هٰذا الشُّكر بالنِّسبة له صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم كان لازم ـ واجب ـ ، كما أَنَّه يلزم علىٰ كلِّ واحد عند حدوث أَي نعمة تحصل له أَنْ يقارنها بشكر عظيم ؛ لأَجل يطمئِنَّ الإِنسان للنِّعم ويعرف مقدار النِّعمة . فلا يكفي مِنَ الإِنسان أَنْ يقول الحمد لله فقط .

فإِنْ حدثت نعمة ، رؤيا له صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم . . قالوا : سُنَّ الصّيام شكراً ، وسُنَّت الصَّدقة شكراً .

كما أَنَّ وجوب صيام رمضان أَنَّه أُنزل فيه الكتاب الَّذي لا يأْتيه الباطل منْ بين يديه ولا مِنْ خلْفه . قالوا : لمّا أَنزل ٱلله القرآن وهو أَشرف الكتب ، فيه خبر مَنْ قبلَكم وخبر مَنْ بعدَكم ، وفيه أَحكامكم ، وفيه عِبَركم ، وفيه مواعظكم ، وفيه التَّفاصيل ، وفيه المتشابه ، وفيه الأَسماء الَّتي عُرفت والأَسماءُ الَّتي لَم تُعرف ، وفيه ما علمه آدم ، وفيه ما علمه غيره مِنَ الأَنبياء ، وفيه ما لا يَعلمه أَحد إِلاَّ مُحَمَّد صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم . . قالوا : أَكبر نعمة ، ذلكَ القرآن ؛ لأَنَّه صفة مِنْ صفات المولىٰ سبحانه وتعالىٰ .

لا يقال : إنَّ ٱلله نطق به ؛ لأَنَّ ٱلله سبحانه ، جاءَ في عقائد التَّوحيد ما جاءَ في القرآن أَنَّه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ فلا يوصف بمخلوق ، ولا يوصف بما يأْتي على حَدْس ، ولا علىٰ خيال ، ولا علىٰ عقل ، ولا علىٰ وهم ، ولا علىٰ ظن قَط أَبداً .

والتَّفكُّر فيه ـ قالوا ـ : حرام . وكثير مِنَ ٱلعلماءِ قال : كُفْرٌ ؛ لأَنَّك تتفكَّر فيما لا تُدركُ : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ ولا يعرفه أَحد ، ولا يقدر عليه أَحد إِلاَّ يوم القيامة .

أخبرنا النَّبيُّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم أَنَّه يتجلَّىٰ المولىٰ سبحانه وتعالىٰ لهـٰذه الأُمَّة ولأَهل الجنَّة ، فقال : « **هَلْ تُضَامُونَ في رُؤْيَةِ ٱلْقَمَرِ** » ـ لمّا سأَلوه عن رؤْية المولىٰ سبحانه وتعالىٰ ـ قالوا له : لا . قال : « **فَكَذلِكَ رَبُّكُم سَتُشَاهِدُوْنَهُ كَمَا تُشَاهِدُوْنَ ٱلْقَمَرَ** » .

هـٰذا كلُّه بالنِّسبة للقيامة ، وأَمّا هنا . . قالوا : لا .

نعم ، حكموا العلماء بالرُّؤْيا ، لو أَحد رآه مناماً . . قالوا : قُبلت رؤْيته ؛ لأَنَّ مسأَلة الرُّؤْيا هـٰذه لا يُحكَم بها في ظاهر الشَّرع . علىٰ أَنَّ كثيراً مِنَ العلماء جعلوا الحكم في الرُّؤيا أَقسام :

فالرُّؤْيا في حقِّه صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، وهي مطلَقاً . قال عليه الصلاَّة والسّلام في الحديث : « **رُؤْيَا ٱلأَنبياءِ وَحْيٌ** » حكم أَنَّ رؤْيا الأَنبياءِ كلّهم ، لا رؤْياه صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

وقالوا : كان صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم لا يرىٰ رؤْيا إلاَّ جاءَت مثل فلَق الصُّبح .

وقالوا : إنَّه أَوَّل ما بُدِىءَ عليه الصَّلاةُ والسّلام : الرُّؤْيا الصّالحة . .

أمّـا إذا تعـارضـت الـرُّؤْيـا بـالنِّسبـة للصّـالحيـن ؛ أي : إذا تعارضت الرُّؤْيا في حُكم شرعي ظاهر . . قالوا : يُعمل بالحُكم الشَّرعي وتُترك الرُّؤْيا ، ولو كانت الرُّؤْيا جُعلت للنَّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

فلو جاءَ واحد وقال لنا : أَنا رأَيت النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم وقال لي : ٱفعل كذا ، أَو ٱعمل كذا ـ يعني في غير الأَوامر ، فالأَوامر لا يُقبل من أَحد قط ، التَّهويسات هٰذي تأْتي للإِنسان ، أَمّا لو رأَىٰ النَّبيَّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم في شيء وقال له : الأَمر كذا ـ قالوا :

إنْ عارض حُكماً شرعيّاً ظاهراً . . فالحُكم مقدَّم علىٰ رؤْياه .

وإنْ لَم يُعارض حُكماً شرعيّاً . . فرؤْياه في حدِّ نفْسه له ذلكَ يُصدِّقها ويَعمل بها .

الثّالث : قالوا : نفس الرُّؤْيا هٰذهِ ـ قالوا ـ حَكَم بها عليه الصَّلاةُ والسّلام وجعلَها ملحقة بدرجات النُّبوَّة ؛ لأَنَّه قال في الحديث الوارد عنه عليه الصَّلاةُ والسّلام : « **ذَهَبَتِ ٱلنُّبُوَّةُ وَبَقِيَتِ ٱلْمُبَشِّرَاتُ ، الرُّؤْيَا ٱلصَّالِحَةُ يَرَاهَا ٱلرَّجُلُ أَوْ تُرَىٰ لَهُ** » رواه الإِمام البخاريُّ عليه الرَّحمة .

وقال أيضاً : « **الرُّؤْيَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِيْنَ جُزْءاً مِنَ ٱلنُّبُوَّةِ** » .

وكان عليه الصَّلاةُ والسّلام إذا أصبح وصلّىٰ الفجر . . سأل أصحابه : « **هَلْ رَأَىٰ أَحَدٌ مِنْكُم رُؤْيَا ؟** » فإذا أخبره أحد برؤياه . . قصّها عليه ، عليه الصَّلاةُ والسّلام .

وقالوا : قَصُّهُ عليه الصَّلاةُ والسّلام يوجب حُكماً صحيحاً . إذا جاءَ واحد وقال : إنّي رأيت كذا وكذا . . قالوا : يوجب حكماً صحيحاً ؛ ذلكَ لأَنَّه مِنْ مُحَمَّد ، مِنَ الحاكم الشَّرعي نفْسه لا مِنْ غيره عليه الصَّلاةُ والسّلام . قالوا : هٰذا إنَّما هو للإيناس .

وقالوا أيضاً : إنَّه قد حُكِم بالرُّؤْيا ، وذلكَ في حديث ثابت بن قيس ، وحديث ثابت بن قيس : خرج في أيّام أبي بكر الصِّدّيق ـ رضي ٱلله تعالىٰ عن ثابت وعن أبي بكر الصِّدّيق ـ قال : فلمّا خرج . . قُتل ، فجاءَ أَحد الصَّحابة وغلَّ سرج فرسه ، ولمّا غلَّه . . رأَىٰ واحدٌ مِنَ الصَّحابة ثابتَ بن قيس يقول له : أخبر أبا بكر الصديق الخليفة وقل له : إنَّ فلان ٱبن فلان أَخذ سرْج فرسي وغلَّه ، وإنِّي أوصيت به لفلان .

قال : فجاءَ هٰذا وأخبر أبا بكر الصِّدّيق بالرُّؤْيا ، فأَرسل أبو بكر الصِّدّيق لذلكَ الرَّجل وأخذ يسأله ويلحُّ عليه في المسأَلة حتىٰ ٱعترف وأقرَّ ، فأخذه أبو بكر الصِّدّيق وأرسله لمَنْ أوصاه إليه ثابت .

وقالوا : هي الرُّؤْيا الَّتي حكم بها الحاكم ، وهو الخليفة الأوَّل ، وأَيَّدها بحُكم كان مِنْ أَبي بكر الصِّدّيق في رؤْيا كانت ، ولٰكنَّ أَبا بكر الصِّدّيق وثابتَ بن قيس وهٰؤلاء ـ قالوا ـ كانت رؤْياهم حقّ .

وهٰذي ـ قالوا ـ بالنِّسبة لأَبي بكر الخليفة الأَوّل خصوصيَّة له ، ولغيره لا يأْتي هٰذا .

ومثل هٰذه الرُّؤْيا ذكر الإمام آبن القيِّم ـ رحمه آلله ـ قال : إنَّه كان جاءَ ثابت هٰذا نفْسه وواحد ثاني نسيت آسمه ـ سأَذكر آسمه أَثناءَ الحديث إنْ شاءَ آلله ـ آتَّفقا علىٰ أَنَّ مَنْ يسبق منهم إلىٰ الآخرة يتفقَّد الآخَرُ أَولادَه وأَهلَه والسّابق يتراءَىٰ له في منامه .

قال : فكان الميت الأَوّل : ثابت بن قيس . فلَم يتراءَىٰ لصاحبه ، ولمّا لَم يتراءىٰ لصاحبه . . مرَّت عليه ست أَشهُر ورآه ، فقال له : بيني وبينكَ عهد علىٰ أَنَّكَ تتراءَىٰ لي في المنام ، والآن ستَّة أَشهُر ولا رأَيتكَ في المنام باسأَلك عن حال البرزخ ؟ وكيف أَنت ؟

قال له : نعم ؛ لأَنَّك أَنت أَخلَّيت بالعهد ، آتَّفقت أَنا وإيَّاك أَنَّكَ تتفقَّد أَولادي وتأْتي إليهم ، فإذا أَنتَ لَم تتفقَّدهم ، وأَنا لا أَزال أتفقَّدهم في البيت وأَدرج عليهم ، وهم في خير ، مافقدوا إلاَّ وجهي .

نعم ، ماتت عليهم هرَّة منذ ثلاثة أَيّام ، وبنتي زهرة سوف تلحق بنا بعد ستَّة أَيّام .

قال : بقي يتفقَّد فيه فإذا فيه شيء في شحمة أُذنه ، فقال له : ما هـٰذا في شحمة أُذنكَ ؟

قال له : هـٰذي أَمانة كانت عندي ـ آنظروا أَنتم كيف حُكم الأَمانة وآهتمام الشّارع بها ، وما ينال المسلم الكامل الإِيمان ، هـٰذا الصَّحابيّ المجاهد الكبير قال له : هـٰذه أَمانة كانت عندي ـ نسيتها ، وهي في الخِزانة الفلانيَّة في الموضع الفلاني ، وهي لفلان آبن فلان .

وقال له : في الصَّباح آذهب إلىٰ عند أَولادي وأَخبرهم عن الرُّؤْيا هـٰذه ، فقل لهم بالأَمانة هـٰذي الَّتي عندي :

فإِنْ أَحبّوا أَنْ يعطوك المفتاح . . فَرُحْ وخذ الأَمانة وأَدِّيها لصاحبها .

وإِنْ أَخذوا المفتاح هم وفتحوا وأَعطوكَ الأَمانة . . فخذها منهم وسِرْ بها إِلىٰ عند صاحبها .

قال : فسار في الصَّباح إِلىٰ عند أَهل ذلكَ الميت وسأَلهم عن حالِهم ، فقالوا له : إِنَّا بخير ، ما فقدنا إِلا وجه أَبينا فقط .

فقال لهم : كيف وكيف ؟ وأَخذ يلحُّ عليهم .

فقالوا له : أَكثرت علينا مِنَ الإِلحاح! هرَّة ماتت علينا منذ ثلاثة أَيّام . لمّا أَكثر الإِلحاح عليهم .

قال لهم : زهرة فين ؟ قالوا له : هي تحت البيت .

آستدعَىٰ زهرة ، وجاءَت زهرة ، وأَخذها في حضنه ، وأَخذ

يمسُّها فإذا بها شيء مِنَ المساس ـ يعني : الحمَّىٰ ، سخونة ـ أَي : عرق ، مصداق القول .

فقال لهم : إنِّي رأَيت والدكم وهو بخير ، ولـٰكن! ذكر لي أَنَّ أَمانةً كانت لفلان هي في الخِزانة في الموضع الفلاني ، فإِنْ أَردتوا أَنْ تأْتون بها . . هاتوها لأُوصلها ، وإِنْ أَردتوا أَنْ تعطوني المفتاح لآخذها .

قالوا له : نحن بانجيبها لك .

قال : فجاءُوا بها ، فإذا هي كما أَخبر .

أخذَ الأَمانة هـٰذه وسار بها إلىٰ عند صاحبها . ممّا يدلُّ باهتمام الشّارعِ بالأَمانة وعظمها ، وممّا يُعطي صورة علىٰ أَنَّ الرُّؤْيا الصّالحَة حقٌّ لا تختلف . لـٰكنْ! ذكر العلماءُ والشَّيخ صاحب الفتح[1] . ذكر للرُّؤْيا هـٰذه شروط مِنْ شرطها أَوّلاً : الصَّلاح .

ومِنْ شرطها : أَنْ لا يبيت في قمر ، فتؤَثِّر علىٰ دماغه .

ومِنْ شرطها : أنْ لا يكون مجامع تلكَ اللَّيلة ، يؤثِّر علىٰ قوَّته كذلكَ .

ومِنْ شرطها : أَنْ لا يكون قد ذكر هـٰذا الحديث الَّذي جرىٰ فيما بينهما ؛ لأَنَّ الرُّؤْيا هـٰذه مثَّلها الإمام الغزاليُّ وتكلَّم عنها ـ وهو أَحسن مَنْ تكلَّم في الرُّؤْيا ـ : قال : إنَّ الرُّؤْيا هـٰذه هي عبارة عن يقظة القلب ، والقلب ـ قال ـ إنَّه دائِماً مشغول بالحواس .

---

(١) أي فتح الباري للشيخ الحافظ ابن حجر .

فإذا تحرَّكَ واحد . . شَطَوْا إليه ـ أَي : نظروا ـ قداه ـ أَي : تجاهه ـ النّاس لأَجل يعرفون ما هي الحركة ، فآنشغل القلب ، وإذا تكلَّم واحد . . أَنصتوا إليه النّاس ، فآنشغل القلب ، فكان القلب مشغول بالحواس هٰذه .

فإذا نام الإنسان . . رقدت الحواس الَّتي هي شاغَلت القلب ، فإذا رقدت آنتبَه القلب ، جاءَ وقت آنتباه القلب في تلكَ اللَّحظة .

قال : والقلب إذا أَراد آلله له رؤْيا وآطِّلاع علىٰ شيء مِنْ عالَم الغيب ـ قال ـ هبَّت الرِّيح فتَقْشَع عن القلب الغطاء ، فإذا آنقشع عن القلب الغطاء ـ قالوا ـ شاهَدَ مِنْ عالَم الملكوت أَشياء غريبة ما كانت له علىٰ بال ممّا يراه الإنسان ، فتلك هي الرُّؤْيا الصّالحة .

وما دام الرِّيح تهبُّ فالقلب يشاهِد كأَنَّما هو يقرأُ شيء أَمامه ، يشاهد ، ويشاهد ، ويشاهد ، ويقرأُ الشيء أَمامه ، حتَّىٰ إذا سكنت الرِّيح . . رجع القلب عليه الغطاءُ . ولٰكنَّه في تلكَ الحالة ـ قالوا ـ القلب منتبه ؛ لأَنَّ الحواس ما هي شاغِلته ، فإذا آنتبهت الحواس . . شغلت القلب وأَخذته معها .

ولٰكن! قالوا : كثير من هٰؤلاءِ الَّذين يؤْثِرون الأَعمال الصّالحة ، ويؤْثرون آلله علىٰ الدُّنيا ، ويؤْثرون الدِّين والاستقامة الكاملة ـ قالوا ـ لا تشغلهم الحواس ، فترىٰ كثير تراه جالس عندكَ ولٰكنَّه غائِبٌ ما هو حاضر عندكَ ، بعيد عنكَ في عالَم ثاني ، يعتقده الإنسان أَنَّه قاعد وهو ليس قاعد ، إنَّما قلبه عند

ربِّه ، قلبه يجول في عوالمه أَو يَسْبَح في فضاءِ ٱللهِ ، في عالَم الملكوت ، أَو في تيار مِنَ الفِكر في المخلوقات .

والآلة الَّتي جعلَها ٱلله ، وما خوَّله ٱلله للإِنسان ، وما خوَّله لغيره مِنَ النِّعم ، وفيها هـٰذه الَّذي نزل ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ دَلَّنا علىٰ أَنَّ المولىٰ طلب الفكر .

وهـٰؤلاءِ الَّذين يَسْبحون ، قالوا : يخرجون مِنْ كائِن الدُّنيا وعالَم الشُّغل ، وعالَم الخيال وعالَم الوهم ، إِلىٰ عالَم الحقيقة أَو أَقربَ إِلىٰ الحقيقة .

فمَنْ كانت زجاجتُه صافيةً ، وليس في قلبه عمىً - قالوا - كان في عالَم الحقيقة ؛ لأَنَّ ٱلله سبحانه وتعالىٰ قال : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ . ومَنْ كان القلب عليه شيء من الغشاء ، كثف أَو خفَّ - قالوا - كان أَقرب إِلىٰ الحقيقة ، أَو كان يَسْبح في شيء مِنَ الخيال الَّذي هو أَقرب إِلىٰ الحقيقة ، يأْخذ نصيبْ وافرْ .

هـٰذا كلُّه بالنِّسبة للقلوب الصّافية الَّتي ليس بها مرض ؛ لأَنَّ القلوب ذَكَرَ المولىٰ أَنَّها تمرض ، وأَنَّ الإِنسان يجب عليه أَنْ يعالجها ، سُئِل ما يعالج الإِنسان ؟ قالوا : جسمه .

فحكىٰ المولىٰ ، قالوا : حكىٰ ٱلله في أَربعةَ عشر آيةً مِنْ كتاب ٱلله في ذِكر مرض القلب ، وذَكر العمىٰ في هـٰذهِ الآية ، قال : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ .

قالوا : ذَكر كذلكَ في المنافقين ، فقال : ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ .

وقال في حقِّ نسائه عليه الصَّلاةُ والسّلام لمّا أُمر بالحجاب وأُمر بالسَّتر لنساءِ المؤمنين ، فقال : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ دلّنا علىٰ أَنَّ المرض دائِماً يكون في القلوب ، والقلوب دائِماً تحتاج إِلىٰ ٱنتباه ، وتحتاج دائِماً إِلىٰ ٱلتفات .

ثمَّ قال العلماء ـ عليهم الرَّحمة ـ وفي مقدِّمتهم الإِمام الغزالي الَّذي أَحسن القول وأَجاد ، قال : إِنَّ القلوب هـٰذه الَّتي أَشار ٱلله إِليها ، والَّتي يذكرها القرآن ، والَّتي يشير إِليها الحديث النَّبوي في قوله : « **إِنَّ ٱللهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُم وَأَعْمَالِكُم ، وإِنَّما يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوْبِكُم** » .

قالوا : إِنَّ النَّظر إِلىٰ هـٰذه القلوب ليست القلوب اللَّحميَّة الَّتي هي تغذِّي الجسم وتقسِّم عليه الدَّم وتصفِّي الدَّم ، ولها النَّصيب الكامل علىٰ تأْثير الجسم ، لـٰكنْ قالوا : القلوب الَّتي أَشار ٱلله إِليها لِكونِها وصلتها النَّفخة ووصلها نصيب مِنْ سرِّ قوله تعالىٰ : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ تلكَ قداسة خُصَّ بها هـٰذا الآدمي ، وحَظِيَ بها هـٰذا الكائِن الحي ليست لمخلوق غيره .

وهٰذه القداسة ، قالوا : لو لَم تكن فيها إلاَّ نسبة الإضافة ، هٰذا المولىٰ يقول : ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ وكان المفسّرون ٱرتبكوا في هٰذه الياءِ ، إلىٰ مَنْ ؟ وأَين الرُّوح الَّتي توصَف بالنِّسبة للمولىٰ سبحانه وتعالىٰ ، والمولىٰ يلقيها هٰكذا لهٰذا الكائِن الحيِّ ، للإِنسان يُسميِّه ويقول : ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ يصله به مباشرة بلا واسطة ، أَفلا يليق - مثلاً - بمَنْ كُرِّم بهٰذه أَنْ يعرفها حقَّها ، وأَنْ يُكرمها ، وأَنْ لا يدوسَها وأَنْ لا يضيعها ، وأَنْ لا يجعلَها عرضة للهوان ، ولا عرضة للَّعب ، ولا عرضة للغفلة ، بل لا يدنِّسها بحرام ، ولا يدنِّسها بشبهة ، ولا يدنِّسها بما لا يُرضي ٱلله ؟ ولا يدنِّسها بما لا يحبُّ .

فمثلاً لو جاءَ واحد وطُلب إِلىٰ ملك مِنَ المُلُوك ، هل بايدخل عنده بارتداءِ ثياب ملوَّثه ؟ ما تسمح نفْسه أَنَّه يدخل بثوب ملوَّث ، لن تسمح له لنفْسه ، لاَ ! يرىٰ أَنَّ الملِك لا شكَّ باينفر منه وبايطرده مِنَ المجلس ، عاده إلاَّ ربَّما يتزيّا ويلبس أَحسن زيه أَو أَحسن ثوبه .

وهٰذه النَّفخة جاءَت مِنَ الملِك الكبير مباشرة سبحانه وتعالىٰ لهٰذا المخلوق ، أَفيليق منه أَنْ تكون مدنَّسة ، وأَنْ لا يزكّيها ، وأَنْ لا يُطهِّرها ، وأَنْ لا يحافظ عليها ما قدر حتَّىٰ لا تعمىٰ؟ وحتَّىٰ لا يصيبها مرض ، وحتَّىٰ لا تزول منه النِّعمة ؟ فكم مِنْ واحد أَصابه هٰذا المرض ، فوصفه ٱلله بما هو أَسوأ ؛ لأَنَّ ٱلله سبحانه وتعالىٰ قد ذكر في كتابه في آيات كثيرة ، قال : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا

لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ﴾ وبعد قال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ يستحقّون . ثمَّ ما رضيَ المولىٰ أَنْ يكونوا كالأَنعام ، قال : ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ أضلُّ مِنَ الأَنعام .

أَيرضىٰ مسلِم أَو مؤمن أَو ذو كرامة أَنْ يصل إِلىٰ هـٰذه الرُّتبة ؟ أَعطاه الملِك شيءْ مقدسْ عظيمْ ، يأْخذ به حتَّىٰ ينزل بهِ إِلىٰ أَسفل السّافلين! ذا ما يليق يا إِخواني ، كلّ واحد منكم عليه أَنْ يعرف هـٰذه الكرامة ، وأَن يعرف هـٰذه النِّسبة ، وأَنْ يعرف حقَّ هـٰذا القلب ، وأَنْ يعرف حقَّ هـٰذه الرُّوح ، وأَنْ يعرف حقَّ هـٰذه النَّفخة ولِما ٱحتوت عليه ، ولماذا أُعطيها هـٰذا الإِنسان ؟ أُعطيها هـٰذا الإِنسانُ ليكون كالبهيمة ؟! ينظر إِلىٰ ما لا يحلُّ ، أَو يعمل ما لا يحلُّ ، أَو يأْخذ ما لا يحلُّ!

أَنْ يسلكَ ما لا يُرْضي ، أَو يعمل فيما لا يُرضي ؟ لا! ما ينبغي وقد أُعطي هـٰذه النَّفخة .

ينبغي لـه أَنْ يكـون أَداة طـاهـرة مكـرَّمـة . قـال الشّـاعـر ـ رحمه ٱللّٰه ـ :

قَـدْ هيَّـؤُوكَ لأَمـرٍ لَـو فَطِنْـتَ لَـهُ ... فَٱرْبأْ بنَفْسِكَ أَن ترعىٰ مَعَ ٱلْهَمَلِ

وهـٰذا الأَمر الَّذي هُيِّيءَ له ، هل تعرفون ما هو ؟ ذكره لنا المولىٰ سبحانه وتعالىٰ في أَبهىٰ مظاهر الذِّكر ، وفي أَحلاها وفي أَكبرها ، وفي أَقدسها وفي أَقومها ، وفي أَفضلها وفي أَشرفها ،

وفي أَنبلها وفي أَعلاها ، وفي أَميزها وفي أَقدرها كرامة ، قال : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ .

هـٰذه الخلافة ، هل وقفت عند آدم ؟ بل تسلسلت . ثمّ جاءت آيات الخلافة وذكر الخلافة لداوودَ وللأَنبياء ، ولسائر أهل لا إلـٰهَ إِلاَّ ٱللهُ عموماً ، مِنْ سابق الزَّمن إِلىٰ هـٰذا اليوم .

كلُّ مَنْ أَراد أَنْ يتربَّع كرسي هـٰذه الخلافة . . فهو في مقدوره ، وفي مستوىٰ جسمه ، وفي مؤثرة عقله ومميِّزاته ، ما هي بعيدة عنه قَطّ أَبداً .

إِذا أَراد الإِنسان أَن يتربَّع هـٰذه الخلافة ، قالوا : مبناها علىٰ أَمرين :

الأَمر الأَوَّلُ : هو ما تعبَّدَنا المولىٰ به ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ليتصل المخلوق بخالقه الَّذي شرَّفه وكرَّمه .

مَنْ أَعطانا التَّشريف هـٰذا ؟ هو الخالق سبحانه وتعالىٰ ، فالمخلوق إِذا وصل إِلىٰ الخالق بهـٰذه العبادة وعرفه حقَّ المعرفة ، قالوا : كان للاتِّصال أَثر ، وذلكَ الأَثر هو التَّصريف المعنوي لا التَّصريف الحسي .

أَمّا التَّصريف الحسي في المِلْكيّات ، قالوا : في أَنْ يملكَ مِنَ البهائِم ما يقدر عليه ، ومِنَ الدُّور ما يقدر عليه ، ومِنَ المال ما يقدر عليه ، ومِنْ ظواهر الحياة ما يقدر عليه . هـٰذا في مقدور مَنْ أَراد ٱللهُ له شيءٌ مِنَ المال ، وليس في مقدور مَنْ لَم يُرِدْ له إِلاَّ القليل .

لـٰكنْ! هـٰذا التَّصريف المعنوي الَّذي يتصرَّف به الأَنبياء ، ثمَّ أُعطيَ لمَنْ يليهم مِنْ صالحي هـٰذه الأُمَّة الَّذين وصفهم ٱلله بالاستقامة ، وأَعطاهم مع هـٰذا التَّصريف ـ قالوا ـ الولاية .

وما معنىٰ الولاية الَّتي يفهمها كثير مِنَ النَّاس ؟ إِذا جاءَ . . قال : فلان ولي مِنَ الأَولياء .

ما هي بهـٰذا اللَّفظ فقط! الولاية هي :

أَنْ يتولَّىٰ ٱللهُ سبحانه وتعالىٰ عبدَه فيصيِّرهُ تحت ظِلاله ، دوّار أَمانته وطمأْنينته ، فلا يخاف بؤسْ ولا هضمْ ، ولا مشقَّة ، ولا عناء ولا تعبْ ، ولا شيءْ مِنْ هـٰذا كلِّه . هـٰذه الولاية .

حكىٰ ٱلله سبحانه وتعالىٰ لنا في كثير مِنَ الآيات ، قال : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ يعني من تولّاه ٱلله .

وقالَ : ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ .

وقال : ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ . .﴾ إلىٰ آخرِ الآيات .

وقال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ﴾ قال المفسِّرون في الدُّنيا : ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ .

وبعدُ قال لهم :

﴿نحن أولياؤكم﴾ مَنْ هـٰذا يقول لهم هـٰذا؟ يقول لهم مَلِكٌ مِنَ الملوكِ ؟ أَو وزير مِنَ الوزراءِ ؟ أَو ظاهر في مظهر مِنَ

المظاهِر ؟ يقول لهم ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾ مَنْ هـٰذا الَّذي يقول ؟ مَنْ هـٰذا المتكلِّم ؟

هل هـٰذا ضعيف ؟

هل هـٰذا مَهين ؟

هل هـٰذا ما يقدر علىٰ الولاية ، أَو ما يقدر علىٰ نفوذها ؟

هـٰذا المولىٰ الَّذي أَعطىٰ وقدَّر ، وهدىٰ ومنع ، وخلقَ وأَولىٰ ، يقول : ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ ثم قال : ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ ثمَّ قال : ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ .

قال الإِمام الغزاليُّ ـ رحمه ٱلله ـ : إنَّ آخِر هـٰذه الآية أَعظمُ ممّا قَبْلَها ؛ لأَنَّ هـٰذا هو الَّذي يُهيِّيءُ النُّزل .

ذا الحين لو جاءَ واحد وصافحنا وقال : تفضَّل ، أَو : غُدوة تعال للغداءِ إِلىٰ عندي . . رأىٰ الإِنسان أَنَّه قدَّره ، سبب العزام هـٰذا تقدير ، وأَنَّه له مكانة عنده ، أَو أَنَّه بشَّ له ووقف له وجاءَ إِلىٰ عنده .

وهـٰذه المكانة فين ؟ ومِنْ أَين هـٰذه المكانة ؟

ومَنْ أَعطىٰ هـٰذه المكانة ، يُهَيِّيءُ النُّزُل ثمَّ يدعونا له ؟ هـٰذا المولىٰ سبحانه وتعالىٰ : ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ .

فليعرف الإِنسان أَنَّ الولاية ليست عائدة إِلىٰ العامَّة منَ المصلّين ، وغير المصلِّين ، هـٰؤلاءِ فروع أَهل الولاية .

أَمّا الولاية الَّذين يتولاّهم ٱلله سبحانه وتعالىٰ فيجعلهم هم الولاة، وهٰؤلاء الَّذين يقبل ٱلله دعاءَهم وهٰؤلاء هم الَّذين يستجيب ٱلله لهم ، وهٰؤلاء هم الَّذين يُطِلعهم ، وهٰؤلاء هم الَّذين يَكشف لهم .

قال عمِّي حامد بن عَلْوي البارّ ـ رحمه ٱلله[1] ـ : شفوا أَنتم خَبَر الأَولياء هٰؤلاء .

قال : جاءَ عندنا الحبيب أَحمد بن محسن الهدَّار[2] ـ هٰؤلاء الجماعة عرفوه ـ إلىٰ (دوعن) وأَنا ما أَعرف الحبيب ؛ ـ لأَنَّني ما ٱتَّصلت به . وأَنا كنتُ علىٰ سفر ، وقمت به وأَخذت بخاطره ، و . . .

قال لي : وراكَ . أَي : هل باتسافر يا حامد ؟

قلت له : نعم باسافر .

قال لي : وأَنا الآَ في طريقي إلىٰ (المكلاّ) .

فقلت له : مرَّة يا عمّ أَحمد . أَي : مع بعض .

قال : طلعنا في شدَّة البرْد ـ شفوا أَنتم كيف حال هٰؤلاء أَهل الولاية ـ قال : طلعنا ومعي العويلة ـ عمِّي حامد يسمّي الأَولاد بهٰذا الاسم ، يقول : معي العويلة . والعويلة هٰؤلاءِ هم علىٰ وجه الأَرض أَولاده : عمر بن مُحَمَّد ، وصالح بن عبد ٱلله . وأَولاده بايكون يمكن مصطفىٰ ، ويمكن عَلْويّ ، ويمكن هٰؤلاء .

---

(١) وفاته بجدة أواخر الحجة (١٣٨٠ هـ) .

(٢) وفاته بالمكلا ذي القعدة (١٣٥٧ هـ) .

قال : طلعنا وٱشتدَّت ضربة البرْد ونحن في رأس الجبال . والحبيب الهدار جسمه نحيف ، وكان عمِّي حامد عنده ولاية زايدة .

قال : كَرْفَتْ السلاميد حقّ العويلة وغطَّىٰ بهنَّ الحبيب .

قال عمر بن مُحَمَّد : هـٰذا هو موجود علىٰ وجه البسيطة .

قال : أَبوي حامد ذا الحين تركنا في الخافق الرّافق . وغطَّىٰ بسلاميدنا ٱلسَّيِّد . إنْ كان هـٰذا ٱلسَّيِّد معه دعوة صالحة وعنده ولاية يرفع البرْد علينا[١] ، أَمّا يخلِّي نحنا ـ أَي يتركنا للبرْد ـ ما هوَ سَواء . وكلامُ عمِّي عمر بن مُحَمَّد في محلِّه .

وقال : إنَّ الحبيب هـٰذا يطالع كلام عمر بن مُحَمَّد ، البَلِيَّة ذا .

قال : فٱستدعىٰ عمِّي حامد ، وقال : حامد ، حامد! قلت له : لبيَّكَ .

قال لي : تعال وشلَّ السّلاميد .

قال : فأَخذت السّلاميد .

قال: أَخذ يشلِّهن حتَّىٰ وصل إلىٰ الثّالث ، ولمّا وصل إلىٰ الثّالث. . قال له: بس ، هـٰذا السّليمود ميِّلُه ـ وكان عمِّي حامد يسبق إليه الفهم ـ قال : قلت : ذا فيه شبهة ـ الحبيب ذا صاحب كشف! فأَخذت السّليمود[٢] ، وقلت : حق مَنْ هـٰذا السليمود يا عويلة ؟

قال عمر بن مُحَمَّد : حقِّي هـٰذا .

---

(١) يتكلم سيدي بهذا الكلام . . والإبتسامة تعلو وجهه وأحياناً يرفع بها صوته .

(٢) السليمود : البطانية ، غطاء من البرد .

قال عمِّي حامد : مِنْ أَين جبت السّليمود ؟
قال عمر : لا تقول مِنْ أَين جبت السّليمود ، السّليمود اْشتريتُه بفلوسي أَنا . إِلاَّ أَنَّني قلت في خاطري :
إِنَّ ٱلسَّيِّد هـٰذا معه شيء بينه وبين ربِّه يدعي أَنَّ ٱلله يرفع البرْد . قال : فإِذا الحبيب يطرِّب علىٰ عمِّي حامد ، قال له : حامد!
قال له : لبَّيكَ .
قال له : أَحسن بانرفع البرْد ، وخلِّ السَّقل يتغطّون بسلاميدهم ، باندعي ٱلله .
قال : ورفع يديه ، فإِذا البرد يرتفع في لمحة بصر .
هـٰؤلاءِ الَّذين يتولاَّهم ٱلله ، ولأَجْل تعرفون أَنتم أَنَّ الولاية وأَنَّ كثير ما يدركها فينكر الكرامات أَوْ لا تكون له ببال ، أَو لا يقبلها عقله ، إِذا جاءَ . . قال ما دخلَت في عقلي! ما معه عقل حتَّىٰ يدخلها في عقله .
إِذا جاءَ . . قال : ما تدخل في العقل! وأَين هو العقل ؟
واحد ما هو داري العقل قَدَيْن[1] ، ما يعرف شيء عن مروءَة ، ولا عن كرامة ، ولا عن شرف ، ولا عن شيء مِنَ المظاهر هـٰذه .
إِذا جاءَ قال : ما تدخل في العقل! ما حَدِ العقل هو ، لـٰكنَّها هـٰذه مقاييس الولاية الَّتي أَشاد ٱلله بها في كتابه .

---

(١) قدين : أي أين .

قال عمِّي حامد : وصلْنا (المكلاَّ) وكلُّ واحد شال . . . سليموده ، وبمجرَّد دخولنا السَّدَّة حقّ (المكلاَّ) رجع البرْد علىٰ ما كان .

هـٰذا مقياس للولاية ، وكثير مِنْ مثلها ، وهـٰذه إلاَّ صورة لأَجْل تعرفون أَنَّ الولاية لها تأْثير في العالَم الخارجي .

وأَمَّا ولاية أَمر الدُّنيا ـ كما ذكرنا لَكم ـ مسأَلة تصرُّف ، وما أَدراك ما التَّصرُّف . لـٰكنْ بالمعنى الثّاني : الولاية الأُخرىٰ الباطنية هـٰذه هي : التَّصرُّف في عالَم الملكوت وفي عالَم الملك ، بإِذن ٱلله .

وهـٰذه الولاية أَشار إِليها الحديث ، والحديث ربّاني حكاه لنا النَّبيُّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، فقال عليه الصَّلاةُ والسَّلام فيما يحكيه عن ربِّه : « **مَن عادىٰ لي وليّاً . . فقد آذنته بالحرب . ولا يزال عبدي يتقرَّب إِليَّ بالنَّوافل حتَّىٰ أُحبَّه ، فإِذا أَحببتُه . . كنتُ سمعَهُ الَّذي يسمعُ به ، وبصرَهُ الَّذي يبصرُ به ، ويدَهُ الَّتي يبطشُ بها ، ورجلَهُ الَّتي يمشي عليها . وإِن سأَلني . . أَعطيته ، وإِن استعاذني أَعذته** » يكفيكم دليل علىٰ أَنَّ المولىٰ سبحانه وتعالىٰ يجعل إِرادة العبد الصّالح تأْتي وفق مراد ٱلله ، فيمشي ذلكَ التَّصرُّف بإِذن ٱلله .

وربَّما طال الكلام عليكم ! ٱلله يجعلنا وإِيّاكم مِنْ صالحي عباده .

ثمَّ وجَّه الخطاب علىٰ سبيل البسط والمرح : إِنْ بغيتوا مساوىٰ ينشد ، وإِنْ بغيتوا خرد ، شوفوهم هـٰؤلاءِ موجودين . مساوىٰ أَتىٰ بقصيدة ذا الحين ، وقال : عاده بايجيب قصيدة . وكلٌّ واحد يأْتي بقصيدة منكم أي : مساوىٰ وخرد .

يصبرون عليكم ونحن بانتذوَّق :

سبِّر يا مساوىٰ ، شف خرد شال الشَّطَّة عليكَ . أَي : ناظر إِليكَ .

ويتكلَّم ـ حفظه ٱلله ـ والابتسامة علىٰ وجهه .

وأَجابه العمّ سالم خرد ـ رحمه ٱلله ـ يقول له : هـٰذا منافس خطير .

وتخلَّل المجلس شيء مِنَ البسط والانشراح .

وقال سيِّدي : طال الحديث عليكم قليل ، ولـٰكن! بايرفّهون عليكم الأَخوان هـٰؤلاء .

ثمَّ أَنشد العمّ مُحَمَّد مساوىٰ :

كَمْ بَعَثْنَا مَعَ ٱلنَّسِيْمِ سَلاَمَا   لِلْحَبِيْبِ الْجَمِيْلِ حَيْثُ أَقَامَا

وخُتم المجلس بالفاتحة .

* * *

الحبيب علي الحبشي ومولده الكبير
وغزوة الأحزاب وبني قريظة

وتكلَّم سيِّدي ـ حفظه ٱلله ـ في الاحتفال بقراءة قصَّة المولد النَّبويّ بمنزل الأخ طـٰه بن مُحَمَّد بن طـٰه مساءَ الجمعة (٢) ربيع الأوَّل عام (١٣٩٥هـ) بعد الجلوس مِنَ المقام ، وبعد أنْ أُنشدت قصيدة الحبيب عليِّ الحبشيِّ :

لَكُم بُشرَىٰ الإجابةِ وٱلقبولِ مِنَ ٱلمولىٰ بواسطةِ ٱلرَّسولِ

قالَ ـ رضيَ ٱلله عنه ونفعنا به وبما قال ، آمين ـ :

سمعتُم هـٰذه القصيدة للحبيب علي الحبشي .

وهـٰذه القصيدة وما سمعتوه مِنَ الشَّمائِل النَّبويَّة تعطيكم صورة على حال المتقدِّمين وعن سِيَر المتقدِّمين .

فالمتقدِّمون ممَّن كان قبلَكم كان يراعي الواحد منهم في حالِه أَنَّه يكون قدوةً ، وأَنَّه تكون له وفرة علىٰ النّاس في عمارة المسجد ، وفي عمارة النّاس ، وفي عمارة الوقت ، وفي تربية الأَولاد ، وفي حِفظ السِّيرة ، حتَّىٰ بَلَغوا ، فنحن ننسب أَنفسنا اليوم عالة عليهم ، علىٰ أَنَّنا ما عملنا شيء ، عاد العالة يعمل شيء ؟

فإذا جئْنا ذا الحين نحن للحبيب علي حبشيّ هـٰذا ومَنْ قبلَه كانوا علىٰ سَنن . . وجدناه قام بتربية أَولاد النّاس فضلاً عن أَولاده ، بنَىٰ له رباط ، وجعل النّاس يفِدون إلىٰ الرِّباط مِنْ كلِّ مكان .

والقصد مِنْ هٰذا : أَنْ تكون له أَثْرة في النّيابة عن النَّبي صلىٰ ٱللهُ عليه وآله وسلَّم ، وهمَّة عالية تناسب نسبته إلىٰ النَّبي صلىٰ ٱللهُ عليه وآله وسلَّم ، وتناسب نسبته إلىٰ الدِّين الإسلامي . فكان له ممّا سمعتوه أَوّلاً مسأَلة العِلْم ، وبثّ ونَشْر العِلْم ، وٱمْتِلاء الأَودية بالعِلْم بواسطة هٰذا ٱلسَّيِّد . وكان من قبله كثير .

ثمَّ هٰذه القصَّة الَّتي قرأْتوها ذا الحين أَملاها علىٰ خواص تلاميذه في مجالسه الخاصَّة ، وصيَّرها قصَّة لمولد الحبيب صلىٰ ٱللهُ عليه وآله وسلَّم . أَملاها في ثلاثة مجالس .

ثمَّ ما سمعتوه كذلك مِنَ القصيدة هٰذه أَعطتكم صورة علىٰ أَنَّه كان يَعقد ٱحتفالْ سنوي قبل ٱلاحتفال الأُسبوعي هٰذا ويدعو النّاس فيه ، يُرسل كتب كثيرة إلىٰ الأَودية كلِّها ، ويأْتون النّاس إليه مِنْ شتَّىٰ البلاد ، قالوا : حتَّىٰ كانوا مِنْ (عدن) علىٰ بُعد الشقَّة ـ ما هو مع وجود السيارات اليوم والطائِرات ـ يأْتون مِنْ (عدن) علىٰ سفن وسواعي إلىٰ (المكلاَّ) أَو إلىٰ (ٱلشِّحْرِ) ثمَّ مِنَ (ٱلشِّحْرِ) يخرجون علىٰ جِمال .

ويقولون : إِنَّهم ٱجتمعوا في حفلة المولد النَّبوي ثلاثون أَلف . والثّلاثون الأَلف في ذلكَ الوقت وفي ذلكَ الوادي ، وادي (حَضْرَمَوْت) صَعْب وجودهم ، وصَعْب ٱجتماعهم ، وصَعْب الإنفاق عليهم .

كان يتولَّىٰ قضيَّة الإنفاق عليهم ويرسلهم إلىٰ البيوت أَكثرهم

وبيته ملآن ، ورباطه ملآن ، ومسجده ملآن ، وديار أصحابه ملآنة ، والدّيار الأُخرىٰ يرسل إليها ، إنَّهم مِنَ الأَغنياءِ حَسَب ما يصل إليهم .

هٰذا يعطيكم صورة علىٰ أَنَّ الحبيب هٰذا أَراد أَنْ يكون نائباً عن النَّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، وكانت همَّته عالية . وهٰذا ما يخصُّ السّابقين ، يخصُّ نحن كلّنا .

فإذا نظرنا مثلاً إلىٰ عمله هٰذا ، وإذا نظرنا إلىٰ عمل مَنْ قبلَه مِنْ شيوخه ، وإذا نظرنا إلىٰ عمل مَنْ بعدَه ممَّنْ أَدركناهم نحن مِنَ الشُّيوخ . . وجدناهم كلّهم مشوا علىٰ سُنَّة حسنة ، وسَنُّوها لنا . لٰكنْ! نحن إذا جئْنا نحن ، وقال الواحد : أَنا ماذا عملت ؟ هل قرأْت القصَّة هٰذه ، ودعوت لها النّاس تكرمة للنَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، أَوْ لا ؟ هل تأَثَّرت بشيء مِنَ القصَّة هٰذه وخبرها ، وسيرته صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، وولادته ومعاملته للنّاس فيما سمعتوه ؟

قصَّة مختصَرة جابوها لكم ، ولٰكنَّها مع إيجازها ملآنة بسيرة الحبيب صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، ثمَّ هي ملآنة بالثَّناء عليه صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، وملآنة بكريم الأَخبار مِنْ أَحواله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

فإذا قاس الإنسان نفْسه بمَنْ قبلَه . . وجد نفْسه صفر ، ويرضىٰ الواحد أَنْ يكون صفر ؟ يرضىٰ الواحد أَنْ يكون صفر ، أَوْ لا ؟ فإذا لَم يرض أَنْ يكون صفر . . فعليه أَنْ يُشمِّر وإذا بقي

علىٰ هـٰذه الحالة ، يريد أَن لا يُذْكَر ، يمشي بين النّاس في الأَحياء وهو ميت :

علىٰ نَفْسهِ فَلْيَبْكِ مَنْ ضاعَ عُمرهُ وليسَ لَهُ مِنها نصيبٌ ولا سَهْمُ

لأَنَّه بإِمكان كلِّ واحد أَنْ يُدرِكَ ، ما هو بعيد هـٰذا .

هـٰذه مائِدة بسطَها ٱلله ـ بواسطة الرَّسول لجميع أَهل لا إِلـٰهَ إِلاَّ ٱلله ، والنّاس فيها متفاوتون ، متفاوتون في الجلوس عليها ، ومتفاوتون في الأَخذ منها ، ومتفاوتون في القرب فيها ، ومتفاوتون في الخدمة ، ومتفاوتون كذلكَ في القِسمة حولها .

وكلُّ واحد ينبغي له أَنْ يأْخذ له درس مِنْ أَحوال السّابقين ؛ ليقتدي بهم .

فأَنا فكَّرت في أَكثر النّاس اليوم! أَمّا الخَيْر في هـٰذه الأُمَّة . . فلا شكَّ أَنَّه موجود ، والنّاس لا يزالون مَنْ فيهم مِنْ سِمة الخير ، وسمة الخير هـٰذه هي قوله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم : « **كُلُّ مَوْلُوْدٍ يُوْلَدُ عَلَىٰ ٱلْفِطْرَةِ** » .

فالفِطرة ـ قالوا ـ : هي محبَّة الخير .

النَّشأَة الغريزيَّة في الإِنسان والَّتي كُرِّم بها الإِنسان هي هـٰذه .

إِنَّما الإِنسان إِذا بَعُد عن الخير . . تنسَّىٰ الخير ، وأَصبح لا يدري عن الخير شيءْ .

وإِذا قَرُب مِنَ الخير ـ قالوا ـ أَخذ الخير يَعْلَق نوره في قلْبه ، حتَّىٰ ينتشر السِّراج في القلب ويمتلي القلب ، وإِذا ٱمتلأَ القلب

بالنّور . . كان تفكيره دائِماً في عمل الخير ، يفكّر مثلاً في أنْ يعمر مسجد ، أَو يفكِّر مثلاً في أَنْ يجمع إِخوانه ، أَو يفكّر مثلا في أَنْ يُعلِّم ، أَو يفكِّر مثلاً في أَنْ يتصدَّق ، أَو يفكّر أَيضاً في أنْ تكون له مِيزة أَو سِمة يظهر بها في الكون ، ويَظهر بها في النّاس .

أَنا ـ شُفُونا ـ قلت لكثير مِنَ الإِخوان : مِنْ منذ أُسبوع جاءَتني ٱمرأَة مِنَ السّادة العَلَوِيّينَ ، وأَنا في (مكّة) وجاءَت إِليَّ هـٰذه المرأَة وقالت : إِنِّي حِرت في نَفْسي ، طلع بي رجل مِنْ (وادي دوعن) والرَّجل تركني وأَهلي وسار . ولعاد تدري : هو خرج إِلىٰ الوادي أَو رجع ؟ المقصود أَنَّه أَلقاها هنا وخلاص :

أَلْقَاهُ فِي ٱلْيَمِّ مَكْتُوْفاً وَقَالَ لَهُ : إِيَّـاكَ إِيَّـاكَ أَنْ تَبْتَـلَّ بِـٱلْمَـاءِ

وقالت : ذا الحين أَنِيْ شُفُوني منتظرة أَنَّكم تقومون تساعدوني وتسعفوني .

فكَّرت أَنا وأَلقيت نظرة في البلد هـٰذه قبل أَنْ أُلقي نظرة في إِخواننا ، أَلقيت نظرة في البلد ، هـٰذه ملآنة مِنَ الأَثرياءِ ، ولـٰكنَّها ملآنة مِنَ النّاس الَّذين لا يُسمَّون أَثرياءَ ؛ لأَنَّ الثَّري هـٰذا هو الَّذي قالوا : تنال ثروتُهُ غيرَه .

أَكثر النَّاس هنا ما هم معروفين ، ٱللَّهُمَّ إِلاَّ أَفراد .

أَنا أَكتب لسراج كعكي : كلُّ مَنْ جاءَ وقال لي : بغيت كتاب . . قلنا له : حاضر الكتاب ، لأَنَّ النبيَّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم قال : « **اِشْفَعُوْا تُؤْجَرُوْا ، وَيَقْضِي ٱللهُ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُوْلِهِ مَا شَاءَ** » .

وهٰذا الرَّجل ذا يعطي بين كثير وقليل ، وقد لا يدري ؟ يعطي مثلاً مَنْ يستحقّ الألف يعطيه مئَة ، ومَنْ يستحقّ المئَة يعطيه خمس مئَة ، والسَّبب : أَنَّه هو ما يدري ، يعطي علىٰ قدر نَظَره .

ثمَّ فكَّرت في الثروة الموجودة عند كثير مِنَ النّاس ، فوجدت أَنَّ النّاس كلّهم هٰؤلاء مفكّكون ، فكّكَتْهم الدُّنيا ولَم تجمعهم ، وشأْنُ الدُّنيا تفرّق ولا تَجمع ، قالوا وشان الإِنسان الاقتصاد في الأُمور الوسط ، يجمع ولا يفرّق ، وهٰذا هو مصداق قوله عليه الصَّلاةُ والسّلام .

جاءَ إِلىٰ النَّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ٱثنان بعد ما رجع مِنْ غزوة أُحد ـ خذوا لكم عادكم عبرة أَكبر ؛ ليعتبر الإِنسان أَنَّه ليس مِنَ الخير في شيء قَطّ ـ رجع النَّبي مِنْ غزوة الأَحزاب ، الغزوة الَّتي ٱنتصر المسلمون فيها ، والغزوة الَّتي ٱنتصر الإِسلام فيها ، وهي غزوة الخندق ، لأَنَّهم حفروا الخندق بأَمر رسول ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

فلمّا ٱنتصر المسلمون في الأَحزاب ورجع النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم وٱنهزم المشركون ورَجعوا مِنْ حيث جاءُوا ، ودخل النَّبي إِلىٰ مُغتسَلهِ وأَلقىٰ مغفره ، وأَلقىٰ ثيابه ليغتسل . . فجاءَه جبريل وقال له : يا مُحَمَّد .

قال له : « **لَبَّيْك** » .

قال له : نزعتوا اللامة ؟ يعني الحرب .

قال له : « نَعَمْ » .

قال له : لٰكنْ نحن ما نزعناها .

جبريل يقول للحبيب : ٱخرجوا إلىٰ بني قريظة .

قال أَهل السِّيَر : إنَّ النَّبي عليه الصَّلاةُ والسّلام لبس لامته وخرج ولَم يغتسل ، ونادىٰ في أَصحابه : أَنْ لا يصلِّي العصرَ أَحدٌ إلاَّ في بني قريظة . فخرج أَكثرهم ، وٱختلف أَصحابه .

فقال بعضهم : إنَّه أَراد منَّا أَنْ نكون في وقت العصر هناكَ ، ولا صلاة إلاَّ هناكَ .

وقال بعضهم : إنَّ المقصود طلبَ منَّا المبادرة حتَّىٰ نحضر هناكَ .

فكثير منهم فاتتهم صلاة العصر ؛ لأَنَّهم في الطَّريق حتَّىٰ دخل عليهم وقت اللَّيل . وكثير منهم صلّوا العصر وخرجوا ، بقي ٱثنان : واحد ٱسمه عَقِيل ، وواحد ٱسمه عُقَيْلْ ، أَخوان .

تأَخَّروا هٰؤلاء ، وجاءُوا إلىٰ النَّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم بعد العِشاء الآخرة ، قابلَهم النَّبيُّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم بوجه يظهر منه الغضب ، وقال : « **مَا أَخَّرَكُمَا عَنَّا ؟** » قال له هٰذا عقيل :- يا رسول ٱلله - أَخي رجله ولَم نقدر أَنْ نتأَخَّر عن الحضور . وطلبُكَ لَنا الخروجَ إلىٰ بني قريظة ، فقلت : أَحمله عُقبة وأَدعه يمشي عقبة أُخرى ، حتَّىٰ وصلنا إليكم .

قال له النَّبيُّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم : « **لَئِنْ طَالَتْ بِكُمَا**

حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ » . قالوا له : وماذا نرىٰ يا رسولَ ٱللهِ ؟

قال : « تَرَيَنَ ٱلأَمْوَالَ يُغْدَىٰ عَلَىٰ أَحَدِكُم بِجَفْنَةٍ وَيُرَاحُ عَلَيْهِ بِأُخْرَىٰ » .

قالوا له : نحن اليوم بخير يا رسول ٱلله أَم ذاكَ ٱليوم .

قال : « أَنْتُمُ ٱلْيَوْمَ خَيْرٌ ، أَنْتُمُ ٱلْيَوْمَ مُتَحَابُّوْنَ ، وَأَنْتُمْ إِذْ ذَاكَ مُتَبَاغِضُوْنَ يَضْرِبُ بَعْضُكُم رِقَابَ بَعْض » .

هـٰذا إلاَّ مِنْ جفان تغدو وتروح عليهم ، مِنْ مال متوسِّط ، فالمال هـٰذا يُفرِّق ولا يَجمع . ثمَّ مِنْ شأنه أَنْ يضع الحسيكة فيما بين القلوب ، كلُّ واحد بغىٰ أَكثر مِنَ الثّاني ، وكلُّ واحد بغىٰ أَظهر مِنَ الثّاني ، وكلُّ واحد بغىٰ ثروة أَكثر ، ومظهر أَكبر ، وكلام أَكثر ، وصار النّاس تَبَعاً لحظوظ مَهِينة . وهـٰذا شأْن المال ، وجدتهم أنا .

ما أَكثر الثَّروة في هـٰذه البلدة ، ولـٰكنَّها ثروة ما تَجمع ، ثروة تُفرِّق ، ثمَّ هي ثروة لا ينتفع بها ، والسَّبب في ذلكَ : أَنَّهم لو ٱجتمعوا أَو حضروا . . لَنفعوا ، وٱتَّصلت بهم مثل هـٰذه المرأَة . وكثير مِنَ الفقراءِ الَّذين يتسكَّعون في الطُّرقات ، والَّذين طلعوا مِنْ بلادهم عارين جائِعين فارِّين ، محتاجين إِلىٰ مَنْ يرحمهم ، فلَم يجدوا مأْوىٰ ، ولَم يجدوا مَن يرحم ، ولَم يجدوا مَنْ يدلّ ، ولَم يجدوا مَنْ يأْخذ ، ولَم يجدوا مَنْ يعين ، ولَم يجدوا مَنْ يَكسِي ، ولَم يجدوا مَنْ يُطعِم . . ذاكَ أَنَّ الدُّنيا أَخذت بهم إِلىٰ الطَّريق ، أَبعدتهم عن طريق النُّبوَّة وطريق الدَّعوة المحمَّديَّة .

فرجعتُ إليكم ، وقلت : هٰؤلاء كذلك يعرفون كثيرٌ ، ومَنْ لنا أَنْ يجمعهم ؟

وكلٌّ واحد ـ مثلاً ـ يضع في صندوق ريال ، أو خمسة ريال ، أَو عشرة أَو عشرين ريال ، علىٰ مقتضىٰ هِمَّته وحاله ، ينتفع بها الغريب وتنتفع بها المرأَة ، وينتفع بها المحتاج ، وينتفع بها الرَّحِم في بلادكم هناك ؛ فإِنَّكم ربَّما تصرفون كثيرٌ ، يصرف الكثير منكم دخلَهُ كلَّه ولا يفكِّر في رحم ، ويصرف الكثير ثلاثة أَرباع دخله ولا يفكِّر في مريض ولا مَنْ له عليه حقّ .

والحقوق هٰذه ما تحتاج أَنْ يكون الواحد يعرف عنها ، هٰذه مذكورة في القرآن ، قالوا : موجودة في الغريزة الطَّبيعيَّة ، لٰكنْ! ما شَغَلَ الغريزة عن هٰذا ؟ شغل الغريزة عن هٰذا أَنَّ النّاس في غفلة : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ هٰذا الَّذي شغل النّاس ولَم يُدركوا .

ذا الحين هيا شفوا هٰؤلاءِ أَهل العِلْم :

ذكرتُ لكم الحبيب عليّ الحبشي ، هٰذا ، لمّا كان قلبه وهمُّه مجموع علىٰ مثل أُمور الدَّعوة وأُمور الخير . فكَّر في المولد ، فكَّر في المسجد ، فكَّر في التَّعليم ، فكَّر في المواساة ، فكَّر في مثل هٰذه الأَشياءِ وهو بَشَر ، في إِمكان الواحد أَنْ يعمل مثله .

ثمَّ إنَّه يأْخذ منْ أَين ؟ يأْخذ مِنْ خِزانة الباري ، وخِزانة الباري مفتوحة لمَنْ أَقبل إِليها .

كثيرٌ ما أَذكر لكم حديث الواقدي ، هٰذا الواقدي كتب للمأْمون يتقاضاه دَين ، فكتب له المأمون :

أَمّا بعدُ : فإنّكَ ٱمرؤٌ فيكَ حياء ، ويمنعُكَ أَنْ تطلبَ حقَّكَ منّا ، ولولا حديثٌ سمعته منكَ بسندكَ إلىٰ رسول ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم . . ما أَعطيتك شيءْ فقد حدَّثتنا عن فلان ، عن فلان ، عن فلان ، عن فلان ، قال : عن رسول ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم قال : « **إنَّ مفاتيحَ رِزقي في خزانة تحت العرش فمن وَسَّع وُسِّع له ومن ضَيَّق ضُيِّق عليه** » .

قال : ثمَّ أَرسل له مئةَ أَلف ليقضي بها دَينه .

قال الواقدي : فما عرفت ، أَأَنا فرحت بالمئَة الأَلف أَكثر ، أَو فرحت بالحديث الَّذي أَذكَرَنيه ورواه لي أَنّي أَنا الَّذي علّمته إياه ورويته عليه ؟

والنّاس لا يزال فيهم الخير موجود ، وإنّما ينبغي لكم - يا إخواني - أَنْ تعرفوا أَنَّ عليكم حقوقْ لأَنفسكم أَوّلاً ؛ حتّىٰ تكون النَّفْس منتبهة ، حتّىٰ تكون النَّفْس ذاتَ قدر ، حتّىٰ تكون النَّفْس ذاتَ شأْن .

وتلكَ الحقوق ذكرها لكم الشّارع :

علىٰ الإنسان أَلاَّ يصلِّي إلاَّ في جماعة .

وعلىٰ الإنسان أَنْ يحفظ فَرْجَهُ .

علىٰ الإنسان أَنْ يحفظ بطنه .

علىٰ الإِنسان أنْ يحفظ يده .

علىٰ الإِنسان أَنْ يحفظ عينه .

علىٰ الإِنسان أَنْ يقوم بواجبه نحو عمله .

على الإِنسان أَنْ يقوم بواجبه نحو ولده .

علىٰ الإِنسان أَنْ يقوم بواجبه نحو أَقاربه .

علىٰ الإِنسان أَنْ يقوم بواجبه نحو جاره .

علىٰ الإِنسان أَنْ يقوم بواجبه نحو مَنْ يجب عليه أَنْ يقوم بواجبه ، مِنْ جارٍ وقريبٍ ورحمٍ ، وأَمثال هـٰؤلاء .

هل قام الواحد منكم بشيء ؟ يمكن مَنْ عنده والد أَو والدة أَو زوجة أَو أَخ أَو أُخت يقوم بهم ، لـٰكنْ لا يكفي هـٰذا .

هـٰذا الإِمام أَبو حنيفة ـ عليه الرَّحمة ـ قالوا : إِذا بنىٰ منزل ، أَو عمل شيء لولده أَو لبنته أَو لزوجه ـ قالوا ـ تصدَّق بمثله ؛ لأَنَّه يرىٰ أَنَّ هـٰذا في السَّبيلِ الَّتي لا يُكتب له عند ٱلله بها ثواب كل ما كان لنَفْسه ، كما قال النَّبيُّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم لمّا دخل علىٰ ٱلسَّيِّدة عائِشة وقد ذَبحت شاةً وتصدَّقت بأَكثرها فلَم يبقىٰ منها إِلاَّ الكتف ، فقال لها : « **هَلْ بقي معكم مِنَ ٱلشَّاةِ شَيء** » .

قالت له : ذهبتِ الشّاة إِلاَّ الكتف .

فقال النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم : « **بَقِيَتِ ٱلشَّاةُ إِلاَّ ٱلْكَتِف** » . هـٰذا لي باناكله نحن ، هـٰذا لي بايذهب .

وكان السّابقون علىٰ ترتيب وعلىٰ ٱقتصاد ؛ لأَنَّ الإِنسان لابدَّ وأَنْ يرتابه مرض ، لابدَّ وأَنْ تنْتَابَه حاجة ، ولابدَّ وأَنْ يحتاج لشيء مضطر ، لابدَّ وأَنْ يصاب بهرم ، لابدَّ وأَنْ يحتاج كذلكَ لأَشياءَ ينبغي أَنْ يُذكر بها ؛ فالإِنسان الَّذي لا يُذكَر بينَ النّاس قالوا هو [و] البهيمة سوىٰ .

هـٰذا أَبوكم إِبراهيم يقول لربِّه : ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ .

قالوا : لسان الصِّدق هي الثَّناء الحسن .

ونحن ـ كما ذكرنا ـ عالة علىٰ المتقدِّمين ، والمتقدِّمون لا تزال دعوتهم والنُّصح الَّتي بنوها لله سبحانه وتعالىٰ ولرسوله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، هـٰذا لا يزال يُتلىٰ .

إِنْ شِي مولد . . وجدنا المولد صنَّفه مَنْ قبلنا ، وإِنْ شِي كتاب مِنْ كتب السِّيرة وإِلاَّ مِنْ كتب التَّراجم . . وجدناه صنَّفه مَنْ قبلَنا .

ما ذا لنا نُذْكَر به ؟

ما هو الرَّصيد الَّذي يقولونه أَهل الزَّمان هـٰذا ؟

ما هو الرَّصيد ، الإِنسان بايخلِّفه بايترك ليومه الثاني أَو لغده ، أَو يُذْكَر به عند النّاس ، أَو بخُلُقه ، أَو لشي مِنْ هـٰذا . هـٰكذا يكون من لا يترك له رصيد ، ولا يكون له قَدر ، ولا يكون له

ذِكر ، ولا تكون له نَبَالَه ، ويمرُّ عليه العمر هٰكذا ، وٱنتهىٰ الكلام .

تسأَله : ما أَخذت في السُّعودية . . عشر سنين ؟ إندرت منها بماذا ؟

كانوا يذكرون لنا عن تاريخ ٱبن خَلْكان : جاء واحد مِنْ هجرة طويلة ، وبعد ما جاء مِنْ هجرة طويلة سأَلَتْه أُمُّه لمّا خرج ، وقالت له : ما خرّجت مِنَ السَّفر ؟

قال لها : جبت رأْسي .

قالت له : لي مدّة وأَنا أُقرْقِرُه في بطني - ويتكلّم حفظه ٱلله وهو يبتسم - كيف جيت برأْسك ؟ بغته يجيء بترتيب .

وذا الحين الإِنسان ما معه شيء قطّ أَبداً ذِكْر يُذْكَر به في مثل هٰذه المفاخر أَو مثل هٰذه المكارم ، يرضىٰ بنفْسه أَنْ يكون علىٰ حسب ما قال الشّاعر :

مَا أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ بَلْ مَا أَقَلَّهُمُوْ	ٱللهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ فَنَدَا
إِنِّي لأَفْتَحُ عَيْنِيْ ثُمَّ أُغْمِضُهَا	عَلَىٰ أُنَاسٍ وَلَٰكِنْ لاَ أَرَىٰ أَحَدَا

ما يُذْكَر قَطّ أَبداً ، هٰكذا يكون .

لا يا إِخواني! ينبغي لكم أَنْ تجعلوا لكم صلة في بلادكم ، والصِّلة هٰذه شفوا الرِّيال له تأْثير ، والرِّيالين لها تأْثير ، والخمسة لها تَأْثير .

والإِنسان قدوة إذا طلب ودعا إِلىٰ صندوق وعَمِله ووجد في

الصُّندوق هـٰذا ، إنَّه أَلف ، وإِنَّه مئة ، وإِنّه أَلفين وإِنَّه مئتين وإِنَّه كثير ، إذا فتأت أَحوال النّاس مِنَ الضُّعفاءِ . . فما هو بقليل ؛ فإنَّ ٱللهَ لا شكَّ أَنَّه يدفع عنه مِنَ المكروه الشَّيءَ الكثير .

قال سيِّدنا علي بن أَبي طالب ـ كرَّم ٱلله وجهه ـ : يا كميل ، مُرْ أَهلكَ بالمكارم ويغدو في سبيل حاجة مَنْ هو نائِم ، فوالَّذي خلقَ الحبَّة ، وبرأَ النَّسمة ، ما مِنْ مخلوق يودع قَلباً سروراً . . إِلاَّ وخلَق ٱلله مِنْ ذلكَ السُّرور لُطفاً ، حتَّىٰ إذا نزلت بالمحسن نازلة ، أَو نابتْهُ نائِبة . . كان ذلكَ السُّرور أَسْرَعَ إِليها في الانحدار حتَّىٰ يطردها كما تُطرَد الغريبة مِنَ الإبل عن الحوض .

ٱلله ٱلله يا إِخواني . ولا أُريد أَن أُطيل عليكم عادنا إِلاَّ وصلت مِنْ (مكَّة) وأَنا مُنْهَك ، ولـٰكنْ! باراجع خرد والشَّاطري باياْذونا أَكثر ، وبايزيدونا إنهاك ، فأَتعبتُ نفْسي بالكلام فوق الإتعاب ، وإِلاَّ معاد عندي ٱستعداد للكلام ، وجِيت ولعاد عندي طاقة ؛ لأَنَّه ـ حفظه ٱلله ـ جاءَ مِن (مكَّة) وقضىٰ يومه في (مكَّة) في مجالس ينشر الدَّعوة ، ويَلهج لسانُه بمثل هـٰذه النَّصائِح .

ثمَّ قال : ولـٰكنْ إِنْ شاءَ ٱلله ، ٱلله يأْخذ باليد ، وينفعنا وينفعكم ـ إِنْ شاءَ ٱلله ـ بهـٰذه الأَيّام وبقصَّة المولد .

وٱعتنوا أَنتم يا إِخواني كلُّكم . شفونا ، ذكرت للأَخوان ، والإِخوان بايتكلّمون محسن بن علوي ومَنْ هو في جَنْبه ، تجعلون لكم صندوقْ ، والصُّندوق هـٰذا إِلاَّ كلُّ مَنْ أَراد أَنْ يضع

فيه شهرياً أَو أَكثر أَو أَقلّ ، لا يخلّي نفْسه مِنْ معروف ، النَصف ريال - شوه - يفيد ، والرِّيال يفيد ، والعشرة تفيد ، والأَكثر والأَقلّ يفيد .

وٱللهُ يسترنا وإِياكم بستره الجميل .

إِلىٰ آخِر ما قال - رضي ٱلله عنه وأَرضاه - وأَمرهم أَنْ يُتمّوا قراءَة المولد .

* * *

الحث على التعاون وتفقد المحتاجين والمسارعة إلى أعمال الخير وقصة علي زين العابدين

> وتكلَّم سيِّدي عبد القادر بن أحمد السَّقّاف ـ حفظه ٱلله ـ بهٰذا الكلام في روحة الجمعة ؛ بمنزل الأخ طـٰه بن مُحَمَّد بن طـٰه بـ(جدَّةَ) بعد القراءة في الفقه ، وذلكَ بتاريخ (٩) ربيع أوّل عام (١٣٩٥هـ) .
>
> وفيها يحثُّنا علىٰ تأسيس عمل صندوق خيري نشترك فيه كلُّنا ، وكلُّ واحد يضع فيه شهريّاً بما تجود به نفْسه .

قال ـ نفعنا ٱلله به وبما قال ـ :

ما أَدري في هـٰذا الزَّمان : هل ذلكَ التَّقدير الموجود عند السّابقين موجود عند المتأَخِّرين ، أَوِ ٱنعكستِ القضيَّة ؟

أَمّا العِلْم ـ قالوا ـ لا يزال مقدَّر ؛ لأنَّه خاصيَّة خليفة النَّبي ، ويحمل بين جنبيه ميراث النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، فهو مقدَّر .

وكان المتقدِّمون مِنْ أَهل السِّيَر يذكرون قصَّة هشام بن عبد الملِك وقصَّة سيِّدنا علي زينِ العابدين ، والقصَّة مشهورة ومعروفة ، والمقياس هل اليوم ـ مثلاً ـ إذا برز العالمُ الصّالح ، وجاءَ ملِك مِنَ الملوك ، هل يلتفت النّاس إلىٰ الملِك ، أَو يلتفت النّاس إلىٰ العالِم ؟ لأَنَّ هـٰذا هشام بنَ عبد الملِك خليفة أَوسع مُلْكاً مِنْ هـٰؤلاءِ الملوك المتأَخِّرين ؛ لأَنَّ هـٰؤلاء كلٌّ واحد حجز له قطعة مِنَ الأَرض فيها كم بلد وٱنتهى الكلام ، أَمَّا هاذاك كما

قال الرَّشيد ، لو مرَّت سحابة في السَّماءِ يقول لها : أَمطري يا سحابة حيث شِئْتِ ، فإنَّما خَراجُكِ لي .

بايجيبون الخَراج إنَّه مِنْ شرق الأَرض وإنَّه مِنْ غربِها إِلىٰ عنده .

وهٰذا هشام قصَّته المشهورة هو أَنَّه : حجَّ في تلك السَّنة ، وأَرادَ أَنْ يُقبِّلَ الحَجر ، فرأَىٰ زحمة علىٰ الحجر لا تُحتمل ، فنُصِبَ له كرسي وجلس حتَّىٰ يخفَّ الزِّحام ، فجاءَ علي زينُ العابدين ، ولمّا أَراد ٱلله إِظهار فضيلةِ العِلْم وأَسرارِ النُّبوَّة . . جاءَ علي زينُ العابدين ، فلمّا رأَىٰ النّاسُ نورَ العِلْم ونور النُّبوَّة . . ٱنفرجوا له عن الحَجَر وتنحَّوا له يميناً وشمالاً ، حتَّىٰ دخلَ إِلىٰ الحَجر وقبَّله وكأَنَّما هو الخليفة .

وكان الخليفةُ جالس ما قدر يصل ، فلمّا رآه أَعرابيٌّ . . قال لهشام بن عبد الملك ـ والأعرابيُّ ربَّما لا يعرف سيِّدنا عليّ زينَ العابدين ، وربَّما أَرادَ أَنْ يسأَل هشام بنَ عبد الملِك ليعرِّفه فضيلة العِلْم ، وفضيلة سيادة أَهل العِلْم وأَهل ميراث النُّبوَّة ـ قال الأعرابي هٰذا لهشام : مَنْ هٰذا الَّذي تنحَّىٰ له النّاس عن الحَجر الأَسود ؟

قال له : لا أَعرفه! وهو يعرفه ، قريشي وقريشي قَريبَي النَّسب .

قال له الفرزدق : لٰكنِّي أَنا أَعرفه . وأَنشد القصيدة المشهورة

الَّتي أَلهمه ٱلله إِيَّاها ، فنثرها كأَنَّما هي كانت محفوظة ومودعة في صدره ، قال له :

هٰذا ٱلَّذي تَعرفُ ٱلبطحاءُ وطأَتَهُ   وٱلْبيتُ يَعرفهُ وٱلحِلُّ وٱلحَرَمُ
هٰذا ٱبنُ خيرِ عبادِ ٱللهِ كلِّهِم   هٰذا ٱلتَّقيُّ النَّقيُّ ٱلطَّاهِرُ ٱلعلَمُ
هٰذا ٱبنُ فاطمةٍ إِنْ كنتَ جاهلَهُ   بجَدِّهِ أَنبياءُ ٱللهِ قد خُتموا
وليسَ قولُكَ: مَنْ هٰذا؟ بضائِرِهِ   ٱلعُرْبُ تَعرفُ مَنْ أَنكرتَ وٱلعجمُ

إِلىٰ آخِرِ القصيدة . ويقول فيها :

فِي يَدهِ خَيزرانٌ ريحُها عَبِقٌ   مِنْ كفِّ أَروَعَ في عِرْنِينِهِ شَمَمُ

إِلىٰ آخِرِ القصيدة المشهورة الطَّويلة .

فحقد هشام علىٰ الفرزدق وسجنه . وكان سيِّدنا علي عنده مقياس العِلْم ومقدار الفضيلة ، رأَىٰ أَنَّ هٰذا يستحقّ عليه مواساتين :

مواساة حيث أَنَّه مدحه بقصيدة .

ومواساة حيث أَنَّه سُجن بسببه . كانت القضيَّة .

قالوا : فأَرسل له شيءْ مِنَ المال ، ولما أَرسل له شيءْ مِنَ المال . . ردَّه الفرزدق ، وقال له أَنا لا أَرضىٰ أَنْ أَقتضي بمدحكم يا أَهل بيت رسول ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم جزاءً ، إِنَّما قُلتُه فيكم تكرمة وتعريف للحقِّ فقط .

فلم يقبل سيِّدنا علي زينُ العابدين إِلاَّ أَنْ يأْخذ الفرزدقُ منه

الجائِزة ، وقال له : نحن أَهل بيت إِذا أَخرجنا شيء لا نستردُّه ولا نردُّه .

هـٰذِهِ القضيَّة تعطي صورة عن أَنَّ الملك في ذلك الزَّمان والخلافة ومظاهرها الدُّنيويَّة ما لها قيمة بالنِّسبة للعِلْم ، وما أدري المقياس عندكم اليوم الحاضر هـٰذا! هل المقياس الكبير للدُّنيا ، أَو المقياس الكبير للعِلْم ؟ علىٰ أَنَّ النّاس يعرفون الفَرْق معاد يحتاج إِلىٰ الفَرْق ؛ لأَنَّ النّاس أَكثرهم ركنوا إِلىٰ الدُّنيا وتركوا العِلْم .

تركوا العِلْم في بيوتهم ، كثير من العِلْم يدركه الإِنسان في بيته بدون معلِّم ، والعِلْم المطلوب لا يُدرَكُ إِلاَّ بمعلِّم .

ولـٰكنَّ قراءَة القرآن رأْس العِلْم ، ربَّما أَنَّ الكثير ما لهم شيء مِنْ كتاب ٱلله يقرؤُه الإِنسان ، والجزءُ بايجيبه في عشر دقائِق أَو سبع دقائِق ، ونصف الجزء في ثلاث دقائِق .

أَيبخل الإِنسان علىٰ نفسه بإِدراج نور النُّبوَّة بين جنبيه في قراءة ثمانية مقارىء أو جزء مِنْ كتاب ٱلله ستَّةَ عشر مُقْرأ ؟ والنَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم قال : « **قِرَاءَةُ ٱلْقُرآنِ رَحْمَةٌ ، وَنُزُوْلُ ٱلْقُرْآنِ رَحْمَةٌ ، وَمنْ حَفِظَ ٱلْقُرْآنَ . فَقَدْ أُدْرِجَتِ ٱلنُّبُوَّةُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يُوْحَى إِلَيْهِ** » أَيبخل الإِنسان علىٰ نفسه بشيء مِنْ هـٰذا ؟

ثمَّ إِنَّ أَلفاظَه كاملة ، ومعانيه تامَّة ، ومظاهره رائِعة ، وبركاته شاهدة .

وكلُّ القرآن حينما يقرؤه الإنسان إذا تفكَّر أَنَّه جاءَ مِنْ عند ٱلله ، وأَنَّه صفة مِنْ صفات ٱلله ، وأَنَّه ينسب بٱعتبار صفة كلام ٱلله . . هـٰذا شيء كبير .

ثمَّ إذا لاحظ أَنَّ هـٰذا القرآن جاءَ به مُحَمَّد صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم مِنْ عند ٱلله . . فينبغي له أنْ يعرف أَنَّ هـٰذا كبير مضاف إلىٰ كبير .

ثمَّ إذا لاحظ أَنَّ هـٰذه الحروف والآيات كلّها قرأتها لسان مُحَمَّد صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم . . أَفلا يستعذب الإنسان أَنْ يقرأَ مِثل ما قرأَ مُحَمَّد صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، وأَنْ يتذوَّق كتاب قرأَه مُحَمَّد صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ؟

حقيق . . ذا الحين لو جابوا لنا وثيقة حقّ المتقدِّمين ، أَو جابوا لنا كتاب ممّا كتبه المتقدِّمون . . حفظناه وقلنا : ذخيرة مِنَ الذَّخائِر ينبغي أَنْ لا تُضاع ، وينبغي أَنْ تُكرم ، وينبغي أَنْ يُهتمَّ بها .

هـٰذا كتاب ٱلله ، مَجمع الذَّخائِر كلِّها ، ومَجمع الفضائِل كلِّها .

ثمَّ مِنْ وراءِ هـٰذا قالوا : مِنَ العِلْم أَنَّ يُصلِّي الإنسان في جماعة ، وأَنْ يُصلِّي الإنسان راتبة الصَّلاة ، وأَنْ يتوضَّأ الإنسان حيث أَمر رسولُ ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

هـٰذا كلُّه مِنَ العِلْم ، أَيبخل المؤْمن أَنْ يأْخذ له نصيب مِنَ العِلْم في بيته يقدر عليه بدون معلِّم ؟ ثمَّ مِنْ وراءِ هـٰذا إذا صلَّىٰ

سوف يلاحِظ أَنَّه وردَ عن الصّادق المصدوق أَنَّ الصَّلاة في جماعة تعدِل صلاة الفرد بخمسٍ وعشرين درجة .

قال الغزالي : أَترىٰ أَنْ تشاهد السَّفيه الأَحمق المعتوه ؟ فذلكَ الَّذي قيل له : خُذْ لكَ خمساً وعشرينَ ، فقال : لا ، أَكتفي بواحدة ، هـٰذا سفيه!

وكلٌّ واحد منكم لو قيل له : بايعطونك خمساً وعشرينَ ريالاً ، أَوْ ريال ، هـٰذا الباب مَنْ خرج منه . . يُعطىٰ خمسةً وعشرينَ ريال ، وهـٰذا الباب مَنْ خرج منه . . يُعطىٰ ريال ، بايخرجون النّاس وبايتحوّلون ، قَدا أَبُوْ الخمسة والعشرين!

وهـٰذا مؤَكّد . . مؤَكَّد بخمس وعشرينَ صلاة مضبوطة عن النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم وهو الصّادق المصدوق ، فكيف يبخل الإِنسان علىٰ نفْسه بها ؟

كلام الشَّيخ الغزالي : إنَّ المقصِّر في هـٰذا الثّواب يدلُّ علىٰ سفاهة وحماقة وعَتَهْ .

حقيق ، معاد في ذلك كلام ؛ لأَنَّها لا فرق بين أَنْ يصلِّي الإِنسان لِنفْسه أَو يصلِّي في جماعة ، كِلا الصّلاتين واحدة ، يعمل الرُّكن ثمَّ يقرأُ ـ مثلاً ـ السّورة .

غالباً مَنْ يصلِّي علىٰ هـٰذه الصّلاة ؛ لأَنَّ الكثير هـٰؤلاءِ الَّذين يقرءُون السُّورة بعد الفاتحة أَخذوها عمَّن علَّمهم ، ولَم يعرفوا هي ركن أَو واجب أَو سُنَّة ؟ ما يدركون شيءْ مِنْ هـٰذا! المقصود

صلاة تعلَّموها علىٰ هـٰذا النَّمط ، يصلّونها وغَلَّق .

قنعنا بهـٰذه الصَّلاة والصُّورة هـٰذهِ ، لـٰكنْ! لا يبخل الإنسان علىٰ نفْسه أَنْ يترك خمس وعشرين درجة ضاعفها ٱلله له في درجة واحدة في صلاة واحدة .

ثمَّ هـٰذه الفريضة ، قالوا : مِنَ العِلْم أَنْ يعرف الإنسان أَنَّ ٱلله ما ٱفترضها لِنفْسه ، وإنَّما ٱفترضَها ليقرب العبد مِنْ ربِّه فقط ؛ لأَنَّها صِلة فيما بين المخلوق والخالق ، فإذا أَقبل علىٰ مولاه وكبَّر مولاه ، في تلكَ اللَّحظة ـ قالوا ـ تخلَّىٰ عن دنياه ، وإذا تخلَّىٰ عن دنياه في تلكَ اللَّحظة . . لاشكَّ أنَّه أَدركته في تلكَ اللَّحظة رعاية مولاه ؛ لأَنَّ الإنسان تخلَّىٰ .

ولهـٰذا قال الإمام الغزالي نبَّه المولىٰ عليها في كثير مِنَ الآيات ، وقال لموسىٰ ـ وقوله لموسىٰ في هـٰذا الكتاب إشارة وتعليم لنا ـ قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ .

قال الغزالي : معنىٰ قوله : ﴿ لِذِكۡرِيٓ ﴾ أَي : إذا كنتَ ذاكراً لله .

أَمّا واحد عاده إلاَّ مشغول ، عنده فِكر ، أَو عنده همٌّ ، أَو عنده شيء مِنْ ملاحظات دنياه أَو شغله ، أَو واحد شاغِله ، عادُه معادُه وقت صَلاة ، فإذا تفرَّغ منها هـٰذه . . يقوم للذِّكر .

ثمَّ قال الإمام الغزالي : يلاحظ الإنسان هـٰذه الآية ، فلو كان

واحد ذو نفوذ ، أَو ذو جاه ، أَو ذو قوَّة ، أَو ذو سيطرة . . قال لكَ : شفنا أَنا ، تعرفنا أَو ما تعرفنا ، معاد فيه كلام ، بايرتاب مِنْ هـٰذه الكلمة ، وبا تأْخذه هيبة منه ، وهـٰذا ٱلله يقول : ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ .

ثمَّ قال ٱلشَّيخ الغزالي ـ رحمه ٱلله ـ : إنَّ ٱلله سبحانه وتعالىٰ مِنْ رحمته جَعل هـٰذِهِ الفرائِض في أَوقات ما فيها عمل ، وجعلَها لِمناسبات أُخرىٰ .

فجعل وقت صَلاة الصُّبح في وقت ما فيه شَغْلَة مع الإِنسان ، حدّ يفتح دكّانه مع الفجر في تلكَ اللَّحظة ؟ ثمَّ جعله حينما يستيقظ الإِنسان مِنَ النَّوم ، حينما تمر عليه ثمان ساعات ، أَو عشر ساعات أو ست ساعات ، وهو في غفلة مِنْ نومه ورقوده .

قالوا : ينتبه ويذكر ٱلله ، ثمَّ يستفتح بالدُّخول للصَّلاة لمولاه .

فأوَّل ما يستفتح به ويدخل فيه في صلاة الصُّبح خطابُه لمولاه في تلكَ اللَّحظة ، في تلكَ الصَّلاة الَّتي شرَّفها ٱلله وجعلها أَفضل العبادات علىٰ الإِطلاق ، وأَكبر العبادات علىٰ الإِطلاق .

قال : ثمَّ إِذا جاءَ وقت فريضة الظُّهر حينما يرجع الإِنسان مِنْ عمله ، في ذلكَ الوقت إِذا رجع يرجع أَوَّلاً قبل ما يدخل إِلىٰ بيته . . يدخل علىٰ ربِّه في وقت معاد عنده عمل فيه .

ثمَّ أَراد المولىٰ سبحانه وتعالىٰ [أن يغفر] له لَغْوه ، ويغفر له

ما مضىٰ عليه في ذلكَ الوقت ، في الشُّغل وفي الغفلة بالنَّظر أَو كلمة في غيرِ محلِّها ، أو كذب أو غش أَو شيء مِنَ الخداع . . هٰذا الَّذي يُغْفَر والَّذي تغفره الصَّلاة .

جعل الصَّلاة في ذلكَ الوقت فيها تكفير في ما مضىٰ ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ .

فإِذا صلَّىٰ ورجع في ذلكَ الوقت وٱستراح مع أَهله ، أَو نام أَو أخذ له حصَّة مِنَ الجلوس مع صاحب له ، أَو كماه ، وأَراد أَنْ يخرج إِلىٰ عمله . . لا يخرج إِلاَّ بعد أَنْ يأْخذَ ربح صفقة الصَّلاة ؛ لِتكون فاتحة الدُّخول علىٰ عمله .

فإِذا انتهىٰ وقت النَّهار . . جاءَ وقت فريضة اللَّيل .

وكان في الوقت السّابق مِنْ قديم ، مِنْ عصره صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم إِلىٰ العصر هٰذا ـ اللَّهُمَّ إِلاَّ ذا الحين لمَّا ظهرت مظاهر الدُّنيا ـ كانت الحجاز إِذا جاءَ وقت المغرب . . معاد حدّ يجلس في شغله ، ولمّا جاءَت ذا الحين مظاهر الدُّنيا وكثرت وتكالب النّاس عليها . . معاد قنع النّاس بحقِّ النَّهار ، عادهم ٱضطروا إِلىٰ أَنْ يكون لهم نصيب مِنَ اللَّيل ، وإِلاَّ . . كان إِذا جاءَ آخِر الوقت يقفل الإِنسان حانوته ويرجع إِلىٰ مسجده ، يجلس للصَّلاة ولتلاوة كتابِ ٱلله ، أَو لأَذكار أَو لأَوراد ، أَو لِما شاكلها حتَّىٰ يأْتي وقت العِشاء فيصلِّي عشاه ، وعندها يذهب لينام .

شُفُوا كيف الرَّحمة الإِلٰهيَّة والتَّرتيبات السَّماويَّة الَّتي جعلها ٱلله لهٰذه الأُمَّة! لٰكنَّ الإِنسان الغافل كأنَّه يقول لربِّه :

ما أَنا شفنا ما بغيت الرَّحمة حقَّك هـٰذه الَّتي جبْتها ! !

لا يصلِّي الصَّلاة في وقتها ، لا يذكر ٱلله ذِكر صحيح سَوَا ، ربَما لا يصلِّيها في جماعة ، ربَّما لا يصلِّي راتبتها ، ربَما لا يستحضر السِّواكَ .

وأَكثر النّاس الَّذي أعتقده أنا أَنَّهم ما يستعملون الأَسوكة معتمدين علىٰ البُرُش[1] هـٰذا حقّهم . والبرش ما أَحسنه ؛ لأَنَّها نظافة ، لـٰكنْ! ما يكفي ، عند الشّارع يُسنُّ لنا السِّواك ، فيجب علينا أَنْ نتأَسَّىٰ به ، ونستعمل البرش هـٰذا لأَنَّ البرش منظِّف ، معاد في ذلكَ كلام ، طريق للنَّظافة وللصّحّة ، ولـكن! الشّارع نبَّهنا علىٰ السِّواك ، فهل شيء فيه تعب ؟ ما فيه تعب ، كلُّ شيوخِكم ، كلُّ واحد شال السواك في جيبه ، ما فيه أي تعب علىٰ الإِنسان ؛ لأَنَّ السِّواك يمكن الإِنسان أَنْ يحمله في جيبه ، ويمكن يحمله تحت إِبطه ، يمكن يحمله في أيِّ شيء ، ما يكلِّف شيء هـٰذا السِّواك ، فالتَّهاون به إِنَّما هو تهاون بسُنَّة رسول ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

إِنَّ الأَحاديث الَّتي وردت فيه ـ قالوا ـ أكثر مِنَ الأَحاديث الَّتي وردت حتّىٰ في الجماعة ؛ لأَنَّه قال النَّبيُّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم في الحديث : « **صَلاَةٌ بِسِوَاكٍ تَعْدِلُ سَبْعِيْنَ صَلاَةً بِغَيْرِ سِوَاكٍ** » .

وفي الحديث الثّاني : « **لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَىٰ أُمَّتِي لأَمَرْتُهُم بِٱلسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاةٍ** » . فينبغي للإِنسان أَنْ لا يتركه .

---

(١) البرش : أي فرشاة الأسنان .

ثمَّ إنَّ هـٰذه المأْمورات لها ثواب ، ثواب الأمر وثواب العمل ، وثواب الاتِّباع للنَّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

ثمَّ هي قُربة إلىٰ النَّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

هـٰذا أَوَّلاً طريق مِنَ العِلْم الَّذي ذكرته لكم .

ثمَّ مِنْ وراءِ هـذا العِلْم كان يستفتح ـ شفوهم ـ السّابقون خروجهم مِنَ البيت ، لا يخرج إلاَّ بعد أَنْ يركع له سُبْحة الضُّحىٰ .

وسُبْحة الضُّحىٰ ، قال النَّبيُّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم وهو الصّادق المصدوق : « **مَجْلَبَةٌ لِلْرِّزْقِ** » . فإذا أَرادَ الإنسان أَنْ يسترزق ٱلله . . فلا أَقلَّ مِنْ أَنْ يأْخذ له نصيب مِنَ الضُّحىٰ .

فإنْ قدر أَنْ يصلِّي ثمان . . فهي الأَكمل ، وإنْ لَم يقدر . . فأَربع ، وإنْ لَم يقدر . . فركعتين .

ثمَّ قالَ النَّبيُّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم في هـٰذا : « **يُصْبِحُ عَلَىٰ كُلِّ سُلاَمَىٰ مِنَ ٱلنَّاسِ صَدَقَةٌ** » .

قال العلماءُ : والسُّلامىٰ المفصل .

وفي الإنسان ثلاث مئة وستِّين مفصل ، فكأَنَّه يصبح علىٰ كلِّ إنسان ثلاث مئة وستِّين صدقة يوميّاً . والصَّدقة هـٰذه معلومة .

والسَّبب : أَنَّه إذا أَصبح الإنسان صحيح الجسم . . أَصبحت المفاصل حقُّه كلُّها تتحرَّك ، وأَصبح بخير وعافية ، ما يشوِّش عليه شيء قَطّ أَبداً ، ما في ذلك كلام ، عليه صدقة شكراً للنِّعمة

هٰذه الَّتي أصبح وَهُوْ بها ، فنبّهنا الشّارع فقال : « **يُصْبِحُ عَلَىٰ كُلِّ سُلاَمَىٰ مِنَ ٱلنَّاسِ صَدَقَةٌ** » وبعد نبّهنا لأجل يعرّفنا أَنَّه صعب علىٰ الإنسان أَنْ يتصدَّق ثلاث مئة وستّين صدقةً ، فقال : « **فَأَمْرٌ بِمَعْرُوْفٍ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ** » هو واجبٌ ولٰكنْ يثاب عليه ثوابَ الواجب وثوابَ الصَّدقة « **وَإِمَاطَةُ ٱلأَذَىٰ عَنِ ٱلطَّرِيْقِ صَدَقَةٌ** » .

والسَّلام ـ قالوا ـ كذلكَ يُعتبر صدقة ، وإِدخال السُّرور صدقة .

وأخذ يُعدِّد النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم كثيراً مِنْ هٰذهِ ، ثمَّ قال : « و . . **يُجْزِىءُ عن ذلكَ ركعتان يصلِّيهما مِنَ الضُّحىٰ** » ركعتان تجزيءُ عن الثلاث مئة والسِّتِّين المفصل .

وكان السّابقون ـ كما ذكرنا لكم ـ لمّا كانوا يتأَثّرون . أَنا ذكرتُ لكم في بالي أَنَّكم تسمعون كثير مِن وقائِع الأَحوال الَّتي كان الشُّيوخ يذكرونها ، ولمّا كانوا قريبي عهد بالعِلْم وكانوا ينتسبون إِلىٰ أَهلِ العِلْم. . كلُّ واحد يتأَثَّر بالعِلْم ، ثمَّ يسير في ركاب العِلْم .

كان هٰذا واحد ٱسمه عبد ٱلله علي مكارم ـ أدركوه شيوخنا ، والدي عرفه ـ قال : كان في كلِّ ليلة يخرج مِنْ سوقه السّاعة إِحدىٰ عشر قبل المغرب بساعة وإِذا خرج مِنَ السّوق . . يذهب إِلىٰ بيته ، ويحمل قِربة الماء علىٰ كتفه ، ويخرج بها إِلىٰ المسجد ويسقي أَهل الرَّوحة هٰؤلاءِ الَّذين يجلسون في المسجد ، وهو في

سعة مِنَ الرّزق ، فكان يقول له الكثير مِنْ أَصحابه : يا عبد ٱلله ، خفِّف على نفْسكَ ، واحد مِنَ المساكين باتكفيه كزمة بايحمل لك القربة ، أَو قليل مِنَ التَّمر - لَهْوَة علىٰ قول آل (حَضْرَمَوْت) وبايحمل لكَ القِربة وبايكفيك إِيّاها .

قال له : تبخل عليَّ أَنْ أَكون خادم لأَهل العِلْم ومعين لأَهل العِلْم !

هيّا ، شوفوا أَنتم ما الَّذي عرَّفه بهٰذه المرتبة حتَّىٰ جعل نفْسه يستقي الماء ؟

ونبَّهنا بامخرمةَ ، قال :

فَٱنَّ مَنْ كانَ خادِمْهُم مُحرَّمْ علىٰ النَّارْ
ما تَمَسُّهْ ولَو لَمْسَتُهْ مَا لَمْسُها حارْ

وكان يقول والدي أَنَّه هو الَّذي يكنس مسجد طٰه ، ولمّا سأَلوه عن الكناسة هٰذه ، وقالوا له : خلِّ حد يكنس المسجد بقليل مِنَ التَّمر وإِلاَّ بقليل مِنَ الخبز . . قال لهم : ٱسْتَكثرتوا لي أَنْ أَكون خادم لكناسة المسجد ؟

ثمَّ هو يأْخذ التُّراب هٰذا ، فقالوا له : والتُّراب تعمل به ماذا ؟

قال : هٰذا بغيته مدرة القبر ، دَبْغَتُهْ أقدام المصلّين مِنْ أَهل لا إِلٰهَ إِلاَّ ٱلله ، فيهم العلماءُ ، فيهم الأَولياءُ ، فيهم الصُّلحاءُ ،

فيهم أَهل القرآن ، فيهم أَهل الذِّكر ، فيهم أَهل الطَّاعة كم ما دبغته مِن الأقدام .

والتُّراب هٰذا لاشكَّ أَنَّهُ بايشم منه شذا ريح العنبر وأكثر مِنَ العنبر ، تراب المصلِّين ، تراب الصَّالحين ، تراب مسجد مِنَ المساجد ، ذلكَ المسجد وهو المأْثور ، ذلكَ المسجد الَّذي دَبَغَتْه أَقدام علماء عارفين وأَولياء .

شفوا كيف بلغ بهم العمل إِلىٰ هٰذا الحدِّ .

وكان واحد ٱسمه أَحمد علي مكارم ، هٰذا كان يحضر دروس الحبيب علي الحبشي ، وكان يكتب له نيّات في لِهْج الخَلْفِة ، إِذا أَراد أَنْ يخرج إِلىٰ سوقه وحانوته . . يقرأُ النّيّات هٰذه : نويتُ قرض المستقرض .

نويتُ نفع عباد ٱلله الصّالحين .

نويت صيانة وجهي .

نويت ٱلاسترزاق كما أَمر ٱلله .

نويت معاونة رحمي .

نويت القيام بأَولادي .

نيّات مكتوبة في نفس اللِّهْج حقّ الخلفة حقَّه ، ما عليه إِلاَّ أَنَّه إِذا أَراد أَنْ يخرج . . قرأَ النّيات هٰذه . . وٱستحضرها وخرج علىٰ بركة ٱلله .

أحسب أَنا أَنَّ الأَكثر ما تحوم علىٰ خاطره هٰذه قَطّ ، والسَّبب

في ذلك أَنَكم ما قرأتوا شيءْ عن أَهلِ العِلْم هٰؤَلاء الَّذين عِلْمهم وصل بهم إِلىٰ الاتِّباع للنَّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

قالوا : وكان واحد ٱسمه عمر عُبَادي ، هٰذا الرَّجل كان يبيع ويشتري ، وكان له مركز في (عدن) وله مركز في (ٱلشِّحْرِ) وهو مِنْ أَهل (الغُرفة) جاءَ إِليه سيِّد ٱسمه عبد ٱلله بن عيدروس الحبشي ، كبير في السِّنِّ ، طلعَ مِنَ (الغُرفة) ودخل إِلىٰ (عدن) ونزل عند عمر عُبادي ؛ لأَنَّه مِنْ أَهل بلده .

لمّا نزل عنده . . فرح ، وقال له : يا مرحبا بك يا حبيب عبد ٱلله ، ولٰكنَّكَ ليه طلعت وأَنت كبير في السِّنِّ ؟ بغيت باتموت هنا في بلاد بعيدة عن أَهلكَ ، وأَنت باتُدفَن في تربة ملآنة بالصّالحين ، ملآنة بالأَولياءِ ، ما الَّذي طلَّعكَ ؟

قال له : عليَّ دَين سبع مئَة ريال ، بغيت باسافر إِلىٰ (جاوه) لأَنَّ ولدي في (جاوه) وبغيته يقضيها ، هٰذا الَّذي طلَّعني .

سكت هٰذا عمر عبادي ؛ لأَنَّ الدَّين هٰذا حِمْلٌ علىٰ الظَّهر . لمّا سكت . . أَسرَّ في نفْسه أَنَّ الرِّبح حقَّ اليوم الَّذي يدخل بٱسم هٰذا الحبيب ، فكأَنَّه ما خرج للسُّوق في نظره ، كأن أصابه ضارب أَو أَحد شَغَلَهُ ، أَو سافر مِنْ هنا إِلىٰ هنا .

أَسرَّ في نفْسه أَنَّ الرِّبح الَّذي يدخل بٱسم ٱلسَّيِّد الشَّيبة الكبير هٰذا في السِّنِّ .

قال : فلمّا رجع إِلىٰ بيته أَخذ يحسب الحركة الَّتي تحرَّكها في

ذلكَ اليوم ، فإذا ربحُها سبع مئَة ريال! لا زايد ولا ناقص .

دخل إلىٰ عند ٱلسَّيِّد وقال له : حبيب عبد ٱلله .

قال له : لبَّيكَ .

قال له : الحاجة قُضيَتْ ، السَّبع مئة جاءَتك مِنْ ربك ، وأمّا سفركَ إلىٰ (حَضْرَمَوْت) ورجوعك ونزولك إلىٰ عند أهلكَ وهديَّتك هٰذا علىٰ مُحبَّك ، إنَّما هٰذي السَّبع مئَة ما أحد له يد فيها جاءَتك مِنَ ٱلله سبحانه وتعالىٰ .

قال له : جزاك ٱلله خيرْ . أنا ٱلَّذي حرَّكَنا للسَّفر ودعانا له إلاَّ أنَّه كان عليَّ الدَّين هٰذا ، وكان مقتضي للسَّفر ، وذا الحينِ إذا تيسَّر . رُدَّنا إلىٰ بلادي ، إذا أَنت باتتكرَّم عليَّ بالإيصال إلىٰ بلادي ، والهديَّة والنّول وما شاكل ذلكَ جزاكَ ٱلله خيرْ .

شوفوا كيف هٰذه النّيّات ، ومِنْ أين هٰذه النّيّات ؟ تعلَّموها ، هل خطرت علىٰ بال أَحد منكم ، أَو تحرَّكَ خاطر أحد منكم وعرف منها شيء ؟ لا!

ذلكَ لأنَّ الإنسان ماقرأَ .

ومثله هٰذا أَحمد علي مكارم[1] ، بلغه أَنَّ الحبيب عيدروس بن عمر[2] عليه أَربع مئَة ريال ، عيدروس بن عمر كان شيخ الوادي في ذلك الوقت والإمام المُوْمَأُ إليه بالأصبع .

فجاءَ هٰذا أَحمد عليّ مكارم ، وكانت بينه وبين الحبيب علي

---

(١) المتوفى بسيون (١٦/ ١٢/ ١٣٠١ هـ) .

(٢) الحبشي (١٢٣٧ـ ١٣١٤ هـ) .

الحبشي أُخوَة ومشيخة ، وقال له : إِنِّي عزمت علىٰ سفر يا حبيب عليّ .

قال : ليه عزمت علىٰ السَّفر ؟

قال له : بلغنا أَنَّ الحبيب عيدروس عليه أَربع مئَة دَين ، بغيت باقضيها أَنا ـ شوفوا كيف النّيّات الكبيرة! قال له : أَنا بغيت باقضيها ـ ولٰكنِّي بغيتك تعينني في هٰذا ، ٱلسَّيِّد علوي الحدّاد معه حمار زين جواد بايفيدنا في طريق (المُكَلاَّ) وبغيت باشتريه ، ولا يابيعه عليَّ ؛ لأَنَّ ٱلسَّيِّد حاله طيِّب ، وإِنَّما إِذا طلبته أَنت بقيمته . . بايعطيك إِيّاه .

قال له : يا خير . راحوا إِلىٰ عند الحدّاد ، وطلبوا منه المركوب بقيمته ، فقال الحدّاد : حاضر .

فأَعطوه مكارم ، وسافر وعاد وقضىٰ دَين الحبيب عيدروس مباشرة .

وكذلكَ قالوا : إِنَّه سافر سَفْرَة ، وأَسرَّ في نفْسه أَنَّ السَّفرة هٰذه بايقسمها بالتَّساوي علىٰ التَّناصف هو والحبيب علي ٱلحبشي ، وسافر وقسم السَّفْرَة على التَّناصف هو والحبيب علي حبشي .

وهٰذه يعوّض ٱلله فيها أكثر ، لا يعتقد الإِنسان أَنَّ ذاكَ باياخذ رزقه . أَو أَنَّه يخدم ذاكَ .

والإِنسان قالوا دائِماً إِنَّ عمله الصَّدقة ، والمعونة والكلمة

الطَّيِّبة هٰذا إنَّما هو يخدم نفْسه ، ما يخدمها ذاكَ الإِنسان ؛ لأنَّ ٱلله يخدمه ويتولاّه ، معاد في ذلكَ كلام ، يقوم به ربُّه ويتولاَّه .

ومثلها كثير ما تسمعون قصَّة الحبيب عليٍّ الحبشي لمّا قال لولده مُحَمَّد : ٱشتروا لنا الخرابة ـ مكان القبَّة هٰذه حقَّه الكبيرة ـ وكان عندهم أحمد بارجاء ، فسمع الكلمة هٰذه مِنَ الحبيب علي وخرج مِنَ المجلس ، وٱشترىٰ الخرابة بالغة ما بلغت .

وجاءَ عمِّي مُحَمَّد بن علي في اليوم الثّاني أَو الثّالث وأَرسل لصاحب الخرابة بايشترونها منه ، قال لهم : يهوين أمس بعنا الخرابة .

علىٰ مَن ؟ قال لهم : علىٰ أَحمد بارجاء .

قال : هٰذا يسرق السَّمع علينا . فوَصَّوا لأحمد بارجاء ، وسَبَّروا وٱفتتحوا له بالعتاب .

قال لهم : لا تعاتبون ، أَنا أخذتها إلاَّ لكم ؟ أخذتها لمّا سمعت الحبيب قال : بغيناها . فأَخذتها لكم ، لٰكن لي شرط واحد .

ما هو الشَّرط ؟

قال : بغيت با أدفن فيها ، إذا متّ ٱطرحونا عند حبيبي علي .

قالوا للحبيب علي : إنَّه ـ أي بارجاء ـ يبغاك إذا مات تطرحه هناكَ .

قال : آطرحوه هناكَ ، يستأهل .

شوفوا أَنتم : غلقت دنيا بارجاء ، وغلق عمر بارجاء ، وغلقت أحواله ، ولٰكنْ! كم ما يكون يدخل مِنَ الرَّحمة ومِنْ تنزُّلها في القبَّة ذلك ، وكم مَنْ يقرأ ، وكم مَنْ يسلِّم ، وكم مَنْ يدعو ، وكم باتكون مِن الجموعات وبارجاء مخزون بينهم وعندهم ؟ والمسأَلة كلّها يافي مئةَ ريال ، يا مئتين ، يا أَقلّ شيء بسيط .

ولٰكنْ! وين النّاس الَّذين يعقلون ؟ ما أَدركوا النَّاس مِنْ سرِّ العِلْم الحقيقي شيء ، ولا حصَّلوا العِلْم ولا آستفادوا العِلْم .

هٰؤلاء ـ كما ذكرت لكم أنا في أوَّل الكلام ـ قدَّموا العِلْم علىٰ كلِّ شيء .

يذكرون ـ كذلك الشُّيوخ ـ أَنَّ الحبيب عيدروس جاءَ ذات يوم إلىٰ عند الحبيب علي وقال له : إِنِّي ضقت مِنَ (الغُرفة) ولي ناس يؤذوننا هناك ، وبغيتكم تتنبهون لي مِنْ بيت في (سيئُون) .

قال له الحبيب علي : حاضر ، بانتنبه لكَ مِنْ بيت .

جاءَت سعادة إلىٰ الدَّار ، وكان موجود بارجاء ، وبنىٰ داره هٰذا الَّذي قبلي مسجد الرِّياض ، عاده إلاَّ جديد .

آستدعىٰ الحبيب علي مِنَ المجلس ، وقال له : أَنا بغيت الغنيمة لي يا حبيب عَلِيّ .

قال له : باتَلْقِي ايه ؟

قال له : الدّار خلاص ، عيالي في دارهم مبعاد نقلناهم إلىٰ الدّار الجديد ، وعيدروس بن عمر أَفضل منّي وأَفضل مِنْ عيالي ، هـٰذا الدّار ، وشفنا نذرت به لحبيبي عيدروس .

دخلو للحبيب عيدروس وقالوا له : حَصَل الدّار ، حقّ أَحمد بارجاء ، وهو هـٰذا الَّذي قدّامنا ، وشفه نذر به لكم ، وتعال ويا مرحبا .

قال : جزاه ٱلله خيرْ ، وفرحنا منه ، وأَكرمه ٱلله .

وفي نفْس المجلس الحبيب عيدروس بعد فكَّر أَنَّه إِذا خرج مِنَ البلاد وهو المعلِّم في البلاد ، وهو الدّاعي في البلاد ، وهو المنوِّر للبلاد ، وهو الظّاهر في البلاد . . ربَّما تموت البلاد ولعاد يجدون حدّ .

قال للحبيب علي : يا علي .

قال له : لبيَّك .

قال له : شفنا أَنا فكَّرت إِذا خرجت مِنَ (الغُرفة) لنا أَقارب نواسيهم ولنا جيران نرحمهم ، ولنا دروس تقام في (الغُرفة) ربَّما ما نجد مَنْ يقيمها بعدنا ، بانصبر علىٰ أَذىٰ مَنْ يؤذينا وبانتمِّي في غرفتنا هـٰذه ، والدّار نذرنا به لبارجاء ، جزاه ٱلله خيْر وأَكرمه ٱلله .

هـٰذا جاءَه ثمن دار عند ربّه ، وجزاه دار عند ربِّه ، ورجع له الدّار حقُّه ، وهـٰذا قد قال المولىٰ : ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾

والله لا يُضيع ﴿ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ ولٰكن! وين النّاس مِنْ هـذا النَّوع ؟

يسهل علىٰ الإنسان أَنْ ينفق في لذَّة ، أو ينفق في آمرأَة أَو في ولد ، أَو ينفق في جدار ، أَو ينفق فيما لا طائِل تحته ، وحبَّذا الإِنفاق حتَّىٰ في الترف ، ولٰكن! هل له مقابل ؟ ربع أَو نصف ، أَو أَكثر أَو أَقل ، أَو ثُمْن ينفقها صدقة . إِذا أَنفق المئَة . . يخرج عشرة صدقة .

كان الإِمام أَبو حنيفة إِذا بنى منزل . . تصدَّق بمقابله سَوَاء . لا ، هـٰذا ما حد هو في كثير مِنَ النّاس ، وقليل مَنْ عصمه آلله ، ورحمه آلله .

إنَّما ينبغي يا إِخواني أَنْ تجعلوا سِيَر مَنْ قبلَكم قدوة لكم . شفوهم ، بهـٰذا سادوكم وفضلوا عليكم بهـٰذه المزايا ، تأَثَّروا بالعِلْم فانتفعوا به .

وأَنا ذكرت لكم في الأُسبوع الماضي أَنَّهم شوفوهم كثير من إِخوانكم الَّذين قدِموا مِنْ (حَضْرَمَوْت) في هـٰذه البلاد موجودين وعليهم مِنَ الفاقة ما لا يخفىٰ علىٰ كلِّ واحد منكم .

أَهل (حَضْرَمَوْت) محتاجين ، ذكرت لكم أَنَّ (الحوطة) أَهلها محتـاجيـن ، وأَنَّ (الغُـرفـة) أَهلهـا محتـاجيـن ، وأَنَّ (سيئُون) أَهلها محتاجين ، وأَنَّ ما بين (سيئُون) و(تريم) محتاجين ، وأَنَّ (تريم) في حاجة ربَّما كانت أَمسّ ؛ لأَنَّ الإِيذاءَ وقع بها أَكثر ، وإِنَّ (عينات) كذلكَ .

ثمَّ إنَّها ٱنقطعت الصِّلة ما بين النّاس كأَنَّما هو حَشْر ، وكأَنَّما النَّاس ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ .

وقلت : إنَّ القليل يدفع عن الكثير ، وإنكم لو جعلتوا لكم صندوق وتعاونتوا عليه ، صاحب الرِّيال ، وصاحب العشرة ، وصاحب الخمسة وصاحب الأَكثر ، وصاحب الكثير وصاحب القليل . . بايجد الإِنسان له مساغ يحصِّله ، وجعلتوا لكم مَنْ يأْخذ هٰذه الفلوس ، ثمَّ رتبتوها ، الَّذي يحتاج يُرسَل إِلىٰ (الحوطة) . . يُرسَل إِلىٰ (الحوطة) والَّذي يحتاج يُرسَل إِلىٰ (سيئُون) . . يُرسَل إِلىٰ (سيئُون) والَّذي يحتاج يُرسَل إِلىٰ (تريم) . . يُرسَل إِلىٰ (تريم) ، والَّذي يحتاج يُرسَل إِلىٰ (عينات) . . يُرسَل إِلىٰ (عينات) .

كم بايكون ثوابها هٰذه ، كم بايكون فضلها هٰذه ؟

ثمَّ هٰذه ما تنقص علىٰ الإِنسان بالنِّسبة لصرفه هو نفْسه ؛ إِذا يصرف الإِنسان مثلاً أَلف ، هو معاد بايكثر عليه إِذا هو أَلف وعشرة ريال ، هل بايزيد عليه ؟ وإِلاَّ أَلف وعشرين ريال ، وإِلاَّ أَلف وخمسين ريالاً ، معاد باتعطِّل عليه .

وإِذا كان يصرف خمس مئَة . . معاد باتغيِّر عليه العشرة الرِّيال ولا العشرين ، وإِذا كان يصرف أَكثر . . ما تغيِّر عليه شيء .

ٱجعلوا لكم صلة فيما بينكم . والمَرَة في الأُسبوع الماضي ذكرتها لكم ، وأَحسستُ منكم كلّكم القَبول لها ، إِنَّما الَّذي

أَحسبه ما حصل فيما بينكم ترابط لها حتَّىٰ يكون لها مصدر وحتَّىٰ يكون لها مورد .

أَنا قلت لكم : إِنْ جعلتوها مثلاً وٱطمأَنَّيتوا إِلىٰ الأَخ محسن بن علوي ، وجَعل لكم وقتْ مِنْ حصَّته . . واحد يأْخذها ويضعها عند الأخ محسن .

وإِذا جلستوا وٱتَّفقتوا علىٰ أَشخاص منكم خمسة أَو ثلاثة أَو أَربعة ، تحبُّون يحضر معكم الأَخ مُحَمَّد الشَّاطريُّ ، والأَخ سالم خرد أَوحد مِنَ الإِخوان هٰؤلاء ، يعطيكم رأْيْ فيها حَسَنْ . . كتبتوا قائِمة عنهم ، وكلُّ مَنْ جادت نفْسه وأَريحيَّته .

ومَنْ لَم تَجُدْ نفْسه ولا أَريحيَّته . . فمعذور ، وإِن كان غير معذور ، ولٰكن نحن بانعذره .

وأَمّا كوننا نجلس في هٰذه البلاد ، والأَموال تفيض في أَيدي النّاس وفي أَيديكم ، ونترك الأَمر فيما وراءَنا . . هناكَ إِهمال ، ما أَحسبكم أَنَّكم ترضون عنه ، ولا نحن نرضىٰ عنه ، ولا أَحسب أَنكم باتوافقون عليه .

والمسأَلة هٰذه أَنا قد ذكرتها لكم ، بغينا لها كيان ، كيان يكون يكتفي منه الإِنسان بشيء ظاهر ، وأَنا ذا الحين باطرح لكم نواة ، إِنْ شاءَ ٱلله ، وعلىٰ الإِخوان الَّذي تتفقون عليهم ، ما بانخرج مِنَ المجلس إِلاَّ بناس ترجعون إِليهم ويكتبون هٰذا إِنْ شاءَ ٱلله .

فأَنا مِنْ نفْسي مئتين ريال ، ومِنْ محسن بن علوي مئتين ريال طرحناها عليه معاد في ذلك كلام ، ومِنْ حسن بن علي كماها مئتين ريال ، ومِنْ مُحَمَّد بن عبد القادر مئتين ريال ، ومِنْ هود بن عمر مئتين ريال .

واحد يكتبها ، والَّذي بغيتوه مِنْ بقيَّة الإخوان هٰؤلاء ٱختاروهم .

هيّا خذوا! ٱجتمعت لكم النَّواة . وكثير مِنَ الإِخوان بايشتركون ، ولا هو ينبغي علىٰ الإنسان إذا كان حاله ما عنده قوَّة للكثير . العشرة أَنا أَقول لكم تكفي ، والخمسة تكفي ، والرِّيال الواحد يكفي ، ولٰكنَّ الإنسان لا يخرج مِنْ ديوان الخير ، ولا مِنْ ديوان الصَّدقة ، يكتب نفْسه في هٰذا الدِّيوان حتَّىٰ يستفيد مِنَ الدِّيوان هٰذا ، إِنَّه مكتوب عند ٱلله ، ومكتوب في صدقته لأَقاربه ، ومكتوب في رحمه ، ومكتوب في صدقته في بلاده .

ذا الحين هٰؤُلاء تغالَوا في الوطن ، كم مِنْ واحد قال : أُقسم بالوطن ؟ ذا الحين نحن ما بغينا القَسَم بالوطن ، بغينا صدقة للوطن .

ما عندنا نحن قَسَم بالوطن! القسم بٱلله سبحانه وتعالىٰ .

إنَّما ـ يا إِخواني ـ ذا الحين نتيجة المجلس أَنَّكم تجتمعون وتختارون مَنْ ترونه مناسباً .

وأَخذ ـ حفظه ٱلله ـ في أَخذ رأْي بعض الحضور ؛ مثل العمّ

مُحَمَّد الشَاطري ، والعمّ سالم خرد ، وقال لهم : أمّا الصُّندوق . . محسن بن علوي طرحناه لكم .

وطلب مِنَ الإخوان أَنْ يشتركوا في هٰذا الصُّندوق شهريّاً بما تجود به النَّفْس ، وقال : ذا الحين نحن وضعنا أَوّل نواة ، وإنَّما بعد بغيت كلّ مَنْ عنده شيء يكون شهري ، وبغيت عيالنا أَهل (الحوطة) بغيتهم يحضرون أَو تعقد لهم جلسة - موجِّه الخطاب إِلىٰ العمّ أَحمد بن عبدِ ٱلرَّحمٰن الحبشي - تعقد لهم جلسة وباتكلَّم فيهم .

تعقد لهم جلسة عندك - أو عند أبو بكر - وباتتكلَّم فيهم ، وهٰكذا .

وإِذا قدَّرنا مثلاً أَهل (تريم) كَفَوا (تريم) جزاهم ٱلله خيرْ ، وأَهل (سيئُون) كَفَوا (سيئُون) وأَهل (الحوطة) كَفَوا (الحوطة) جزاهم ٱلله أَلف خيرْ .

المقصود إذا تيسَّرت كفاية ، وإلاَّ . . يأْخذون مِنْ هٰذه لهٰذه ، والنّاس إلاَّ رَحِم أَبناء رحم واحد ، معاد شيء فرق قطعاً ، لا يقول الواحد : بلادي وإلاَّ أَقاربي ، كلّهم إلاَّ أَقاربكم ، كلّهم إلاَّ أَهلكم ، وأَغلب البلدان فيه أَيِّم ، نساء أَيِّمات جالسات ما معهن شيء قطّ أَبداً .

والمقصود : هٰذه نواة جمعناها لكم ، والبقيَّة صاحب العشرة عشرة . والبقيَّة المقصود أَنَّهم كلٌّ واحد عليه الَّذي يقدر به ، هٰذا إلاَّ نواة ، وبَعْدُ كلُّ مَنْ بايطرح . . يطرحه عند

محسن بن علوي ، إنْ جمّ وإنْ شُوَيْ مقبول .

وطٰه بن (مُحَمَّد) الَّذي بايطرحه ، إنَّه جم وإنَّه شوَيْ مقبول .

وأَنا كذلكَ باشارك ، والشّاطري بايشارك ، وسالم خرد بايشارك ، وحسن بن سالم وأَولاده . . وكلٌّ واحد بايشارك .

ولا هو شرط مبلَغ معيَّن لَهْ ! إِنْ حدّ معه ريال . . مقبول ، حدْ معه نصّ ريال . . مقبول ، حد معه عشرة ريال . . مقبولة لهم . يأْتون بها إِلىٰ عند الأَخ محسن ، ويكوِّنون لكم قائِمة تعرفون بها .

وبعد محسن يجمعكم أَنت ـ أَي العم مُحَمَّد الشاطري ـ وخرد وكم نفر ، وتصرفونها وتوزِّعونها ، وتُرسَل إِذا قدَّر ٱلله .

هٰذا الَّذي أَنا أُريده .

وٱستمرَّت المشاورات وأَخْذُ الرّأْي ، وكُتبت في نفْس المجلس قائِمة بأَسماء مَنْ يريد المشاركة ، وكثير الَّذي ٱشتركوا ، إِلاَّ أَنَّ هٰذا الصُّندوق ـ وللأَسف ـ لَم يدم سوىٰ عدَّة أَشهر ، لأَنَّ المشتركين أَغلبهم يريدون معقِّبْ ومراجع يمرُّ عليهم في منازلهم أَو محلِّ أَعمالهم ليستلم منهم ٱشتراكاتهم ، وهٰذا السَّبب الَّذي جعل هٰذا الصُّندوق الخيري لَم يَدُمْ طويلاً ، لو أَنَّهم مِنْ قِبَلِ أَنفُسهم كلٌّ واحد يأْتي بما فرضه علىٰ نفْسه إِلىٰ عند العمِّ محسن !

نسأَلُ ٱلله أَنْ يُحْيي هٰذا المشروع ، ويستبدل ٱلله أُناساً آخرين ثمَّ لا يكونوا أَمثالَكم .

ثمَّ رتَّب الفاتحة ، وقال ـ حفظه ٱلله ـ .

الفاتحة بالبركة أَنَّ ٱلله يجعلها سارية في الذُّرِّيَّة والمال ، وسارية ـ إِنْ شاءَ ٱلله ـ في الأَعمال ، وسارية في الأَحوال حتَّىٰ يستفيد ـ إِنْ شاءَ ٱلله ـ مَنْ وراكم مِنْ أهل الفقر وأَهل المسكنة ، وحتَّىٰ تنالوهم بخير .

ويجعلنا وإِيّاكم متواصين بالخير ، متواصين بالحق ، سائِرين في طريق أَهل الحق .

ويجعل ٱعتمادنا وجه ٱلله سبحانه وتعالىٰ ، ومرجعنا وسندنا رسول ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

ويجعلنا وإِيّاكم ـ إِنْ شاءَ ٱلله ـ ممَّن ٱستجاب حتَّىٰ يستجيب المولىٰ لنا ، ويجعلنا ممَّنْ رعته عين الرِّعاية في جميع حركاته ظاهرها وباطنها ، ويتولاّنا بالولاية الَّتي تولىٰ بها أَهل لا إِلٰه إِلاَّ ٱلله مِنْ خواصِّ الخواص ، ويدخلنا دائِرة الخواص ، ودائِرة الإِخلاص .

ويجعلنا مسعودين ، ويسعدنا بالعِلْم ، ويسعدنا بالتَّوفيق ، ويسعدنا بالتَّأْييد ، ويسعدنا بالهداية ، ويسعدنا بالرِّعاية .

ويجعل لنا نصيبْ كاملْ ـ إِنْ شاءَ ٱلله ـ تعمر به القلوب ، وتعمر به الأَرواح ، ويعمر به الجسم ، وتعمر به الدّيار ، وتعمر به الحركات الحسّيَّة والمعنويَّة .

وإِلىٰ حضرة النَّبي مُحَمَّد صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

* * *

من جوامع الكلم والبلاغة النبوية
ومولد الحافظ ابن الديبع وبلاغته

> وتكلَّم سيِّدي عبد القادر بن أحمد السَّقّاف ـ حفظه ٱلله ـ بهـٰذه الكلمة القيِّمة مساءَ الجمعة (١٦) ربيع الأوَّل مِنْ عام (١٣٩٥هـ) بعد قراءة قصَّة المولد النَّبويّ للإمام الدَّيبعيّ . وبدأ كلامه عن البلاغة ـ وكان ذلك بمنزل ٱلسَّيِّد طـٰه بن مُحمَّد بن طـٰه السقاف .

فقال ـ حفظه ٱلله ونفعنا به ، آمينَ :

وبمناسبة البلاغة أَذكر لكم هـٰذا المولد العظيم للإمامِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بن علي الدَّيبع .

كان مِنَ البلاغة والعذوبة بمكان ، ولهـٰذا ٱختاره المتأَخِّرون الَّذين جاءُوا مِنْ بعده ـ رضيَ ٱلله تعالىٰ عنه ـ فصهروه بكثرة القراءَة ، وبكثرة التِّلاوة ؛ لأَنَّه أَوجز في كلامه ، وجاب سرَّ البلاغة المقصودة ، فكثير مِنَ النَّاس يريد أَنْ يمدح فيذمّ ، والسَّبب أَنَّه ما يعرف .

فإِذا أَراد الإِنسان أَنْ يصف النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم فقال : إنَّه ليس بكذّاب . . قالوا : هـٰذا الوصف يصير سَبّ ما يصير مدح ، والسَّبب أَنَّ الكذب حرفة ومهنة ما يرتديها ـ قالوا ـ إلاَّ كلُّ واحد لا يؤْبَه له .

لـٰكنَّ هـٰذا ٱلشَّيخ لمّا أَراد أَنْ يصفه صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم وأَنْ يُبعده عن هـٰذه الخلَّة . . قال : من نظر في وجهه . . علم أَنَّه ليس بوجه كذّاب .

شفوا كيف هـٰذه البلاغة العجيبة ، ثمَّ شفوا كيف عذوبة اللَّفظ ، أراد أَنْ يصفه صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم في شيء مِنَ الاختصار ، فقال : يا أَعزَّ جواهر العقود ، وخلاصة إِكسير سرِّ الوجود .

هـٰذا الكلام في غاية السُّمو ، وفي غاية العظَمة ، وفي غاية الارتقاءِ في المديح ، بلغ به ما لَم يبلغ به غيره . لو سكت . . لكان كافي ، ولـٰكنَّه عاده ما سكت ، فقال :

مادحُكَ قاصرٌ ولو جاءَ ببذل المجهود ، وواصفُكَ عاجز عن حَصْرِ ماَ حَوَيتَ مِنْ خصال الكرم والجود . الكون إِشارة ، وأَنت المقصود .

هـٰذا في منتهىٰ المدح وفي منتهىٰ الإِغراق في بيان الحقيقة باللَّفظ الوجيز .

وكان هو عليه الصَّلاة والسَّلام لمّا جاءَ في وقت الفحول وعقول العرب ، كانوا خطباء وكانوا شعراء ، وكانوا لَسِنِيْن ، وكانوا متكلِّمين ، وكانوا مِنَ البيان في أَعلىٰ غاياته ، ومِنَ الحكمة في أَعلىٰ غاياتها ، فجاءَ عليه الصَّلاةُ والسّلام وفَاقَهُم ، ولمّا رأَوا أَنَّه فَاقَهُم . . تكلَّم هو عن نفْسه فقال : « **أُوْتِيْتُ جَوَامِعَ ٱلْكَلِمِ** » فكان كلُّ كلامه صلوات ٱلله وسلامه عليه ـ قالوا ـ كلام في غَاية الإِيجاز ، ثمَّ هو في غاية البلاغة ، ثمَّ هو في غاية مجتمع المعنىٰ .

يريد الواحد أَنْ يتكلَّم بصفحة أَو بصفحتين ، أَو بأَربع صفحات ، أَو بأَكثر أَو بأَقل ، لٰكنَّ النَّبيَّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم لا يزيد في حِكمته وحديثه علىٰ اللَّفظين والثّلاثة الأَلفاظ ، والأَربعة الأَلفاظ ، فتجيء حكمة موجزة ، وتجيء في غاية البلاغة ، وتجيء في غاية الإِعجاز أَو ٱلإِعجاب .

كثيرْ إِذا نظر الإِنسان إِلىٰ حديثه صلوات ٱلله وسلامه عليه . . وجده في غاية مِنَ البلاغة . والقرآن قدُه أَعلىٰ وأَعلىٰ ، وأَغلىٰ وأَغلىٰ .

والإِنسان شفوه خُلق لهٰذه البلاغة .

مِنْ حديثه صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم : « **دَعْ ما يَريبُك إِلى ما لا يَريبُك** » . شُفُوا هٰذه الحكمة العجيبة .

ومِنْ حديثه عليه الصَّلاةُ والسّلام : « **إنَّ مِمَّا أَدْرَكَ ٱلنّاسُ مِنْ كَلامِ ٱلنُّبُوَّةِ ٱلأُوْلَىٰ : إِذَا لَمْ تَسْتَحِ . . فَٱصْنَعْ مَا شِئْتَ** » .

ومِنْ حديثه عليه الصَّلاةُ والسّلام : « **ٱلْحَلاَلُ بَيِّن وَٱلْحَرَامُ بَيِّن ، وَبَيْنَهُمَا أُمُوْرٌ مُشْتَبِهَاتٌ** » .

ومِنْ حديثه عليه الصَّلاةُ والسّلام : « **ٱزْهَدْ فِي ٱلدُّنْيَا يُحِبّكَ ٱللهُ ، وَٱزْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي ٱلنَّاسِ يُحِبّكَ ٱلنّاسُ** » .

وكلُّ كلامه عليه الصَّلاةُ والسّلام كان مِنَ الحكمة بمكان : « **أَنَا مَدِيْنَةُ ٱلْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا** » .

وكان كلُّ كلامه عليه الصَّلاةُ والسّلام يأْتي فقرات مفصّلة في غاية مِنَ الإتقان .

قالوا : ثمَ كان هـٰذا الميراث جاءَ في كثير مِنْ أَصحابه ، وأَسماهم بالدَّرجة وأَعلاهم به بالرُّتبة : عليُّ بن أَبي طالب ـ كرَّم ٱلله وجهه ـ جاءَ فارس الميدان . كان لا يجارىٰ ، وكان لا يُفحَم في قول .

مِنْ كلامه الَّذي أَرويه لكم أَنا ـ وأَنا لا أَحفظ إلاَّ قليل ، قد يكون الأَخ مُحَمَّد الشّاطري يحفظ الكثير مِنْ كلام الإِمام الغالب ـ هـٰذه الحكمة عنه :

القلوب أَوعية ، فخيرُها أَوعاها .

شفوا هـٰذا الكلام الجزل! والقرآن جاءَ لنا بمثل هـٰذا المعنىٰ ، قال : ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ ما قال أُذُنٌ فقط ؛ لأَنّ كم مِنْ أُذُن تَسمع فلا تعي ، أَو تسمع ولا تكن واعية ؟ وجاءَ الإِمام الغالب بمثل هـٰذا الكلام الكبير ، وبمثل هـٰذه الوَصايا ، مِنْ جملتها قوله هـٰذا الَّذي كثيرْ ما تسمعونه :

يا كميل! مُرْ أَهلكَ بالمكارم . ويغدوا في قضاء حاجة مَنْ هو نائم ، فوالَّذي فلق الحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسمة : ما مِنْ مخلوقٍ يودِع قَلْباً سروراً إلاَّ وخلقَ ٱلله مِنْ ذلكَ السُّرور لطفاً ، حتَّىٰ إذا نزلت بالمحسن نازلة ، أَو نابته نائِبة . . كان ذلكَ السُّرور أَسرعَ إِليها في ٱلانحدار ، حتَّىٰ يطردَها كما تُطرَد الغريبة مِنَ الإِبل عن الحوض .

وأَخذ كثير مِنَ الشُّعراء ، ومِنْ أَهل البلاغة ومِنْ أَهل

الإِعجاز ، كلام الإِمام الغالب ، فأَخذوه ففصَّلوه في شذرات كلامهم ، وأَخذوه قطوفْ لمّاعة يظهر لمعانها في ذات الكلام الَّذي يتكلَّم به ، فقالوا : إنَّ الإِمام ٱبن نباته ، خطيب سيف الدّولة ، وسيف الدَّولة كان محظوظْ ، كان جعل له خطيبْ يخطب له في جُمَعه وأَعياده ٱبن نباته .

فكان ٱبنُ نباته مِنَ البلاغة بمكان ، ولـٰكنَّهم قالوا : لمّا تتبَّعوا كلامه . . وجدوه أَكثره مأْخوذ عن الإِمام الغالب علي بن أَبي طالب رضيَ ٱلله عنه ورحمنا به .

وكان شاعره أَبو الطَّيِّب المتنبِّي ، وَجَد له شاعرْ مِنْ أَبرز النّاس في الحكمة ، ووجد له خطيبْ مِنْ أَبرز النّاس في الحكمة ، قالوا : ولمّا رأَىٰ الإِمام علي ـ رضي ٱلله عنه ـ أَنَّ النّاس ٱبتدأَت تتعثَّر أَلسنتهم . . خاف عليها أَنْ تذهب العربيَّة .

وذا الحين يمكن يكاد يكون أَنَّ العربيَّة ذهبت ؛ لأَنَّنا نسمع الخطيب يقول ، أَنا أَمس واليوم وأَنا أَسمع الرَّاديو يؤَبِّنون الملكَ الرّاحل هـٰذا الملك فيصل بن عبد العزيز ، فسمعت واحد يرفع المجرور وواحد يجرُّ المرفوع .

والحاصل أَنَّهم جاعلين للنَّحو وللعربيَّة لعبْ كاملْ ، عندهم بلاغة وعندهم معنىٰ ، ولـٰكنّه كلُّه هـٰذا مأْخوذ مِنَ الصُّحف ومِنَ الرَّاديو وممّا شاكلها .

فالأَخذ الحقيقيُّ هو : أَنْ يكون الإِنسان يأْخذ مِنْ أَسرار بلاغة القرآن ، ومِنْ أَسرار بلاغة كلام العرب ؛ حتَّىٰ يكون بليغاً ،

وحتَّىٰ يكون هو معجزْ ، وحتَّىٰ يكون هو قؤول ، وحتَّىٰ يكون هو متكلِّم . لا يكون أكمه ولا يكون غير متكلِّم .

فالإمام الغالب سيِّدنا علي - رضي ٱلله عنه وكرَّم وجهه - قال لأبي الأسود الدُّؤَليّ لمّا سمع البنت تقول : ما أحسنُ السَّماءِ . . قال : ٱنح النَّحو - عاده إلاَّ هـٰذا في أوّل الكلام - فكتب ، وأعطاه الإمام جُملاً وقواعدَ ، فجاءَت الجملُ والقواعد هيَ إعراب لمَنْ لا يُعرِب وإدراك لمَن لا يُدرِك ، فأخذوها ودرسوها ووسَّعوها فمشىٰ النّاس فيها في سعة ، وأدركوا فيها الشَّيء الكثير .

قال ٱلشَّيخ مُحمَّد صالح رَيِّس[1] :

النَّحو مِنْ خيرِ ما الطُّلاَّبُ قد طَلبوا ... لأنَّــه مِــنْ كــلامِ ٱلله مكتسَــبُ

إلىٰ آخِر الأبيات الَّتي ذكرها ٱلشَّيخ .

قالوا : وكان الإمام علي - رضي ٱلله تعالىٰ عنه - هو والحبيب صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم - قالوا - كان يتأثَّر غاية التَّأثُّر مِنَ البلاغة ، كثيرْ أنا ما ذكرت لكم مِنْ أبياته الَّتي يهتزُّ لها هو والحبيب صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

قالوا : لمّا كان في غزوة هَوازن وخرج مِنْ (مكَّة) بعد ما مضت عليه أيّام ؛ ليُقسّم الغنائِم - قالوا - قُمْن إليه نسوة منهن ثلاث فقابَلْنَهُ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، ولما قابَلْنَهُ النسوة وسلَّمن عليه . . أنشدَته واحدة منهن ، قالت له :

---

(١) المتوفى بمكة المكرمة ٧جمادى الآخر سنة ١٢٤٠ .

أُمننْ علينا رسولَ ٱللهِ في نفَرٍ　　فإنَّكَ ٱلمرءُ نرجوهُ وندَّخِرُ

هـٰذا الشَّطر العجيب ، وهـٰذا البيت الهائِل ! هـٰذا شِعر لمرأَةٍ :

أُمننْ علينا رسولَ ٱللهِ في نفرٍ　　فإنَّكَ ٱلمرءُ نرجوهُ وندَّخرُ

ما ندَّخر إلاَّ أَنت ولا نرجو إلاَّ أَنت :

أُمننْ علىٰ نُسوةٍ قد كنتَ تَرضَعُها　　إذ فوكَ يملؤُهُ مِنْ ثديها الدُّررُ

تأَثَّر النَّبيُّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، وقال : « مَنِ ٱلْقَوْمُ ؟ » قالوا : بنو سعد .

تأَثَّر الحبيب صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، وٱستحالت الصَّهباءُ ، وٱنحدرت دموع العَيْن منه ، وٱستدعىٰ بني سعد وجاءَت النِّساءُ .

قالوا : وكان مِنْ شأنه أَنْ ما مسَّت يده يد ٱمرأَة لا يملك رقَّها ، لـٰكنَّ هـٰؤلاءِ لمّا شفن تأَثُّره . . ٱغتنمن الفرصة وكلُّ واحدة جاءَت وأَخذت بيده ، وتقول له : أَنِيْ فلانة زوجة فلان . وهو قد عرفهنَّ ؛ لأَنَّه نشأَ فيما بينهنَّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

وتقول له الأُخرىٰ : أَنِيْ فلانة بنت فلان ، وتقول له الأُخرى : أَنِيْ فلانة . . قالوا : حتَّىٰ جاءَت في عدادهن أُخته هـٰذه ٱسمها شيماء ، جاءَتْ وقالت له : إنِّي شيماء بنت حليمة .

فتأَثَّر النَّبيُّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم وعرفها وعانقها ، وٱشتدَّ به زفرات صوت البكاء حتَّىٰ هدأَ ، قال لها : « وَأَيْنَ حَلِيْمَةُ ؟ » قالت له : هي في الخِباءِ .

وهو يبكي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، قال لها : أَتجيبينها ؟

قالت : بيني وبينها مسافة .

قال لها : إلىٰ أَين ؟

قالت : إلىٰ (المدينة) آتيكَ بها . بسط لها النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم رداءَه ، وجلست عليه وأَجلسها عليه . فكانت هي سيِّدة النِّساء وسيِّدة القوم كلِّهم ، لأَنَّها جلست علىٰ رداءِ مُحَمَّد صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

أَحسن البوصيري الكلام ، لما ذكرنا لكم البلاغة ، قال البوصيري فيه :

بَسطَ ٱلمصطفىٰ لَها مِنْ رداءٍ أَيَّ فضلٍ حواهُ ذاكَ الرِّداءُ
فَغَدَتْ فيهِ وهيَ سيِّدةُ النِّسْوَةِ والسَّيِّداتُ فيهِ إِماءُ

ثمَّ أَفرج عن القوم ، وقام خطيباً صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، وذكر لأَصحابه أَنَّ هٰؤلاءِ فيهم بنو سعد ، وأَنَّهم لهم حقوق عليه : « **هَلْ تُطَيِّبُونْ ؟** » فٱرتفعت الأَصوات ، فقال لهم : « **ٱرْجِعُوْا وَلْيَرْفَعْ إِلَيَّ عُرفَاؤُكُم أَمْرَكُم** » فرجعوا إِلىٰ أَماكنهم ، ورجع إِليه العرفاءُ وقالوا له : قد طيَّبنا يا رسول ٱلله ، وقد طيَّب القوم كلُّهم ، فأَخذهم النَّبيُّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

ولمّا كان أَكرمَ العرب علىٰ الإِطلاق . . فداهم ، هم أرادوا أَنْ يعطوه ذلكَ كرامة له ، ولٰكنَّه هو ما يرضىٰ أَنْ تكون لأَحد يد عليه ـ عليه الصَّلاةُ والسّلام ـ إِلاَّ كانت يده هي العالية .

فأَعطاهم الفداءَ ووضعه في الغنائِم حتَّىٰ ٱقتسَموا فداءَهُ القوم هـٰؤلاء . وسار بنو سعد مكرَّمين محترمين .

كلُّ هـٰذا مِنْ أَجل أَنَّهنَّ قَدِمنَ عليه النّسوة وأَخبرنه .

قالوا : وكذلكَ لمّا كان سبب فتح (مكَّة) . و(مكَّة) هـٰذه لمّا فتحت ـ قالوا ـ كانت قريش كثيرةَ الأَذىٰ له عليه الصَّلاةُ والسّـلام ، ولـٰكنَّه كان يعرف أَنَّ هـٰؤلاء كرام ، وأَنَّ النّاس سيدخلون بدخولهم في الإِسلام ، وأَنَّ هـٰؤلاء اليهود لئام ، وأَنَّهم سينفِّرون النَّاس عن الإِسلام .

فهـٰؤلاءِ اليهود حَكَم بقتلهم صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم في القَصص الَّتي تسمعونها وتقرؤُونها والَّتي يذكرها المؤرِّخون ، ويذكرها القرآن ، ذكر قصَّة كاملة في قصَّة بني قريظة كلُّكم تقرؤُونها .

لمّا أَرادَ ٱلله له أَنْ يفتح (مكَّة) سار أَوَّلاً في غزوة (الحديبيَّة) وكانت سمّاها النَّبيُّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم غزوة وعُدَّت مِنَ الغزوات وإِنْ لَم يغزو ؛ لأَنَّ غزواته ـ قالوا ـ سبع وعشرين .

قالوا : إِنَّه ما غزا فيها ، لـٰكنْ عارضه لفيف مِنْ قريش ، فيهم : سهيل ، وفيهم عقيل ، وفيهم أَبو سفيان . فأَرادوه أَنْ يرجع ، فرضيَ النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، وكتبوا عليه شروطْ ، وطلبوا منه أَنْ يتأَخَّر عن العُمرة الَّتي أَرادها إِلىٰ العام القادم ، وكتبوا هـٰذه الشُّروط .

والشُّروط كلُّها في نظر أَصحاب النَّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم أَنَّها مجحفة وأَنَّها غير عادلة ، ولـٰكنَّه كان يرىٰ ما لا يرون .

يرىٰ أَنَّ البلاد ستفتح ، وأَنَّ الغلَبة له ، وأَنَّ ٱلله مؤَيِّده ، وأَنَّ ٱلله ناصره ، وأَنَّ القوَّة قوَّتُه ، وأَنَّ قوَّته لا تُغلَب عليه الصَّلاةُ والسّلام . فرضيَ منهم بالأَربعة الشُّروط المجحفة هـٰذه .

ورجع إِلىٰ (المدينة) بعد القصَّة الطَّويلة . جاءُوا ناس مِنْ (مكَّة) مسلمين ، وكانوا قدِ ٱشترطوا عليهِ : إِذا أَتىٰ إِليكَ ناس مِنْ (مكَّة) وإِنْ كانوا مسلمين . . أَنْ تردهم إِلينا ، وإِذا جاءَ إِلينا ناس مِنَ (المدينة) مسلمين وغير مسلمين . . لا نردهم .

قالوا له أَصحابه : يا رسول ٱلله ، مَنْ ذا الَّذي يخرج عن دِينك ويرجع مِنَ المدينة ؟

فجاءَ إِليه ناس ، منهم أَبو بصير ، وجاءُوا إِلىٰ (المدينة) وقال لهم النَّبيُّ : « **لَنْ أَقْبَلَكُم** » .

قالوا له : يا رسول ٱلله ، خرجنا مِنْ هـٰؤلاءِ الَّذين آذونا وسبُّونا وشتمونا !

قال : وإِنْ كان ، أَنا ما أَقبلكم لأَنِّي بيني وبينهم شرط ولن أَتأَخَّر عن شرطي ، سيجعل ٱلله لكم فَرَجاً .

فجلسوا علىٰ مفرق الطَّريق ، كلَّما جاءَهم حمول لقريش . . أَخذوه وجاءُوا أَوَّلا ، وخرجوا خلفهم ثلاثة نفر مِنْ قريش جاءُوا

إلىٰ (المدينة) يستردُّوهم مِنَ النَّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، فلمّا أَخذوهم . . قَتَل منهم أَبو بصير ٱثنين وهرب الثَّالث ، فجلس أَبو بصير ورفقاؤه في مفرقِ الطَّريق ، وكلَّما مرَّت قافلة لقريش . . أَخذوها حتَّىٰ ضاقت صدور قريش بهم ، فقالوا : يا مُحمَّد ، الشَّرط هـٰذا أَلغه . فأَلغاه النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم تيامناً مع قريش .

ثمَّ جاءَ الخزاعيُّون هـٰؤلاءِ ، وكان بينهم وبين رسول ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم عهد أَنَّه لا يضرِبُهم أَحد إِلاَّ وقام معهم النَّبي ، ولا يضرب قريشْ أَحد إِلاَّ وقام معهم بنو بكر .

جاءُوا هـٰؤلاءِ الخزاعيّون وبينهم وبين النَّبيِّ عهد منه ، لمّا وصلوا معتمرين إِلىٰ (مكَّة المكرَّمة) أَثخنتهم قريش ضرباً وقتلاً وإِيذاءً ، فأَرسلوا واحد منهم ٱسمه عمرو بن سالم الخزاعيُّ ، جاءَ إِلىٰ (المدينة) ليلاً وبات بالمسجد النَّبوي ، وأَصبح حتَّىٰ سلَّم النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم مِنْ صلاةِ الفجر ، ولمّا سلَّم . . قام عمرو بن سالم الخزاعي هـٰذا وأَنشد هـٰذه الأَبيات :

اللَّهُمَّ إِنِّي ناشدٌ مُحَمَّداً ... حِلْفَ أَبينا وأَبيه الأَتلدا
إِنَّ قريشاً أَخلفوكَ ٱلموعدا ... ونبذوا ميثاقَكَ المؤَكَّدا
وقتلونا رُكَّعاً وسجَّدا

ٱهتزَّ النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم . وكما قلنا لكم : إِنَّ

البلاغة والشِّعر يؤَثِّر علىٰ كلِّ عربي سابقاً ، والآن أَصبح كلُّ عربي ما يعرف مِن البلاغة حتَّى يتأَثَّر .

تأَثَّر النَّبيُّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم وقال : « **مَنِ ٱلْقَائِل ؟** » قالوا : عمرو بن سالم الخزاعي . أَدركَ النَّبي وعرف الكلام ، فقال له : « **نُصِرْتَ يَا عَمْرُو ، نصرت يا عمرو ، نصرت يا عمرو** » .

وسار بجيوشه الكبيرة الطَّويلة العريضة حتَّىٰ دخل بها (مكَّة) في يوم الفتح ، وفتح ٱلله له (مكَّة) وأَقام في (مكَّة) ثلاثة أَيّام ، وفي اليوم الرّابع ٱستدعىٰ قريشْ وقال لهم : « **أَحْضِرُوْا لِي قُرَيْشْ** » هٰؤلاءِ الَّذين أَرادوا قتله! والَّذين طردوه ، والَّذين خنقوه ، والَّذين وضعوا السَّلا عليه ، والَّذين رموه بالحجارة حتَّىٰ أَذلقوه ، والَّذين باتوا يرصدونه تحت الدّار ليقتلوه ، عملوا معه كلَّ إساءَة! ٱستدعاهم النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، ولمّا حضروا ـ قال ٱبن سعد في « طبقاته » موجودة « الطَّبقات » ذا الحين ـ قال ٱبن سعد في « طبقاته » : إنَّ قريشْ كلُّ واحد منهم كان يقول لأَهله وولده : ربَّما يقتلني مُحَمَّد ، فلا تدعوني فريسة للكلاب والسِّباع ، خذوني وٱدفنوني .

قال : جَمَعهم في صحن البيت الحرام ، وقام وأَخذ بعضد باب الكعبة ، وقال : « **يَا مَعشَرَ قُرَيْشٍ ، مَا تَرَوْنِي فَاعِلٌ بِكُم ؟** » قالوا له : إنْ تُعذِّبْ . . فقد ـ وٱللهِ ـ أَسأنا ، وإنْ تغفرْ . . فخيرٌ ، أَخٌ كريمٌ ، وٱبنُ كريمٌ ، كان مِنْ قوله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم أَنْ

قال : « لَا أَقُوْلُ لَكُم إِلاَّ كَمَا قَالَ ٱلْعَبْدُ ٱلصَّالِحُ : ﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم﴾ اِذْهَبُوْا فَأَنْتُمُ ٱلطُّلَقَاءُ » .

هٰذا الكلام الكبير ، وهٰذه المنقبة العظيمة ، وهٰذا الشَّرف الزّاخر . هٰؤلاءِ الَّذين آذوه كان يعاملهم صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم بمثل هٰذه المعاملة .

ولٰكنَّه كان مع الحِلم ، وكان مع الكرم ، وكان مع المقدرة . . كان يعرف صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم عقول النّاس .

ذا الحين جاءَ النّاس ، وقالوا لنا : أَصبح النّاس يَعلمون عِلْم النَّفْس . شُفُوا هٰذا العِلْم الَّذي يُدرِك به الإِنسان مِنْ صفحات الوجوه ، إنَّ الوجوه طلاسم ، يدركُ الإِنسان منها كلّ شيء .

لمّا أَطلقهم النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم . . كلُّهم جاءُوا وأَسلَموا ، وما دعاهم إلىٰ الإِسلام ، لٰكنَّه كان حكيم ، وكان ذو عِلْم يعرف الأُمور ويعرف البصائِر حقَّها ، ومتبصِّر بالعواقب كلِّها عليه الصَّلاةُ والسّلام .

فلمّا أَسلمت قريش . . دخل النّاس في دِين ٱلله أَفواجاً . وكانَ عليه الصَّلاةُ والسّلام عَفا وسامحهم كلّهم ، إِلاَّ هٰؤلاءِ الَّذين تسمعون بهم أَنَّهم مَنْ ذَكَر لنا ترجمتَهم سالم البارّ ومُحَمَّد الشّاطري .

ذا الحين عكرمة بن أَبي جهل كان ممَّنْ أَمر النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم بقتله ولو كان متعلقاً بأَستار الكعبة ، وكعب بن

زهير الَّذي تسمعون به، ومجير أم هاني ، هـٰذا الَّذي قالت أُم هانيء :

زعم ابن أَبي ـ يا رسول ٱلله ـ أَنَّه قاتلٌ فلانْ ، يعني ٱبن هبيرة .

وعدَّد منهم ـ قالوا ـ أَحد عشر أَو ثلاثة عشر نفر . وبقيَّة الناس كلّهم الَّذين أَساءُوا إِلىٰ رسول ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم أَعلن أَنَّه عَفا وتاب عنهم عليه الصَّلاةُ والسّلام .

وهـٰؤلاءِ الَّذين أَمر بقتلهم ـ قالوا ـ ورد بعض منهم وجاءُوا إِلىٰ (المدينة) مستسلمين ، فقبلَهم عليه الصَّلاةُ والسّلام .

عكرمة ذا الحين ذكر لنا قصَّتَه ، سالم البارُّ ، وكعب بن زهير قصَّته مشهورة : أَنَّه جاءَ إِلىٰ عند أبوه زهير بعد ما مرَّت عليه ثلاثة أشهُر وهو يرتاد الجبال ؛ لأَنَّه ما حصَّل له مكان ، جاءَ .

قال له أَبوه : تعبت ، وإِلىٰ أَين تريد ؟ الجبال ، والأَرض ، والبراري ، والسَّماء ، والماء . . كلُّها مع مُحَمَّد عليه الصَّلاةُ والسّلام ، عادكَ بغيت فين ؟ معاد لكَ مكان قَطّ أَبداً ، ما يصلح لكَ إِلاَّ أَنْ ترجع إِليه وتُسلِم .

جاءَ إِلىٰ (المدينة المنوَّرة) وصلَّىٰ الفجر ، وسلَّم علىٰ النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

لمَّا سلَّم النَّبي مِنْ صلاة الفجر . . قال له : يا رسول الله ، إِذا أَتاك كعب تائِباً ومستسلماً . . أَتقبلهُ ؟ قال له : « **نَعَمْ** » .

شفوا كيف هـٰذا الحِلْم .

قال له : أَنا كعب بن زهير . أَخذ بيده وقال :

أَشهد أَنْ لا إِلـٰهَ إِلاَّ ٱللهُ ، وأَنَّكَ رسول ٱلله . وأَنشد له القصيدة :

بانَتْ سعادُ فقَلْبي ٱليومَ مَتْبولُ مُتيَّمٌ إِثـرَهـا لَـم يُفـدَ مكبـولُ

وما سعادُ غَداة البَيْن . . . إِلىٰ أَنْ قال :

أُنبِئْتُ أَنَّ رسولَ ٱلله أَوعدني والعفوُ عندَ رسولِ ٱلله مقبولُ

مَهْلاً هداكَ الَّذي أَعطاكَ نافلةَ الـ قـرآنِ فيهـا مـواعيـظٌ وتفصيـلُ

لا تأْخُذَنِّي بأَقوال الوُشاةِ ولَم أُذنِبْ وإِنْ كَثُرتْ فيَّ ٱلأَقاويلُ

كلُّ ٱبنِ أُنثىٰ وإِنْ طالَتْ سلامتُهُ يوماً علىٰ آلةٍ حدباءَ محمولُ

إِنَّ الرسول لَسيفٌ يُستضاءُ بهِ مُهنَّدٌ مِنْ سيوفِ ٱللهِ مسلولُ

إِلىٰ آخِرِ القصيدة هـٰذه ٱلتذَّ بها النَّبيُّ وقبلَها منه وأَعطاه بُردتَهُ ، ففاز بالخيرين .

فاز بتوبة النَّبي وقَبول النَّبي له ، ودخوله في الإِسلام .

وفاز بالبُردة العظيمة الَّتي أَخذها الملوكُ منه بعد ما تعبت النَّاس في طلبها وفي شرائِها منه .

المقصود مِنَ الكلام الَّذي سقناه بمناسبة المولد هـٰذا : البلاغة وسرُّ القول .

والبلاغة هـٰذه ، أَنا كما ذكرت لكم ، أَنَّ النَّاس في الوقت الحاضر مَنْ كان عنده شيء مِنْ سلاسة القول أَو حُسْن التَّعبير ما كان عنده شيء مِنَ النَّحو ، وما كان عنده شيء مِنَ البيان ، وما كان عنده شيء ممّا يمتاز به الإِنسان ، يعرف كيف يضع الكلام لأَيِّ محل مناسب ، والعرب كانوا يقولون ويمثِّلون

بقولهم : كانَ يَعرِفُ مِنْ أَينَ تؤْخَذُ الكَتِف أَو مِنْ أَين تؤْكَلُ ٱلكَتِف .

ذكرت لكم أَنَّ لي يومين وأَنا أَسمع النّاس هـٰؤلاءِ يتكلّمون عن الملك الرّاحل فيصل بن عبد العزيز ، وحُقَّ لهم أَنْ يتكلّموا عنه ، ولو سنينَ طويلة ، ولـٰكنْ! مِنْ شأْن النّاس ـ قالوا ـ خصلتان موجودة في طبيعة البشر : أَنّهم يُعظِّمون الإِنسان ما دام حيّاً ، فإِذا مات . . أَخذوا معه أُسبوع أَو أُسبوعين ثمَّ نَسُوه ، ٱنتهىٰ أَمره كلُّه أَبداً .

قالوا : لـٰكنَّ العالِم هـٰذا مهما كان يبقىٰ عظيمْ ، وغير العالِم مهما عمل لا يبقى له ذكر .

علىٰ أَنَّهم ميّزوا فيما بين السُّلطان العادل والإِمام العادل ، والإِمام العالِم :

فأَكثريّة العلماء ـ عن بكرة أَبيهم ـ يقولون : إنَّ الإِمامَ العالِم أَفضل مِنَ الإِمام العادل والسُّلطان العادل ، ويتأَسّون بقوله تعالىٰ : ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ الأَكثريّة علىٰ أَنَّ أُولو الأَمر هم العلماء ؛ لأَنَّ الملوك ـ قالوا ـ يأْتونَ ويأْخذون ، إنَّما يأْخذون عن العلماء ، ويستندون إِلىٰ العلماء ، ويستمدُّونَ مِنَ العلماء .

ويستندون كذلكَ إِلىٰ الحديث الوارد عنه عليه الصَّلاةُ والسّلام، قال : « **يَوْمٌ مِنْ إِمَامٍ عَادِلٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَبْعِيْنَ سَنَةً** » .

قالوا : هـٰذا بالنِّسبة للعبادة ، لا بالنِّسبة للعِلْم ؛ لأَنَّ أَفضليّة

العِلْم ـ قالوا ـ هي أَفضل الخلافة عن رسول ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ؛ لأَنَّ مَنْ حمل العِلْم . . فقد حمل الخلافة بين جنبيه عن رسول ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، وخلافته أَفضل الأَشياء وأَعظم الأَشياء ، لماذا ؟ لأَنَّ ما المقصود مِنَ التَّفاضل ؟ المناسبة ما تقتضي التفاضل فيما بين العالِم وفيما بين الملوك هٰؤلاء .

المَلِك هٰذا مزاياه ما خفيت علىٰ أَحد قَطّ أَبداً ، أَعظم مزاياه : تمسُّكه بقانون الإِسلام في أَمره وفي بلده كلّه .

ثمَّ مع هٰذا أَنَّه يحمل بين طيّات جنبيه نيَّات صالحة في تأَلُّف الإِسلام ، وفي إِرجاع أَهل الإِسلام إِلىٰ الإِسلام ، وفي تآزرهم ، وفي كونهم يداً واحدة ، ليكونوا كلُّهم تضمُّهم راية مُحَمَّد بن عبدِ ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم حتَّىٰ لا يستوردون مبادىء شرقيَّة ولا يستوردون مبادىء غربيَّة .

هٰذا كان هدفه الَّذي عرفوه النّاس به ، وكان يسعىٰ لهٰذا الهدف ، وإِنْ شاءَ ٱلله الهدف ماشي ، والسَّير في الطَّريق كما قال أَخوه الملك الجديد .

لكن موضوع الكلام الخطباء الَّذين سمعت أَنا كثيرْ منهم وسمعتوهم .

المولىٰ سبحانه وتعالىٰ حكىٰ لنا عن أَبيكم إِبراهيم[1] ؛ لأَنَّ الثَّناءَ ـ قالوا ـ مِنْ جلائِل الإِيمان .

---

(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ .

الثَّناء يربو به الإيمان في قلب العبد المؤْمن ويزيد به الإِيمان .
والثَّناء ، قالوا : مِنَ الأَعمال الَّتي تعطي للإِنسان صلاحية لأَنْ يكون ينتهج فرصة العمل الصّالح للثَّناء .

وفيما بعد حكىٰ ٱللهُ لنا سبحانه وتعالىٰ ـ كما ذكرت لكم ـ حكاية إِبراهيم ، وهي في غاية البلاغة ، قالها أَبوكم إِبراهيم ، وحكاها لكم ربُّكم في كلامه .

قال سيِّدنا إِبراهيم عليه السَّلام : ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ هٰذه الدَّعوة جَمعت ما لم يجمعه غيرها ، وكانت في غاية الإِيجاز ، وكانت في غاية الثَّناء وكانت في غاية المعرفة بما كان عليهِ إِبراهيم .

والنّاس ذا الحين ـ كما ذكرتُ ـ يطيلون ويُعرِبون ويتشدَّقون ، ويقولون ويفعلون ويعملون ، ويمدُّ الواحد يده ، ويحرِّك رأْسه ، ويرفع رِجله ، ويقعد ويقوم وهو في غير طريق البلاغة .

أَمّا ما سمعتوه كلُّكم عن الملك هٰذا . . فالَّذي أحسبه أَنا بالنِّسبة لِما سمعناه عنه أَنَّه قليل في حقِّه . ثمَّ إِنَّه جعل البلاد مهد الإِسلام .

ذا الحين نحن منكوبون ، نحن متغربون ، الأَكثريَّة مننا ـ غير المتقدِّمين هٰؤلاءِ الَّذين جاؤُوا كلُّهم مسترزقين في هٰذه البلاد ـ جئنا منكوبين فكانت البلاد مفتوحة لنا بأَيسر ما يكون .

وأَنا زرت كثير مِنَ البلدان ، في الرِّحلة هٰذه طفت (جاوه) .

فـ(جاوه) هناكَ كلُّ مَنْ دخل عندهم وجاب لهم جواز من عينة الجواز هـٰذا حقَّنا الَّذي نحن نحمله هـٰذا . . يخشون أنَّه شيوعي ، يراقبونه ، ويخلُّون النّاس يسأَلون عنه ويبحثون ، والكاذب يكذب ، والصَّادق يصدق ، ومِنْ وراه أَحكام ، ومِنْ وراه أَخبار .

ثمَّ إنَّ الدُّخول إليها بالنِّسبة لهـٰذا الجواز أَصبح مِنَ الصُّعوبة بمكان . بينما (جاوه) معترفة بالبلاد حقَّنا ، لـٰكنْ هـٰذه البلاد غير معترفة .

ثمَّ هـٰذا الملك فاتح الباب ؛ لأَنَّه يعرف أَنَّ هـٰؤلاءِ مسلمين لا صدر لهم إلاَّ ٱلله ، ولا مفرَّ لهم إلاَّ إلىٰ ٱلله ، ولا ملجأَ ولا مرجع لهم إلاَّ ٱلله ، ففتح البلاد ، وفتح لهم الطَّريق إليها ، وغضَّ الطرف عن مَنْ كان لَم تكن عنده إقامة ، ومَنْ كانت عنده إقامة . هم ما يخفىٰ عليهم شيء ؛ لأَنَّ السّائِس هـٰذا ـ أَي الحاكم ـ يدركُ الأَمر كلّه ، ما هو ما يدرك ! !

ذا الحين هم يعرفون النّاس واحد واحد في البلاد ، ويعرفون عن أَخلاقهم ، ويعرفون عن سِيَرهم ، ويعرفون عن أَعمالهم ، ويعرفون المطرود ، ويعرفون الفارَّ ، ويعرفون المسترزق ، ما شيء خافي عليهم قَطّ .

لـٰكنَّهم مع هـٰذه المعرفة تركوا النّاس وكأَنَّهم في بلادهم الَّتي ولدوا فيها ، مطمئنّين آمنين ، يعمل العامل ويمشي الآخر وكأَنَّما هو يمشي في طمأْنينة ، وفي بلاده ؛ فقد رفع بها رأْس مسلم ،

رفع بها رأس فارّ ، رفع بها رأْس متغرب ، رفع بها رأْس مطرود ، رفع بها رأْس شارد .

ثمَّ مِنْ وراءِ هـٰذا أَنَّ الرَّعيَّة حقّه مدَّ لهم جناح الرّفاهيَّة والمال ، وتركهم يعيشون في بحبوحة مِنَ العيش ، مطمئِنّين وَادعين هانئِين .

ثمَّ إنَّه لا يحكم في هـٰذه البلاد إلاَّ الإسلام ، ما فيها قانون مستورد مِنْ هنا أَو مِنْ هناكَ ، أَو مِنْ شيء مِنْ هـٰذا قَطّ أَبداً .

عندهم غاية ما هناكَ أَنَّها مثلاً تختلف ببعض المبادي ما بين بلاد وبلاد ، ٱختلاف المذهب فقط .

ومِنْ هـٰذه البلاد كانت الهجرة ، وإِليها كانت الهجرة ، وإِليه كان الرُّجوع في هـٰذا الزَّمان .

نرجو ٱلله سبحانه وتعالىٰ أَنْ يحقّق الأُمنيات ؛ بأَنْ يكون هـٰذا الخلَف الموجود خير خلَف لخير سلَف ، وأَنْ يزيد عليه فيما كان يعمله مِنْ أَعمال صالحات ، وأَنْ يبلّغه كلَّ الأُمنيات الَّتي كان يصبو إِليها الملِكُ الرّاحل ، ويجعلَها إِنْ شاءَ ٱلله تأْتيه مذلَّلة ، ويجعل له وزارة وبطانة تكون صالحة له ـ إِنْ شاءَ ٱلله ـ حتَّىٰ ينتفع المسلمون وينتفع الإسلام به .

رجعنا إلىٰ البلاغة .

البلاغة هـٰذه ـ كما ذكرتُ لكم ـ سرُّ القرآن ومعجزة القرآن ، القرآن معجزته البلاغة .

جاءَت قريش وأَرادت أَنْ تقول شيءً مِنَ الآيات تحاكي هـٰذه الآيات ، فعجزت ، ثُمَّ نبَّه القرآن فقال : ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ ثمَّ نبَّه قائِلاً : ﴿بآية﴾ فما قدروا! فأذعنوا للقرآن وأَذعنوا لكلامه ، وأَذعنوا لقوله عليه الصَّلاةُ والسَّلام .

وكما ذكرت لكم دخل النَّاس في دِين ٱلله أَفواجاً ، ثمَّ كانوا حريصين علىٰ هـٰذه البلاغة وعلىٰ سرِّها ، وعلىٰ العروبة حتَّىٰ يبقىٰ العربي عربي ، وحتَّىٰ تبقىٰ اللِّسان منطلقة ، وحتَّىٰ تبقىٰ اللِّسان ذلقة ؛ لأنَّ هـٰذه العربيَّة ـ قالوا ـ أَفضل ما يكون ، وأَشرف ما يكون ، وأَعلىٰ ما يكون .

ومِنْ سرِّها : أَنْ كان الرَّسول عربي ، وأَنْ كان القرآن باللِّسان العربي . فكلُّها جاءت أَوصاف فوق أَوصاف .

يتمنَّىٰ الأَعاجم أَن يكونوا عرب فلم يكونوا ، ولـٰكنَّهم برزوا في العِلْم ، وبرزوا فيما كان فيه العرب ، وفيما كانت فيه العروبة .

أَكثر مَنْ نفعَ الإِسلام وخدَمَ الإِسلام إنَّما هم الأَعاجم : الإِمام البخاريُّ هـٰذا عجمي ، الإمام مسلم عجميٌّ .

أَكثر الأئِمَّة هـٰؤُلاءِ مِنْ (بخارىٰ) ومِنْ (سمرقند) ومِنْ وراءِ النَّهر ، وممّا علىٰ شاكلته .

وإنَّما يا إِخواني أَنا أُحِبُّكم كلُّ واحد منكم لا يكتفي بالمطالعة في الجرائدِ هـٰذه ، يقرأُ له شيءً مِنَ الكتب هـٰذه ، وإِذا قدرتوا أَنْ

تجعلوا لكم ـ أنا إلاَّ أتمنَّىٰ أَنْ تكون لكم ـ ليلة مِنَ اللَّيالي الَّتي تدرس في هٰذه القاعة ، يقرأ لكم فيها الشّاطري ـ وسقّاف عنده نصيب وافي ، باركَ ٱلله في سقّاف ـ يقرؤُون لكم شيءْ تأْخذون به فكرة عن البلاغة حتَّىٰ تقوَّم الألسنة .

هٰذه القراءة الَّتي باتقرؤُونها خذوا لكم ثلاثة أَسابيع في الفقه ، وليلة تجعلونها لكم في أَسرار العربيَّة ، حتَّىٰ يكون الواحد عنده منطلق مِنَ العربيَّة ، يقدر يتكلَّم ، ويقدر يفهم .

ذا الحين الواحد يكون أَبكم ، ما يعرف يتكلَّم ، وبديهي ما يعرف يتكلَّم ، وإِنْ تكلَّم . . جاب المرفوع ردَّه في أَسفل ، والأسفل ردَّه أَعلىٰ ، وخبط لنا الطُّول والعرض ، ثمَّ إنَّه ما يميِّز بين أَسرار العربيَّة ، وبين ما كان دخيل علىٰ العربيَّة .

ذا الحين جاءَت كلمات دخيلة علىٰ العربيَّة مِنَ الأَلفاظ الَّتي أَسمعها أَنا مِنْ كثير مِنَ النّاس ، ينطقون بها ، مثل هٰذه : (الأَزمَّةْ) كثير من النّاس إذا جاءَ قال : (أَيام الأَزمّة) .

و(أَكفه) بدل الكفو .

والأزمّة معناها : اللِّجام ، وجمعها : زمام .

وأَمّا الأَزْمَة هي : الشِّدة .

وهٰذا سببه أَنَّكم تسمعون ناس يتكلَّمون في الجرائِد عِيْنَتْهم ، وإِلاَّ يسمعون مِنَ الرّاديو عِيْنَتْهم ، وأَهل الرّاديوات علىٰ هٰذا الأُسلوب .

والَّذين قبلكم كانوا فحول الكلام ، لا تعتقدون فقط أَنَّ شيوخنا أَولياء فقط ، يصلُّون فقط! والصَّلاة إلاَّ إضافة إلىٰ ما كان معهم مِنْ عِلم وإلىٰ ما كان معهم مِنْ سعة .

أَنا باجيب لكم حكاية كانوا يحكونها لابن شهاب جدّ الشَّاطري[1] ، الشَّاعر هـٰذا المعروف :

تسمعون أَنتم بالماءِ القلَّتين أَنَّها خمس مئَة رطل بالبغدادي ، يعبِّرون بها ذا الحين ويمثِّلونها العلماء ، ذا الحين عندنا يقولون : إذا أَحد يريد أَنْ يعرفها بالمربوع ، وإلاَّ بالمثلَّث ، وإلاَّ بالمدروج - يعني في جابية مربوعة أَو مثلَّثة - ذراع وربع طول ، وذراع وربع عرض ، وذراع وربع عمق .

هـٰذا هو الَّذي يقرّرون ، فجاءَ ٱبن شهاب - ٱنظروا أَنتم كيف المتوسِّعين في العِلْم - جاءَ ابن شهاب ، وقال : أَنا ما أَسأَل عن هـٰذا ، أَنتم ٱختصرتم الوزن ، وقلتم : هـٰذا يكفي عن الوزن . لـٰكن! الماءَ يختلف ثقلاً ويختلف خفَّة - عرفتم ذا الحين ؟- فكثير مِنَ المياه إذا كانت خفيفة . . فالجابية - الَّتي هي علىٰ ذراع وربع طول وذراع وربع عرض وذراع وربع عمق ما يجيء خمس مئة رطل . وبعض الجوابي بايكون الذراع والرُّبع بايكتفي مئة بأربع مئة رطل لثقل الماء .

ونظم سؤَالاً ، وأَرسل السُّؤَال ، يمكن الشَّاطري - يحفظه ؟ أَنا باجيب لكم أَوَّله :

---

(١) العلامة أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب (١٢٦٢ـ ١٣٤١هـ) .

السُّؤَال هـٰذا يقول :

إِلىٰ علماءِ الدِّين في البَرِّ وٱلبحرِ ... مِنَ الشَّافعيّينَ الجهابذةِ ٱلغُرِّ
سُؤَال ولولا ٱلعجزُ ما خُطَّ رسمُهُ ... مِنَ ٱلحضرميِّ ٱبنِ الشهاب أَبي بكرِ
إِذَا بلـغَ ٱلمـاءُ قلّتـي هَجَـر ... فليـس يحمـل الخَبَـثَ المُـزْرِيْ
وأَطبقَ أَتباعُ ٱبنِ إِدريسَ بعدَهُ ... بأَنَّهما محفوظَيِ ٱلقَدْرِ وٱلحَزْرِ

يعني : قدرها وحزرها خمس مئة رطل .

وبعد ذَكَرَ الخفَّة ، فقال : بماذا تعرف الخفَّة ؟

ثمَّ وجَّه كلامَهُ لِلعم مُحَمَّد بن أَحمد الشَّاطري قائِلاً له : علىٰ بالكَ السُّؤَال هـٰذا ؟

فأجابه : نعم في بالي!

ثمَّ قال ـ حفظه ٱلله ـ مشيراً إِلىٰ هـٰذا السُّؤَال فقال : وعالَجوه العلماء في شتَّىٰ الوجوه ، وأَجابه واحد مِنَ (اليَمن) ٱسمه ٱلسَّيِّد داوود حجر مِنْ بحره وقافيته ، وكان جوابه شافيْ ؛ لأَنَّ (اليَمن) فيها علماء ، وكثير مِنَ العلماءِ عجزوا عنه ، وذا الحين حتَّىٰ أَنتم تقرِّرون الماءَ بالقلَّتين ، ولـٰكنَّ المشكلة هـٰذه تأْخذ بكم! حد عنده جواب لها هـٰذه ؟ وكيف الطَّريقة ، وكيف معرفةُ ثقل الماء وخفَّة الماء ؟

جابوا طريقة لخفَّة الماء ، قال لكم سالم البارّ :

القطن يضعونه في الماء ، ثمَّ يأْخذونه ويبقىٰ حتَّىٰ يجفَّ منه الماء ، فإِذا جفَّ . . يوزنون القطن مِنَ الجابية هـٰذه والقطن مِنَ

الجابية الأُخرىٰ بٱعتبار الماءِ الخفيف والماءِ الثَّقيل ، فيُعرَف الثِّقل ويُعرَف الخِفّ به ؛ لأَجْل يعرف الإنسان أَنَّ القلَّتين علىٰ هـٰذا التَّرتيب ؛ أي : بذراع وربع عمق ، وذراع وربع عرض ، وذراع وربع طول غير مضبوطتين .

وبعد هـٰذا القدر مِنْ كلامه ـ حفظه ٱلله ـ ٱعترض بعض الحاضرين بأَنَّ هـٰذه الطَّريقة ـ أَي وضع القطن في الماء ثمَّ تجفيفه ، ثمَّ وزنه ـ هـٰذه طريقة متعبة ، وما دام فيه وزن فيوزن الماءُ مباشرة ، وبالوزن في الحال نعرف الثَّقيل مِنَ الخفيف حالاً .

وطال الأَخذ والرَّدّ ، وٱنتهىٰ بأَنْ أَخبرهم العمّ مُحمَّد الشَّاطري أَنَّ الفرقَ نسبيٌّ فقط ، ما يصل إلىٰ درجة تؤَثِّر .

ورُتِّبت الفاتحة وٱنتهت الجلسة .

* * *

كلام نفيس عن الهمة والعزم واجتهاد العلماء وتصانيفهم الكثيرة مثل الغزالي والنووي وغيرهم وقصة زين العابدين العيدروس

> وتكلّم سيّدي ـ حفظه ٱلله ـ بهـٰذه الكلمة القيّمة في الرَّوحة الَّتي تعقد بمنزل الأخ طـٰه بن مُحمَّد بن طـٰه . وذلكَ مساءَ الجمعة الرّابع عشرَ مِنْ شهر ربيع الثّاني مِنْ عام (١٣٩٥هـ) الموافق الخامس والعشرين مِنْ أبريل (١٩٧٥م) .
>
> وقد ٱبْتُدئت الجلسة كالعادة بقراءَة في الفقه ، ثمَّ أنشد بارجاء قصيدة للحبيب علي بن مُحَمَّد الحبشي .

قال حفظَه ٱلله :

الَّذي أُصيب به النّاس في هـٰذه العصور الأَخيرة هو أَمر واحد ، ذلكَ الأَمر سوف تأْخذونه مِنْ كلام الحبيب علي في القصيدة الَّتي سمعتوها ، والَّتي أَنشدها لكم بارجاء لما قال :

ما تسير السُّفن إلاَّ بقوَّة شراعي .

كانوا العلماء يقرِّرون أَنَّ الهمَّة رائِدة التَّوفيق ، ويقرِّرون أَنَّ الهمَّة بريد البشارة ، فإِذا عزم الإِنسان علىٰ أَمر مِنَ الأُمور ـ مهما كان الأَمر ـ إِذا جدَّ فيه . . لانت له شدائِده ، وهانت صعابه ، وأَدركه ٱلله بمعونة مِنْ عنده ، وبتوفيق وبتأْييد وبتسديد ، فتذلّلت له الشِّداد ، وسار ، وتيسَّر له الأَمر هـٰذا .

هـٰذا الَّذي فقدوه النّاس في الزَّمن هـٰذا ، والسَّبب في ذلكَ : أَنَّ النّاس نفوسهم مائِعة أَصبحت ، وقلوبهم أَصبحت ذائِبة! فلا

ترىٰ الإِنسان يعرف حقيقة إنسانيَّته ، وأَنَّ ٱلله سبحانه وتعالىٰ جعل فيه شيءْ ما أَعطاه غيره مِنَ المخلوقات .

جعل فيه قوَّة الإدراك ، وجعل فيه قوَّة الحاسَّة ، وجعل فيه كذلكَ قوَّة العِظام العصبيَّة القويَّة الَّتي تنود لها الجبال ، وتهتزُّ لها الشَّوامخ .

هٰذه أَصبحت ضعيفة ، وهٰذه ـ قالوا ـ إِذا صدق الإِنسان فيها . . ساعده ٱلله بالتَّوفيق ، كما ذكرنا .

والتَّوفيق هٰذا ـ قالوا ـ يعمل الإِنسان ما يريد معه ، فتتذلَّل له الصِّعاب ، كما يقول المتأَخِّرون : يأْتي بالمُحال . وما شيء بالمحال في أَمر الدُّنيا قَطّ أَبداً .

علىٰ الإنسان أَنْ يجدَّ ، وعلىٰ الإنسان أَنْ يصدق في كلِّ شيء . فإِذا أَقبل علىٰ ٱلله وصدق مع ٱلله سبحانه وتعالىٰ ، وَآتاهُ ٱلله بأَسباب مِنْ عنده . . أَعانه فيها علىٰ العبادة وذلَّلها له ، وإِلاَّ . . فإنَّكم تسمعون كثير مِنَ الشُّيوخ هٰؤلاءِ الَّذين يقومون اللَّيل كلَّه ، وفيه ناس يقومون ثلث اللَّيل ، وفيه ناس يقومون نصف اللَّيل ، وفيه ناس يقومون أَقلّ ، وفيه ناس يقومون أَكثر .

وأكثريَّة النّاس يصعب عليهم القيام مِنَ النَّوم ؛ لأَنَّ الإِنسانَ يشعر بٱسترخاء ، ويرىٰ أَنَّ ٱلاسترخاء إذا قام فيه مع الفجر . . ربَّما ـ يقول ـ بايصبح ضارب عندي ـ أَي : وجع بالرّأْس ـ بأَصبح مرهق ، معاد باقدر أَتحرَّك قَطّ أَبداً .

هـٰذه كلُّها وساوس وتخيُّلات لا أَقلّ ولا أَكثر ، وإِلاَّ . . فالقائِمون هـٰؤلاءِ في ثلث اللَّيل ، ونصف اللَّيل ومَنْ كان علىٰ شاكلتِهم ، وما ذكرهم القرآن فيه : ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَلَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ إِلىٰ أن قال : ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ ﴾ .

فالشَّاهد : أَنَّ الإِنسان يقدر علىٰ شيء بهمَّته وبمساعدة مولاه ، ومثله العزائِم الجبّارة المهيلة هـٰذه .

وتذليل الصِّعاب سَواء ، إِنْ كان في أمر دنيا أَو كان في أَمر أُخروي .

فإِذا نظرنا ذا الحين نحن إِلىٰ أَنفسنا مِنْ جهة ما نُكِبنا به ، ومِنْ جهة ما أُصِبنا به ، كلُّ واحد يصدِّق نَفْسه لعاد يصدق نحن ؛ لأَنَّ كلَّ واحد ما يريد أَنْ يتكلَّم .

لو قيل له : هل بكيت لله سبحانه وتعالىٰ فيما أَصاب بلادك ليلة مِنَ اللَّيالي . بايقول : لا! بينما هو يتذمَّر ، لـٰكنَّ الهمَّة الصّادقة ما هي موجودة .

هل تأَثَّرت ليلة مِنَ اللَّيالي أَو في يوم مِنَ الأَيّام بدعاء حول الملتزم ، أَو حول البيت الحرام ، أَو حول قبر الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم ـ أَو ما شاكل ذلكَ ـ حتَّىٰ خارت قوائِمك في تلكَ اللَّحظة أَكثر ؟ النّاس بايقولون : لا ! إِلاَّ مَنْ عصم ٱلله ، وقليل ما هم ؛ ذلكَ أَنَّ الهمَّة الَّتي أُعطيها الإِنسان علاوة علىٰ إِنسانيَّته ، ليكون روحانياً ،

وليكون قويّاً ، وليكونَ مَلِكاً ، وليكونَ شديداً ، وليكون ذا نفوذ ، وليكون ذا إمرة ، وليكونَ ذا هيبة وسلطان قوي . . هٰذه هو أَضاعها وأَطاح بها بنَفْسه ، ما أَحد ضيَّعها عليه .

كان الشُّيوخ المتقدِّمون يذكرون حكاية ـ مهما كانت الحكاية ولٰكنْ مقبول كلُّ ما يجيء مِنَ الشُّيوخ ـ فقالوا ـ : إنَّ فيه واحد مِنَ الدَّراويش الفقراءِ الضعاف وقع نظره علىٰ بنت مَلك مِنَ الملوك ، فأَحبَّها وعشقها ، وقال : أَنا باخطبها هٰذه .

فضحكَ النّاس عليه ، وقالوا : ما يتأَتّىٰ أَنَّك تخطبها ، درويش يتزوَّج علىٰ بنت ملك! وأين القصر الَّذي لها ؟ وأَين الأُبَّهة ، وأَين الأَثاث ، وأَين المظهر ، وأَين الثِّياب ، وأَين اللّياقة ؟ هـذه كلُّها ما هي موجودة .

فما وسعه إلاَّ أَنْ يسير بالهمَّة الفعّالة هٰذه إلىٰ عند الملك ، فخطب منه بنته كما يخطب النّاس مِنَ النّاس .

فقال له الملك ساخراً به ، قال له : أَنت تعرف أَنَّ بنات الملوك ما هو مهورهن ؟

قال له : لا! ما أَعرف ، ما هو مهورهنَّ ؟

قال له : مهورهنَّ ملا القَدَح هٰذا الَّذي معك . ـ درويش هو ، قدح معه يشله يشرب به ويأْكل فيه ـ ملاء القدح هٰذا مِنَ الجواهر .

قال له : يكفيك هٰذا ؟

قال له : يكفي ، إذا جبت ملاء القدح هـٰذا مِنَ الجواهر . . كفاني هـٰذا .

خرج مِن عند الملك وهو متحقِّق أَنَّ الخطبة في محلِّها ، وأَنَّ الجواهر هـٰذه متيسِّرة ؛ لأَنَّها في الدُّنيا ، وكلُّ ما كان في الدُّنيا في إِمكان البشريَّة .

فسار يسأَل : أينَ الجواهر هـٰذه توجد ؟

قالوا له : توجد في قعر البحار .

فخرج بالهمَّة الَّتي هي رسول التَّوفيق ، وأَخذ بقدحه يغرف مِنَ البحر .

قال الشُّيوخ : إنَّ ٱلله أَلقىٰ في قلب الحيتان أَنَّ كلَّ حوت يلقي له جوهرة . فأخذ كلُّ حوت جوهرة بفمه وأَلقاها له خارج البحر .

هو لما كان صادقاً في مقصده . . أَخذ ملأَ القدح حقَّه وتركَ الباقي ، وسار إِلىٰ عند الملكِ وقال له : هـٰذا المَهر الَّذي طلبته منِّي .

تعجَّب الملك منه! مِنْ أَين جبته ، وكيف ، ومِنْ أَين هـٰذه الجواهر ، وما هو الشَّأْن ، وما هو هـٰذا العمل ؟

قال له : المقصود ، هـٰذا المهر .

ما وسع الملك ـ قالوا ـ إِلاَّ أَنْ يزوِّجه . جاب له شيءْ فوق مستواه ، فزوَّجه بنته .

وموضع الكلام : أَنَّ الهمَّة الَّتي ذكرناها لكم رائِدة التَّوفيق . وقد فترت الهمم أَو لَم تكن موجودة في البشريَّة في هـٰذا الزَّمن .

وكان الشُّيوخ ـ كما سمعتوا قصيدة الإمام الحدّاد[1] ـ الَّذين يتأَثَّرون بوقائِع الأَحوال ، ربَّما كانت أَقل بكثير مِنْ وقائع الحال الَّذي نحن فيه ، وربَّما كانت غير ذات مراسي ، وربَّما كانت ضعيفة ، ولـٰكن زمانهم جعلَها كبيرة بالنِّسبة لزمانِهم ذاك ، يتأَثَّر ويبكي لرسول ٱلله صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

وكان في مناقبه ـ يحكيها الشَّيخ عبدون قطنة ، يحكيها للحبيب مُحَمَّد بن زين بن سميط ـ قال : إنَّها حدثت حادثة في (تريم) فلمّا حدثت الحادثة في (تريم) تأَثَّر لها الإمام الحدّاد ، ولمّا تأَثَّر لها . . حصلت الهمَّة والانفعالات .

والهمَّة والانفعالات يطلبها الإنسان مِنْ ربِّه ؛ لأَنَّ الإنسان ـ قالوا ـ إنَّما يبكي لمربِّيه ، والمربِّي هو ٱلله .

فالصبيُّ الصَّغير يبكي لمَنْ ؟ إذا يريد شيء مِنَ الآلات هـٰذه يبكي لمَنْ ؟ بايبكي لمربِّيته ، للَّتي تربِّيه ، إنْ كانت أُمَّه أَو أُختَه ، أَو خادمته أَو عمَّته ، أَو أَحد منهم هـٰؤلاء البُكَاء عندها هـٰذه ؛ لأَنَّها هي الَّتي باتعطيه لا غير .

والمولىٰ هوَ المربِّي ، وهو الرَّبُّ الأَوَّل ، فكانوا يبكون له .

قال ٱلشَّيخ قطنه : إنَّ الإمام الحدّاد في تلك اللَّيالي ، ثلاث

---

(١) الإمام قطب الدعوة والارشاد عبد الله بن علوي الحداد (١٠٤٤ـ ١١٣٢ هـ) .

ليالي أَخذ لا ينام ، وأخذ يكرِّر كثير مِنْ آيات القرآن الَّتي ملآنة بالتَّوفيق :

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ .

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ .

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ .

﴿ لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ .

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ .

قال : وهوَ مرتعد ، وفي كلِّ لحظة أَنا منتظر أَنْ تزهق روحه ، وتخرج .

تلكَ هي قمَّة الإِيمان ، وبُعْد الهمَّة أَو العزمة القويَّة .

قال : ما مرَّت ثلاث أَيّام حتَّىٰ ٱنفرجت القضيَّة بذاتها ، وأَصبح النّاس في خير ولطف ببركة دعاءِ الإِمام ، وببركة الهمَّة الَّتي حصلت للإِمام .

ثمَّ إِذا نظرنا إِلىٰ الدِّين هـٰذا الَّذي أَقامه سيِّد البشر . فلا شكَّ أَنَّ قيامه بمعونة ٱلله ، وبحفظ مِنَ ٱلله ، وبتأْييد وتسديد مِنَ ٱلله . لـٰكنَّه صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم بذل في سبيله أَقصىٰ جهده .

كان أَبو طالب الَّذي يحنوا عليه ويربِّيه ، ويتعب ، ويجهد معه ، كان يقول له : يا ولدي! أشفق علىٰ نفسك مِنْ هـٰذا الأَمر ، وٱترك هـٰذا الأَمر .

فقال له : « وَٱللهِ لَوْ وَضَعُوْا ٱلشَّمْسَ فِي يَمِيْنِي ، وَٱلْقَمَرَ فِي شِمَالِي ، عَلَىٰ أَنْ أَتْرُكَ هَـٰذَا ٱلأَمْرَ . مَا تَرَكْتُهُ » . وقد يدعو بمفرده .

وفي سبيل الدَّعوة ناله مِنَ الأَذىٰ ما قد عرفتوا ، رموه بالحجارة ، ورموه بالجنون ، وأَرادوا قَتْلَه ، وثَّقوه إِلىٰ شِعب بني هاشم سنتين وثمانية أَشهر ، وطردوه إِلىٰ (المدينة المنوَّرة) ولـٰكنْ ما حصل في عزيمته يوماً مِنَ الأَيَّام أَيُّ كَلٍّ أَو وَهَن قَطّ ، حتَّىٰ تبعه المستضعَفون كما حكىٰ ٱلله : ﴿ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾ .

وما كان هو صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ليقيم الدِّين بهـٰؤلاء ، لـٰكن إِقامة الدّين تكون بالاتِّباع ، وبالقوَّة والهيمنة والسُّلطان ، فبقيَ هو وإِيَّاهم محصورٌ في دار الأَرقم يعبد ٱلله سرّاً حتَّىٰ نزل عليه : ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ وجاءَتْه القوَّة الإِلـٰهيَّة ، والقوَّة الإِلـٰهيَّة هي البريد - كما ذكرناها لكم - بريد التأْييد ، وبريد التَّوفيق ، وبريد القوَّة ، ثمَّ هـٰؤلاءِ أَهل العزائِم القويَّة .

هـٰذا الملك ذا الحين - أَيّ : الملك عبد العزيز آل سُعود - يمكن تقرؤون تاريخه! أَقام دولة طويلة ، أَكبر دولة في الجزيرة العربيَّة كلِّها بمن ؟

يقال : إِنَّه أَقامها بثلاثين أَو بثلاث مئة نفر . أَحد يقيم دولة علىٰ هـٰذا العَدد ؟ ولـٰكنَّ الَّذي صيَّره يعمل علىٰ هـٰذا مِنْ ثقته بنَفْسه ، ومِن إِيمانه بأَنَّه يتغلَّب ولا يُغلَب .

فأَعانه ٱلله ، وعقد له بالقوَّة حتَّىٰ صارت الدَّولة الَّتي يشار إِليها في أَيّامه .

في أَيّامه صارت الدَّولة الَّتي يشار إِليها بالبَنان مِنْ شرق الأرض وغرب الأَرض ، وقامت الدَّولة علىٰ كتفه وعلىٰ أَتباع قليلين ، وصارت الدَّولةَ الوحيدة .

والهمَّة اليوم ضعفت ؛ فالنّاس ضعفت فيهم عزائِمُ الخير ، وضعفت فيهم عزائِم العمل ، وضعفت فيهم حتَّىٰ عزائِم المادَّة .

ولو جئنا ذا الحين بغينا واحد حتَّىٰ يكون في نشاطه التِّجاري ، وفي مضمار الحياة . . وجدناها كلَّها عزائِمَ ضعيفة ، أَو سخيفة ، أَو ذات هزال ، أَو ذات مرض كلّها ما فيه يوجد في قلب الواحد علىٰ أَنْ يكون مليونير .

يقولون له : لماذا يقنع الكثير منكم بأَنْ يكون موظَّف بأَلف ريال وإِلاَّ خمس مئَة وإِلاَّ ألف وخمس مئة ؟ ويشوفها أَنَّها سلطنة ! هي ، ما هيَ مِنَ العزَّة بمكانة ، ولا هي مِنَ الشَّرف بمكانة ، ومثل هـٰذه الأُمور الَّتي تقام بها العلوم .

ذا الحين ، كما عمّكم مُحَمَّد الشاطريّ هـٰذا ، إِذا نظرنا إِلىٰ مطالعته للكتب ، وقراءته في الكتب في السِّنِّ المبكِّر ، ما ذاالحين ! معاد معه وقت للقراءَة ، والكتب الَّتي نعرف أَنَّه قرأَها ، ومثله الَّتي قرأْتُها أَنا ، وأَنا أَقلُّ منه يمكن ثلاثة أَرباع أَو عشر أَسهم ، هو بعيد المدىٰ ، وبعيد الشَّأْو في كلِّ شيء . .

وجدنا أَنَّه لولا الهِمَّة الإلـٰهيَّة والمعونة الإلـٰهيَّة ما حفظ شيء ممّا قرأه ، ولما أَدركَ شيء ممَّا قرأَه .

ثمَّ هـٰذا العون الإلـٰهيُّ تتفتَّح مِنْ ورائه معارف أَوسع مِنَ المعارف الَّتي يدرسها ، وفهوم أَوسع مِنَ الفهوم الَّتي قرأَها في هـٰذا أَو ذاكَ الكتاب .

وكثير مِنَ العلماء مضت أَعمارهم في التَّدريس والتَّأْليف ، ومنهم كذلكَ مَنْ صنَّف .

هل تعرفون أَنَّ الإمام الغزالي والإمام النَّووي في أَعمارهم القليلةَ ، عمر الإمام النَّووي إلاَّ خمسة وأَربعين سَنة ، هل تسمعون بكتبه ؟

قالوا : أَكثر مِنْ ثلاثين كتاباً للإمام النَّووي وحده! ويكفي في كتبه إلاَّ « المجموع » هـٰذا الَّذي تعرفونه .

إِحد عشر جزءْ منَ « المجموع » للإمام النَّووي ، كلُّ واحد لوحده مجلد كبير .

اليوم نريد واحد يكتب جزء منها ، يصعب عليه كتابته .

و« الرَّوضة » الكتاب الكبير في ثمانية أجزاء وكتاب له سمّاه : « التَّحقيق » .

وكتاب له : « المنهاج » .

وكتاب له : « الأذكار » .

وكتاب له : « رياض الصّالحين » .

وله كتب كثيرة جمعوها ، قالوا : ثلاثين كتاباً للإمام النَّووي في عمر خمسة وأربعين سنة . والخمسة والأربعين السَّنة لا شكَّ أَنَّ منها عشر سنين أَو ٱثني عشرَ سنة صِبا ، ومنها قراءة وتدريس علىٰ الشُّيوخ ستّ سنين وإلاَّ ثمان سنين وإلاَّ مثلها . نُقِل هو ؛ لأَنَّه كان في (نوىٰ) ـ قرية تحت دمشق ـ فنقلوه مِنْ (نوىٰ) ـ قالوا ـ إلىٰ (بغداد) للدَّرس ، ودَرَسَ في (بغداد) .

ولمّا دَرَسَ في (بغداد) عاد إلىٰ (دمشق) وجلس للتَّدريس وللكتابة في هٰذا السِّنِّ المبكِّر ، لا أَقلّ مِنْ أَنَّها عشرين ، خمسة وعشرين مرَّت عليه أَوَّلاً في الصِّبا ، ومرَّت عليه في أَخذ الطَّلب هٰذا ، وبعدها يمكن صنَّف ، ولٰكنْ! متىٰ كان يجلس للدُّروس ؟

ومتىٰ كان يقعد للعبادة ؟ معدود كان مِنْ كبار الأَولياء ، يسمَّىٰ : العالِم الرَّبَّانيّ ، إذا كتبوا عنه . . فقالوا : العالم الرَّبَّاني .

متىٰ ذي العبادة حقَّه ، وقيام اللَّيل ؟

ومتىٰ يقرأُ الأَذكار حقَّه ، والأَوراد الَّتي يأْتي بها ؟

ومتىٰ يعمل أَعماله ؟

ومتىٰ يكتب ، ومتىٰ يُدرِّس التَّلاميذ ؟

ثمَّ قالوا : سِنُّ الإمام الغزاليِّ خمسة وخمسين سَنة يكفي « الإحياء » وحده ، فكيف وله مِنَ الكتب الكثير .

اليوم كنَّا في مجلس أَنا والأَخ عبد القادر وجماعة مِنَ الإخوان

نُعدِّد كتب الإمام الغزاليّ الَّتي عثرنا عليها ، وهي الَّتي أَنا عثرت عليها في (الشام) وآستجلبتُها ، فكيف هـٰذه الكتب . أَلَّفْها وكتبها ؟

وفي أَيِّ وقت كتبها ، ومع مَنْ كتبها ؟

وكيف هـٰذه البركة في الوقت ؟

قالوا : عَدُّوا للإِمام النَّووي كلَّ يوم كرَّاس مِنْ يوم وُلد .

أَمَّا الإِمام الغزالي : يمكن تكون كراريس مِنْ يوم ولد .

ثمَّ أَخذ الحبيب ـ حفظه ٱلله ـ يتجاذب الحديث مع بعض الحاضرين ، وذكروا الإِمام السُّيوطيَّ ، وأَخبرهم بأَنَّه أكبر منهم سِنّاً .

ثمَّ أخذوا يُعدِّدونَ بعضاً مِنْ كتب الإِمام النَّووي ، وذكروا له « شرح مسلم » و« شرح البخاري » له تعليقات يشيرون إِليها في « البخاري » . وكثير عَدوًّا له في كلِّ يوم كرّاسة مِنْ يوم وُلد وليس مِنْ يوم أَدركَ . ثم قال الحبيب عبد القادر حفظه الله .

وأَمّا الإِمام الغزالي : فأَمره أوسع مِنْ هـٰذا الكلام .

ويذكرون عندنا الشُّيوخ الإِمام العيدروس الأكبر ، توفِّي في هـٰذا السِّنِّ المبكِّر ، وكتب وختم ، وعمل وصنَّف . ويذكرونه بالولاية الكبرىٰ والعمل الصّالح ، ويذكرونه بإِصلاح ذات البَيْن ونقيب العَلَويّين ، وأَشياءَ كبيرة جمّ . هـٰذه الَّتي ذكرناها لكم هي الهمَّة .

وكثير مِنَ الشُّيوخ توفّاهم ٱلله في السِّنِّ المبكِّر ، ونفع ٱلله بهم . والنَّفع هـٰذا ـ كما ذكرته لكم ـ إنَّما هو الهمَّة الَّتي فقدوها النَّاس اليوم ، والَّتي تأَثَّرَتْ بمرض قلبي وخدّرت في النَّاس اليوم ، فأَصبح النّاس اليوم عاجزين .

هل أحد عنده همَّة ؟

هل أحد عنده عزيمة ؟

تسمعون أنتم بقضيَّة زين العابدين ؟ زين العابدين العيدروس ـ قالوا ـ جاءَ إِليه واحد مِنْ أَهل الهِمم الفعَّالة ، جاءُوا إِليه ناس ـ يشكون إِليه الحاجة ـ مِنْ طلبة العِلْم في (تريم) وكأَنَّهم بايسافرون .

قال لهم : لا ، لا تسافرون ، واحد يسافر وأَنتم ٱبقوا لطلب العِلْم ، وأَنا سأَكفيكم المهمَّة .

سافر ، وكان الحبيب علي حبشي يذكر في كلامه أَنَّه غاب عن (تريم) خمس جُمَع فقط .

لمّا وصل إِلىٰ (الهند) وكلُّ ذلكَ سببه الصِّدق معَ ٱلله والهمَّة الفعَّالة هـٰذه ـ لمّا وصل إِلىٰ (الهند) . . كان رئيسُ دولة (الهند) له ٱعتقاد في العلماء وفي أَهل البيت الطّاهر أَكثر فبلغه وصوله ، وعَلم النّاس بهـٰذا الإِمام أَنَّه وصل ، فٱستأذن الملكُ في زيارته ، ولمّا ٱستأْذن في زيارته . . قال : قولوا له : ما هناكَ رخصة للزِّيارة ، ولا لتقبيل اليد ، ولا للسّلام إِلاَّ بثلاث مئَة ألف . إِنْ كانت دنياك أَعزَّ منك . . يدي أعزُّ منها .

فقالوا للملك : إنَّ العيدروس يقول : إذا باتسلم عليه ، وباتجيء باتزوره . . يبغىٰ ثلاث مئة ألف . ما باتجيء . . معذور .

فقال : ثلاثَ مئَة عندي أهون مِنْ أَنْ أَرىٰ الوجه الصَّبيح وأُسلِّم عليه ، وأَطلب دعاءه ، وأَلثم يده .

أَتىٰ بالثلاث مئة ألف قَبْل أَنْ يُسلِّم عليه ، قال : هٰذه الثلاث مئة الألف ، أَنا بغيت باسلِّم علىٰ ٱلسَّيِّد ، وباطلب دعاءَه .

دخل إِلىٰ عند العيدروس وأَعطاه الفلوس ، وسلَّم عليه . ورجع العيدروس وكانت منِ ٱنفعالاته الكثيرة .

قالوا : كان جعلها أثلاث : مئة ألف جعلها بٱسم طلبة العِلْم ، فٱنتعشت البلاد ، وكانت (حَضْرَمَوْت) منتعشة بهٰؤلاء الرِّجال .

ومئة ألف جعلها للضَّيف ـ كان الحبيب علي يحكي عنه ، كتبوا عنه ، له ترجمة خاصَّة ـ فقال لأَهل (تريم) كلّهم : إنَّ الضُّيوف الَّذين يدخلون (تريم) إِلىٰ أَلف كلّهم هاتوهم إِلىٰ عندي ، وما زاد علىٰ الأَلف مَنْ يأْخذ له ضيف . . يأْخذه ، لا مانع . وأَمّا ألف ضيف هٰذا إِلىٰ بيت زين العابدين العيدروس .

والمئَة الأَلف الباقية قسَّمها علىٰ الفقراءِ والمساكين .

[وقال العمّ مُحَمَّد بن أَحمد الشَّاطري : إنَّه جعلَها لإِصلاح المساقي] .

وقال ـ حفظه ٱلله ـ : ويمكن لإصلاح المساقي . هـٰذا يحكيها الحبيب عليّ حبشي ، وقد تكون أَنَّها لإِصلاح المساقي ، وقد يكون أَنَّ منها لإِصلاح المساقي ، أَصلحها هو الحبيب .

هـٰذه الهمَّة الفعّالة ، وكيف أَنَّ المولىٰ سبحانه وتعالىٰ يحرِّك القلوب .

القلوب بيد مَنْ ؟ بيد محرِّك يحرِّكُها ، ومصرِّف يصرفها ، وعامل يعمل فيها ما يريد وما يشاء .

وإِذا صدق العبد مع ٱلله سبحانه وتعالىٰ . . حرَّك له الهمَّة . وأَنا الَّذي أُريده اليوم أَنَّ كلَّ واحد منكم أَولاً يصدق مع ٱلله ، ثمَّ في الصِّدق مع ٱلله إِذا أَراد أَنْ يدعو مولاه . . فليُحْضِر قَلْبَه ، يخرج كلَّ شيء مِنْ قَلْبِه في تلكَ اللَّحظة وكأَنَّه يواجه مولاه تلقاه ، فليرفع يديه وليبكي . والنَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم يقول : « إِنْ لَمْ تَبْكُوْا فَتَبَاكَوْا » . هـٰذا له تأْثير .

قالوا العلماء ـ الإِمام الغزالي هـٰذا نقله عنه ٱلشَّيخ ٱبن حَجَر مِنَ « الدُّرِّ المنضود » طَبَعَهُ الكعكي ، طبعوه جديد قبل ثمان سنوات أَو ستِّ سنوات ، « الدُّرُّ المنضود في فضل الصَّلاة علىٰ الحامد المحمود » ـ للشَّيخ ٱبن حَجَر نَقَلَ فيه : قال ٱلشَّيخ الغزالي : إِنَّ سبب ٱلاستسقاءِ ، وسبب الرَّحمة الَّتي تتنزَّل للجموع ، وسبب البركة الَّتي تفيض علىٰ النّاس ، وإِنَّ كلَّ ٱجتماع لا بدَّ له مِنْ حضور روحانيّين وملائِكة متأَثِّرين مع تلكَ الملائِكة ، مِنْ فوقهم ملائِكة متَّصلين مرتبطين بهم روحانيّين في العالَم الأَعلىٰ .

قال : فإذا تأثر الجمع ورجع إلىٰ مولاه في دعاه ، أو حصلت عنده طمأنينة ، أو خشية ، أو سكون ، أو ما يدخل الرَّهبة - قال - يتأثَّر الرُّوحانيُّون الحاضرون عنده في المجلس الَّذي يحيطونه ، وبتأثُّر الرُّوحانيِّين هـٰؤلاءِ يتأثَّر الرُّوحانيُّون الَّذين هم فوق .

وعند تأثُّر الرُّوحانيون الَّذين هم فوق تتنزَّل الرَّحمة ، ويتنزَّل الخير ، ويَقبل ٱلله الدُّعاء ويستجيب المولىٰ سبحانه وتعالىٰ .

والنّاس اليوم فقدوها ، كلُّنا نصلِّي ، ولـٰكنْ! هل نصلِّي بحضور ؟ أو بدون حضور .

كثير أَنا ما أَذكر لكم هـٰذه الآية خطاب للمؤمنين : ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ . أَقمها إِذا كنت ذاكر ، إِذا لَم تكن ذاكراً لله . . فلا تُقِم الصَّلاة ، معاده وقتها إِذا صلَّىٰ الإِنسان علىٰ هـٰذه الكيفيَّة .

ومثله دعاء ٱلله علىٰ هـٰذه الكيفيَّة . ومثله خَرَج لعمله الدُّنيوي بهـٰذه الكيفيَّة ، بهمَّة قويَّة وبرهان ونفوذ . ومثله حاجته ، ومثله مطالبه ، ومثله حاجة أَخيه إِذا أَراد أَنْ يقضيها . . ٱنفعلت له الأَشياء وتيسَّرت له .

وقد سمعتوا منِّي أَنَّ واحداً كان مِنْ تجّار (الغرفة) ٱسمه عمر عُبادي ، سافر في ذلكَ الوقت واحد مِنَ السّادة الكبيرين في السِّنِّ ٱسمه عبد ٱلله بن عيدروس الحبشيِّ - شيبة - ، سافر ووصل إِلىٰ (عدن) فٱستقبله هـٰذا عمر عُبادي ؛ لأَنَّه مِنْ بلده ، وفرح به .

وبعد لمّا جلس هو وإيّاه . . قال له : بغيت فين يا حبيب عبد ٱلله ؟
قال له : بغيت (جاوه) .
قال له : (جاوه) في السِّنِّ الكبير ! ذا معناه باتموت طالع في (جاوه) وأنت باتُدفن في بلد عليها رحمة ، وعليها قرآن ، ولها عادات ، وباتُدفن في بلد مليانة بالأَولياءِ ، وملآنة بالصَّالحين ، بغيت هٰكذا ؟
قال : عَلَيَّ سبع مئة دَين ، ومعي ولد في (جاوه) ما أَرسل لي شيء باطلع إلىٰ عنده عسىٰ ربِّي يقضي الدَّين .
سكت عمر عُبادي ورأىٰ أَنَّ قضاءَ الدين مهمّ ، لٰكنَّ هٰذا الرَّجل أَسرَّ في نفْسه أَنَّ الرِّبح الَّذي يدخل اليوم عليه . . فهو مِنْ نصيب ٱلسَّيِّد .
ٱنظروا أَنتم إلىٰ الانفعالات القويَّة! قال : إِنَّه خرج إلىٰ عمله ورجع مِنْ عمله ، وقعد يحسب فإذا الرِّبح سبع مئَة .
صَدَق الهمَّة مع ٱلله حَصَلَتْ الإِعانة .
وكثير أنا ما أَذكر لكم كذلكَ قصَّة الحبيب عقيل بن حسن الجفري[1] .
كان ملازم التِّجارة ، وكان مِنَ الصّالحين ، وكان يؤَدِّي الحقوق كما هي .
فطلب مِنْ وكيله بـ(الهند) إرسال سُكَّر ، فكتب إِليه : صدر

---

(١) الحبيب عقيل بن حسن بن أبي بكر الجفري أخذ عن الحبيب عمر بن سقاف وفاته (١٢٦٢هـ) .

إليكَ السُّكر في السّاعية الفلانيَّة فما هي إلاَّ أيّام حتَّىٰ بلغ النّاس أَنَّ السّاعيَّة غرقت وفيها سُكَّر الحبيب حَسَب كتاب وكيله ، فلمّا جاءَ الخبر . . قالوا له : حبيب عقيل ، عمّ عقيل ! !

قال لهم : مرحباً .

قالوا له : السُّكر ، عظَّم ٱلله أَجركَ فيه .

قال : أَمّا سكَّري . . حاشا عليه ، ما يضيع ولا يغرق .

قالوا له : هـٰذا غرام أَو عقل ؟ السَّاعية غرقت بحقك ، معاد فيها كلام ، وسُكَّرك معكَ خط أَنَّه فيها .

قال لهم : مهما يكن مِنَ الأَمر ، هـٰذا النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلِّم ـ وهو الصّادق المصدوق ـ يقول : « **مَا تَلِفَ مَالٌ فِي بَرٍّ وَلاَ بَحْرٍ إِلاَّ بِحَبْسِ ٱلزَّكَاةِ** » أَنا أَدَّيت الزَّكاة ، وأَدَّيت المعروف ، إِنْ شيء ما عرفته ، هو ٱلله أَعلم ، أَمّا كوني ما أَدَّيت! فقد أَدَّيت ، كلام النَّبيِّ أصدق مِنْ كلامكم لعاد تتعبون أَنفسكم .

قالوا له : كلام النَّبيِّ صِدق ، والسَّاعية غرقت ، معاد في ذلكَ كلام .

قال لهم : النَّبي كلامه صدق ، وسكَّري ما غرق ، ما هي إلاَّ أيّام حتَّىٰ وصله كتاب مِنْ صاحبه يعتذر له ، وقال : خرجنا بالسُّكر لصاحب السّاعية ، فٱعتذر بأَنَّها ملآنة ، ونحن تعجَّلنا بالكتاب لكَ ، وتراه الآن صدر في السّاعية الفلانيَّة .

فقال : هل كذبَ النَّبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم علىٰ أَحد ، وهو القائِل : « **مَا تَلِفَ مَالٌ . . إلخ** » .

هـٰذا صدقُ النِّيَّة ، وإِلاَّ قد تأْتي ظروف يكون فيها كلام النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم صدق معاد في ذلكَ شكّ ، ولـٰكنَّها قد تصادف يقضي ٱلله بسبب مِنَ الأَسباب أَو عوارض أُخرىٰ .

ولـٰكن صدق النِّيَّة هـٰذا بريد التَّوفيق .

فعليكم يا إِخواني أَنَّ كلَّ واحد منكم يصدق في نيَّته مع ٱلله في أَمر دُنياه وفي أَمر دينه إِنْ أَردتم النَّجاح .

وإِنْ أَردتم أَنْ تكونوا مستخدَمين ، وإِنْ أَردتم أَنْ تكونوا مهانين وإِنْ أَردتم أَنْ تكونوا مستضعفين ، وإِنْ أَردتم أَنْ تكونوا مأمورين ، وإِنْ أَردتم أَنْ تكونوا تحت نعال النّاس وتحت رحمات النّاس . . فعليكم بالذُّلِّ والمسكنة وعدم الصِّدق مع ٱلله .

أَمرين : إِمّا هـٰذا ، ويكون الرَّأْي لكم والأَمر لكم ؟ أَو هـٰذا الأَمر الثّاني ، وستكونون تحت نعال النّاس ورحمة النّاس ؟

فعليكم بالصِّدق مع ٱلله حتَّىٰ يكون الإِنسان مع ٱلله لا مع النّاس . إِنَّها أُمور دنيا ، شفوها تحصل مِنَ ٱلله . والدُّنيا كلُّها هـٰذه وسائِط ، لا فيها شيء قَطّ ، والنّاس وسائِط ، والتعلّق بالناس والنَّظر إِلىٰ النّاس هـٰؤلاءِ كلّهم ـ شفوه ـ يورث المقت مِنَ ٱلله ؛ لأَنَّ الرّازق ٱلله .

وإِذا رجع الإِنسان إِلىٰ هـٰذه الآيات ، قبيل يقرأ لنا الخطيب

في خُطبته في (مكَّة) آيات الخَلْق : ﴿ خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ إذا فكَّر الإنسان في تكوينه : أَصلُه مِنْ طين ، ثمَّ رجع مِنْ نطفة ، كم تكون هٰذه النُّطفة ، تسيل علىٰ الأرض أَو تقع علىٰ الرَّحم ، تكون رجل كبير ، واحد مِنَ العمالقة الكبار هٰؤلاءِ! ثمَّ تكوينها بماذا ؟

مِنْ أَيِّ شيءٍ تنشأُ عظامها ؟

ومِنْ أَيِّ شيءٍ تنشأُ عروقها ؟

ومِنْ أَيِّ شيءٍ تنشأُ الشَّرايين هٰذه ؟

ومِنْ أَيِّ شيءٍ تنشأُ الأَوصالُ هٰذه ؟

ومِنْ أَيِّ شيءٍ تنشأُ هٰذه اللُّحوم ؟

ٱرجعوا إِلىٰ ٱلله ، هٰذا الخالق العظيم ، الَّذي يَخلق مِنْ حيث لا يعرف الإنسان كيف الخلْق ، ومِنْ حيث لا يُدرك الإنسان كيف الخلْق ، ومِنْ حيث لا يقدر الإنسان علىٰ تكوين خلْق ، ولا يعرف شيءْ .

أَمَا في هٰذه معجزة ؟ أَما في هٰذا شيء مِنَ الاعتبار ؟

ثمَّ ٱرجعوا إِلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴾ ٱنقطع الماءُ علىٰ أَهل (جدَّة) فكادوا يموتون عطشىٰ .

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾ .

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ قالوا : للمسافرين .

ويُكرِّر القرآن : أفرأَيتم ، أَفرأَيتم ، أَفرأَيتم ؟ هـٰذه أُمور تستدعي عجب! هـٰذه أُمور تستدعي فكر ، هـٰذه أُمور تستدعي نظر ، هـٰذه أُمور ترد الإنسان إلىٰ ربِّه مباشرة مِنْ دون تعب .

يأْتي بها القرآن لنا في حوار ، ثمَّ يأْتي بها في صورة ومِنْ وراءِ صورة ، ثمَّ يأْتي بها لنا في مقطع مِنْ وراءِ مقطع ، ثمَّ يأْتي بها لنا في بيان أَوسعَ مِنْ بيان ، ثمَّ يأْتي بها لنا في ذِكر أَوسعَ مِنْ ذِكر ، ثمَّ يأْتي بها لنا في مَثَل أَوسع مِنْ مَثَل .

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ .

إذا رجع الإنسان إلىٰ هـٰذا . . صرف نظره عن النّاس ، والمولىٰ يأْتي بها لنا ليصرف الإنسان وجهه عن النّاس ويتوجَّه إليه ويرجع إليه ، فيستفيد مِنْ هـٰذا القرآن ، ومِنْ مماحكة القرآن ، ومِنْ سرِّ القرآن ، ومِنْ تدبُّر القرآن أَشياء كبيرة .

ثمَّ يتوسَّع المجال ، ثمَّ يتوسَّع الذِّهن فيها ، ثمَّ يتوسَّع الفهم فيها ، ثمَّ يتوسَّع الإدراكُ فيها فيجد فيها شيءْ ما يَقْدر يعبِّر عنه ، ولا يقدر يدركه .

فأَنتم يا إخواني علِّموا أَوَّلاً أَنفُسكم ، ثمَّ ٱصدقوا مع المولىٰ في حسن التَّربية ثمَّ مع الصِّدق .

ٱجعلوا لكم مهمّات قويَّة تنفعل لها الأَشياء والأُمور والشَّدائِد هـٰذه ، وتلين لها القاسيات ، وتضطرب منها الرَّواسي إذا

جعلتوها قويّة . كلّها هـٰذه ـ شفوها ـ هيّنة! هـٰذا الحديد يصرّفونه هم هـٰؤلاء بأَنفُسهم ، وأَنتم تصرّفونه بتصريفكم .

ذا الحين يجيبون لنا الكسّارات الَّتي تشقُّ الجبال ، جبل يكسرونه ، وجبل يطلعونه ، ولو جاءَ الإنسان بقوَّته هـٰذه بايقدر يعمل شيءْ فيه ؟ ما يقدر يعمل شيءْ فيه ، ولـٰكنْ! جعل ٱلله سبب مِنْ وراءِ سبب .

فالهمَّة شفوها الَّتي أَرشدكم إِليها ، وأَنا شفونا أَخذتُها مِنْ قول الحبيب علي هـٰذا :

ما تسير السُّفن إلاَّ بقوَّة شراعي .

يعني : بالصِّدق القويِّ وٱنفعال أَقوىٰ .

وكثير مِنَ الحكايات يطول المجلس لو ذكرناها ، ويطول الحديث عنها ، وكلُّها ـ شفوها ـ تحت الهمَّة الصَّادقة مع ٱلله .

الدُّنيا تحت الهمَّة ، والصِّدق تحت الهمَّة ، والعِلْم تحت الهمَّة ، والنفوذ في الأُمور تحت الهمَّة ، والبرهان القوي تحت الهمَّة ، والتِّجارة الكبيرة تحت الهمَّة ، والثَّروة الواسعة الَّتي يدوِّر لها كثير مِنَ النّاس تحت الهمَّة .

ٱلله يجعل لنا وإِيّاكم نصيبْ ـ إِنْ شاءَ ٱلله ـ مِنَ الهمَّة الصّادقة ومِنَ العزمة الفعّالة ؛ حتَّىٰ نصدق مع ٱلله ، ونصدق مع الحبيب صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، ونصدق مع أَنفسنا بالعمل الدُّنيوي والأُخروي .

وٱلله يقيِّض لنا راعي يراعي نحن ـ إِنْ شاءَ ٱلله ـ تتحرَّك القلوب دائِماً بموعظته وبدعوته ، فتنتفع وتلين .

وإِلىٰ حضرة النَّبي مُحَمَّدٍ المصطفىٰ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

الفاتحة .

* * *

الفخر لأهل العلم وأهل الكرم

وتكلَّم سيِّدي ـ حفظه ٱلله ـ بهٰذه الكلمات القيِّمة في روحة الجمعة ؛ بمنزل الأخ طٰه بن مُحمَّد بن طٰه بـ(جدة) وذلكَ مساء الجمعة الثَّاني مِنْ شهر رجبَ الحرام مِنْ عام أَلف وثلاث مئة وخمسة وتسعين هجريَّة .

وٱستفتح كلامه ـ حفظه ٱلله ـ عن الكرم وأهل الكرم . نسأَل ٱلله أَنْ ينفعنا بهٰذا الكلام، وينفع كلَّ قارىء وسامع له ، آمين .

قال ـ حفظه ٱلله ـ :

إِذا ٱفتخر النّاس بالعلماء . . وجدنا أَنَّ علماءَنا أَفضل مِنْ غيرهم ، وإِذا ٱفتخر النّاس بالنَّسَب . . وجدنا النَّسَب في (حَضْرَمَوْت) محفوظ وأَحسن مِنْ غيره ، وإِذا ٱفتخر النّاس بالكرم . . وجدنا الكرم في (حَضْرَمَوْت) أَحسن مِنْ غيرها مِنَ البلاد ، وإِذا ٱفتخرَ النّاس بالاتِّباع بالخصال الجميلة للحبيب صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم . . وجدنا رجالنا أَفخر .

فهم في كلِّ شيء دائِماً إِذا حصلت المفاضلة والمسابقة . . كان السَّبق لهم ، وكان الميدان ميدانهم .

عند ذِكر ٱلشَّيخ العيدروس هٰذا كان حفيده شيخ بن عبد ٱلله .

شيخ بن عبد ٱلله بن شيخ العيدروس هٰذا توفِّي في (أَحمد أَباد) وهٰذا صاحب القبَّة والمسجدين الَّذي في (تريم) .

شيخ بن عبد الله وولده عبد القادر بن شيخ صاحب الكتب ،

قالوا : إِنَّه جاءَ إِلىٰ (مكَّة) وأَقام فيها ـ فيما أَحسب ـ ثلاث سنوات ، ودرس علىٰ ٱلشَّيخ أَحمد بن حجر الهيتمي هـٰذا .

قال : وكان رأْي النّاس يقع لهم أَنَّ الحبيب فقير ، والحبيب فقير هـٰكذا ، فوقع له ـ أي ظهر له ـ أَنَّ العيون تتقحمه ويجيبون له شيء مِنْ ما معهم ، فكان يردُّه .

قال : إنَّ الشَّيخ ٱبن حَجر ـ وهو شيخه ـ عتبه علىٰ هـٰذا ، فقال له ـ أَيّ : الحبيب شيخ ـ : إِذا لَم تنفعل لي الأَشياء أَنا . . فلا كنت ٱبن مُحَمَّد .

ومعناه : أَنَّه محافظ ، ما يقدر يقول الإِنسان هـٰكذا إِلاَّ إِذا كان فيما بينه وبين ٱلله الميزان تامّ ، وإِذا واحد ميزانه ناقص . . ما يقدر يقول شيءْ مِنْ هـٰذا الكلام .

قال : رآه ٱلشَّيخ ٱبن حجر في هـٰذه الميزة والمزيَّة ، فسكت ، وبعد رأَىٰ الأَشياء تنفعل له ، والأَشياءُ تتيسَّر له ، والأَشياء كثير .

انذكر لكمْ قصَّة مريم عليها السلام ، وهي أَكبر قصَّة لمَنْ كان له إِدراك :

قال ٱلله تعالىٰ : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ .

فالانفعالات هـٰذه ما هي إِذاً كبيرة ، ولـٰكنَّ الكبيرة ٱلاستقامة . والميزان فيما بين العبد وبين ربِّه ، وفيما بينه وبين النّاس هـٰذه الكبيرة ، فإِذا حصلت . . ٱنفعلت الأَشياء .

قال : إنَّ ٱلشَّيخ ٱبن حجر كان عنده مرضُ الباسور ، وكان عنده آخِر أَولاده كذلكَ عنده شيء مِنْ هـٰذا . قال : إنَّه كان ذات مرَّة عزمَ علىٰ زيارة (المدينة) هـٰذا شيخ بن عبد ٱلله وهو في (مكَّة المكرَّمة) وٱلشَّيخ ٱبن حَجر شيخه ، وٱلشَّيخ عبد العزيز الزَّمزمي مِنْ أَقرانه ، ومِنْ تلاميذ ٱلشَّيخ ٱبن حَجر ، قال له : كان إذا وصلت يا سيِّدي إِلىٰ (المدينة) فإِنِّي أَراك مستجاب الدُّعاء ، فادع ٱلله لي بثلاث دعوات :

الأُولىٰ : أَنْ يذهب مرض الباسور هـٰذا منِّي .

الثّانية : فلان ولدي تدعي له بالصّلاح .

الثّالثة : ٱدع ٱلله لنا بالغنىٰ عن النّاس . ما دام ٱنفعلَتْ لك الأَشياء أَنت ٱدع لنا بهـٰذه المرتبة .

قال له : إِنْ شاءَ ٱلله ، إِذا ذهبت (المدينة) أَنا ادْعي لكم بهـٰذه الأَشياءِ ، إِنَّما أَعِنِّي علىٰ الثّالثة بالعمل . يقول لشيخه .

فسار إِلىٰ (المدينة المنوَّرة) وسلَّم علىٰ الحبيب صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ودعا لشيخه بالثَّلاث الدَّعوات هـٰذه .

قال : فٱستُجيبت .

فلمّا رجع . . قال له : يا سيِّدي قدِ ٱستجاب ٱلله لكَ : مرض الباسور توقَّف عنِّي ، وأَرى الثِّنتين الأخيرتين لن يخلفن قَطّ أَبداً .

وٱلشَّيخ عبد العزيز الزَّمزمي قال له كذلكَ إِنَّه ذهب عنه الَّذي طلب منه أَنْ يدعو له بالشِّفاءِ منه ، قال له : قد ٱستُجيب لكَ يا سيِّدي ؛ فقد حصل لي ما أَردته منك .

وبعد ، قال له ٱلشَّيخ ٱبنُ حَجر : ربَّما أَتجاسر عليكَ في بعض الكلام ، أَو يحصل منِّي ما لا ينبغي لكَ وأَنت في هٰذا الحال .

قال له : أَنا تلميذ لك .

قال له : لٰكنَّك وصلتِ إِلىٰ رتبة فوق ٱلشَّيخ ، يستجاب لك الدُّعاء ، ووصلت إِلىٰ رتبة ٱستقامتك فيما بينك وبين ٱلله ، حتَّىٰ ضَمِنَتْ لك أَنْ لا تُردَّ لك دعوة مع ٱلله سبحانه وتعالىٰ !

قال له : لا أَزال أَقول لك : إِنَّني تلميذك وأَنت شيخي ، وما تعمل معي إِلاَّ كلَّ ما فيه ترويض لنفْسي ، وترويض لعقلي ولأَخلاقي .

هٰذا شيخ بن عبد ٱلله ، كما ما ذكرنا لكم : ذهب بعد ما أَقام في (مكَّة المكرَّمة) ثلاث سنين أَو أَكثر - ما أَذكرها - رجع إِلىٰ (اليَمن) ودرَّس في (اليَمن) وسافر إِلىٰ (الهند) وأَقام فيها ثلاث وثلاثين سَنة .

وكانَ من أَولاده : هٰذا ، مُحَمَّد بن عبد ٱلله العيدروس . هٰذا الحبيب ، صاحب القبَّة ، جَدّ آل عبد ٱلله بن شيخ وأَكثر العدارسة ، هٰؤلاءِ الَّذين هم في (الرَّملة) ومَنْ علىٰ شاكلتها .

كان آية مِنَ ٱلآيات في الكرم ، وفي إِقبال النّاس ، وفي العِلْم الغزير ، وفي العبادة الكبيرة ، وفي القيام بحقوق النّاس مع القيام بحقِّ ٱلله معلوم ومقدَّم علىٰ ذلكَ .

قال : كان تبلغ والده هٰذه الأَحوال حتَّىٰ سافر إِليه أَحد إِخوانه مِنَ العَلَويِّين ووصل إِليه ، ولمّا وصل إِليه ـ كما تسمعون ـ قال له الحبيب أَحمد بن علوي باجحدب : أَشهد لله وبالله أَنَّ ولدك مُحَمَّد أَفضل منكَ .

قالوا : سجد الوالد شكراً لله تعالىٰ ؛ لِمَا رأَىٰ عليهِ مِنَ القيام بالحقوق الكاملة والميزان الكامل الَّذي ذكرناه لكم في مثل هٰذه الأَحاديث .

لمّا رأَىٰ أَنَّ ولده أَعظم منه . . فرح بذلك .

وكما ذكرنا لكم : الأُمور ليست ببعيدة ، وهي تتفاوت مع ٱلله سبحانه وتعالىٰ ومع الخَلْق .

فالصَّلاة هٰذه ـ كما تسمعون الأَحاديث ـ هي أَفضل الأَعمال ؛ لأَنَّ الحبيب صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم سُئِل : ما أَفضل أَعمالِ البرِّ ؟ قال : « **ٱلصلاةُ لِوَقْتِهَا** » قيل : ثمَّ ماذا ؟ قال : « **برُّ ٱلْوَالِدَيْنِ** » قيل : ثمَّ ماذا ؟ قال : « **ٱلْجِهَادُ** » وفي رواية : « **ثُمَّ حَجٌّ مَبْرُوْرٌ** » . في الحديثين هٰذه الَّتي وردت في هٰذا المعنى وفي هٰذا السِّياق .

الصَّلاة ـ لاشكَّ ـ هي الأَولىٰ ، والصَّلاة لابدَّ لها مِنْ حضور ، ثمَّ غير الصَّلاة الَّتي نريد أَنْ نخرج منها إِليه ؛ القيام ـ مثلاً ـ بالزَّكاة لمَنْ يقدر عليها ، القيام بالبرِّ لمَنْ يقدر عليه ، وحقوق المسلمين ـ حقوق المسلمين تتفاوت ، فأَعظم مزيَّة دائِماً بالإِجماع عليها :

الصَّدقة ، بالإجماع معاد فيها شكّ ؛ لأَنَّ الشَّارع عليه أَفضل الصَّلاة والسَّلام قال : « ٱلصَّدَقَةُ تُطْفِىءُ غَضَبَ ٱلرَّبِّ » .

الصدقة مَنْسَأة في الآجال ، الصَّدقة لها نور وبهاء علىٰ الوجه .

الصَّدقة فيها أَحاديث كثيرة - كذلكَ تضمن حفظ النَّسل وبقاءَه علىٰ الطَّريق ، الحديث أَنا ما ذكرته ذا الحين حتَّىٰ أَرويه لكم - مجمعين علىٰ الصَّدقة ، وقد ذكرت لكم كثيرْ ، يمكن قد سمعتوه أَو ما سمعتوه في فضل الصَّدقة .

هـٰذا ٱلشَّيخ أَحمد بيَّاع السّيول - ذكرته أَنا وسمعتوا عنِّي به - كان يبيع في السّيول ، وكان يقول : أَنا القطب .

وكان مُجمَع عليه أَنَّه مستجاب الدُّعاء .

وقد قلت لكم في مرَّة مِنَ المرّات أَنَّه يقول أَنَّ سببه أَنِّي كنت أَقرأُ في القرآن ، فلمّا وصلت عند قوله تعالىٰ : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ﴾ عرفت العدل فيما بين الزَّوجات ، والأَولاد ، والأَهل والأَقارب ، وعند الحاكم وما شاكل ذلك .

لـٰكنْ للقرآن بطن ، فما هو العدل في البطن ؟ فعرفت أَنَّ ٱلله يأْمرنا بالصَّدقة والمقاسمة في ماله ، فقاسمته مالي وتصدَّقت بنصف المال ، فأَثمر لي التَّصرُّف في العالَم السُّفلي .

قال : ثمَّ رجعت إِلىٰ الآية فوجدت في الآية : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾ فعرفت مِنَ الإِحسان أَنَّ ٱلله يطلب الزِّيادة ؛ لأَنَّ الإِحسان هو الزِّيادة .

فأَخرجت نصف الباقي الموجود معي وتصدَّقت به _ قال _ فأَعطاني ٱلله التَّصرُّف في العالَم العُلوي ، فإِذا أَنا تنفعل لي الأَشياء في العالَم العُلوي .

كما ذكرنا لكم ٱنفعالات الأَشياء لمن قبلكم في هـٰذا الكلام .

قال : وكان إِذا جاءَه واحد وأَراد أَنْ يشتري منه سيل . . يقول له : بغيت السَّيل صغير أو كبير ؟

فإِذا قال له : بغيت سيل كبير . . قال له : بكم تشتري السَّيل . حتَّىٰ يتَّفق معه في الثَّمن .

فإِذا ٱتَّفقا . . قال : أَعط الثَّمن الخادم .

ويقول للخادم في الحال : أَنفق هـٰذا المال علىٰ المحلَّة الفلانيَّة مِنَ الفقراء .

فموضع الشّاهد : أَنَّ قَبول الدُّعاءِ وٱستجابته ثمرة إِنفاق المال هـٰذا .

وكان الكثير منهم هـٰؤلاءِ الَّذين تنفعل لهم الأَشياء كانت لهم أَيادي برٍّ في الصَّدقة .

والصَّدقة قالوا : النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم أَخبرنا أَنَّ الصَّدقة تزيد المال ، فقال : « **مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ ؛ بَلْ يَزْدَادُ ، بَلْ يَزْدَادُ** » .

وكان واحد مِنَ المشايخ آل عفيف هـٰكذا في (الهجرين) يبيع السّيول ، ٱسمه : ٱلشَّيخ عبد ٱلله بن مُحَمَّد ، وكان عندنا في

رجالنا في (حَضْرَمَوْت) كثير مِنْ هـٰذا المنوال ، إلاَّ أَنَّهم قد يظهرون بهـٰذا أو لا يظهرون بهـٰذا .

وكانت أَعمالهم في مثل هـٰذه التَّحويلات وفي مِثل هـٰذه الحركات أَعمال كبيرة بارزة .

كان الحبيب علي بن مُحَمَّد الحبشي يحكي عن الحبيب زين العابدين العيدروس : ٱشتكىٰ إليه بعض طلبة العِلْم بـ(تريم) الحاجة والقلَّة ، ففكَّر الحبيب ، وجاءَه في اليوم الثّاني كأَنَّهم يريدون السَّفر ، قال لهم : لا ، أَنا باسافر وباأَكفيكم المهمَّة .

وسافر الحبيب لهـٰذه النِّيَّة . ولمّا كانت النِّيَّة مطيّة للأَعمال الخيريَّة ـ قالوا ـ لمّا وصل إلىٰ (الهند) ـ وكانت الأَسفار والسّادة آل العيدروس كانوا يسافرون إلىٰ (الهند) وكان الكثير يسافر إلىٰ (الهند) ـ ولمّا وصل إلىٰ (الهند) . . تعالموا به النّاس .

ومِنْ جملة مِنْ عَلم به . . مِلكُ البلاد هـٰذه ، فٱستأْذن في السّلام علىٰ الحبيب .

قال لهم : لا يأْتي إلاَّ بثلاث مئَة أَلف إذا أَراد أَنْ يُسلِّم عَلَيَّ ، فإذا لم تكن ثلاث مئَة أَلف . . فلا سلام .

كانت المكارم ، وكان الدِّين ، وكانت الأَخلاق ، وكانت أَثرة أَهل العِلْم بالغة ما بلغت ، أَظهر ما كان .

رأَىٰ الملكُ أَنَّ الثلاث مئة الأَلف في الجلوس أَمام الحبيب

بسيطة ، فقال لهم : حاضر الثلاث مئة الأَلف ، وأُحبُّ أَنْ أُسلِّم علىٰ الحبيب .

جاءَ بالثلاث مئة أَلف ، ودخل وسلَّم علىٰ الحبيب ، وطلب منه الدُّعاءَ وٱستأْذن . فدعا له وٱستأْذن .

خرج بالأَموال هـٰذه إلىٰ (تريم) .

حكاها لنا الحبيب عليّ ، وحكاها مَنْ قبلَه كذلكَ ، فقال : إنّه جعل منها مئَة أَلف لطلبة العِلم ، ومئَة أَلف كان ينفقها علىٰ فقراءِ (تريم) . ومئة أَلف لبيته ولضيافته .

وكان يقول لآل (تريم) : إنَّ الضَّيف إلىٰ الأَلف نفر عَلَيَّ ، الحذر أَحد يقبلهم هـٰؤلاء ، هاتوهم إلىٰ بيتي . وما زاد علىٰ الأَلف . . فرِّقوهم بين آل (تريم) مَنْ بغىٰ لَه ضيف . . يأْخذه .

الضُّيوف ما يَصِلون إلىٰ هـٰذا الحد ، لـٰكنْ إشارة إلىٰ النِّيَّات الكبيرة والمكارم العظيمة .

وكان في السّادة آل العطّاس : محسن بن حسين هـٰذه قصَّة مشهورة ، إذا جاءَ واحد إلىٰ (حريضة) يقولون له : تفضَّل إلىٰ بيت محسن بن حسين ؛ لأَنَّه كان منصب ، وكان يقول لهم : الحذر حد يأْخذ ضيف إلىٰ بيته ، الضَّيف لازم يجيء إلىٰ بيتي .

وكان المطبخ الكبير مطبخ ٱلشَّيخ أبو بكر للضُّيوف مِنْ غير الصَّدقات ، كانت صدقات لآل ٱلشَّيخ أَبي بكر ، وصدقات لمنصبهم خاصَّة ، وصدقات توزَّع علىٰ أَهل العِلْم مِنْ غيرهم .

ويكفيكم أَنَّ مطبخ ٱلشَّيخ أبو بكر كان في حياته يخبز فيه

لا يقلُّ عن خمس مئَة قرص ، أَو سبع مئَة قرص ، أَو أَلف قرص ، يوميّاً ما تقلّ قَطّ عن هـٰذه .

قالوا : وكان يذبح الجزور لضيوفه لكثرتهم . ثمَّ ٱستمرَّ هـٰذا المطبخ .

وكان كثير منهم هـٰؤلاء علىٰ مثل هـٰذا المنوال .

وكان جاء زين العابدين المتأَخِّر الثاني هـٰذا في أَيّام الإِمام الحدّاد ، فجاءَ بمكارمَ أَعجزت مَنْ قبلَه . هـٰذه المقبرة حقّ الإِمام الحدّاد مِنْ صدقاته ، وغيرها .

وكان الإِمام علي زين العابدين ٱبن الحسين عليهما السلام ـ قالوا ـ كان يَعُوْلُ مِنْ أَهل (المدينة) أَلف بيت مِنْ حيث لا يشعرون ، فلمّا توفّي . . ظهر الفقر علىٰ هـٰذه البيوت ، فما عرفوا أَنَّ المعيْل لهم علي زين العابدين إلاَّ بعد وفاته .

وفي « شرح العينيَّة » قال : إنَّه كان يعول بيوت مِنَ الجن .

ذا الحين نحن معاد نحن محتاجين إلىٰ الجنِّ ، محتاجين إلىٰ مَنْ يعول البشر ، ما نحن محتاجين إلىٰ مَنْ يعول الجن .

وفي « شرح العينيَّة » نقلها الثِّقة الكبير أَحمد بن زين الحبشي ، قال : إنَّه كان يعول كثير مِنَ الجن .

وكان هـٰذا الإِمام الحدّاد له مطبخ علىٰ ضنك مِنَ المعيشة .

هـٰؤلاءِ الَّذين مَرُّوا كلُّهم أَهل جاه كبير ، لـٰكنَّ ٱلإِمام الحدّاد كان له مطبخ لتلامذته وزائِريه ، ومَنْ جاءَ جعله في آخِر وقته .

قالوا : هٰذا المطبخ كان يعمل فيه الحبيب الخمير والتَّمر والدّجر لضيافته ، يعمله الحبيب .

وكانت المكارم سائِدة في ذلكَ الوقت [وَفي المتأَخّرين ، تسمعون بالحبيب علي حبشي صاحب القصيدة هـٰذه . أَشياء مِنْ فوق الوهم! والأَمر الَّذي يدور عليه الشَّأْن] ـ كما قلنا لكم ـ أَنَّ الصَّدقة أَفضل الأَعمال .

وأَنا خرجت هـٰذه اللَّيلة مِنْ (مكَّة) لأَنَّا عادنا إِلاَّ طلعت هـٰذا اليوم مِنْ (مكَّة) أُسبوع قضيته هناكَ ، خرجت لأَلتقي بِكُم في هـٰذا المجلس ، لأَذكر لكُم أَنَّ ٱلله قد قَبِل عملَكم ، وأَنَّكم عملتم علىٰ ما قلنا لكم به ، وقابلتوا وعملتوا معنا خيرْ ، فجمعت بواسطتكم وبفضلكم مبالغ . محسن بن علوي له يد ، وسالم بن علوي خرد له يد ، والإِخوان هـٰؤلاء لهم يد . وكلُّهم شاركوا ، وأَصبح المجموع ما يقارب خمسةَ عشر أَلف ريال أَو ينقص أَو يزيد ، منها : المبلغ هـٰذا الَّذي كان علىٰ يدكم في قائِمة ، أَخذها الأَخ محسن بن علوي وصَرَفها بنظري ونظر سالم خرد ، ومُحَمَّد الشَّاطري[١] وعليٍّ بن سميط ، أَعطوه نصيبْ آل (تريم) .

وهـٰؤلاءِ أَرسَلوا نصيبْ لآل (سيئُون) وآل (الحوطة) أُعطي لأَحمد بن عبد الرَّحمـٰن الحبشي نصيبهم ، وآل (شبام) ما أَدري؟ قلت لهم يعطونه أَحمد بن سميط ، أَو يعطونه جبران .

---

(١) الحبيب العلامة محمد بن أحمد الشاطري توفي بجده في رمضان عام (١٤٢٢) ودفن في مكة المكرمة رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته آمين .

وعندنا هناك وصل إلىٰ (عينات) كذلك ، ووصل إلى (قَسَم) كذلكَ ، ووصل إلىٰ (ثبي) كذلك ، ووصل إلىٰ غيرها مِنَ القرىٰ ؛ لأَنَّها عبارة عن مائِدة كلّ واحد مدَّ يده فيها ، لا تختصُّ بأَحد ، ولا تقوم في بلد دون بلد .

والنَّاس أَشدّ ما كان في هـٰذه الأَيَّام ، ولا يزال الخير موجود في يدنا ذا الحين ، عادها لا تزال صدقات موجودة في يدنا - إِنْ شاءَ ٱللهُ - لبعض مِنْ هـٰذا الشَّهر ، أَو لهـٰذا الشَّهر ، وللشَّهر الثّالث .

لا يزال ، كلَّما ساعة جاءنا واحد وقال : بلغنا أَنَّكم عملتوا كذا ، وإنَّني سأُعطيكم نصيبْ منها .

ونرجو أَنَّ النَّصيب منها كبير في هـٰذا الأُسبوع .

ذكرنا باشيخ ، وبعدها بيومين جاءَنا علي العيسائِي ، وقلنا له : إنَّ هـٰؤُلاءِ جمعوا صدقات كبيرة .

قال : أَنا بامدّ يدي فيها وحاضر معاد فيه كلام . إلاَّ أَن نحن معاد ٱتَّفقنا به ، ولـٰكنَّه المقصود في الطَّريق .

وجاءَنا ، ما أَدري مَنْ ؟ وجاءَنا كذلكَ سعيد قطب ، وذكرت له أَنا الموضوع ، أَمّا هو . . ما بلغه .

قلنا له بأَنَّنا جمعنا صدقات ، وإنَّك ضع يدكَ فيها .

قال : حاضر ، الَّذي تأْمرنا به حاضرين .

قلنا له : نحن ما نأمر ، علىٰ قدر همَّتكَ وعلىٰ قدر ما يوفِّقكَ ٱلله له ، ما لنا غرض في شيء مِنْ هـٰذا المال .

وكانت نواة الاتِّفاق والاجتماع في هـٰذا المجلس المبارَك ، نواة خير ، ونواة صلاح .

بلغنا مِنَ ٱلإخوانِ أَنَّهم عيَّنوا لكلِّ ٱمرأَة مِنَ المخدَّرات أَو مِنَ المحتاجات ما يقارب خمسين شلن ، ما هي بالقليل .

وإِذا جاءَتهم مِنْ هـٰذا الشَّهر نصفها . . ما هي بالقليل ، وإِذا جاءَ الشَّهر الثَّالث ، وجاءَ شهر رمضان وبقيت الأُمور تمشي . يعني : أَخذتم بالعضد كلُّكم ومشيتوا .

مَنْ يعرف أَحد مِنَ الأَثرياءِ ، أَو بذل جاهه ، أَو بذل كلمة ؛ فالنَّاس اليوم أَحوج ما يكون وأَشد ما يكونون في شدَّة مِنَ الحاجة الكبيرة .

كان عندي صلَّىٰ المغرب عبد ٱلرَّحمـٰن بن حسن الجفري ، قلنا له : ٱذهب وٱحضر الجلسة هناك .

قال : ليه الجلسة ؟

قلنا له : الجلسة بٱسم الصَّدقة .

قال : لعاد تجيبنا لجلسة الصَّدقة ، أَنا باعطيك الَّذي بغيته ، وخلِّني في مكاني .

قلنا : خلّيناكَ في مكانكَ ، ويكفي المهمّ أَنَّك تساعد في المعروف .

قال : حاضر ، الَّذي بغيتوه منِّي قَبول .

قلنا له : قالوا لي : إنَّك قلت لهم الشَّهر هـٰذا لا تأْتوني ؟

قال : لا! إذا قلت لي وبغيتنا . . أَسلِّم شيء . . قل لي .

قلنا له : الَّذي باتطرحه أَنت هاته .

المقصود أَنَّ الأُمور بحمد ٱلله ميسَّرة ؛ ذلكَ لأَنَّها كانت عُقدت لها نيَّة صالحة . كلُّكم ما لكم غرض ، وكلُّكم ما لكم شيء ، وإذا كانت الأُمور بعيدة عن الأَغراض وصَدَق العبد مع ٱلله . . تهيَّأَت الأَسباب ، كما حصل للمتقدِّمين يحصل للمتأَخِّرين .

ثمَّ إنَّ هـٰذا أَفضل - شُفوه - مِنْ جميع أَعمال البرِّ ؛ لأَنَّكم كلُّكم تعرفون الوضع اليوم في البلاد ، وتعرفون الحالة اليوم في البلاد .

كانوا النّاس يتعاملون بالقرض فٱرتفعت المعاملة ، وكانوا النّاس يتداينون فٱرتفعت المداينة ، كانت الأَسواق مفتوحة فأُغلقت الأَسواق ، وكانت الأُمور تأْتي مِنْ مثل هـٰذه البلاد ومِنْ غيرها مِنَ (الكويت) إلىٰ كثير مِنَ النّاس ، فأَصبح النّاس يتخوَّفون ، فأَصبح النّاس في مجاعة شديدة - والعياذ بٱلله - وفي شدَّة متناهية والعياذ بٱلله .

والآن! النّاس محتاجون إلىٰ مَنْ يتفقَّدهم ، ومحتاجون إلىٰ مَنْ يدركهم ، ومحتاجون إلىٰ مَنْ يأْخذ باليد ، ومحتاجون إلىٰ مَنْ

ينقذهم ، ولا منقذ بعد ٱلله إلاَّ الإخوان ، ما أَحد ينقذ أحد قطّ أَبداً .

فنحن ذا الحين بوضعنا هٰذا ما نعرف كثير في (دوعن) كان اللاَّئِق أَهالي (دوعن) يتفقّدون أَهالي (دوعن) وفي (المكلاَّ) وفي (ٱلشِّحْرِ) ما نعرف كثير في (ٱلشِّحْرِ) إنَّما نحن أَبناء هٰذه البلاد الَّتي ذكرتها لكم .

فالبلدان هٰذه ـ شفوها ـ قيامها وحياتها بٱهتمامكم بها وكفاية بعض الحاجة ، ما يقدر الإِنسان يسدّ حاجة أَخيه المسلم ؟

وعليكم ـ أَنتم وأَنا إِنْ شاءَ ٱلله كما ذكرنا لكم ماشيين في هٰذا الطريق ـ بالنسبة لإِخواننا هٰؤلاءِ الَّذين لهم صلة بنا .

كذلك جاءنا ٱلشَّيخ حسين باسندوه في الأُسبوع الماضي ، وأَعطانا خمس مئَة ريال ، وقال : قيِّدوا عليَّ في كلِّ شهر مئَة ريال يستلمها منِّي محسن بن علوي .

قلنا له : محسن يحاسبك .

والبارحة جاءنا مُحَمَّد بن أَحمد بلخير ، قال : شُفونا قد عطيت سالم بن حسن ، وقال لي : في كلِّ شهر حاضر .

وٱلشَّيخ عمر باحسين أَعطانا أَلفين في تلكَ الجلسة الَّتي حضرها معنا .

وعلىٰ كلِّ حال ، النّاس كلٌّ واحد منهم يحبّ أَنْ يمدّ يده ويساعد إِخوانه ، والحاجة داعية لمثل هٰذا ، وهي اليوم أَفضل

أَعمال البرِّ علىٰ الإطلاق ؛ للحاجة المتناهية .

ونحن ـ كما قلنا لكم ـ قد أَخذنا علىٰ أَنفسنا أَنْ نضع شيء شهريّاً . أَنا قد كلَّمت ٱلشَّيخ مُحَمَّد باشيخ[1] : أَعطهم أَولاً معونة ثمَّ أَعطهم شهريّاً .

وباشيخ قال : بايساعدكم علىٰ ما تحبّونَ إنْ شاءَ ٱلله . وهـٰذه فيها زيادة في البركة لكلِّ واحد .

ونحن الَّذي نحبّه لكم ونطلبه الآن في ٱجتماعنا هـٰذا أَنَّ كلَّ واحد شهريّاً يمدُّ يد العون ، مَنْ يقدر علىٰ خمسة ريال . . لا يستقللها ؛ فإنَّ النَّبيَّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم قال : « **وَلَوْ أَنْ يَتَصدَّقَ أَحَدُكُم بِظِلْفِ شَاةٍ** » .

ومَنْ يقدر علىٰ عشرة ريال شهريّاً . . لا يستكثرها ، ومَنْ يقدر علىٰ عشرين ريال . . لا يستكثرها ، ومَنْ يقدر علىٰ مئَة ريال . . لا يستكثرها ، ومَنْ يقدر علىٰ خمسين ريال . . لا يستكثرها ؛ فالقليل والكثير فضله عند ٱلله كثير وكبير ، وكلُّه مقبول ؛ لأَنَّها إذا جُمعت الأَيدي ـ قالوا ـ حصلت البركة وحصل الخير الكثير . وبحصول الأيدي ، ونحن لا نعتمد علىٰ هـٰذا ، الإعتماد على ٱلله . ثمَّ إنَّما أَنتم نواة قَبْل النّاس فقط ، الباقي علىٰ غيركم .

أَعرف أَنا أَنَّها في تلكَ الجلسة الَّتي تكلَّمنا فيها جُمعت في تلكَ اللَّيلة ـ يقول لي محسن أَو مُحَمَّد بن عبد القادر ـ قال لي : خمسة آلاف جُمعت فيها ، ولـٰكنَّها تعقَّبت مِنْ هنا ومِنْ هنا ومِنْ

---

(١) الشيخ محمد عبد الرحمن باشيخ توفي بجدة (١٤٢٣هـ) .

هنا . مشت ، ولا تزال ماشية ؛ فنحن نريد أَنْ لا تموت في مهدها ، نريدها دائماً أَنْ تستمرَّ وأَنْ تكثر ، وأَنْ يكون لها ـ إِنْ شاءَ ٱللهُ ـ رواج ، وأَنْ يكون لها خير إِنْ شاءَ ٱللهُ .

كذلكَ عبد القادر بن مُحَمَّد بن طٰه[1] ساعي خير دائِماً ، وٱلله دائِماً يأْخذ بيده ويوفِّقه ويجيب مال ويقسّمه علىٰ الفقراءِ والمساكين هناكَ ، ويعرف أَكثر ممَّن نعرف .

وهو في طريقه للخروج إِلىٰ هناكَ نقول : إِنْ شاءَ ٱلله إِذا شيء بايتيسَّر مِنْ إِخواننا . . ترسلونه معه .

أَمّا أَنتم : ما لكم صِلة بعبد القادر وصدقته ؛ لأَنَّ عبد القادر بغىٰ مالْ كبيرْ ، أَياديه كبيرة وأَصابعه كبيرة جمّ ، إِذا قبض في واحد . . يلقي قبضة ثقيلة ، العرقة تقطع عرقة .

وأَجاب العمّ عبد القادر بن مُحَمَّد ، وقال : القليل يجيب الكثير .

ثمَّ قال سيِّدي : أَنتم ذا الحين ٱمضوا في قائِمتكم علىٰ عاداتكم يا محسن ، ومَنْ بايعطي مئَة ، ومَنْ بايعطي خمسين ، ومَنْ بايعطي عشرة ، ومَنْ بايعطي خمسة ، ومَنْ بايعطي ريال ، ومَنْ بايعطي كثير ، ومَنْ بايعطي قليل ، وكلُّه يستوي ؛ لأَنَّ المقصود مِنَ الإِنسان أَنْ ينوي نيَّة صالحة في الصَّدقة هٰذه ، فتقع لاشكَّ في يد محتاج .

---

(١) السقاف توفي بسيون (١٤١٤هـ) وصلى عليه الحبيب عبد القادر بن أحمد في مسجد بسيون والسيد طه بن حسن السقاف قال قصيدة في رثاء الفقيد الكبير رحمه الله .

كان يقول شارح « الرِّسالة القشيريّة » : (إنَّها مِنْ أَسباب الصَّدقة ـ هٰذه الَّتي دائِماً أَذكرها أَنا ـ قال : إنَّه خرج واحد ممَّن لا يُعرَف بالصّلاح ، وكان يمشي في طريقه وبيده كسرة يابسة ، فلاقاه شيخ كبير في السِّنِّ فقير ، قال له : أَعطني ما أَسُدُّ به رمقي .

عنده الكسرة هٰذه أَعطاه إِيّاها .

لمّا أَعطاه إِيّاها . . قال له : حرَّرَكَ ٱللهُ مِنْ رِقِّ المعصية ، كما حرَّرتني مِنْ رقِّ الجوع . قَبِل ٱلله هٰذا ٱلدُّعاءَ ، فكان مِنْ شأْنه أَنَّه صار مِنْ كبار الأَولياء ، تحرَّرَ مِنَ المعاصي .

وكان لقيه واحد مِنَ الأَولياء ، قال له : إِنِّي أَرىٰ عليك أَثر الولاية !

قال له : نعم ، وأَنا أَرىٰ عليك أَثر الولاية .

فقال ـ هٰذا الَّذي أَصابته الدَّعوة ، قال له ـ : بم عرفت ٱلله ؟

قال له : عرفته بنقض العزائِم ، أَخرجُ مِنْ (خراسانَ) فيردُّني ، إِذا خرجت إِلىٰ تحت البيت . . تنتقل همَّتي فأَرجع إِلىٰ (تركستان) أَو شيء مِنَ البلدان الأُخرىٰ ، أَعرف أَنَّ هٰذا مدوِّر ومحرِّك يحرِّكنا .

قال له : وأَنت ، بِمَ عرفت ٱلله ؟

قال له : تريد معرفتي في ٱلله ؟

قال : نعم .

قال : فٱستقبَلَ القِبلة ، وقال : الله . وسقط مغشياً عليه ، ومات .

قال : خرج إلىٰ القرية وهو في البَرِّيَّة ، وقال لأَهل القرية : ميت مات في برِّيتكم ، فهاتوا له كَفنْ ، هاتوا له حفّارْ للقبر وغسّالْ ، وبانطلع بانصلّي عليه ، وبانقوم بالواجب الَّذي أوجبه ٱلله في دفن رجل مِنَ المسلمين .

قالوا : فطلعوا ولَم يجدوا هـٰذا الميت ، فصاح في البَرِّيَّة هـٰذه ، فلمّا صاح في البريَّة إذا هو يسمع هاتف يقول : هـٰذا ميت آلىٰ ٱلله علىٰ نفسه أَنْ لا تغسِّلَه ولا تكفِّنَه ولا تصلِّي عليه إلاَّ ملائِكتُهُ .

قال له : يا هـٰذا! بم نال هـٰذه المزيَّة ؟

قال : بدعوة أَصابته مِنْ هـٰذا المسكين .

علىٰ أَنَّهم قالوا : إنَّ الصَّدقة هي دعوة كافية معاد تحتاج . ولـٰكن! كلُّ واحد يرىٰ في نفْسه إذا أَصابته حاجة ٱضطرار ، سواء أَنْ كانت في مال أَو كانت في مرض ، أَو كانت في مضايقة مِنْ حاكم ، أَو كانت في أَذيَّة مِنْ شيء ، فأَصبح وقد ٱنسدَّت دونه الأَبواب إلاَّ باب الثِّقة والرَّجاءِ في ٱلله ، ذلكَ الباب هو الَّذي يقول المولىٰ فيه : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ إذا رفع الإنسان صوته بالدُّعاءِ إلىٰ ربِّه وبكىٰ في تلكَ اللَّحظة . . أَجابه المولىٰ سبحانه وتعالىٰ ، وأَدركه برعاية مِنْ عنده وعناية لا تأْتي له علىٰ حسبان .

هـٰذه الصَّدقة ، كم مِنِ ٱمرأَة ذات حاجة شديدة أَصابتها

الحاجة وباتت منها أَيّاماً وليالي تتضوَّر مِنَ الجوع ، فإذا وصلها شيء وأَخذت به شيء مِنَ الطَّعام ، أَو أَخذت به شيء مِنَ الشّاهي أَو السُّكر ، أَو ما شاكل ذلكَ با تدعي لمن ساعدها كم بايكون ثمن هٰذه الدَّعوة الَّتي تُدركُ صاحب الصَّدقة مِنْ واحدة لا شكَّ أَنَّها باتكون مِنَ العجائز وصالحة ، ثمَّ هي محتاجة ، ثمَّ هي في حالة مضايقة في تلكَ الحالة ، ثمَّ هي أَشدّ ما كان بوجود هٰذا النَّقد الَّذي يَصِلُها بواسطتكم ، لاشكَّ أَنَّ الصَّدقة والدَّعوة حقَّها مقبولة عند ٱلله سبحانه وتعالىٰ، وٱلله يُدرِك .

ثمَّ إنَّه بعد ما يقول لنا ـ كما ذكرنا ـ النَّبي صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم : « **مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ** »، **بل يزدادُ** ، **بل يزداد** ، **بل يزداد** . ثمَّ يقول الشّارع كذلكَ : إنَّها ما تنقص الأَموال إلاَّ بحبس الزَّكاة ، تحصل فيها المشاكل ، وتحصل فيها المَحْقة ، وفي الحديث : « **مَا هَلَكَ مَالٌ فِي بَرٍّ ولاَ بَحْرٍ إلاَّ بِمَنْعِ ٱلزَّكَاةِ** » أَوْ « **حَبْسِ ٱلزَّكَاةِ** » .

وهٰذه القضيَّة ، أَنا أَذكر لكم قضيَّة للحبيب عقيل بن حسن الجفري[1] ، هٰذا كان في أَيّام الشُّيوخ الحبيب محسن بن علويّ وأقرانه ومَنْ علىٰ شاكلته ، وكان مِنْ أَهل الخير ومِنْ أَهل الصَّلاح ، وكان يزاول حرفة التِّجارة .

ففي مرَّة مِنَ المرَّات طلب مِنْ وكيله في (الهند) أَنْ يرسل له سُكَّر ، فأَجابه الوكيل : ترىٰ السُّكر صدر في السّاعية الفلانيَّة . وأَرسل الورقة قَبْلَ ما يخرج بالسُّكر إلىٰ السّاعية .

---

(١) الحبيب عقيل بن حسن بن أبي بكر الجفري أخذ عن الحبيب عمر بن سقاف وفاته بسيون (١٢٦٢ هـ) .

فخرج بالسُّكر إلىٰ صاحب السّاعية ، فٱعتذر له بأَنَّ السّاعية شاحنة وملآنة ، ومعادها قابلة لشيء قَطّ أَبداً .

ثمَّ خرجت السّاعية والورقة قد سبقت ، فغرقت السّاعية ، وبلغت الأَخبار (حَضْرَمَوْت) . وٱلسَّيِّد وصلته الورقة ، قالوا له : سُكَّرِكَ غرق .

قال : أَمّا سكَّري . . ما يغرق .

قالوا له : أَمّا غرق السّاعية . . محقَّق غرقت ، ولعاد فيها كلام .

قال : أَنا أَقول : سكَّري ما يغرق .

ما هو السَّبب سكَّركَ هـٰذا ما يغرق ؟

قال لهم : النَّبي ما يكذب ، وهو القائِل صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم : « **مَا هَلَكَ مَالٌ فِي بَرٍّ ـ أَو تَلِفَ مَالٌ فِيْ بَرٍّ ـ وَلاَ فِي بَحْرٍ إِلاَّ بِحَبْسِ الزَّكَاةِ** » أَو « **مَنْعِ ٱلزَّكَاةِ** » . إِنْ كانَ النَّبي كذّاب قولوا لي! وإِلاَّ فأَنتم الكذّابين ، أَبداً ، أَنا تصدَّقت وزكَّيت ، إِنْ شيء ما دريت به ، أَعطيت أَحد صدقة أَو زكاة ما أدّاها لصاحبها ؟ شيء جاءنا مِنْ غير طريقه هـٰذا ؟ وٱلله أَعلم ، وما أُبرىء نفسي! وأَمّا كون مالي بايغرق في السّاعية هـٰذه . . تغرق السّاعية أَو تتقلب في البحر ، المال حقِّي ما يغرق قَطّ أَبداً .

جاءَته المكاتبة الثانية مِنْ صاحبه ، فقال له : إِنَّنا نعتذر إِليك ، قلنا لك في السّاعية الأُولىٰ في الكتاب السّابق أَنَّ المال

أَرسلناه في السّاعية ، ولمّا خرجنا إِلىٰ صاحب السّاعية ٱعتذر ، وتراه صدر في السّاعية الأُخرىٰ .

قال الحبيب : صدق ٱلله وصدق رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام .

هـٰذا حديث في « البخاريِّ » عن النَّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم ، قال : كان واحد مِنْ بني إِسرائِيل ٱستقرض مِنْ واحد لمدَّة معيَّنة ، ولمّا جاءَ الأَجل . . خرج ، بغىٰ بايعطي صاحب المال حقَّه ، ما وجد مَنْ يأْخذ المال ويوصله إِلىٰ صاحبه وكان صادقاً مع ٱلله ، وصادقاً مع صاحبه هـٰذا ، فوجد خشبة في البحر ، فجاءَ للمال وربطَهُ بالخشبة ، وقال لربِّه ـ خاطب ربَّه معاد خاطب أحد ـ قال :

اللَّهُمَّ إِنَّني لَم أَجد أَحداً يؤَدِّي عنِّي هـٰذا المال في وقته ، فأَرسلته في هـٰذه الخشبة ، فأَدِّه يا مولاي .

سارت الخشبة تُقلِّبها الأَمواج ، وفي اللَّيلة الَّتي وصلت إِلىٰ السّاحل هاذاكَ . . خرج ذاكَ صاحبها ليستريح في جانب البحر ، فإِذا بخشبة أَمامه وعليها العصب هـٰذا ، فأخذ الخشبة ليراها ، ففكَّها فإِذا العصب حقَّها مكتوب عليه ٱسمه ومكتوبةَ فيها ورقة ، ومكتوب فيها الدَّعوة!

ثمَّ ٱتَّفق به بعد مدَّة مِنَ الزَّمان ، وقال له : شفنا ، أَذكر أَنَّنا أَرسلت لكَ حقَّكَ الأمانة ؛ لأَنَّني ما حصَّلتُكَ .

قال له : وصلني وٱستلمته .

هٰكذا يقول الشّارع عليه الصَّلاةُ والسّلام في مثل هٰذا ٱلكلام . ويقول في حديث في « مسلم » كذلك ، قال : إنَّه جاءَ واحد مِنْ بني إسرائِيلَ سمع سحابة يسوقها مَلكان ، يقول الأَوّل منهم للثّاني : ٱسقي حديقة فلان .

قال : إنَّه خرج يتتبَّع السَّحابة ، فأَمطرت وسالت ، ولمّا وصلَتْ إلىٰ ذلكَ المكان ـ قال ـ حصَّلْت صاحبها في نفْس الحديقة يسقي سيل السَّحابة هٰذه ، سلَّم عليهِ وقال له : مَا ٱسمكَ ؟

قال له : أَنا عبد ٱلله .

قال له : وأَنا عبد ٱلله ، لٰكنْ قل لي بٱسمكَ الّذي سمَّتك به أُمُّك .

قال له : ولِمَ تسأَلني ؟

قال له : سأُخبركَ الخبر .

قال له : ٱسمي فلان .

قال له : أُهنِّئُك ، إنَّني سمعت السَّحابة الّتي أَمطرت في حديقتكَ هٰذه وسالت فيها ، سمعت ملَكان ، يسوقها أَحدهما ويقول الآخَرُ : ٱسقي حديقة فلان . فماذا تعمل في هٰذه الحديقة ؟ قال له : ما لي عمل ، إلاَّ أنِّي أَجعل خَراجها أَثلاث ، فثلث للبيت والأَولاد ، وثلث لعمارتها ، وثلث أَتصدَّق به .

قال له : بهٰذا!!

ٱنتهىٰ الكلام .

فالصَّدقة هي أَفضل أَعمال البرِّ ، وأَفضل كلِّ شيء ، والشُّيوخ المتقدِّمون ـ كما ذكرنا لكم ـ كانوا لا يتداوون إلاَّ بالصَّدقة ، إذا مرض واحد وجاء قال لواحد : بغيتك تنفث عليه . . يقول : النفثة حاصلة ، ولٰكنَّ الصَّدقة هي الدَّواءُ والمُعِيْنَةُ [علىٰ الشِّفاء] .

وكان يحصل لهم بهٰذا الشِّفاءُ . ونحن ـ كما ذكرنا لكم ـ إنْ بغيتوا . . الجماعة يجيبون لكم قائِمة باتمضون عليها بأَسمائِكم ، وإِنْ بغيتوا . . كل واحد بايجي إِلىٰ عند الأَخ محسن ، وإِلاَّ . . إلىٰ عند سالم بن حسن يعطيه إيّاها ، وإِلاَّ . . مُحَمَّد بن عبد القادر بن حسين ، وإِلاَّ . . حسن بن علي .

المقصود مَنْ معه أَيّ شيءٍ يُسلِّمه إِلىٰ أَطرف واحد منهم ، أَو أَعطاه سالم خرد ، أَو أَعطاه الشّاطري كلُّهم بايؤَدُّونه إِلىٰ محسن بن علوي .

أَيّ واحد منهم تتَّصلون به ، أَو طٰه بن مُحَمَّد ، أَو أَحد منكم . لو أَحد ٱتَّصل به . . عليه يبلِّغه .

كلّ واحد يضع ما معه عند أَقرب صديق له . المقصود : يجعل علىٰ نفسه شيء شهري ، إنْ قلَّ وإنْ كثر ، علىٰ مقتضىٰ إيراده ، أَو علىٰ مقتضىٰ همَّته .

لا تتركون أَنفْسكم مِنْ هٰذا ؛ لأَنَّنا نريده يستمرّ لكم ، فيستمرُّ لكم ثوابه ، وتستمرُّ لكم بركته ، ويستمرُّ لكم خيره .

وٱلله سبحانه وتعالىٰ يتقبّل منّا ومنكم ، ويكتبنا وإيّاكم في رعيل المحسنين .

ثمَّ تكلَّم العمّ مُحَمَّد الشّاطري ، وأَشار بقوله ، وقال :. الأَحسن أَنْ يُعيَّن شخص - ولو مراسل - بشيء يُعطاه ، ويدور علىٰ النّاس ويجمع كلّ شهر منهم .

هـٰذه هي الَّتي ستُنتج أَكثر ؛ لأَنّنا إذا تركناها بدون مراجع . . كلٌّ يمشي ، لا تدوم ، وهـٰذه مجرَّبة .

فقال سيِّدي ـ حفظه ٱلله ـ : إِنْ بغيتوا سالم بن حسن ، إنَّه متفرِّغ ، وٱكتبوا له قائِمة وهو يمشي بها .

ثمَّ أَخذ الكلام بين الحاضرين في أَخذ وردٍّ ، وتكلَّم العمّ أَحمد بن عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ[1] ، وقال إنَّهُ يعرف بعض الأَرامل والمحتاجات .

فقال له سيِّدي : ٱكتبهن ، وأَعطِ الأَسماء محسنْ وكلُّ مَنْ يعرف أَحد . . يكتبهن .

ثمَّ قال له العمّ أَحمد بن عبدِ ٱلرَّحمـٰن : إِنَّ كثير مِنْ إخواننا آل أَحمد بن زين ما يحضرون هـٰذه الرَّوحة ، وإِذا كلَّمناهم وطلبنا منهم . . قد لا يستجيبون لنا .

فقال له سيِّدي : قُلْ لهم ليلة بانجيء إِلىٰ عندهم وكلّهم يحضرون، تعقد الرَّوحة عندكَ ، وإلاَّ . . عند عبد القادر حسين .

---

(١) بن حسن الحبشي توفي رحمه الله في جده سنة ١٤٢٤ .

ٱدعهم كلّهم وقل لهم : عمِّي عبد القادر اللَّيلة معه روحة لكم خاصَّة يا آل أَحمد بن زين ، والَّذي ما يحضر هـٰذه المرَّة . . يحضر في المرَّة الثّانية ، والنَّصيب يحصل .

وقال لعبد القادر حسين : عبدَ القادر حسين ، ٱنتبه منهم هـٰؤلاء .

وٱستمرَّت المشاورات بين الآباءِ وبعض الإخوان في ترتيب عقد جلسات يجتمع فيها كلُّ أَهل بلد لحالهم ، أَهل (الحوطة) لحالهم ، وأَهل (تريم) لحالهم .

وممّا قاله سيِّدي في المشاورة : المقصود أَنَّنا نريدهم أَنْ يشتركون في الخير ، وبغيناهم تصلهم دعوات .

ورتَّبوا وقرَّروا أَنْ تُكتَب قائِمة بأَسماءِ مَنْ يريد أَنْ يشاركَ في هـٰذا العمل الخيري ، وفي الأَخير قال لهم سيِّدي : إِنْ عاد أَحد عنده فكرة ثانية . . يخبرنا ؟ المقصود كلُّ مَنْ عنده فكرة فيها خير . . مقبولة .

ثمَّ رتَّب الفاتحة هـٰذه :

الفاتحة أَنَّ ٱلله يأْخذ بيدنا ويدّكم ، ويوسِّع علينا وعليكم ، ويزيدنا ويزيدكم إِنْ شاءَ ٱلله .

ويجعل ـ إِنْ شاءَ ٱلله ـ ثمرات ذلكَ صلاحَ القلوب ، وصلاحَ البلاد ، وصلاحَ الأَموال وزيادتها والبركة ـ إِنْ شاءَ ٱلله ـ والنَّماءُ فيها ، والحفظ مِنْ شرِّ الزَّمان ، وفتن الزَّمان ، وأَهوال الزَّمان .

وأَنَّ ٱلله يصلح البلاد ، ويجعل الفَرَج قريب في صلاحها إِنْ شاءَ ٱلله .

ولا يرينا وإِيَّاكم ـ إِنْ شاءَ ٱلله ـ بعد هٰذه النَكسة مكروه ، ولا أَذىٰ ، ولا بلاء ، ولا محنة في بلادنا ، ويصلحها صلاحْ عاجلْ تامّْ إِنْ شاءَ ٱلله .

لا يرينا فيها شدَّة ، ولا أَذىٰ ولا محنة .

وأَنَّ ٱلله يشتِّت شمل مَنْ فيها مِنَ الحكّام ـ أَو يصلحهم إِذا أَراد ٱلله لهم الصَّلاح في خير ولطف وعافية ـ ويغفر لوالدينا ولوالديكم ، ويجعلنا أَعوان علىٰ الخير ، أَعوان علىٰ الصِّدق ، أَعوان علىٰ حسن المعاملة ، أَعوان علىٰ ما كان عليه السَّلَف الصّالح ، أَعوان علىٰ ما كان عليهِ الرِّجال الكُمَّل ، في جميع الأُمور ، ظاهرِها وباطنها .

وإِلىٰ حضرة النَّبيِّ صلىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّم .

❊ ❊ ❊



المجموعةُ الثانية

من كلام سيدي وشيخي الوالد

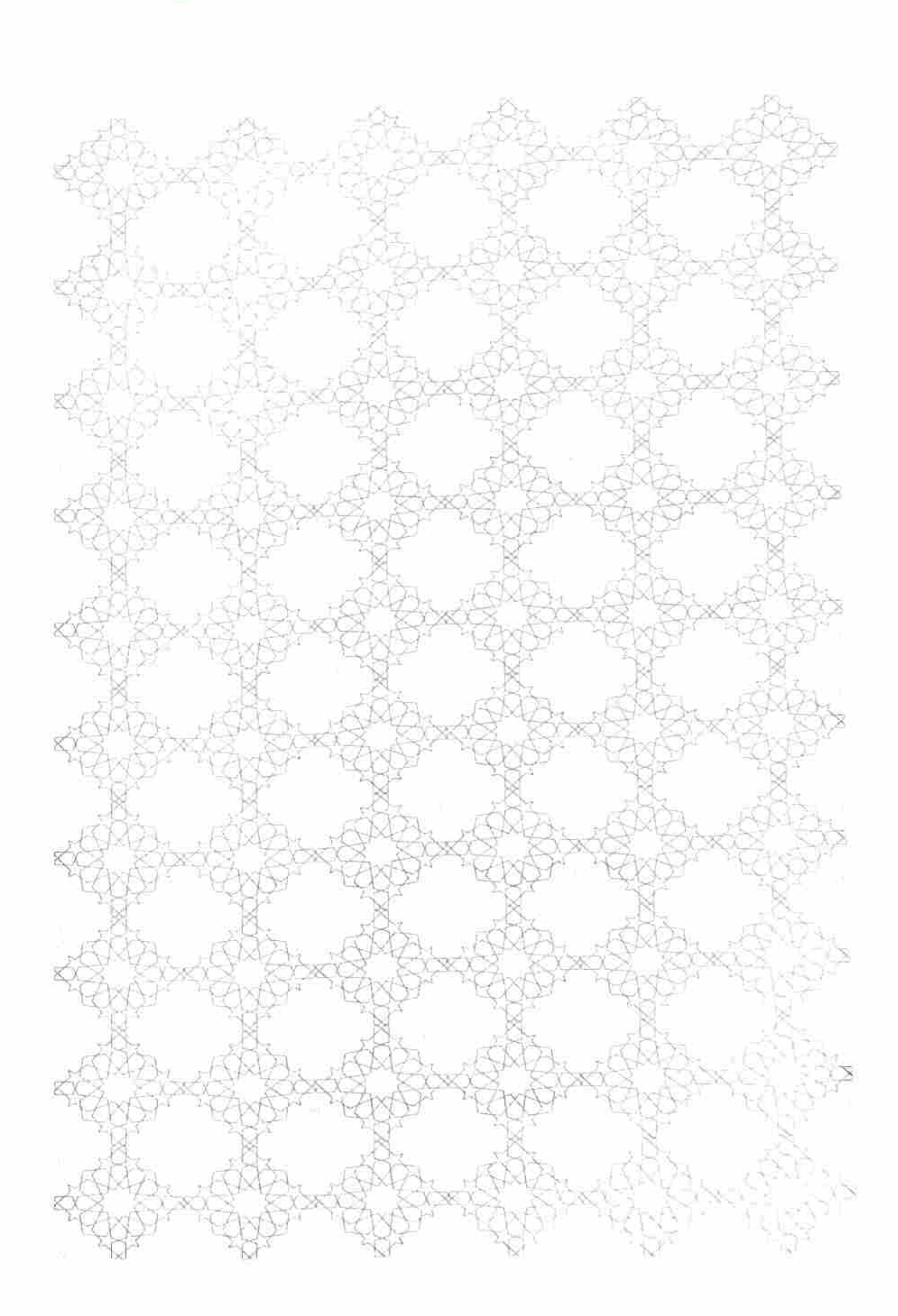
عَبد القادر بن أحمد بن عَبد الرحمٰنِ السَّقاف

جامعه

محمد عبد القادر حسين السقاف

كاتبه

عبد الله بن علي الجفري



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدِّمة

الحمد لله الذي تفضل علينا وتكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، وهو الهادي والموفق والمعين ، وبنعمه علينا أنعم ، فله الحمد وله الشكر دائماً وأبداً .

ونصلي ونسلم علىٰ خير العرب والعجم ، سيدنا محمد الذي أنقذنا من الظلم ، وهدانا إلىٰ الطريق الأقوم ، صلىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وأصحابه دائماً سرمداً .

أما بعد : فإن من نعم الله عليَّ أن وفقني بجمع بعض من كلام أستاذي وشيخي ، وسيدي الوالد عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمـٰن السقاف ـ حفظه الله ـ فله الحمد وله الشكر علىٰ ذلك .

وما أن انتهيت من كتابة المجلد الأول ، والذي يحتوي علىٰ (٢٤٤) صفحة[1] من نفس هـٰذا المقاس ، والمشتمل علىٰ إحدىٰ عشرة كلمة من كلماته القيمة . . عرضته عليه ، وطلبت منه الإجازة والإذن في القراءة فيه ، فأجازني وأذن لي ـ حفظه الله ـ فأخذت نسخة منه معي إلىٰ وطني (سيئون) عندما سافرت إليها في زيارة قصيرة لها .

---

(١) أي عدد صفحات الأصل المكتوب بخط اليد .

وأول ما قرأت فيه ـ بعد القراءة علىٰ سيدي ـ في مدرس الحبيب علي بن عبد الله السقاف . وما أن طرق أسماع الحاضرين كلام سيدي . . إلا وأخذ الفرح والسرور يعلو علىٰ الوجوه ، وأخذ الكثير منهم يتداولون هٰذا الكتاب ويقلِّبون صفحاته مبتهجين به ومسرورين وما ذلك إلا لمنزلة هٰذا الحبيب في قلوبهم ولسان حالهم يقول شعراً :

وكأنها والسمع معقود بها　　شخص الحبيب بدا لعين محبه

فأخذوا يثنون علَيَّ ويدعون لي ، وإذا حضرت معهم مجلساً . طلبوا مني القراءة في كلام سيدي ، فقلت لهم : ما مثلي إلا كمثل رجل دخل حديقة أطرافها واسعة وقطوفها دانية ، فأخذ يجمع ما تصل إليه يده وبعضاً مما تقع عليه عينه ، ووضعه في طبق وقدمه لكم ، والفضل كله يعود لصاحب الحديقة ، وليس لي غير الجمع فقط ، بل أطلب منكم غض الطرف عما علق بالمقطوف من تلوث بسبب يد القاطف الملوثة .

وبعد هٰذا أخذوا يشجعونني علىٰ جمع المزيد من كلام سيدي وإرساله إليهم ؛ لأن مثالهم كالأرض التي قل عليها الماء وسُدَّت عليها مجاريه ، تشخص أبصارهم إلىٰ السماء ويسألون الله أن ينزل لهم الماء .

فعدت من وطني حاملاً شحنة قوية من همة وعزيمة تستحثني علىٰ أن أبذل جهدي وأختلس من وقتي دقائق ـ وإن قلت ـ أجمع

فيها من رياض الجنة ما تيسر لي ، لعلي أن أفي ببعض ما يجب علي نحو شيخي وأستاذي ونحو وطني وإخواني .

وعلمت أن الكتاب له سر غريب في جذب القلوب ، بخلاف شريط التسجيل الذي لا أستطيع أن أصحبه معي في كل مكان ولا أن أسمعه الحاضرين في كل مجمع ، وإنما هو للجلسات الخاصة فقط .

أما الكتاب ـ كما قالوا ـ فإنه سفير العقل ومخاطبه ، وهو الرابطة بين السلف والخلف ، وهو همزة الوصل بين العالِم والمتعلِّم ، وهو قيد العلوم وينبوعها ، وهو الشجرة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، وبه تكون الدعوة وبه يحسن الأداء .

وكان الدافع الآخر الذي شد من أزري لجمع كلام سيدي ـ حفظه الله ـ ما قرأته في مقدمة كتاب « عقد اليواقيت الجوهرية » للحبيب العارف بالله عيدروس بن عمر الحبشي ، وهو قوله :

أما بعد : فإنه طال ما يخطر ببالي البالي ، وخيالي الخالي ، إثبات ما ظفرت به وتلقيته من أشياخي العارفين . . إلىٰ أن قال : وكنت أقدم رجلاً وأوخر أخرىٰ ، لعلمي بعيبي ، وصاحب البيت بالذي فيه أدرىٰ .

ثم رأيت الإقدام علىٰ ذلك أحرىٰ ؛ لما فيه من الفوائد التي منها : القيام بواجب حقهم الواقِع بتدوينه بقاءُ ذكرهم ، إذ من حق الشيوخ علىٰ المريدين حفظ علومهم وفوائدهم وإبلاغها إلىٰ مَن بعدهم ؛ لتستفاد منهم ، ويكثر بأجور من استفاد بها

أجورهم ، ويُعرَف بها ما لهم ، ويَحيىٰ بها ذكرهم ؛ لأن كل مجتهد وعامل إلىٰ يوم القيامة يحصل له أجر ويتجدد لشيخه مثل ذلك ، ولشيخ شيخه مثلاه ، وللشيخ الثالث أربعة ، والرابع ثمانية . . . وهٰكذا تُضاعَف كل مرتبة بعدد الأجور الصالحة بعده ، إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

إلىٰ أن قال ـ رحمه الله ـ :

وقد نُقل عن بعض الأكابر المحققين أيضاً أن العارف إذا مات فنقل عنه تلميذه مسألة في التوحيد وأفادها . . أن ذلك العارف يجني ثمرتها وكذلك التلميذ . إلىٰ آخر ما قال رضي الله عنه .

وعلىٰ هٰذا أخذت قلمي وكتبت بعضاً مما جمعته من كلام سيدي علىٰ الأشرطة ، وجعلته في هٰذا الكتاب ، سائلاً المولىٰ ـ عز وجل ـ كما أحسن إلينا أن يتم هٰذا الإحسان بالتمام ، وكما أنعم علينا أن يديم لنا هٰذا الإنعام ، وكما وفقنا لجمع هٰذا الكلام علىٰ هٰذه السطور ، نسألك اللهم أن تثبِّت نفعه في الصدور ، واجعل اللهم سناه ساطعاً علىٰ ممر الدهور ، واجعله لنا وللجميع إلىٰ طريق الآخرة زاداً ونوراً ، وارزقنا الصدق في القول ، والإخلاص في العمل ، وجنبنا اللهم الخطأ والزلل ، وأنت حسبي ونعم الوكيل .

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

والحمد لله رب العالمين

❊ ❊ ❊

صفاء القلب وأمراضه وعلاجه

ولادة نبي الله موسى عليه السلام وقصته

وقصة مالك بن دينار والأسود وكرامات للشيوخ المتأخرين

وتكلم سيدي - حفظه الله - بهٰذه الكلمة القيمة في منزل العم شيخان باعقيل بـ(أندونيسيا) وذلك عام (١٣٩٥هـ) .

وهٰذه الكلمة منقولة من شريط أرسله لي سيدي الوالد المرحوم عبد القادر بن حسين السقاف رحمه الله رحمة الأبرار .

وتكلم سيدي - حفظه الله - في أول هٰذه الكلمة عن فضل (حضرموت) ورجالها السابقين .

وتكلم أيضاً - حفظه الله - عن صفاء القلوب ومرضها وعلاجها .

وللأسف! أن الكلمة وصلتنا غير كاملة ، وننقلها كما وصلتنا .

قال سيدي - حفظه الله - : . . . .

البلاد - كما ذكرنا - دائماً إنما تتشرف بساكنيها :

وإذا نظرتَ إلىٰ البلاد وجدتَها   تشقىٰ كما تشقىٰ الرجالُ وتَسعدُ

مَلَؤوها بالعبادة حتىٰ فاضت عليها الأنوار ، وملؤوها بالصدق حتىٰ أصبحت من بلاد المختار ، وملؤوها بالعمل الصالح حتىٰ صارت - قالوا - ثناها يفوق كل ثناء .

قال الإمام الحداد : إنا نحن ما نفضل عليها إلا المسجدين

اللذين ورد التفضيل بها ، وغيرها ما نفضلها ؛ ذلك لأنها مَلَؤوها هـٰؤلاء الرجال .

قال الشيخ السقاف ـ رحمه الله ـ لما أراد أن يعمر مسجده ، قال : والله ما بنيته إلا بإذن من رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم والرسول في محرابه ، وأبو بكر في يمينه ، وعمر في يساره ، وعثمان في جانبه الآخر ، وعلي في جانبه الآخر .

قالوا : ولما بنىٰ المسجد وكان يشتغل ذات مرة من المرات . . أرسل يطلب العمال ، فقالوا له : إن العمال يشتغلون في بناء مسجدين : واحد مسجد لباجرْش ، وواحد مسجد لأحد من أهل (تريم) .

فأرسل إليهم السقاف ؛ لأنه السلطان ، قال لهم : سيروا لباجرْش وسيروا لصاحب المسجد الثاني ، وقولوا لهم : السقاف بغىٰ العمال غُدوهْ لمسجده ، قال : أرسل لهم ، فجاء باجرش وقال له : العمال وأجرة العمال مني .

وجاء الثاني وقال له : أنت تبني مسجد وأنا أبني مسجد ، ما بايتأتىٰ أن العمال يأتون إليك .

قال : أخبروه أن مساجدنا تعمر ، ومساجدهم للحمير والكلاب ؛ لأنهم هـٰؤلاء كما ورد في الحديث القدسي : « **ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتىٰ أحبَّه ، فإذا أحببتُه . . كنت سمعَه الذي يسمع به ، وبصرَه الذي يبصر به** » إلىٰ أن قال : « **وإن**

استعاذ بي. . أعذته ، **وإن طلبني أعطيته** » . هـٰؤلاء أعطاهم الله سبحانه وتعالىٰ التوفيق ومَنْ أَحْرَزَ التوفيق ؛ قالوا : سار في الطريق ، ومن سار في الطريق . . جاءه النصيب الكامل من خيار الفريق . والنصيب مِن مَن ، مَن خيار الفريق ؟ السيد الكبير محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

وهـٰؤلاء ـ قالوا ـ : لما جَلَوا بصائرهم وحفظوها عن التغيرات وعن الأوهام ، وعن الشُّبَه وعن الضلال ، وعما شاكل ذلك . . قالوا : انجلت البصيرة ، فأصبحت تشاهد ، ومن شاهد ببصيرته ـ قالوا ـ دلنا علىٰ مجاهدته ، لأن الله سبحانه قال : ﴿ وَالَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ .

وهـٰؤلاء هم الذين سماهم الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم : « المؤمنون » بقوله : « **اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله** » . هـٰؤلاء ينظرون من وراء حجب الغيب ، معاد يحتاجون عادهم إلىٰ أنهم يأتيهم خبر أو تأتيهم رؤيا ، عندهم الأشياء كلها قدامهم مكشوفة ؛ لأن القلب هـٰذا ـ قال الإمام الغزالي رحمه الله ـ : إنما هو عبارة عن صورة مرآة ، فإن زاد صاحبها في الجلاء . . انتقل ما أمامه فيها ، وإن لم يَجْلها صاحبها ـ قالوا ـ بقي عليها الران وتكدرت وطلع عليها الأوساخ ، فأصبح لا يشاهد القلب شيءْ ولا ينعكس ما أمامه فيه .

ومن نظف قلبه . . كانت بصيرته نافذة وكانت تشاهد . . ولهـٰذا هـٰؤلاء الأولياء لما جَلَوا البصائر . . أصبحت البصائر

تشاهد ، معاد شيء أمامها قط ، والمولىٰ قد نبهنا علىٰ ذلك ، قال : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ دلّنا أن القلوب تعمىٰ ، ودلّنا أن القلوب تمرض .

وقال في المنافقين : ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ .

وفي قوله ـ قالوا ـ في هٰؤلاء الذين لا يزالون في غفلتهم مع شهواتهم ، قال : ﴿ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ ومن كان في قلبه مرض ـ قالوا ـ يحتاج إلىٰ علاج ، كما أنه إذا مرض الجسم . . عالجه .

وما هو طريق علاج القلب ؟

أما طريق علاج الجسم ـ المستشفىٰ ـ معروف ، لٰكن القلب يحتاج إلىٰ علاج ، وما هي طريق علاجه ؟ قالوا : طريق علاجه : التوبة الصادقة .

أولاً : ينبغي للإنسان دائماً أن يتوب إلىٰ الله في كل نفس ، وفي كل لحظة ، وفي كل ساعة . ذلك لأن العبد لا يزال محل النقص ومحل الخطأ ، ومحل التقصير ، ومحل الغفلة ، ومحل عدم الاهتمام بهٰذه الأشياء ؛ لأن الطينة في النقص أصله ، مجبول عليها الإنسان . ولٰكنه إذا روَّض نفسه ومشىٰ بالتوبة دائماً مع الله ، وصدق في تلك التوبة ـ قالوا ـ أخذ الله بيده وأعانه الله سبحانه وتعالىٰ ، وإذا أعانه الله سبحانه وتعالىٰ . . حفظه عن النقائص ، فلو أراد أن يسعىٰ هو فيها . . عاقه عنها عائق ؛ ذلك لحفظ الإلٰه ولرعايته التي تولاه الله بها سبحانه وتعالىٰ .

قالوا : وصار عنده نصيب من ولاية الله له ، فصار مخصوص بهـٰذه الآية ، وله منها مدد يرعاه . ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ . ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ إلىٰ أن قال : ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ فمن كان وليه الله . . أيخاف غيره ، أو يخشىٰ غيره ، أو يقدر عليه غيره ؟! ما يقدر عليه شيء ، وقد شوهد هـٰذا في غير من مرة . . في الأولياء فضلاً عن الأنبياء ، فضلاً عن المرسلين ، فضلاً عن أولي العزم ، فضلاً عن غيرهم .

أما أولي العزم والمرسلين . . فقد قال الله لنبيكم : ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ فما قدرت عليه قريش ، ولا قدرت عليه الكفار . وجاء موسىٰ بمفرده ، حاول فرعون أن يقتل الذكور الموجودين لما أُخبِر أن فيه نبي في الزمن هـٰذا الذي فيه مُلْكه سيزول ، وسيولد هـٰذا النبي ، وسيكون هلاك فرعون علىٰ يد هـٰذا النبي .

فأمر بقتل الغلمان ، كل مولود يولد قال لهم : اقتلوه . لـٰكن الله سبحانه وتعالىٰ حكىٰ لنا عن موسىٰ لما وضعته أمه وكانت به برة شفيقة مثل سائر النساء ، تحيرت في أمره فوقع في قلبها الإلهام منَ الوحي أنها تضعه في تابوت وتلقيه في البحر ، واتفقت مع بنتها علىٰ هـٰذا ، وقالت لبنتها : أنتِ اسرحي وارعي التابوت هـٰذا .

يأخذه إلىٰ أين ، وإلىٰ أي مكان ؟

حكىٰ الله لنا تلك الحكاية : فجاء التابوت إلىٰ دار فرعون - كما يقولون الحضارم : وجاء الجراد إلىٰ المَسْخَن[1] - ولٰكن فوقه سلطان قوي ، فوقه قوة ما يقدر عليها فرعون .

جاء إلىٰ دار فرعون ، فأخذه فرعون وأخذته آسية زوجة فرعون ، واختلفا في أول الوقت : ففرعون أراد قتله ، وآسيا قالت له : ما عندنا ولد ، هـٰذا بايتربىٰ في دارنا ، وباينتسب إلينا وبايكون ولدنا . وعلىٰ مثل هـٰذا الكلام ، وتغلبت عليه في الرأي .

احتاجوا له من مرضع ، وكانت أخته تسعىٰ لتدرىٰ به نزل أين ؟ فعرفت أنه نزل حيث النار ، نزل في دار فرعون .

فجاءت إليهم وقالت لهم : بغيتوني أجيب لكم مرضعة ؟ قالوا : نعم ، بغينا له مرضعة .

فجابت أمه ترضعه .

انظروا الرعاية الإلـٰهية كيف! ترضعه بأجرة . يدفعون الأجرة هم باعتقاد أنه ولدهم ، وهو ولدها .

ولما حفظه الله من كيدهم وكبر وترعرع . . صار منه ما صار :

أولاً : حصل منه أن قتل واحد من الأقباط هـٰؤلاء لما رآه هو وابن عمه : ﴿ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾ .

وفي اليوم الثاني : جاء وحصَّله يتصارع مع رجل آخر ، وأراد

---

(١) المسخن : أي الموقد .

كذلك أن ينفعه موسىٰ ، فجاء الرجل قال له : ﴿ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ ﴾ ؟ رآه أنه بايكشف السر ، فهرب موسىٰ . وهرب إلىٰ أين ؟ هرب إلىٰ شعيب .

ولما وصل إلىٰ شعيب . . وجدها قرية قاحلة ، ما فيها شي ، فيها نساء يخرجن يرعين الأغنام ، ولا فيها إلا بئرين :

بئر عليها حصاة كبيرة ، ما يقدرن النساء يحملن الحصاة ، ولا لها رشا ، ولا لها غارب .

والبئر الثانية يستقون منها .

قال : إنه جلس ووقف في الظل ، ولما جلس في الظل . . رأىٰ أهل الرعي هـٰؤلاء يأتون بغنمهم ، ورأىٰ ثنتين بنات عندهن غنم جلسن منتظرات البئر هـٰذه حتىٰ تفرغ ، فكأنه قال لهن : لم جلستن ؟

قلن له : منتظرين البئر هـٰذه حتىٰ تفرغ .

قال : ما في مكان إلا هـٰذه البئر ؟

قلن له : لا ، هـٰذه بئر لـٰكن عليها حجر ما أحد يقدر يشله .

وهو قوي شاب نشيط ، قال لهن : أنا باميِّل الحَجَرة .

فأمال الحجرة وسقىٰ لهن ، كما حكىٰ الله : ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾

كان الحبيب سقاف بن محمد ـ رحمه الله ـ يأتي بمئة كل يوم من هـٰذه الدعوة حق موسىٰ : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ

فَقِيرٌ﴾ قال : فسقىٰ ، ولما سقىٰ . . شكر الله له ذلك ، وشكرت البنات له ذلك العمل . ولما وصلن إلىٰ بيت والدهن ، قال لهن : اليوم أسرعتن في المجيء !

قلن له وأخبرنه بالقصة ، أن فيه شاب أماط الحَجَرة عن البئر ، وأنه كفانا المهمة .

قال لهن : من أين هـٰذا الشاب ؟

قلن له : ما نعرف .

فطمعن فيه البنات ، كل واحدة رغبت أن تتزوجه ، فقلن لوالدهن ، فجاء والدهن وأرسل له ، وجاء إليه ، قال له : ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ﴾ ثمان وإلا عشر سنوات .

قال له : خيراً . اتفق هو وإياه ، وتزوج علىٰ واحدة ، وبقي يخدمهم ، يرعىٰ معهم ويخدمهم في البيت ، يعينهم في الخدمة .

ولما مرت العشر . . أعطاه أيما الأجلين وهو الأكثر .

رجع وأراد (مصر) بلاده ، وأخذ زوجه معه ، وكانت الزوجة حامل . . فلما وصل إلىٰ طور سيناء كأنه فيه برد لاذع شديد ، وكانت المرأة . . كأنها تحركت فيها آثار الولادة ، فاستشعرت ذلك وما معهم إلا ربهم : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ رأوا شيءْ من النور ظنّوه نارْ هناك .

قال لها : انظري تلك النار ، سأذهب وسأحضر لنا قَبَس منها نتدفأ بها ، وأنتِ اجلسي هنا .

قالت له : أسرع ؛ لأنني أشعر بالولادة .

قال لها : يا خير .

وصل إلىٰ هناك فإذا بالنار التي يعتقدها إذا بها نور ، وإذا ربه يكلمه يا موسى : ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾ فأقام موسىٰ وأخذ مع ربه يكلمه ، ويرشده ربه ويدعوه إلىٰ الرسالة . وفي دعواه إلىٰ الرسالة أعطاه البرهان ، ما هو البرهان ؟

العصا أولاً التي كانت معه صارت تكون ثعبان وترجع إلىٰ عصا ، ويده هٰذه إذا وضعها في إبطه . . صارت مرآةً له . وأعطاه من المعجزات الكثيرة وقوّاه بها لارتباطه بأمر الرسالة .

فرجع إلىٰ زوجه ، وقالت له زوجه : أتعبتني ، أنا ولدت في هٰذا المكان ، والبرد اشتد علي ، وأنت ذهبت لتأتي لنا بالنار لنتدفأ بها .

قال : ما وجدنا النار ، وجدت ربي هناك .

قالت له : كيف وجدت ربك ؟! إني محتاجة من نار ، ومحتاجة من أكل !

قال لها : أما أنا وجدت ربي وكلمنا ، كما حكىٰ الله : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ . وذا الحين أعطانا ربي الرسالة ،

وأعطانا سلطانْ قويْ علىٰ الكفار هـٰؤلاء في (مصر) فرعون ومَن علىٰ شاكلة فرعون .

وسار إلىٰ (مصر) وهو قوي بالسلطان . فلما سار (مصر) كان من شأن أهل ذلك الزمان أنهم يستعملون السحر ، ويتقوَّون به علىٰ أعدائهم ، فظهرت معجزات موسىٰ : عصاه هـٰذه تنقلب ثعبان .

ويده إذا وضعها في إبطه . . انقلبت مرآةً .

فأخبروا فرعون بذلك ، وأخبروه أنه يدعو إلىٰ ربه بذلك .

قال لهم فرعون : اجمعو له السحرة الكبار . جمعوا له السحرة ، فلما جمعوا له السحرة . . قالوا له : نلقي أو تلقي ؟

قال لهم : ألقوا .

فألقوا ما حكىٰ الله : ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ .

قال له ربه : أَلْقِ العصا حقك أنت يا موسىٰ . فلما ألقاها إذا هي تلقف ما صنعوا ، جاءت للحبال حقهم هـٰذه والسحر ، تطويه وتأكله ، فعرفوا أن هـٰذا ليس بسحر وإنما هي معجزة جاء بها من عند الله ، وإنما هي دعوة ربانية جاءت بواسطة موسىٰ ، فاعترف السحرة وأسلموا .

حكىٰ الله لنا من شأنهم .

وبقي موسىٰ مع فرعون تارة بتارة حتىٰ وقعت الغلبة له فأغرقه الله ، وبقيت بنو إسرائيل خائفة من فرعون حتىٰ أظهره الله

لهم في اليم ، فأخذوه ونقلوه . ولا يزال فرعون ـ قالوا : إنه منقول ـ في (مصر) لما زرنا (مصر) قالوا : انظروا هـٰذا جثة فرعون الذي قال في قومه : ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ .

قالوا : هـٰذه الرعاية إذا كانت للأولياء فما بالكم بالأنبياء ؟ وإذا كان الراعي المولىٰ يقول للولي : ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ﴾ معاد فيه خوف قط ، لا في الدنيا ولا في الاخرة .

ولهـٰذا، قبل البارحة نذكر مالك بن دينار ، بات عنده أضياف واستأذنوا منه في الصباح فأذن لهم ، فلما مشوا قليل . . رجعوا .

قال لهم : ألستم أنتم استأذنتم! ولِمَ رجعتم ؟

قالوا : وجدنا علىٰ الطريق أُسُود .

قال لهم : وايش بغيتوا من الأُسُود ؟

قالوا له : كيف أحد يقدر يمشي مع الأُسُود ؟

قال لهم : نعم يقدرون! تعالوا معي . وسار بهم حتىٰ وصل إلىٰ عند الأُسُود ، فدخل فيما بينها وأخذ يفتل أذنها ، ويقول لها : ألم أقل لكِ إن أضيافي لا تتعرضون لهم ؟ مُرُّوا في طريقكم .

مَرُّوا وهو يفتل أذن الأسد ، فلما مَرُّوا . . قالوا له : تعال بانتخبرك بِمَ نلت هـٰذه المرتبة ؟

قال لهم : من خاف الله . . خافه كل شي .

معاد يحتاج إلىٰ شي ، هٰذه هي الرعاية ، وهٰذه هي الولاية .

وهٰذا الشيخ المحضار ، والسقاف أعطي تلك الرعاية ، وأعطي المحضار وأعطي غيره . قال الشواف :

إذا حَضَــرْ فــي الأقــرانْ مثــل الأسَــدْ بَيْــن الضّــانْ

قالوا : هٰذه حكاها الشيخ طاهر التكريتي ـ رحمه الله ـ قال : إنه كان شيخ (مكة) في ذلك الوقت ، ولما حج ولده الشيخ عمر المحضار بن عبد الرحمٰن السقاف . . قالوا : بقي يحدِّق بصره إليه ، لأنه يرىٰ فيه أشياء ما يراها في غيره من الحضرميين .

ولما حدق بصره . . سأل ، قال : لمن هٰذا الفتىٰ ؟ فقيل له : للشيخ عبد الرحمٰن بن محمد مولىٰ (الدويله) الملقب بالسقاف .

فاستدعاه ، وقال له : والدك الشيخ عبد الرحمٰن الذي يلقبونه بالسقاف .

قال : نعم ، والدي الشيخ عبد الرحمٰن .

قال : أخذ يقول لهم : اسمعوا بأن والد هٰذا الفتىٰ إذا حضر في المجلس بين الأولياء . . يكونون عنده كالضان وهو مثل الأسد .

تناقَلوها هٰذه الحكاية وأَخبَروا بها مَن وراهم .

وكان السقاف على ما ذكر ، ذكرنا لكم أنه بيده التصريف .

قال صاحب « السلسلة العيدروسية » : إنه كان الشيخ عبد الرحمٰن بن علوي مرض مرض العيون وضعف بصره ، ولما ضعف بصره . . جاء إلىٰ الشيخ محمد بن سعيد بن كبن ويقول له : ادع الله لي أن يعافيني وأن يرده عليَّ .

قال له : لماذا تسألنا ؟ شف الشيخ عبد الرحمٰن السقاف بـ(تريم) يقول : أتصرف في برزخي كتصرفي في حياتي . إقْبَضْ الشيخ السقاف؟!

قال : فنام في تلك الليلة ، ولما نام من تلك الليلة ـ قال : رأىٰ الشيخ عبد الرحمٰن السقاف وأخذ بكتفه يهزه هزات عنيفة ، يقول له : أو ما تصدق إلا أن قال ابن كَبِّن لك : أنا ابن محمد أتصرف في برزخي كتصرفي في حياتي ، وأَزْيَد ، وأَزْيَد ، وأَزْيَد . عادك محتاج لشهادة بن كبن لي ؟

وكان من شأنه هٰذا الإمام العظيم :

قالت الشيخة العارفة بالله سلطانة الزبيدية : إن الله أطلعني علىٰ أحوال الأولياء إلا الشيخ عبد الرحمٰن السقاف وولده أبي بكر السكران ، وإنه إذا أراد أن يأتي إليّ . . أرىٰ نور يخر من السماء علىٰ بيتي أولاً ، فيتجاوز النور ثم يدخل السقاف من سطح البيت ، معاد يدك عليهم الباب ولعاد يقرع عليهم باب . هٰؤلاء الرجال .

وكان له محب في (شبام) ذكرناه فيما قبل ليالي ؛ لأنه كان يتردد إلىٰ (شبام) قال : إنه آذاه السلطان ، ولما آذاه السلطان. . قال لهم : اكتبوا للشيخ السقاف ، قال له : السلطان جار عَلَيّ جم .

كتب الشيخ السقاف للسلطان ، قال له : ما عرفت أنه من محبينا تجور عليه ؟!

جوَّب عليه هٰذا السلطان ، قال له : يا حبيب عبد الرحمٰن ، أنت شفاعتك مِن (كحلان) وشرق (كحلان) : حيد قاسم هٰذا يقولون له ـ وأما مِن (كحلان) وقِبْله . . ما لك شفاعة .

قال : أنا ابن محمد ، شفاعتي من قاف إلىٰ قاف ، كيف من (كحلان) وشرق ؟ ودعا علىٰ السلطان دعوة ، قالوا : كانت عنده إحدىٰ زوجاته ، فرأت القميص حقه يتململ ويتحرك ، فقامت ترىٰ حركته فإذا القميص خلي ما فيه صاحبه ، ثم ما هي إلا ساعة حتىٰ تحرك القميص فإذا به فيه الشيخ .

قالت له : أين كنت ؟ شفت القميص يتململ فقمت فإذا بالقميص ما فيه جسدك .

قال لهم : نعم تحرك خاطري علىٰ السلطان وخرجت مني كلمة ، أخذتني الرحمة ، طلعت طرت وراءها ظننت أنني باألحقها فإذا هي صعدت إلىٰ ما فوق السمٰوات .

مات السلطان وانتهىٰ أمره ، وجاء الخبر بموته .

هٰكذا كانوا ، وبلغ بهم ، قال الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي في كتابه « نشر المحاسن الغالية » لما ذكر آل (حضرموت) وذكر العلويين الأبرار الذين قال فيهم الحبيب علي - رحمه الله ، يومُهْ يُجَوِّدِ الكلامْ فيهم - قال :

حضرموت التي سكانها خير سكانْ وَدٌّ عيسىٰ ومِن نسلِهْ شيابهْ وشُبّانْ

قال الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي : إنه إذا وصلوا وفود الحضارم إلىٰ الحج . . أرىٰ وجوهْ عليها نور غير النور الذي أراه علىٰ غيرهم ، وأرىٰ عليهم سمت من أثر الاتِّباع غير الاتباع الذي أراها علىٰ غيرهم ، وأرىٰ عليهم من أثر الوقار ومن السكينة التي تتنزل علىٰ رجال الرسالة ما توجد عند غيرهم .

قال : فأرسل ولده ليرىٰ هٰذه البلاد التي ينبت فيها الأولياء ، ويكثرون فيها ويظهرون فيها ، ويُظهِرون إشارة غير إشارات الولاية ، وبنور غير نور الولاية ، وبمظهر غير مظهر الولاية الأخرىٰ من سائر الناس .

فأرسل ولده عبد الرحمٰن ، وأخذ يطوف بالبلاد ، واغتبط بأهل هٰذه البلاد وبمن كان عليها وبما هم عليه .

ولما رجع إلىٰ (مكة) قال : استقبَلْتُه ، وأخذ يسأله عن (حضرموت) فيخبره بـ(حضرموت) وعلم (حضرموت)

وعبادة (حضرموت) وأهل (حضرموت) والشيخ يفرح بذلك الكلام ، ويقول :

وحدثتني يا سعد عنهم فزدتني شجوناً فزدني من حديثك يا سعد
هواهم هوىً لم يعرفِ القلبُ مثلَهُ فليس له قبل وليس له بعد

قال : و كان نَظَم الشيخ عبد الرحمـٰن لما اغتبط قصيدة منها :

مررت بوادي حضرموت مُسَلِّمًا فألفيته بالبشر مبتسماً رحبا
وألفيت فيه من جهابذة العلا أكابر لا يُلْقَوْن شرقاً ولا غربا

قالوا : إنه طلب الإذن لزيارة أخرىٰ ، فأذن له وزار (حضرموت) فوجد فيها عدد كثير ، ووجد في (شبام) هـٰذا الشيخ محمد بن أبي بكر عباد ، شيخه الشيخ عبد الرحمـٰن السقاف ، فاغتبط به وقرأ عليه ، وأخذ عنه كما أخذ عن غيره من الرجال أهل الولاية الكبرىٰ ، ومدحه في قصيدة قال فيها :

كيف لا أملأُ أسماع العُلا ولمولانا علىٰ الكون الوَلا
من أحاديثك يا شمسَ الضحىٰ وأحاديثك بدر تجتلىٰ
ولو أن الدار تُدني مَغْرَماً لتبوَّأْنا شباماً منزلا

وهـٰكذا كانت البلاد ، وهـٰكذا كان الناس ، وهـٰكذا كان الاتِّباع للحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

كانوا يضعون القدم حيث القدم ، وكانوا لا يرون أعلىٰ

ولا أغلىٰ من العلم الذي يوصلهم إلىٰ الاتباع إلىٰ الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم سيد العلماء وسيد الأولياء ، وسيد الأنبياء وسيد الأصفياء .

فكانت تمتاز (حضرموت) بالمزيَّة التي ما امتاز بها غيرهم ولا عُرِف فيها غيرهم ، وظهرت عليهم آثار الاتِّباع من كمال النور المحمدي علىٰ وجوههم وعلىٰ سمتهم وعلىٰ أحوالهم .

قالوا : إن الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس ـ ذكرنا فيما قبل درجة الشيخ المحضار له ـ طلع يزور الشيخ أبي بكر صاحب حورة ، ووجد صاحب المنزل ـ صاحب المقام فيه عبد الله بن عبد الرحمـٰن باوجيه ـ في المقام .

قال : جاء إلىٰ عند الشيخ عبد الله بن عبد الرحمـٰن ونزل عنده واغتبط بالشيخ لكونه من أهل العلم ، والشيخ يتفرس في الولد ، والولد ما زال شاب لم يظهر له شارب .

قال : فيتفرس في الولد ، ويقول : سيكون هـٰذا الولد من كبار الأولياء . وما زال العيدروس في صغره .

قال : فجلس وقرأ علىٰ الشيخ أبي بكر ـ هُوْ هـٰذا العيدروس الأكبر ـ واستجاز وأجازه ، ورجع إلىٰ (تريم) .

بقي هـٰذا الخاطر يعاوده ويقول : هـٰذا السيد عنده ولاية كبرىٰ وهو في هـٰذا السن المبكر .

قال : إنه وقع له أنه تفرس ، فقال : إن كان هـٰذا الولد كما

يعالجنا الخاطر أنه من كبار الأولياء أريده أن يقابلنا .

قال : فوصل إلىٰ (تريم) ودخل وسلم علىٰ الفقيه وعلىٰ أهل (بشار) وخرج في طريقه قاصداً بيت العيدروس ، فناداه العيدورس في طريقه ، سلم عليه وفرح به وقال له : يا شيخ عبد الله .

قال له : لبيك .

قال له : شفنا ما هي من عادتي أخرج في مثل هٰذا الوقت ، ولٰكني خرجت من أجل خاطرك الذي يعتلج عنك .

قال له : تستأهل الولاية في هٰذا السن المبكر !

لهٰذا إنهم قالوا : ما يحمِّم[1] شارب العلوي إلا وقده من كبار الأولياء ، وقده مكاشف ، وقده يشاهد الحقائق . والسبب في ذلك التربية .

ذكرت لكم لما أخذه عمه بعد أن توفي والده ، قال له : يا ولدي ، الطريق عندنا سهلة ، ما هي صعبة ، الطريق : السلوك علىٰ الطريق هٰذه التي شفت جدك وشفت أبوك ، والتي شفتنا أنا عليها ، هي الطريق هٰذه .

وهٰذه الطريق أوصلتنا بالنبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم وجمعتنا به ، وأخذت عنه صلىٰ الله عليه وآله وسلم مباشرة لَمّا كنتُ سالكْ في الطريق هٰذه . وأخذت عن والدي الشيخ عبد الرحمٰن ، وأخذت عن واحد من رجال الغيب .

---

(١) يحمم : يظهر أو ينبت .

قال العيدروس : وأنا لا أخرج من طريق عمي وأبوي ، باأمشي في هـٰذه الطريق .

والطريق سهل ، ما منعته من تزويج ، ولا منعته من حضور مع الناس ، ولا منعته من عادة يعملها ، ولا منعته من شيء . المقصود : أنه يصفِّي قلبه ويقوم بالأوامر فقط ، ما شيء زايد عليها .

مشىٰ علىٰ هـٰذا الطريق ، قال : حتىٰ وقع أني اجتمعت بالحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم وأخذت عنه ، ووجدت الطريق سهلة . واجتمعت بجدي الشيخ عبد الرحمـٰن في عالم الغيب وأخذت عنه ، وأخذت عن واحد من أهل الغيب ، وأخذت عن شيخي عمر المحضار عمي هـٰذا .

ولما رآه الشيخ عمر المحضار علىٰ مثل هـٰذا الحال أراد أن يزوجه علىٰ بنته عائشة ، وكانت وسيمةً . قالوا : خطبها الكثير ، فقال لهم : لا ، ما أزوجها إلا علىٰ ابن أخي هـٰذا .

قال له بعضهم : إنه فقير!

قال لهم : ولو بحبة خردل ، ما بازوجها علىٰ غيره ، با زوجها علىٰ هـٰذا الولد ولو بحبة خردل ، ما با سيِّب هـٰذا الولد .

كانوا يرغبون في مثل هـٰذا ، لماذا ؟ للعلم .

فجابت له بو بكر العدني ، وجابت له بنته فاطمة كذلك .

قالوا : إنها يسبق إليها الكشف قبل القراءة . وجابت له الكثير منها :

ل قالوا : إنه لما تزوج عليها حصل حمل ، فتذاكروا في اسمه ، وكلهم فرسان في ميدان الولاية والكشف الكبير ، حتىٰ جاء محبهم وخادمهم الشيخ سعد السويني الذي قسموا له في الأسرار ـ كالُوا له منها بلا حساب ـ قرع عليهم الباب وطلع وسلَّم عليهم :

السلام عليكم أهل البيت ، أنا جئتكم ، جاءني الولد الذي في بطن السيدة عائشة وقال : أخبر والدي وأمي أن اسمي في اللوح المحفوظ أبو بكر . انتهىٰ الكلام وارتفع الخلاف .

بأي شيء إلىٰ هـٰذا وصلوا ؟ وصلوه بخرق العوائد .

قال الإمام الحداد في خرق العوائد : هـٰذه التي قَطَعَتْ بالناس وغيرت علىٰ الناس ، وتركت الناس في ظلمة يخبطون خبط عَشْواء . قال :

ها قد علمتُ ولا شَكٌّ يخالطني أن الطريقة في خرقي لمعتاد
وتركِ مألوف نفس زانَهُ خُلُق أنجو به بين أشكالي وأضدادي
وقد تحققت أن الخيرَ أجمعَهُ ضمن اتباعي لجدي المصطفىٰ الهادي

وما هو اتباعه عليه الصلاة والسلام؟ قالوا : نهار غزوة الفتح دخل ووراه ثمانية آلاف من جيشه عليه الصلاة والسلام لا يقدر يقاومهم مقاوم . ولما دخل ـ قالوا ـ كانت عليه عمامة دسمة ؛ يعني : فيها أثر الدهن ظاهر عليها . فجاء ونبهه الفضل ابن

العباس ، وقال له : أغيِّر عمامتك يا رسول الله ؟ قال له : لم تغير عمامتي ؟

قال : أراها دسمة . يعني فيها شيء من الدهن .

قال له : أنا باأدخل بالعمامة ، أو العمامة باتدخل بي ؟!

انظروا هٰذا السيد الكبير صلىٰ الله عليه وآله وسلم سيدخل علىٰ أعدائه الألداء هٰؤلاء ، ولٰكن كان من شأنه التواضع ، هضماً للنفس وترويضاً لها وللمألوف ، كما سمعتوا كلام الإمام الحداد . وكثير من الشيوخ ما يهمهم مسألة اللباس ، خرج بلباس حسن أو خرج بلباس غير حسن .

كان الحبيب يوسف بن عابد الثاني الحسني ـ قالوا ـ يطلع الجمعة ويوم العيد ـ قالوا ـ يلبس له جلد حق الضأن ، ومن عادتهم أنهم يجعلون الشعر حقه إلىٰ الداخل لأجل يظهر كما الجلد .

قال : إن بنات الحبيب يوسف بن عابد قلن له : شف نساء آل طٰه يعبرن في ساحة طٰه وفي الطريق هٰذه كلها يضحكن عليك يومك تلبس الجلد وتطلع به .

قال : أنا بغيتهم إلا يزيدون في الضحك ، بارد الشعر إلىٰ ظاهر بدلاً أنه إلىٰ داخل ، خلهن يضحكن ، ما علي من الضحك ، شيء بايقصر من المقام ، شيء بايقصر من المرتبة ، شيء بايقصر من الولاية .

قالوا : جاء إليه الحبيب جعفر بن أحمد الحبشي ، الإمام الكبير بالمقام وكان من تلاميذه ، فلما جاء . . نزل له وقال : خلوا جعفر والمقام حقه تحت العلب ، وجلس هو وإياه يتحدث ، ولما جاء وقت الغداء يتشاوفون ، كل واحد يبصبص مساهنين الغداء .

قال لهم الحبيب : الغداء الدوم حق العلب ـ السدر ـ لعاد تبصبصون ، قوموا ونُوْشُوا ـ أي : حَرِّكوا ـ العلب ، وكل واحد يملي بطنه منه .

هـٰؤلاء الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وغيره كله ترّاهات فانية ، لا تفيد ، ولا تعيد ولا تبيد ، ولا تعمل أي شيء ، ولـٰكنها رعونات نفسية ، إن تيسرت وصلحت معها نيات . . فحبذا ، وإن تيسرت بلا نيات ـ قالوا ـ جاءت من حكم الدنيا ، وحكم الدنيا كله يحاسب عليه الإنسان .

قال الحبيب أبو بكر العطاس لما طلب منه الحبيب عَلِي الحبشي وصية ، قال له : يا ولدي ، الوصية من الصدور إلىٰ الصدور ما هي في السطور ، ولـٰكنني باعطيك [أربع] مسائل تستفيدها مني :

الأول : اِجعَلْ لك نية في كل عمل تعمله مع الله ، فإذا أردت تبني منزل . . انوي أن يكون للضيف ، وأن يكون سكن لأهلك ، انوي أن يكون صيانة لهم ، انوي أن يكون لولدك لينتفع به . اجعل لك نيات ليكون من الآخرة .

وكذلك بايلبس له ثوبْ الإنسان بايجعل له ثوبْ ، بايعمل له

شيءْ ، بايشتري شيءْ ، بايتزوج . . . يجعل له فيه نية صالحة يكون من عمل الآخرة ، يرتفع من عمل الدنيا بتاتاً .

والثانية : قال له : صلاة الوتر صلها علىٰ الهيئة التي أنا أصليها[١] .

والثالثة : قال له : بايجيء وقتها بايظهر عليك سرها ، وبايظهر عليك نورها .

والرابعة : رأىٰ الحبيب صالح بن عبد الله العطاس فسأله عن طريقة العلويين .

قال له : العبودية المحضة ، والاستغناء عن الناس .

قال : فأصبحت وأدركت أن الحبيب يشير إليها هـٰذه ، فقلت لأمي : ادعوا لي وقولي : اللهم ارزق ولدي عَلِيْ العبودية المحضة والاستغناء عن الناس . واجعلي الدعاء لَكِ هـٰذا ، عادة تكرريه[٢] .

وكان الشيخ عمر بامخرمة لَمَّا ذكرنا العبودية المحضة وكان متعلق بـ« الرسالة القشيرية » ثم أُهدي له ديوان الشيخ ابن الفارض ، تعلق به ووَلِه به .

قال : فدخل عليه الشيخ عبد الكريم بن هوازن القشيري مؤلف الرسالة وهو في منزله وأخذ « الرسالة القشيرية » من الدرج

---

(١) صلاة الوتر (١١) ركعة عن الحبيب أبي بكر أخذها عن الحبيب حسن بن صالح إحدى عشر ركعة في الركعتين الأوليين بعد الفاتحة (إذا زلزلت) مرتين في الأولى، وفي الثانية (ألهاكم التكاثر) ست مرات ـ وفي الست الركعات تقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة (آية الكرسي) مرة وثلاث مرات من سورة (الإخلاص). وفي الثلاث الأخيرة السور المأثورة (الأعلى) . (الكافرون) ـ (الإخلاص) مع (المعوذتين) .

(٢) يعني : اجعليه عادةً لك .

حقه ، وفتحها له ، وقال له : السر في هٰذا الكتاب ، وسر هٰذا الكتاب في هٰذين السطرين . فإذا فيها : وسئل بنان الحمال عن أجل أحوال الصوفية ، فقال : أربعة :

[الأول] الثقة بالمضمون . الذي لا يريده الناس . يا كم من واحد يُشبِع الناس كذبْ لأجل زيادة قليل من المال ، وإلا شيء أغاليط ، وإلا شيء من التزاوير لأجل الزيادة ، ولا يثق بالمضمون الذي قال الله فيه : ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ . المقصود رزق يجيء له خلاص .

والثانية : التخلي عن الكونين ؛ يعني : يتخلىٰ عن الكونين وما فيها .

قال ـ هو بامخرمة ـ في قصيدته الأخرىٰ :

اِبْقَ واحدْ لواحدْ وٱلْقِ دُورَكْ بَلاقعْ   وٱخْلِ لِيْ يا مُخَلِّي كل داني وشاسِعْ

والثالث : مراعاة السر . القلب بغىٰ حفظ ؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ قد نبهنا إلىٰ ذلك ، قال : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ .

فإن القلوب تزيغ ، وإن القلوب تضل ؛ لأن لها هواجس ولها خطرات ، ولها بوادر ولها أفكار ، ولها نظر إلىٰ هٰذا الكون وإلىٰ عظمة هٰذا الكون ، نبَّهكم الله عليه فقال : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ .

وبعدها نبَّهنا أن ذلك كله لا له ولا عليه ، فقال : ﴿ ذَٰلِكَ

﴿مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ .

أحسن من هـٰذا ومن هـٰذا ، فالقلب لا بد من أن يراعيه الإنسان دائماً ، لا يخلِّي شيءْ يخطر عليه منها هـٰذه الخواطر . وما جاءه من هـٰذا المال ، أو جاءه من هـٰذا الرزق ، أو وقع له من الاختلاط بالناس . . فليكن مع الناس بالظاهر ومع الله بالباطن دائماً ، حتىٰ لا يتغير عليه القلب ولا يخلو عنه في شيء .

قال بامخرمة لما قرأ هـٰذه ، قال :

بَالغَرِيْب انخلَعْتِ اليومْ من ثوبْ شاشِيْ   شُفْت بِالعينْ ما كدَّرْ عَلَيَّهْ مَعاشيْ
وٱتَّضَحْ بينْ تسطيرِ الكُتُبْ والحَواشي   سطرْ رَوَّانِيَ الراكبْ ومَن كانْ ماشيْ
ما ٱعتَرفْ أنَّ مِثْليْ ياعَلِيْ ما يعاشِي   وِأنّ رجلِيْ طويلهْ ما وسِعْها فراشي

والناس يقولون : لا يمدِّد إلاَّ علىٰ قَدْر فراشه .

نبَّهَنا بامخرمة أنه تعدىٰ الحد ، الذي مثل هـٰذا ، عاده بغا أحسن ، كأنه الذي في « الرسالة القشيرية » وهو ممن أحسن وممن جَوَّد ، وممن أجاد ، ولـٰكن شأن الكامل أن يشهد التقصير مع التشمير ، وأن يرىٰ نفسه في الحال القصير . . وإن كان بنفسه خبير .

دائماً يشهدون هـٰذا ، ثم قالوا : دائماً التخلي ، الإنسان لا ينظر إلىٰ مال ، ولا ينظر إلىٰ ولد ، ولا ينظر إلىٰ جاه ، ولا ينظر إلىٰ شيء ، فإن حصل شيء . . فإنما هو من الله ، لا منه .

يعتقد كثير من الناس إذا جاء وعنده شيء من الذكاء ، قال :

هـٰذا بذكائي جبته . ما تقدر تَلْقِي شيءْ بالذكاء! هـٰذا بصحتي ، قال : أنا رجل صحيح أندُرْ[1] أسعىٰ ، أنا رجل وجيه أندُرْ أقدِّم نفسي . ما باتنفع وجاهة ، ولا ينفع ذكاء ، ولا تنفع شطارة ، ولا ينفع شيء قط أبداً :

ولو كانت الأرزاق تجري علىٰ الحِجا إذاً هَلَكَـتْ مـن جهلهـن البهـائـمُ

أليست هـٰذه بهائم ـ حمير ودواب ومثلها ـ يعطيها ربكم من الرزق كما يعطيكم ؟ الأرزاق قدها مقدرة ، والأشياء قدها مكتوبة في عالمها من ذلك اليوم ، ما علىٰ الإنسان ـ قالوا ـ إلا أن يسير في الطريق ، ويكفيه .

وإذا سلك الإنسان في الطريق . . نَعِمَ بالفريق واتصل بالرفيق ، ومن اتصل بالرفيق ـ قالوا ـ حَصَل له المشي في الطريق الذي قَصَر علىٰ الناس ذا الحين ، إلا أن الناس لم يدركوا شيءْ قط أبداً .

كان والدي يخبر عن الشيخ أحمد علي مكارم ـ ربما ذكرت شيءْ عنه ، بياع مشتري ، هو من شأنه ـ أنه يكتب له نيات في لهج الخلفة[2] حقه : نويت قرض المستقرض ، نويت إعانة الناس ، نويت ستر ماء وجهي ، نويت القيام بأولادي ، نويت القيام بزوجاتي . . . نيات كثيرة يكتبها ويخرج علىٰ بركة الله ، والذي يقدر عليه من هـٰذه النيات يعمله ، ولـٰكنه قد نوىٰ النيات ، وقد رتب النيات ، وتيسر له .

---

(١) أندُرْ : يعني أخرج .
(٢) الخلفة : النافذة أو الشباك .

ومن نياته ـ قالوا ـ : أنه سمع أن الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي عليه دَين ، فجاء إلىٰ الحبيب علي حبشي ـ أي : أحمد علي مكارم ـ فقال له : إنني باسافر يا حبيب علِي .

قال له : لماذا باتسافر ؟

قال له : بلغني أن الحبيب عيدروس بن عمر شيخ الوادي عليه دَين قدر أربع مئة .

أحمد مكارم بغىٰ بايقضيها عن هـٰذا السيد . هل أحد يعمل مثل هـٰذا ؟ لأنه ما أحد قرأ! القلوب قست وتغيرت .

قال له : سافر علىٰ بركة الله .

قال له : حمار مع حبيبي علوي حداد ، بغيتك تكلمه ، لأنه بايبيعه عَلَيَّ ، ولـٰكن إذا كلمته أنت . . بايعطيك إياه بقيمة أقل . بـايعيننـا أنـا فـي طـريقـي إلـىٰ (المكـلا) وإلـىٰ وصـولـي إلـىٰ (الشحر) .

قال له : باكلمه لك .

راحوا إلىٰ عند الحبيب الحداد ، وقالوا له .

قال : إذا بغيت الحمار يا علي حبشي باعطيك إياه ، حمار عادنا إلا أخذته وفرحان به ، ولـٰكن كلامك أعز من كل شيء .

قال له : بغيته لأحمد مكارم .

قال : أعطوه إياه .

أعطوه قيمته ، وسافر وقضىٰ دين الحبيب عيدروس ، ورجع بخيري الدنيا والآخرة .

ومرة من المرات رأىٰ الحبيب عَلِيْ مشغولْ بالعلم ، قال : أنا باشاركه في علمه . استأذن من الحبيب علي وقال له : شفنا باسافر ، والسَّفْرة شفنا باقْسِمها أنا وإياك .

قال له : يا خير ، سافر .

قالوا : ورجع وقَسَم السَّفْرة . ومن جملة الحَمول الذي أدخلوه في الليل بالسر : خمسة وعشرين جمل أَدْخَلوها آخر الليل . قال : وصَدَق معه في القسمة ، حتىٰ النعلين جاب له نعل وأعطاه نعل .

قال له : يا شِلّْهِن مَرَّة يا خلّهن مرة .

قال له : شِلّهِن يا حبيب علِي .

استفاد . . غَلَّق أحمد علي ، عُمُرْ معه مقدَّر . وانتهىٰ عُمره ولٰكنه بقي ذِكْرُه ، ثم في القبر ما هو حاله ؟ ثم عند الله سبحانه وتعالىٰ ما هو مقامه ؟

بلغ من محبة الحبيب علي له إلىٰ أنه يقول له :

أنا من أهوىٰ ومن أهوىٰ أنا   نحـن روحـان حَلَلْنـا بَـدَنـا

يستاهل مَن عمل مع الله مثل هـٰذا الكلام . ومَن قصرت به خطاه وراح وراء هواه ، إلا والا وراء دنياه ، والا وراء سفالة ، والا وراء مسفالة ، يقعد لها يضيع وقته .

ومِثْلُه . . أَنَا أذكر لكم عمر عُبادي ، واحد من أهل (الغرفة) طلع إليه الحبيب علي بن عبد الله الحبشي ، شيبةْ في السبعين من عمره ، لما وصل إلىٰ (عدن) قال له : بغيت فين حبيب علي ؟ باتموت غريب غريق ، وأنت بايدفنوك في (الغرفة) بجنب أهلك ، وبجنب كم من ولي ، وكم من قطب ؟ إذا جاءتك المنية . . يقذفون بك بحر ، وإلا تحت شجرة ، غير داريين بقَدْرك .

قال له : عَلَيَّ دَين يا عمر ، وبغيت عند ولدي في (جاوه) عَلَيَّ دَين سبع مئة .

قال عمر عُبادي في نفسه : اليوم الربح الذي يدخل عَلَيَّ باسم السيد علي بن عبد الله الحبشي . خرج يعمل ورجع إلىٰ مكتبه . فوجد الربح سبع مئة . . صِدْق النيات!

جاء إلىٰ عند الحبيب وقال له : يا حبيب عَلِيْ .

قال : لبيك .

قال له : الحاجة قُضيت ، ربك يَسَّر لك سبع مئة ما لأحد منة فيها قط . وأما نولك وهديتك والذي يريِّضك في الدار . . هـٰذا من محبك عمر عُبادي ، وأريدك ترجع إلىٰ بلادك .

قال له : جزاك الله خير .

نَوَّل عليه وأعطاه السبع مئة ، وأعطاه الهدية ، وأعطاه الذي بايريِّضه في داره لمدة طويلة . ورجع السيد إلىٰ بلاده .

ما هو ثمنها هـٰذه ؟

وكان كماه أحمد بارجاء جالسْ عند الحبيب علي حبشي ، ملازمْ للحبيب ، لما استشعر المنية الحبيب علي واستشعر بالثقل في جسمه . . نادىٰ ولده الحبيب محمد وقال له : اشتروا لنا الخرابة ، نريدها تكون مكاناً ومدفناً لنا وقبوراً .

قال له عمي محمد : يا خير .

قام أحمد بارجاء من المجلس لتوه وراح إلىٰ عند صاحب الخرابة وقال له : هل باتبيعها ؟

قال له : نعم . سَدّْ هو وإياه ، واتفق هو وإياه ، وكتبوا خط وسلموا الثمن ، ومحمد بن علي عاده إلا بعد يوم أو يومين بايروح ، غُدوُّها شهر ورواحها شهر ، عاده إلا بايكلم صاحبها وبايوَصُّون له .

كلموه بعد يومين ، قال لهم : يا هوين ! ! أمس بعتها ، عادنا إلا .

قال له : بعتها علىٰ من ؟

قال لهم : علىٰ أحمد بارجاء ما أنا داري أنكم بغيتوها .

أرسلوا لبارجاء بايعاتبونه ، قال لهم : لا تعاتبونا يا حبايب ، أنا اشتريتها لكم ، ولـٰكن لي شرط .

ما هو الشرط ؟

قال : بغيتكم تطرحونا عند حبيبي عَلِي ، إذا جرىٰ عَلَيْ

أمر الله . . تدفنونا عنده . قالوا له : بانقول لحبيبك . قالوا للحبيب علي ، قال لهم : اطرحوا بارجاء عندي .

كم ثمن الفلوس هـٰذي ؟ يا مئة ريال ، يا ثمانين ريال ، يا عشرة ريالات ، يا شيء تافه . وهو كم يدخل عليه من الروح والريحان ذا الحين ياكم من زائر ؟ ما يمر يوم إلا ودخلوها كذا كذا زائر .

وكم من ولي يزورها ؟

وكم من مجلس يُعقد فيها ؟

وكم بايتنزل علىٰ الحبيب علي من ربه من فيوضات ومن رحمات ؟ أحمد بارجاء مشارك فيها .

يقولون : عندنا جنة ، والدنيا لا لها ولا عليها ، ولـٰكن! سمحت النفوس من مالها ففازت . أما من شحت نفسه في سبيل البر ؟ أما غيره يمكن سهل عليه ، لو بايزوج بنته . . بايلقِي لها كما هـٰذا عشر مرات ، والا طلبت منه زوجته . . سَهْلٌ عليه يوم يقول لها : اذهبي اشتريه ، والا ولده لو يبغىٰ له ثوبٌ ، والا يبغىٰ له شيءٌ منها هـٰذه الأشياء . . سَهْلٌ عليه يوم يدفعه ، وإذا هو لعمل الخير ولله سبحانه وتعالىٰ . . صعب عليه وثقيل عليه . ولـٰكنها هـٰذه كلها سببها الترويضات .

وكماها هـٰذه لأحمد بارجاء أيضاً ، قالوا : إنه جاء الحبيب عيدروس من (الغرفة) يشتكي إلىٰ عند الحبيب علي ، ويقول :

أنا استأذيت من بعض الناس في (الغرفة) وإني أود أنتقل إلىٰ (سيئون) .

قال له : يا خيرْ هِيْ ، هُوْذا المقصد والمأمول بغيناك عندنا ، وأحمد بارجاء حاضر ﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ محبهم .

يوم سمعه أحمد بارجاء نادىٰ علىٰ الحبيب علي ، قال له : باكلمك .

فقال له : حاضر ، الدار للحبيب عيدروس ، أنا عادنا إلا بنيته غَلَّق عاده إلا ، وأنا في دار والدي أنا وعيالي ، وداري الجديد عيدروس بن عمر بايحله أحسن من أحمد بارجاء ، وذا الدار منذور به للحبيب عيدروس بن عمر . وكتب خط النذر ، وأشهد عليه الحبيب علي .

دخلوا بالخط وقالوا للحبيب عيدروس بن عمر : ذا الدار حَصَّلناه لك .

قال لهم : يا خير كلام ، جزاكم الله خير .

وأخذ الخط . . الحبيب بعدما تغدىٰ ، قال : يا علي .

قال له : لبيك .

قال له : أنا فكرت أن لنا قرابة نواسيهم ، ولنا جيران نصلهم ، ولنا محبين يترددون علينا . إذا رحنا ، ذي باتقف علينا الصدقات ، وباتقف علينا الرعايات والمواساة هـٰذي ، أحسن لنا بانصبر علىٰ أهل بلادنا ؛ لأجل لا تفوتنا هـٰذه الفضائل ، وأحمد

بارجاء كتب الله له ثواب الدار ، وذا الحين رديت له الدار منذور به له .

صار الدار نذر بعد النذر ، قبل الله منك النذر الأول من صِدْق نيتك ، ورد الله دارك لك .

وكان والدي يخبر عن أحمد عمر حسان ، قال : إن الحبيب عبد الرحمـٰن بن علي قال : في تسع وعشرين من شعبان جاء إلىٰ عند أحمد عمر وقال له : يا أحمد عمر .

قال له : لبيك .

قال له : بغينا مكان الحيط هـٰذا مقبرة لي .

قال له : حاضر ، هـٰذا الخط حقه . بلا كلام ولا سلام وكان يميل إليه ويحبه .

وكانت سلمىٰ بنت أحمد عمر بارجاء قالت : أشهد ، ثم أشهد ، ثم أشهد أنني قمت ورأيت حبيبي عبد الرحمـٰن بغىٰ البرْكة . . علىٰ قولك ، حصلها مقفولة الباب حقها . فقال بالسُّفْرة كذَا ، فأخذ الماء ينبع ، فأخذ يتوضأ منه ، شفته بعَينَيْ رأسي .

وفي نفس الليلة توفي الحبيب عبد الرحمـٰن . مات أحمد بن عمر وبقيت المقبرة خاصة بآل علي بن عمر ومن كان لهم محب ومن كان مجاور ممن له سابقة معهم ، كل من مات فيها من الأولياء والأقطاب ، وجاؤوا هم آل عمر بكران وقالوا : باندفن فيها أمواتنا .

قالوا لهم : ادفنوا فيها تَوُّكُم ، وكل من جاء ودفن فيها . والفضل فيها يعود لأحمد عمر ، والفضل لا يزال يجري جاريه ، ولا يزال يجري خيره ، ولا تزال تجري بركاته .

وقالوا : كان له أخ اسمه بكران ، ما أولد ولا أعقب . قال : إنه في تلك الليلة قال له : يا أحمد .

قال له : لبيك .

قال له : يا ما أنا أرىٰ شيءْ يتنزل يجيك من جهة دار الحبيب عبد الرحمـٰن بن علي يجيء إلىٰ أن يصل عندك يمشي . ما هي إلا لوائح أشوفها تمشي من دار حبيبي عبد الرحمـٰن إلىٰ عندك يا أحمد وإلىٰ دارك .

قال له : كلُّه بالصدق ، المال ينتهي ، والعمر ينتهي ، والأشياء كلها تنتهي ، ولـٰكن هـٰذا هل ينتهي ؟

ذا الفضل الإلـٰهي هل خيره ينتهي ؟

ذا لا يزال يأتيهم ويسقيهم في قبورهم ، لا تزال تتنزل عليهم الرحمات ، ثم يوم القيامة ، تقرؤون كل يوم ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ إلىٰ آخر الآيات . وإلىٰ آخر آيات ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾ .

قال : إنه لما خطب والدتي - يقول الحبيب أحمد عن والده قال - كان متزوج عند المشايخ آل الخطيب آل بارجاء علىٰ واحدة اسمها : مريم ، من بنات الشيخ ، ثم فارقها . ولما فارقها عندما

كبرت أم هانىء ـ أخت مريم ـ فخطبها الحبيب عبد الرحمـٰن وهو قد طلق بنتهم . انظروا أهل الصدق كيف!! قال : كتب لهم : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ إلىٰ أن قال :

ونحن نريد التقرب منكم ببنتكم أم هانىء[1] .

قال : جاء الخط . والعجوز اسمها نور ، والشيخ محمد كان جالس علىٰ التَّكْيَة[2] ، والعجوز تطبخ له القهوة ، وهم يتشاورون في أربعة خطبوها من مشايخهم ومن أصحابهم وأهلهم ، ولما فك الخط يقراه حق الحبيب عبد الرحمـٰن . . قال : يا نور .

قالت له : مرحباً .

قال لها : جاءت الجنة إلىٰ الدار ، الحبيب عبد الرحمـٰن بن علي خطب أم هانىء . كلهم هـٰؤلاء إندقي[3] بهم .

قالت : أندق بهم . وكانت مريم التي طلقها جالسة ، قالت له : كيف باتقبله يا أباه وهو طلقني الحبيب عبد الرحمـٰن ؟ قال لها : بغيتي منا أن نرد الحبيب عبد الرحمـٰن بن علي لأجلك! لماذا نحرم البركة ؟ كله سواء فيك ، عبد الرحمـٰن بن علي نحن ما بانرده قط أبداً .

كتبوا للحبيب ، قالوا له : موافقين ، والليلة التي تريد الدخول فيها حاضرين ، معاد عندنا مانع .

---

(١) أم هاني تزوجها الحبيب عبد الرحمن بن علي وأتت له بالحبيب أحمد وشقيقته خديجة والدة الحبيب حسن بن عبد الرحمن السقاف (١٣٠٣/ ١٣٧٠ بسيون) .

(٢) التكيه : يعني المخدة والمساند .

(٣) اندقي : إرمي .

قال : إن العجوزة كانت شفيقة علىٰ مريم شفقة الأم . قال : فعيَّن لهم الليلة ، ولما عين لهم الليلة . . دخلت عليه أم العروس ـ وقدها تدخل عليه ؛ لأنها خالته من جهة زوجته مريم الأولىٰ ـ فقالت له : حبيب .

قال لها : مرحباً .

قالت له : مريم محسورة يومك فارقتها ، وذا الحين عقدنا لك بأم هانىء .

قال لها : مريم باتتزوج علىٰ سيد ، بَشِّرِيها .

فتزوجت علىٰ محمد باعبود ـ أبو عمك زين ، هل عرفت عمك زين . . يا عبدالقادر .

موجه الخطاب لسيدي الوالد وبعض الحضور ـ وجاءت له بولد وبنت ، وعاشت معه حتىٰ ماتت في عصمته . والحبيب عبد الرحمـٰن بن علي كان جالسْ مبسوطْ تلك الليلة ، ليلة دخوله ، والعجوز تلقي لهم القهوة . والشيخ كريم ومحب لأهل البيت قال له : حبيب عبد الرحمـٰن .

قال له : مرحباً .

قال له : شف ، نحن سعدنا بك . وشف نحن زوجناك علىٰ أم هانىء ، وشف أولادك وزوجتك ومن ينتمي إليك ، لا تهتم بهم كلهم نفقتهم علىٰ محبك .

ولا معه شيء هـٰذا إلا معه نية صالحة .

قال : إن الحبيب أطرق ساعة ، ولما أطرق ساعة . . رفع رأسه ، وقال : يا شيخ محمد .

قال له : مرحباً .

قال : حصلت ساعة صفا .

قال له : شفك أنت وأولادك وذراريك وأهلك في رقبتي يوم القيامة ، لا تهتمون بأنفسكم .

قال : إنهم بكوا في المجلس وارتفعت أصواتهم بالبكاء في تلك الساعة .

قال لهم : بانعطيكم ضمان في الجنة وفوقه بكاء !؟

قالوا له : من الفرح يا حبيب .

ثم دخل عليها ولما دخل عليها بعد ثلاثة أشهر ـ قال ـ قام والدي وسافر ، ولم يشعر بالحمل حق والدي . ولما وصل إلىٰ (مكة) لقيه مغربي وقال له : أنت عبد الرحمٰن بن علي ؟

قال له : نعم .

قال له : من (سيئون) ؟

قال : نعم!

قال له : بخير ولدك أحمد بن عبد الرحمٰن ؟

قال له : ما عندي ولد اسمه أحمد .

قال : أعادها عليه ثالث مرة ، وقال له : زوجتك معها حمل

في (حضرموت) بولد ، حاله حال الشيخ عبد الرحمن السقاف جدكم الكبير . وقال له : حاله حال الشيخ شهاب الدين كذلك .

قال : وأنشده قصيدة شهاب الدين ـ هو المغربي وهو من أهل الكشف ـ يقول له :

يا محمَّدْ أرىٰ سِرِّي ظهرْ ما تَخَفَّىٰ   كلما جيت بَأَكْتُمْ زاد فوقي وطَفَّا
بهرجوني وخلو السر مني مصَفَّىٰ   ما تفرَّق في أجدادي وَقَعْ ليْ مُوَفَّىٰ
هم سقوني شراب الوصل بالكاس الاوفىٰ   موهبهْ لا بكسبي فَضْلْ منه ولُطْفا

والثانية يقول :

يا محمَّدْ سكنْ في القلب ما عَوَّدوني   عَوَّدوني وصال العذب حين أسعدوني
عندما خاطبوا الأرواح هم أوجدوني   قد سقوني وبعد السَّقْى هم زَيَّدوني

وبعد يقول :

يا أهل ودي أغْنَموني قبل أن تفقدوني   والصلاة علىٰ أحمدْ لِيْ بعلمِهْ هَدَوني

ديوان كبير له ، كلام من فوق الكلام . كان يحيىٰ الخطيب يقول له : حبيب من أين الكشف هـٰذا ؟

إذا دخل عنده واحد : هل جيت مقصودك كذا وكذا ؟ قدام ما يقعد .

بعد وقعت للحبيب علوي بن شهاب ، يقول : أنا عندي حال شهاب الدين ـ يتحدث بالنعمة ـ يدخل الإنسان ويخبره بما يخطر بخاطره .

فقال يحيىٰ الخطيب لشهاب الدين : من أين - يا حبيب - تغرف للناس ؟ كل من جاء عطيته خَبَره قبل ما يقعد عندك !

قال له : ما تقرأ القرآن يا يحيىٰ ؟!

قال له : كيف ما أقرأ ؟

قال له : فيه : ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ .

الله يجعلنا وإياكم من أهل العلم .

الله يجعلنا وإياكم من أهل التقوىٰ .

الله لا يحرمنا خير هٰذا المجلس . الله لا يحرمنا هٰذا العطاء .

وكان حفظه الله يدعو ويتكلم بهٰذه الكلمات وما بعدها والعبرة تخنقه ، وكثير من الحاضرين يبكون ويؤمنون علىٰ دعائه . واستمر في دعائه يقول :

الله لا يحرمنا هٰذا المدد . حسرة علىٰ الإنسان إذا وصل إلىٰ الخمسين أو الأربعين أو الستين ولَبْعاد ذاق شيءْ من أذواق القوم ، ولَبْعاد شرب شيءْ من شراب القوم ، ولبعاد اطمأنت نفسه إلىٰ صلاة أو إلىٰ ذكر ، أو إلىٰ قرآن أو ما انفتح له فهم في كتاب الله ، أو مر عليه عمره كله وهو عاده لا يزال في غفلته . إلىٰ أين عاده بايروح ؟ إلىٰ أين ؟!

قالوا : إنه بعدما مات الشيخ أحمد بن علوي باجحدب . . قام

واحد ينادي في مسجد باعلوي ثلاث أيام بعد كل فريضة ، يقول : يارادّ الضالة يا وَدّ[1] الحلال . يا رادّ الضالة يا وَدّ الحلال .

قال في اليوم الثالث ـ قال ـ : جَوَّب عليه واحد ، وقال له : لعاد تآذي الناس ، محفوظة الضالة .

وهنا زادت الزفرات ترتفع من جوفه ـ حفظه الله ـ ويتقطع صوته ، واستمر يقول :

قال له : أَلاَّ ما أنا داري فين راحت ؟ ما دامت محفوظة . . الحمد لله .

والآن فين محفوظة يا إخواني ما نحن داريين ما هو المصير . كنا كما قال الإمام الحداد :

وقد كان في الوادي وفي الربع والحمىٰ ... رجالٌ مصابيح الوجوه نجومُ
لهم من شراب القوم شُرْبٌ ومن حديـ ... ـثِ نجدٍ حديثٌ طيِّب وقويم
وكنت بهم وافي الجناحين ساكِنَ الـ ... ـفؤاد وريْحِي إذ تَهُبُّ نسيم
فأعدَمَني الدهرُ الخؤون وجودَهم ... وما الدهر إلاَّ خائن وظلوم

إلىٰ آخر ما قال ، حفظه الله ونفعنا به ، آمين .

* * *

---

(١) يا وَدّ : يعني يا ولد .

في وفاة الحبيب عمر بن أحمد بن سميط (١٣٠٣/١٣٩٦هـ)
التعرض للنفحات، والنفحات تعرض في الأفراح وفي الأحزان

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة في حفل التأبين الذي أقيم علىٰ روح الحبيب عمر بن أحمد بن سميط بمدرسة بن لادن بـ(جدة) مساء الجمعة ، في عشرين من شهر صفر عام (١٣٩٦هـ) الموافق عشرين فبراير عام (١٩٧٦) ميلادية . وكلمته كلها خرجت من قلب يئن بالألم والحسرة علىٰ فقد مثل هٰؤلاء الرجال ، ولسان حاله تقول علىٰ هٰذا الحبيب :

فتـولـىٰ بـالـرغـم مِنَّـا كـأُمٍّ أَيْتَمَتْنَـا ولا نـزال صغـارا

ولم يطل الكلام في هٰذه الكلمة ، واكتفىٰ بمن تكلم قبله من الخطباء والشعراء ، وفي مقدمتهم :

- الحبيب المرحوم سالم بن علوي خرد .
- والعم أحمد مشهور الحداد .
- والحبيب عطاس الحبشي . وغيرهم .

فقال ـ حفظه الله ـ :

الحمد لله ، لا يَجْبُر علىٰ المكروه غيره ، ولا يُحمَد سواه ، والأمر أمره والخلق خلقه ، والنواصي بيده ، والأرواح بيده ، وقلوب الخلائق بيده ، والكون كله بيده يصرِّفه كيف يشاء سبحانه وتعالىٰ .

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وعلىٰ أصحابه الذين قاموا من بعده بالخلافة التامة .

وبعد :

فقد تسابق الخطباء والشعراء وأجادوا ، وكلهم ـ إن شاء الله ـ فازوا بحسن الرضىٰ وبحسن السبق . لـٰكن إذا نظرنا إلىٰ هـٰذا الإمام الكبير والعلم الشهير الذي لا يأتي علىٰ وصفه مقال . . وجدنا أن كل من قال فقد قَصَّر ، وإنما هو نهاية إحسانه ، ولـٰكن التقصير شأن أهل التبصير ، كما يقولون .

إنما هـٰذا الإمام ـ رحمه الله ـ إنه قام مقاماً قام فيه مَن قبله مِن أهل الخلافة النبوية ، وأهل الخلافة النبوية جمعوا بين الأحوال وبين العلم وبين المقام ، ولكل مقام مقال .

فإذا نظرنا إلىٰ مقامات هـٰذا الإمام وإلىٰ أحواله ، ونظرنا إلىٰ سيرته ، ونظرنا إلىٰ علمه ، ونظرنا إلىٰ خُلُقه ، ونظرنا إلىٰ تواضعه ، ونظرنا إلىٰ عطفه ونظرنا إلىٰ رحمته ، ونظرنا إلىٰ كرمه ، ونظرنا إلىٰ عمله ، ونظرنا إلىٰ سَمْته ، ونظرنا إلىٰ وداعته ، ونظرنا إلىٰ ما وهبه الله فيه وإلىٰ ما خصه الله به . . وجدناها كلها مقامات كبيرة ، ولكل مقام منها مقال .

والمقال في مثل هـٰذا يطول والحال كما قال العلماء في مثل الذين كانت القلوب معهم والألسن ، قالوا : كانت منتشرة بالثناء عليهم قالوا : ذلك دليل الخلافة عن سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه الذي أعطاه الله ذلك ، وجعله نائباً عنه في الكون ، وقضىٰ له بالموت ليأتي خلفاؤه من بعده صلوات الله وسلامه عليه

فيتولون الرعاية في الخلق ، ويتولون العلم ويتولون العمل ، ويتولون ما كان عليه مما بُعث به ، ومما ورد عنه : « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » .

فإذا نظرنا إلىٰ هـٰذا الحبيب[1] . . وجدنا أخلاقه لا ينبو منها خلق ، وجدنا أخلاقه لا يتأخر عنها قول ، ووجدنا حركاته موزونة بميزان الشرع ، ووجدنا نفسه مروضة برياضة الشرع ، ووجدنا التهذيب الذي هذبه شيوخه عليه ، والترويض الذي روَّضه شيوخه عليه .

كان مثالاً من أمثلة نبيه صلوات الله وسلامه عليه ، ومقياساً كاملاً من كُمَّل المتبعين له صلوات الله وسلامه عليه فيما ذكرنا .

ومَن كان تَبَعْ محمد صلوات الله وسلامه عليه واقتدى به في القول والفعل ، وسار بذلك السير في الحال وصدق مع الله . . قالوا : كان نائباً عنه ، وكان له في هـٰذه النيابة التصرف في الكون بسر الحديث الوارد عن الله الذي حكاه نبي الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ؛ ذلك هو قوله فيما رواه البخاري : « **ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتىٰ أحبَّه ، فإذا أحببتُه . . كنتُ سمعَه الذي يسمع به ، وبصرَه الذي يبصر به ، ولسانَه التي ينطق بها ، ورجلَه التي يمشي عليها ، ويدَه التي يبطش بها ، وإن سألني . . أعطيته ، وإن استعاذ بي . . أعذته** . . . » إلىٰ آخر الحديث .

---

(١) أي الحبيب عمر بن أحمد بن سميط .

قالوا : هـٰذا بالنسبة للدنيا ، وبالنسبة للأخرىٰ . . فقد عَرَّفَنا المولىٰ مقام هـٰؤلاء ، ذلك المقام هو ما أورده لنا القرآن في آيات الشفاعة التي وردت أنها يؤتونها بعد الإذن من مولاهم ، كما قال لنا المولىٰ : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ .

ومن ذا الذي يرتضيه مولاه بعد الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ؟

أيرتضي العصاة فيعطيهم الشفاعة ؟! أو يرتضي الناس السذج فيعطيهم الشفاعة ؟! أو أنه يعطيها خلفاء محمد ونواب محمد ، القائمين عن محمد والمتكلمين بلسان محمد ، والسائرين علىٰ منهج محمد والسالكين علىٰ طريقة محمد صلوات الله وسلامه عليه ؟!

قالوا : وردت أحاديث عن الصادق المصدوق أولها : « **يشفع ثلاثة : الأنبياء ، فالعلماء ، فالأولياء** » وكثير من أحاديث الشفاعة التي تَرِد قالوا : هـٰذا بالنسبة لأول مظهر ، وللمظهر الروحي . . فقد قال الله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ .

قال كُمَّل المفسرين في هـٰذا الرضىٰ : يعني راضية بما أعطاها مولاها من حسن الثواب وواردات الجزاء ، وكُبْرَيات العطاء ومفيضات النوال التي تَقَرُّ بها العين ويبرد بها الخاطر ، حتىٰ يطمئن العبد إلىٰ ربه فيرضىٰ بذلك الرضىٰ .

هـٰذا قالوا هو معناها ﴿ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ يعني : كما رضيتِ عني فأنا راضي عنكِ .

وهناك في سورة (لم يكن) ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾ .

وفي الحديث عن الصادق المصدوق ، قالوا : إنه صلىٰ الله عليه وآله وسلم حكىٰ عن أعمال صلحاء هـٰذه الأمة وشهدائها ، قال : « **يتجلىٰ عليهم ربهم ، فيقول : ألم أكن أرضيتكم ؟ فيقولون : يا مولانا ، وكيف لا نرضىٰ وأنت أعطيتنا هـٰذه الجنة ، وأعطيتنا رضاك الأكبر** ؟ » .

قالوا : ومن ذلك الرضىٰ أنه ما يقام في هـٰذه الدنيا من مظاهر إنما تكون مثالاً ـ كما ضرب الأمثلة في القرآن ـ مثالاً صغيراً من أمثلة قدوم العبد علىٰ ربه ، حينما تَقْدَم روحه ، وحينما تَقْدَم نفسه ، وحينما يَقْدم قلبه ـ قالوا ـ وهي مبشَّرة ، ومن وراء التبشير حافِّين بها الملائكة وصلحاء الأمة ، فيعطيها ربها في ذلك الموقف ما تحب .

قال الإمام الغزالي ، بعد أن أورد أحاديث عن الصادق المصدوق ، قال : إن حضور هـٰذه الاجتماعات ـ قال ـ تكون لأربابها بواسطة الشفاعة لصاحبها الذين حضروا لأجله ، وبواسطة القرب وبواسطة الولاء .

فنحن إنما حضرنا بعد التكريم . التكريم كرمه ربه ، كرمه نبيه ، لا نقدر نحن أن نكرِّم أحداً كرمه مولاه ، وكرمه مصطفاه ، وشرَّفه بأن حفظه من أدناس هـٰذه الحياة ، وبأن أخذ به طريقة مصطفاه ، هـٰذا التكريم ، هـٰذا التعظيم الكبير ، هـٰذا الفضل الكبير ، هـٰذه المشاهد الكبيرة التي يُهداها .

ونحن إذا حضرنا للاجتماعات الحافلة والمجالس الدينية . . فإنما نحضر لالتماس البركة ولينالنا نصيب بواسطة ذلك التكريم الذي أعطيه مَن وَفَد علىٰ ربه في ذلك الوقت الكريم ، وبمن قامت نفسه فسارت إلىٰ ربها راضية مرضية .

قالوا : هـٰذا هو تفسير الآية .

وأما الآجال : فهي مقدَّرة ، والمصاب هو عظيم ولـٰكنه ـ قالوا ـ يعزِّي لنا أن هـٰذه الأرواح :

إذا مات منا سيد قام سيد قَؤُولٌ بما قال الكرام فَعُولُ

لا بد أن هـٰذه خلافة محمد لا تَعْدَم ولن تَعْدَم ، ولا تضمحل ولن تضمحل ، ولا تهوي من الأفق الأعلىٰ ، وإنما هي تزداد رقياً وتزداد ارتفاعاً وتزداد بهاءً ؛ ذلك لأن الله كتب له ولأتباعه : ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴾ إلىٰ آخر آيات الرسالة وآيات الولاية التي أعطاهم الله إياها .

قال العلماء : هـٰؤلاء قد كرمهم مولاهم ، وقد شرفهم مولاهم ، ولـٰكن نحن إذا حضرنا . . ندخل في البركة ونلتمسها ، وتأتي علينا شيء من النفحات ؛ لأنها نفحات تُعرَض ـ كما ورد عن الصادق المصدوق ـ وقالوا : إنها أكثر ما تُعرَض في الأفراح ، وتُعرَض في الأحزان وبعض الأوقات والتي أشار إليها الشارع بقوله « **إن لربكم في أيام دهركم نفحات ، ألا فتعرضوا لها** » .

والساعات التي تُرفَع فيها أرواح أهل الصلاح ـ قالوا ـ تكون فيها أعظم النفحات ، فتتنزل عليهم الرحمة . قالوا : لأن الله سبحانه وتعالىٰ قال لنا في سورة البقرة : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ .

قالوا : تلك البقية هي عكازة موسىٰ ونعليه ، وخرق بالية من بقية ثيابه .

قال لهم نبيهم : إذا أردتم النصر . . فقدِّموها ـ قالوا : هي أكبر النفحات ـ فلما قدَّموها قبل الجيش . . حصل لهم النصر .

وذلك إنما هي بقية آل موسىٰ وآل هارون ، فكيف آل محمد ؟ فكيف بعلماء هٰذه الأمة الذين قَرَنهم وشَبَّههم بأن : « **علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل** » أعطاهم رتبة عظيمة ، والرتبة العظيمة هي محفوظة بعدما يقول المولىٰ : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ وبعد ما يقول : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ .

وكثير ما أذكر أنا هٰذه الحكاية ، أوردها ابن القيم ـ رحمه الله ـ قال :

إنه حضر عند القاضي الزملكاني مدَّعي ، فادَّعىٰ عليه ـ أي : تقدم بشكوىٰ ضد إنسان ـ فلما ادعىٰ . . أحضر المدَّعىٰ عليه ، فلما أُحضِر . . قال له : شاهداك أو يمينك .

قال له : عندي شاهدين .

قال له : ائتني بهما .

قال : فلما أُحضِر الشاهدان . قال له : أما هـٰذا . . فقد عرفته ، وأما الثاني . . فعَرِّفه .

قال : يا هـٰذا . . عَرِّفَه من هو خير منك .

قال لهم القاضي إسماعيل : ومن هو الذي خير مني ؟

قال : رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، عَرَّفَه فقال : « **يحمل هـٰذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين** » . فهـٰذا الإمام مجمِعون علىٰ أنه من علماء هـٰذه الأمة ، ومن أخيار هـٰذه الأمة ، ومن عدول هـٰذه الأمة ، فإذا عرفتم ذلك . . فقد نالته شهادة رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

ونسأل الله سبحانه وتعالىٰ بوجاهة هـٰذا الحبيب وقدوم روحه علىٰ ربه . . أن تَفِد تلك الروح وهي راضية مرضية .

ونسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن ينالنا من بركتها ـ إن شاء الله ـ ومن قدسيتها غفران الذنوب ، وانفتاح القلوب للعلم وزيادة الفهم ، وحصول النور الذي عليه المعوَّل والطمأنينة في العمل ، والزيادة فيه والبركة فيه ، والسعة في الرزق ، وأن يجعله المولىٰ عوناً علىٰ مكارم الأخلاق وعلىٰ المنازل الفاخرة ، وأن يمتعنا وإياكم بما متع به خيار الخيار ، وأن يرزقنا الاتباع لسيد الأبرار

محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وأن يصلح الأقوال والأفعال ، وأن يجعل قدوم هٰذه الروح الكبيرة ـ إن شاء الله ـ قدوماً نطمئن به بعد طمأنينتها بربها ، ونشعر بالسكون ونشعر بالأمان ، وأن يصلح الله بلادنا ووادينا ، ويصلح نادينا ، ويصلح (القدس) ويردها إلىٰ المسلمين ، ويصلح (مصر) ويصلح (سوريا) وأهل (سوريا) ويصلح مسلمي (الهند) ويصلح مسلمي (الفليبين) ويصلح المسلمين في سائر بلاد المسلمين ، وأن الله تعالى يحفظ الحرمين الشريفين ويقيم فيها دعائم الإسلام ، ويمكِّنه فيها ويزيدها تمكيناً ، ويزيدها تأييداً .

وأن يغفر لهٰذا الحبيب ، وأن يغفر لوالدينا ووالديكم ، ويجعل روحه وروحهم في أعلىٰ عليين ، وأن يجعل قدومه إلىٰ ربه ـ إن شاء الله ـ صلاحاً لقدومنا .

ثم طلب من الحبيب عطاس الحبشي أن يختمها بالفاتحة . وختمها بالفاتحة .

* * *

محبته صلى الله عليه وآله وسلم في جميع الموجودات وكلَّمَته الحيوانات والجمادات

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ونفعنا بما قال ، آمين ـ بهـٰذه الكلمة القيمة مساء الجمعة ، بمنزل الأخ طـٰه بن محمد بن طـٰه بـ(جدة) بتاريخ ستة وعشرين ربيع الأول من عام ستة وتسعين وثلاث مئة وألف هجرية (١٣٩٦ هـ) .

وقد أقيم في تلك الليلة احتفال القراءة في قصة المولد النبوي للحبيب علي بن محمد الحبشي . وكان اجتماعاً عظيماً .

وفي نفس هـٰذه الليلة يُعقد احتفالٌ عظيمٌ في مسجد الحبيب طـٰه بن عمر بـ(سيئون) فسرىٰ سر ذلك الاجتماع في هـٰذا الاجتماع ، ونزلت علىٰ الحاضرين السكينة والرحمة .

وبعد الجلوس من المقام أنشد السيد علي بن عبد القادر البحر قصيدة الحبيب علي الحبشي :

ماشي كما مجمع المولدْ يجلّي الكروبْ   ذا وقت توبتك ياالعاصي إذا با تتوبْ

بعدها تكلم سيدي بهـٰذه الكلمة .

وقال حفظه الله :

كان صلىٰ الله عليه وآله وسلم له محبة ذات في كل شيء ، وفي كل ذي روح .

قالوا : وكل شيء كان في الوجود كان له روح علىٰ قدر خلقه ، وعلىٰ قدر تكوينه ، وعلىٰ قدر حاله .

فإذا نظرنا إلىٰ جذع حن له صلوات الله وسلامه عليه وبكىٰ . . عرفنا أنه يحبه ، وإذا نظرنا إلىٰ بعير جاء إليه يتألم وبكىٰ . . عرفنا

أنه يحبه ، وإذا نظرنا إلىٰ غزال جاءت تشكي إليه وظهر من بوادر عينها دمعة . . عرفنا أنها تحبه ، وإذا بَلَغَنا أن هناك شجراً كان يسلم عليه . . عرفنا أنه يحبه ، وإذا سمعنا في الحديث الوارد عنه صلىٰ الله عليه وآله وسلم : « **إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلِّم عَلَيَّ قبل أن أُبعث** » . . عرفنا أنه يحبه .

وإذا عرفنا أن الملائكة في السمـٰوات العلىٰ ابتهجت ليلة إسرائه وهَشَّت وتحركت . . عرفنا أنها تحبه .

وإذا عرفنا أن الملائكة الموكلة بالأخشَبَيْن ، ليلة رجع من ثقيف بعد أن أدمَوْه وآذَوْه ، فقالت له : أُمِرْت أن أُطبِق عليهم الأخشبين ، أترضىٰ يا محمد ؟ عرفنا أنها تحبه .

فالمحبة هـٰذه إذاً اشتركنا نحن والمخلوقات فيها كلها سَوَاء . بقىٰ قالوا : إن الإنسان أعطي شيئاً آخر ، ذلك الشيء الآخر هو : أن الإنسان خُلِق لا كغيره من المخلوقات ، خُلِق لمقام أسمىٰ ، خلق لحال أكمل ، خُلِق لشرف ، خلق لكرامة ، خلق لخير ، خلق لإرادة أرادها الله سبحانه وتعالىٰ وجعل فطرته مهيَّأة لها ، فلما كانت الفطرة مهيأة ـ قالوا ـ احتاجت إلىٰ أن تكون المحبة للحبيب صلوات الله وسلامه عليه مقيدة بالاتباع للمحبوب ، شأن الإنسان .

قالوا : كان الإنسان لما كانت الفطرة حقة مهيَّأة لهـٰذا . . احتاجت إلىٰ تحلية واحتاجت إلىٰ تزكية ، فجاءت الرسالة ، جاء

محمد رسول التحلية ورسول التزكية ، جاء بأخلاق أبهرت العرب وأبهرت العجم ، وأعطتهم الحُكْم النافذ علىٰ أنه ما سبق أن كان مَن قَبْله عندهم من أخلاقه الكاملة شيء ولا من مكارمه شيء .

وجاءهم باستقامة قبل البعثة كاملة دلتهم علىٰ أن الرجل كان بعيداً عن سفاسف الأمور وعن الترهات ، فلما كان بعيداً عن ذلك . . رمقته العيون صلوات الله وسلامه عليه ، فجاءت قريش يوم وَضْع الحجر الأسود وحَكَموا بتحكيم أول داخل ، قالوا : فرحوا لما كان الأمين أول داخل ؛ لأنهم كلهم يعرفونه أنه الأمين صلى الله عليه وآله وسلم .

ولما جاءت الرسالة وجاء بهٰذا الحال صلوات الله وسلامه عليه . . دعا إلىٰ التزكية وهو المزكِّىٰ .

تلك التزكية ، قالوا : هي الأمور التي تَدَيَّنَ اللهُ بها عبادَه وأمرهم أن يَدِيْنُوه بها . وما هناك للمولىٰ فيها فائدة لا كبيرة ولا صغيرة ، لٰكن الفائدة إنما هي للمخلوق ، هٰذا الإنسان ؛ لأن الله أراده لشيء لم يرد غيره له ، وكانت فيه كذلك الغرائز البشرية ، ومن طبيعتها أنها تأخذ بالإنسان إلىٰ السُّفل والانحطاط ؛ لأنه خُلِق أصله من صلصال من حمأ مسنون ، ثم حكىٰ الله لنا أنه كان من ماء مَهين .

كلها هٰذه غرائز تأخذ بالإنسان ـ قالوا ـ إلىٰ أسفل ، فإذا أخذت به إلىٰ شهوة ما لا يحل له من النساء ومن المحرمات . . فتلك طبيعته الشهوانية ، وإذا أخذت به إلىٰ استفزاز الأموال . .

فتلك طبيعته البشرية ، وإذا أخذت به إلىٰ أن لا يقدِّر غيره من المخلوقات فضلاً عن البشر . . فتلك طبيعته البشرية .

قالوا : جاءت السيرة النبوية والدعوة الكاملة التي بُعث لأجلها صلوات الله وسلامه عليه فعلَّمنا ذلك ، وقال : « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » . جاء بالأخلاق الكبيرة ودعا إليها .

ومن **شرط الداعي** ، قالوا : أن يكون نفسه ذا أخلاق ، فإذا لم تكن عند الداعي أخلاق ـ قالوا ـ كان مثال قول العرب : (جعجعة ولا طحن) واحد يحرك رحىٰ ولا تحتها حب ، ما تخرج له شيءْ .

والداعي ـ قالوا ـ إذا لم يكن عنده شيء من الأخلاق ـ قالوا ـ كانت دعوته فاشلة . ولما جاء صلوات الله وسلامه عليه ـ كما ذكرنا ـ بالأخلاق الكاملة الشريفة ودعا إليها ، فانثال الناس إلىٰ تلك الأخلاق . ومن انثيال الناس إلىٰ تلك الأخلاق أن ترك الناس أموالهم وتبعوه ، وتركوا أولادهم وتبعوه ، وخرجوا . . باعوا نفوسهم لله معه صلوات الله وسلامه عليه ، وخرجوا إلىٰ الصحراء للقتال تلوسهم[1] السيوف ولم يبالي أحد منهم بأهل . ذلك لأنه دعا بقوله وبفعله ، وكانت الدعوة علىٰ مثل هـٰذا الحال . قالوا : كانت الغلبة والنصر له بأمرين :

الأمر الأول : أن الداعي لا بد وأن يكون ذا همة فعالة ، وهمته صلىٰ الله عليه وآله وسلم أشمل .

---

(١) تلوسهم : أي تحصدهم .

الأمر الثاني : هو أنه مكتوب له النصر من عند الله صلوات الله وسلامه عليه . ولٰكن الله سبحانه وتعالىٰ لما كان يعرفه أنه محك أخلاقه البشرية. . امتحنه بالصبر ، فكانت الغلبة يوم للأعداء ، وكانت الغلبة له يوم عليهم ، ولم يتأثر صلوات الله وسلامه عليه ولم تتغير أصحابه . أما هو : فإنه يعرف خبر السماء وعنده الخبر . وأصحابه. . ما تغيروا .

قالوا : إنها كانت واحدة اسمها نسيبة الأنصارية رضي الله عنها ، لما كُسِر أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم في غزوة (أحد) وبلغ أهل (المدينة) ولم يكن بـ(المدينة) إلا نساء وعاجز وقاصر ـ قالوا ـ خرجت هٰذه إلىٰ ما وراء (المدينة) لتعلم الحال . فكان الناس يفدون إلىٰ (المدينة) فكانت أول ما تسألهم عن رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

فجاءها الرعيل الأول ، فقالت لهم : أين محمد ؟

قالوا لها : أبوكِ مات ! !

قالت لهم : أين محمد ؟

قالوا لها : وإخوتكِ ماتوا ! !

قالت لهم : أخبروني عن محمد ؟

قالوا لها : وزوجكِ مات ! !

قالت لهم : أخبروني عن محمد ؟

قالوا لها : وولديكِ ماتا ! !

قالت لهم : قولوا لي عن محمد ؟

قالوا لها : هو في الطريق . فلما رأت وجهه الصبيح صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، وهي لا ترىٰ إلا هو عليه الصلاة والسلام . . قالت له : كل مصيبة بعدك جلل يا رسول الله ، يموت مَن يموت ، ويحيا مَن يحيا ، ويبقىٰ من يبقىٰ ، والأمر الكبير هو وجودك أنت يا رسول الله .

هٰذا قوة الإيمان ، هٰذا صدق الدعوة ، هٰذا مباشرة الإيمان للقلب الصحيح ، وهٰذا ـ قالوا ـ هو التزكية التي حصلت منه صلىٰ الله عليه وآله وسلم التي ذكرناها لكم أنه جاء بالأمرين :

جاء بالتحلية : وهي الأخلاق الفاضلة .

الأمر الثاني : جاء بالتزكية . قالوا والتزكية هٰذه ما ذكرناه لكم . كان علىٰ هٰذا الحال ، كان علىٰ هٰذه السيرة ، وكان أصحابه معه علىٰ مثل ذلك الحال .

فإذا لاحظنا إيذاء قريش له الشديد ، وثقيف وغيرهم من جيران (مكة) وأُذِن له في الهجرة ، وخرج صلوات الله وسلامه عليه ومعه أبو بكر رضي الله عنه وعبد الله بن أريقط الليثي .

لم تكن (مكة) ذات قرار وهي أفضل بلاد الله . ذلك اليوم لم يقر لأحد فيها قرار ، كل من سمع أنه صلوات الله وسلامه عليه خرج من (مكة) هارباً . . خرج وراءه ، وترك أهله وترك دياره .

قالوا أهل السِّيَر : بعد أن وصل (المدينة) وصل معه عشرون ، ثم خمسة عشر ، ثم عشرون . . . وهٰكذا ؛ تقاطر أهل (مكة) وغير أهل (مكة) إليه صلوات الله وسلامه عليه .

هٰذا ـ قالوا ـ قبل أن يوجب الهجرة ؛ لأنه بعد أوجب الهجرة صلوات الله وسلامه عليه لما كانت (مكة) دار كفر . فتقاطر الناس ، وتقاطرهم ذلك يعطي صورة عن التزكية هٰذه التي ذكرناها .

ثم من وراء ذلك التقاطر أن قابله الأنصار في (المدينة) وقابلوا أصحابه بالإكرام والإكبار ، والإعزاز والتقدير وبذل النفس .

كلكم تسمعون قصة عبد الرحمٰن بن عوف مع صاحبه رضي الله عنه ، آخىٰ بينهم النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم . قالوا : آخىٰ النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم بين المهاجرين وبين الأنصار ؛ ذلك لأن المال كان تحت النعال في ذلك الوقت ـ عكس الناس اليوم ـ لما آخى فيما بينهم .

كان ممن آخى بينه عبد الرحمٰن بن عوف وسعد بن الربيع ، لما آخى بينهما . . أخذه إلىٰ الدار ، ولما أخذه إلىٰ الدار . . قال له : تراك أصبحت أخي ولم يكن بيني وبينك قسمة ـ كما يقولون ـ فعندي زوجتان ، وعندي حديقتان ، وعندي بيتان .

فأول ما أعرض عليك زوجاتي لتختار أيهن ، أفارقها واعقد بها أنت .

ثم أعرض عليك بيتيَّ لتختار أيهما فخذه .

ثم أعرض عليك حديقتيَّ لتختار أيهما فخذها .

هٰذا مباشرة الإيمان الذي سماه العلماء : التزكية . كل واحد يعرض نفسه ويعرض هٰذه القصة وهٰذه الروايات الصحيحة علىٰ قلبه ، إلىٰ أين وصل الإيمان في درجة القلب عنده ؟

قال له ـ أي عبد الرحمٰن بن عوف ـ : بارك الله لك ، خَلَّك عند أهلك ومالك ، ودُلَّني علىٰ السوق .

ولم يكن عبد الرحمٰن بن عوف وسعد بن الربيع هٰذان هما اللذان فعلا ذلك ، كل من آخى بينهم رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم حصل لهم معهم ذلك . بعد ما آخى رسول الله بين المهاجرين والانصار

قال أهل السِّيَر : حتىٰ ازدحمت دور (المدينة) بالمهاجرين ، ولما ازدحمت ولم يكن فيها متسع لقبول المهاجرين ـ والمهاجرون يفدون وفداً بعد وفد ـ بنىٰ لهم صُفَّة في المسجد هي التي يشاهدها الناس اليوم صلوات الله وسلامه عليه ووَضَعَهم .

ولما كان الأمر كذلك . . عرف الأنصار أن هٰذا شيئاً علىٰ عاتقهم فأخذوا يرسلون لرسول الله التمر يوماً بعد يوم . أخذوا يرسلونه لماذا ؟ لأجل يقوت به هٰؤلاء الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم يبغون فضلاً من الله ورضواناً .

وبقى على هـٰذا الحال حتىٰ صارت (المدينة) دار الإسلام ، ومعقل الإسلام ، ومعشعش الإسلام ، وخبئة الإسلام ، وكنز الإسلام ولا تزال ؛ لأنه ورد عنه في الحديث الصحيح : « **إن الإيمان ليأرز إلىٰ المدينة كما تأرز الحية إلىٰ جحرها** »

قالوا : ولأنه ببركته عليه الصلاة والسلام ، لَمَّا وقع من أهلها ما وقع من الاحترام لسيد الأولين والآخرين . . وقع لها أنه أخبر أنه لا يدخلها الدجال ، ولا يدخلها الطاعون ، ولا يقدر عليها أحد ، علىٰ أبوابها ملائكة حافِّين يحرسونها من كل أذى ببركته صلوات الله وسلامه عليه .

هـٰذا دليل علىٰ أن التحلية والتزكية حصلت لهـٰؤلاء ، وكانوا في أول الأمر بلغ بهم أن (المدينة) كانت وبيئةً ، شكا فيها الكثير منهم . كان أبو بكر إذا وُعِك ـ تعرفون البيت الذي يأتي به ـ يعني : إذا أصابته الحمىٰ ، وكثير من تصيبه الحمىٰ . . يستشهد بهـٰذا البيت يستقرب الموت ، يقول :

كـل امـرىءٍ مصبَّـحٌ فـي أهلِـهِ والموت أدنىٰ من شِراك نعلِهِ

وكان بلال إذا وُعِك يقول :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بـوادٍ وحـولـي إذخـرٌ وجليـلُ

في (مكة) يعني : في البلد العظيم الكبير العزيز ، لا بالبلد الوبي . ولـٰكنها معاد رأوا وباها لما حل فيها محمد وأتىٰ إليها محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

عرفنا أن الرسالة جاءت بهٰذين الأمرين ، وهٰذان الأمران كان المعلم الداعي الأكبر إليهما محمد سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه .

ثم إذا نظرنا إلىٰ التابعين . . وجدناهم مشوا إثر الخطىٰ التي كان فيها أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، وإذا تتبعنا . . وجدنا الآخِرين مَن كان بعدهم ، وجدناهم علىٰ مثل هٰذه الخطىٰ ، وهٰكذا استمر الحال ؛ ذلك لعظمة الإسلام ، وعظمة صاحب الإسلام في قلوب أهله ، وامتلاء صدورهم به . حتىٰ جئنا في هٰذا الزمان الذي تغلبت فيه المادة ، وأصبح الناس عُبَّاداً لعجولهم وأصنام دنياهم ، فنظرنا فوجدنا التعاليم التي كانت في أول الأمر سابقة التي لا تكلف ، ما وصلنا عاد نحن فيها إلىٰ حدود المال قط أبداً .

ذَلاًّ علينا حقوق ، للمسلم علىٰ المسلم حق ، للجار علىٰ الجار حق ، للأخ علىٰ الأخ حق ، للوالد علىٰ الولد حق ، للرحم علىٰ ذي الرحم حق ، لذي السن الكبير علىٰ من كان دونه حق ، لذي العلم علىٰ من لم يكن عنده علم حق ، لذي الشرف علىٰ من كان مرتبته أو نسبه أقل ، عليه حق . . . وجدنا الناس هٰذه كلها جَهِلوها وفقدوها . وما الفقد يعني أنه لِشيءْ غيار موجود ، لا .

أما الفطرة : فقد أخبر الشارع أنه : « **كل مولود يولد علىٰ الفطرة** » بَقِي ـ قالوا ـ أمران : إما أبواه ، وإما هجرته إذا هاجر .

كان الأول إذا وجد أب يعلمه ، والأب من ذوي الأخلاق

الطيبة ـ قالوا ـ مشىٰ بولده في الطريق السَّوي حتىٰ يكون مثالاً في الأخلاق ، ومثالاً في الأحوال ، ومثالاً في السيرة الحسنة ، وحتىٰ يكون نبراساً وعَلَماً من أعلام الهدىٰ ، وحتىٰ يكون خليفة عن الداعي صلوات الله وسلامه عليه ؛ لأن الداعي الكبير هـٰذا قال له ربه : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ فلا بد من وجود خلائف ، والخلائف هـٰؤلاء كل واحد علىٰ قدر استعداده .

كل من عنده نصيب ـ مثلاً ـ من العلم . . فعليه أن يأخذ من العلم نصيبه من الدعوة . كل من عنده نصيب ـ كذلك ـ من الصحة . . فعليه أن يؤدي ضريبة هـٰذه الصحة ـ مثلاً ـ في قضاء من لا يقدر علىٰ قضاء حاجته من سوق أو من غيره .

كل من كان عنده شيء من المال . . عليه ضريبة المال ، وضريبة المال : القيام بالعافين عن الناس والفقراء ومن علىٰ شاكلتهم ، وعاجز ومكَسَّح وغيرهم .

هـٰذه الأمور ، قالوا : هي ظاهرة الأخلاق النبوية : لأن الأخلاق النبوية باطنة ، تلك الباطنة هي الرحمة الفياضة التي تجري في قلب الإنسان فيصبح لا يقر قراره حتىٰ يقضي تلك الحاجة ، أو حتىٰ يزور ذلك المريض ، أو حتىٰ يحضر في جنازة ، أو حتىٰ يقوم بواجبه . لا يقدر أن يصبر علىٰ هـٰذا ، ومتىٰ قَصَر به هـٰذا . . رأىٰ أنه قَصَر عليه شي من دواعي إسلامه .

هـٰذاالأصل الرحمة الموجودة الباطنة . والرحمة لا بد لها من تغذية هي موجودة في فطرة الإنسان ، لـٰكنها لا بد لها من سقي ،

لا بد لها من وعي ، لا بد لها من رعي . . . وهٰكذا حتىٰ تثمر وحتىٰ تظهر .

كان السابقون بلغ بهم التعظيم لأمر الإسلام فيما حكاه أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ومَن بعدهم . قال الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ : قال إن السابقين كان من لم يشهد تكبيرة الإحرام مع الإمام في المسجد . . يرجع إلىٰ بيته باكيْ حزينْ ، فيجيء إليه الناس ويعزُّونه ، ويقولون : ليس المصاب من فقد الأحباب ، إنما المصاب من حُرِم الثواب .

إذاً نرجع : نحن غير ما شي إصابات بنا وإلا أمراض فينا ، ما هو الحال عندنا ؟

إذا جئنا مثلاً إلىٰ الصلاة ، مهما صليناها في جماعة ، هل يحافظ الإنسان علىٰ تكبيرة الإحرام ؟!

وهل يحافظ عليها في المسجد كما دعا إليه الشارع ؟!

وهل يؤديها بحضور في ذلك الوقت حتىٰ لا يكون مصاب ؟! هٰذا في نفس الصلاة .

ثم إذا نظرنا : ما حَقُّه مع الجار ، ما حقه مع الغريب ، ما حقه مع الرحم ، ما حقه مع الفقير ، ما حقه مع العاجز ، ما حقه مع المريض ؟

هل يؤدي ، هل يقدِّر ، هل يقوم ، هل يبعث ، هل يسأل ، أو لا ؟

إذاً وجدنا أنها أمراض وأدواء كثيرة ، والأدواء إذا تفشت - مثلاً - في المجتمع . . أصبح المجتمع فيه وباء - علىٰ ما يقولون - وأصبح المجتمع بدل من أن كان مجتمعْ خيرْ . . كان مجتمعْ شرْ . وإذا لم يتدارك الناس ويتلافون هـٰذا الحال . . ماذا ينتظرون ؟!

ماذا ينتظر الواحد ؟! إذا هو يعرف - مثلاً - أن إلىٰ جنبه فقير محتاج إلىٰ معاونته ، أو مريض محتاج إلىٰ عيادته ، أو قريب محتاج إلىٰ زيارته ولم تكن عنده فرصة .

إذا قال له : ما شفناك!

قال : والله ما معنا فرصة .

[ما أنت داري نحن نلقي ايه في أنفسنا ، والله بك قَصَّهْ ما هي فرصه[1]]

هل هـٰذا كلام ؟ كيف ما وجدنا فرصة؟!

فالإنسان يا إخواني : كان السلف الصالح عَقَدوا هـٰذه المجامع بعد ذكرىٰ سيرته صلىٰ الله عليه وآله وسلم وذكرىٰ ميلاده في مثل هـٰذا الشهر ، وما هي في مثل هـٰذا الشهر ، هي في مثل هـٰذا الشهر وغيره .

ليأخذ الإنسان بزاد مما يسمعه من سيرة محمد ، وبزاد مما يسمعه منْ كلام الداعي ، وبزاد مما يراه علىٰ وجوه الكثير من أهل الصلاح .

---

(١) يتكلم حفظه الله . . والابتسامة تعلو وجهه .

وليتألف وليتعلم ؛ فإذا حضر الإنسان مع إخوانه . . تألَّفهم ، وإذا تألفهم . . تألفوه ، وإذا تألفوه . . آخَوْه .

قالوا : إن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم داعي إلىٰ هٰذا الاجتماع . وقال رسول الله : « **وكونوا عباد الله إخواناً** » .

وقال الله تعالىٰ : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ إلىٰ آخر الآيات .

هٰذا المطلوب . حتىٰ السلام لما قال : « **أفشوا السلام بينكم** » وقال : « **بُلُّوا أرحامكم ولو بالسلام** » إذا مر الواحد علىٰ واحد ولا سلم عليه ، هو ما سلم عليه لأنه ما يريد أن يسلم عليه ! ، وإنما هو مشغول علىٰ ما يقول .

هو في فكر ، وإلا . . في عمىٰ ، وإلا . . في شيء من هٰذه الأشياء ، فوقع في خاطر الثاني من عدم سلامه عليه ، ويقول في خاطره : إنه ما يقدِّرنا .

أقل ما كان أنه يقول : إنه ما قدَّرنا .[هٰذا ، هٰذا إذا لم يكن يعرفه ، هٰذا إلا مسلم مع مسلم بس!!] فإذا سلم عليه . . حرك خاطره فرد عليه السلام . فإذا حصل مع السلام شيء من البشاشة . . قابله هٰذاك بالبشاشة ، وقال : هٰذا يقدِّرنا .

هٰذا الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، قالوا : كان من أخلاقه أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا جاء إليه الواحد . . قال أنا

أحب الناس إلىٰ محمد . لماذا ؟ لأنه يقابله ببشاشة ، ويقابله بالاحترام ، ويقابله بأخلاق .

وذكروا أهل السير ، قالوا : إنه إذا قام لأحد . . ابتدأه بالسلام ، ومد يده وصافحه صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

قالوا : يبقىٰ يؤانسه ويكلمه حتىٰ يكون الثاني هو المنصرف ، لا سيد الأولين والآخرين صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

ذا الحين ما وصلنا إلىٰ المرتبة هٰذه ، وصلنا حد السلام بس ! ! إذا وصل الواحد وقابل الواحد . . يقول له : السلام عليكم ، صبحكم الله بالخير . إذا من ورائها شيء بشاشة . . بايقوله كماه : صبحك الله بالخير . وهٰذاك بايسلك كذا ، وذا بايسلك كذا ، وانتهىٰ الأمر . فما يمنع الواحد يعبُر عليه ما يَعرِفُ يسلم عليه ؟ يعني أنه حمار مع حمار ، بهيمة مع بهيمة ، شاة مع شاة . هٰذا ما سببه ؟ هٰذا سببه أن التزكية أو التحلية فُقِدت .

وسبب فقدها : أن الكثير من الناس ـ ما بالناس غيار ـ الناس تركوا هٰذه المجالس وتركوا الحضور في مثل هٰذه الأشياء .

فيجب علىٰ كل واحد أن يحرص علىٰ حضور مثل هٰذه المجالس ، حتىٰ يعلم الواحد ، وحتىٰ يعرف الواحد ، وحتىٰ يدرك الواحد ! شفوا هٰؤلاء الرجال ، أنتم تقرؤون المولد ، وأنا أستحضر هٰذا الحبيب ـ علي بن محمد الحبشي ـ صاحب المولد بنفسه .

ذا واحد من عدد كبير ، هـٰذا يعقد المولد ، ويعقده مثل البارحة آخر خميس في هـٰذا الشهر . وكان يتكفل بالنفقات والقيام وبالأخلاق والمعاملات .

قالوا : يحضرون ثلاثون ألف! أحْصَوا في كم سنة وكم سنة أخرىٰ ، فبلغ العدد ما يقارب هـٰذا العدد ثلاثين ألف ، وكان يضعهم في بيوت الناس كلهم ، ومع وَضْعهم في البيوت يروح يتألفهم ، يروح يستقبلهم ، يروح يأخذ بخاطرهم وهو عِلمه جم ، وسنُّه قده كبير ، وأشغاله قدها كثيرة ، ولـٰكنه رأى أنه يقضي عليه الواجب . ومع هـٰذا : أنه قام بهـٰذه الوظيفة ، وما معه شيء من المال . ولـٰكنها ، كما ذكر العلماء : إن العبد إذا صدق مع الله . . أقبل عليه الله .

عزم علىٰ أنه يعظم النبي عليه الصلاة والسلام ، وعلىٰ أنه يعلِّم ويدعو ، ويجمع العلماء ويجمع العامة ، وعلىٰ أنه يكرمهم من أجل الدين ومن أجل سيد الدين الداعي إليه صلىٰ الله عليه وآله وسلم . . فهيأ الله له الأسباب وتسهلت ، وأعانه الله عليها فمشىٰ إلىٰ هـٰذا ، ومشىٰ إلىٰ هـٰذا ، وكتب لهـٰذا .

ولم يكن هـٰذا وحده له ، هـٰذا الحبيب علي كثير ، قاموا بأعمال كبيرة ، قاموا بأمور كبيرة ، قاموا بدعوة كبيرة ونجحوا في هـٰذه الدعوة .

ذا الحين أنتم تقولون كثير : إذا جاؤوا ـ قالوا هـٰؤلاء العصريين ـ قالوا : يخلق المستحيل هـٰذا الإنسان . . قبلنا الكلام منهم .

بغينا نصف المستحيل ، ربع المستحيل . كل واحد يعرض علىٰ نفسه ما هو المستحيل الذي خلقه في هـٰذا الزمان والذي أوجده ؟

ما هو الذي صنعه ؟

ما هي الهمة التي قام بها ؟

ما هي العزمة التي قام بها ؟

ما هو العمل الذي قام به ؟

بغينا نحن شيءْ من مثل هـٰذا الكلام هـٰذا .

قالوا : الله يعين ، والله يمد يد العون للعبد . العبد ما يقدر علىٰ شيء .

قال الشواف :

ما أحد يحرك باعه ، في معصية أو طاعهْ ، إلا بتحريك الله .

ما يقدر العبد علىٰ شيء ، ولـٰكنه يأخذ من خزانة ربه . والذي تأكلونه أنتم تأخذونه من خزانة ربكم ، إلا أنكم يعتقد الواحد أنه يجيبه بشطارته ، والا بذكائه ، والا بشغله ، والا بعمله ، والا بوظيفته . . . وهو لا يدري الواقع : إن كان هناك ذكاء . . فالله أعطاه ، وإن كان هناك حساب . . فالله أعطاه ، وإن كانت وجاهة ، فالله أعطاه ، وإن كانت معرفة الكلام . . . فكلها من خزانته سبحانه وتعالىٰ ، وكلها منه وإليه ، ولـٰكن يغفل الإنسان عن هـٰذا .

وكل ما يأخذ الإنسان من خزانة ربه . . عليه ضريبة للنعمة

هٰذه . فالنعمة لا بد لها مِن استِرْعاء ، فإذا استرعاها الإنسان وأعطاها حقها ـ قالوا ـ أدرك أنه أعطىٰ ربه جزءًا مما أعطاه ربه . ولا يقدر الإنسان يعطي ربه شيءْ ، ولا هو محتاج المولىٰ ؛ إذ قال : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ ﴾ .

وهل ربكم محتاج في سمٰواته ، والأَّ أرضه والأَّ علاه ، إلىٰ فلوس حق أحد منكم ؟ وما ذاك إلا لفقير أو عاجز أو حد من هٰؤلاء .

فالله سبحانه وتعالىٰ إذا أقبل عليه العبد أي إقبال ـ قالوا ـ قابلته المعونة الإلٰهية بإمداد وأعطته يأخذ من خزانتها ما شاء بما شاء علىٰ ما شاء ، وأعانته علىٰ هٰذا .

ونحن نريد أن يكون حضورنا لهٰذه القصة ولقراءة المولد ولهٰذا الاجتماع أن يتعقل الإنسان أخبار الذين قبله ، ثم مِن تَعَقُّله مِن أخبار مَن قَبْله يضع نفسه في الميزان معهم ، يقول : أنا ماذا عملت ، ماذا صنعت ، ماذا قمت به ؟ لأن هٰؤلاء كلهم رجالكم ، هٰؤلاء كلهم أهلكم ، هٰؤلاء كلهم آباؤكم . فإذا نظرنا إلىٰ أخبارهم . . وجدنا أخبارهم إذا ذكرها الواحد ملا فمه بها .

هُوْمِن أنت ؟ قال : أنا السقاف .

سقاف ماذا ؟

لك سَقْفَه ! ماذا عملت ؟

هُوْمِن أنت ؟ قال : أنا ابن الشيخ أبي بكر . ملأت فمك باللقب هٰذا ، لٰكن ماذا عملت أنت منه ؟ يكفي أن يقول فلان : أنا السقاف ، ولا شيء له عمل ؟ أنا ابن الشيخ أبي بكر ، ولا شيء عمل؟ أنا العيدروس ، ولا شيء عمل ؟ أنا المحضار ، ولا شيء عمل ؟ ما يكفي ، ما يتأتى .

كيف أنا فلان ؟ ضع نفسك في الميزان معهم ، وادخل في المعترك كما تدخل في معترك حياة التجارة هٰذه . اجعل صلة روحية ، منها : الصلاة في جماعة .

منها : شيءٌ من قيام الليل .

منها : القيام بمن عليك القيام به .

منها : الاهتمام بالدرس ، والتعقل للقرآن ، والتفكر .

يجد الإنسان في القرآن حلاوة وطلاوة ، ويجد فيه أشياء هيَّأها الله سبحانه وتعالىٰ يأخذها فيضعها في جوفه ، فيستفيدها ويستَمْرِئها ؛ لأن فيه علم الأولين وعلم الآخرين ، وفيه الأخبار .

ثم إذا قرأ له شيءٌ من كتب السِّيَر هٰذه حق العلماء . . أثمرت له ، عرف الحال ، عرف الناس ، عرف السيرة ، عرف الحياة ، عرف كيف كان مَن قبلنا . ذا الحين نحن ما نعرف ماذا عملوا ؟ إذا جئت لواحد قال لك : أنا السقاف . من هو هٰذا السقاف ؟

قال : السقاف ذا ولي كبير!

ماذا عمل في ولايته الكبيرة ؟ قام الليل ، صام النهار ، قسَّم المال ؟! ماذا عمل في الولاية الكبيرة ؟!

ما درىٰ ما هـٰذه الولاية الكبيرة حقه قط أبداً . هـٰذا إلا قال : أنا فلان بن فلان .

لا يا إخواني . . كل واحد يستشعر مسؤولية النعم التي أعطاه الله إياها ، مسؤولية الرعاية التي استرعاه الله إياها .

ما خُلق الإنسان لأن يكون بهيمة ، ما خلق الإنسان لأن يكون حيوان ، ما خلق الإنسان لأن يكون نفعي ـ على ما يقولون ـ لنفسه فقط . ثم إذا كان لنفسه . . جسمه حطب ، هـٰذا عن قريب يتلاشىٰ في قبره ، عن قريب يأتيه الضعف .

ما خُلق لتربية هـٰذا الجسم ، وللزوجة ولولده ومن علىٰ شاكلته ، هو خُلق لأن يكون ـ كما ذكرنا ـ لكرامة أسمىٰ ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ سخر الله له هـٰذا الكون كله ، أفلا يريد أن يكون كريمْ ؟!

أفلا يريد أن يكون عظيمْ ؟!

أفلا يريدأن يكون مسخَّرْ له الكون ؟!

أفلا يريد أن تكون الأكوان طيعة له ؟!

لاحظوا يا إخواني هـٰذا الكلام . انتبهوا ، ذا الحين هـٰؤلاء لي هم حاموا حول المُلْك وحول الدنيا ، كل من حام حول شيء . . أدركه . كل من أراد شيءْ من مثل هـٰذه الأشياء وسعىٰ

له . . أدركه . ونحن بغينا العزة التي أشار إليها القرآن بقوله : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

يأخذ له نصيبٌ من كرامة الدِّين ، نصيبٌ من أخلاق الدين ، نصيبٌ من عظمة الدين ، نصيبٌ من الاهتمام بالدين ، نصيبٌ من الرجولة . يكون قائم بأمر الدين وبأمر الدنيا ، لا قائم بأمر الدنيا . أو لا يكون لا شيء ، إنسان ضائع مائع ، لا دين ولا دنيا كما هو شأن الأكثرية ، لا ! يكون الإنسان فَحلْ .

شُفوا ، نحن إذا نظرنا إليهم هٰؤلاء . . وجدناهم أحسنوا الإقامة في الدنيا . الذي تعرفون أنتم (حضرموت) هٰؤلاء الآبار والنخيل ، والديار والسواقي الكبيرة ، والغروسات والبلدان العظيمة هٰذه أقاموها هم ، وأقاموها من لا شيء . أقاموها من ماذا ؟ أقاموها كل واحد يحفر بحقه القَدُّوم ، والا بشيء من التمر ، والا بشيء من الأشياء الكبيرة ، وأقام شيءْ كثيرْ .

يذكر أهل السِّيَر ، هٰذا مسجد حنبل في (سيئون) قالوا : إنه بناه صاحبه من خياطة الكوافي ، يخيِّط الكوافي ويبيعهن في السوق ، ويأخذ حصة من بعض ثمن الكوفية يضعه للصدقة الذي يريدها هٰذه حتىٰ تجمَّع شيء لا بأس به ، فبنىٰ به المسجد وأعانه الله .

وهل باتكفيه خياطة الكوافي هٰذه ؟! ما تكفيه لٰكن الإعانة الإلٰهية لما حصلت . . هيأت له الأسباب . وهٰكذا .

ونسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يبعث فينا دواعي العزيمة ،

ويبعث من عنده المعونة ، ويبعث فينا ما خَلَقَنا له ، الذي هَيَّأنَا له وأرادنا له ، ويبعث فينا حب الاتباع للحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، ويبعث فينا كامل الرغبة في القرب من هـٰذه الأخلاق ، ويبعث فينا الرجولة التي سمانا الله بها : ﴿ رِجَالٌ﴾ .

من هو الرَّجَّال ؟

رَجَّال . . الواحد الذي يدور لزوجة ، وإلا يدور لشيء منها ؟

الرَجَّال الذي له ذكر في العالم هـٰذا وفي العالم ذاك ، وفي البلد هـٰذا وفي البلد هاذيك ، وفي هـٰذا المجتمع وفي ذاك المجتمع .

هـٰؤلاء الرجال سماهم الله ، قال : ﴿ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ﴾ وهو رَجَّال قاعد لمثل هـٰذه الأشياء .

الأخ سالم خرد جاب لنا قبل كم شهر قصيدة ، فيها يقول لما يذكر أهل الشَّعَر الطويل ، قال ما معناه :

معاد عرفنا هل هـٰذا رجل أو هـٰذه بنت ؟

ما هي الأبيات ؟

فقال العم سالم خرد :

فتَشَبَّـه الفتيـان بـالفتيـات فـالـ تمييـز أضحـى بينهـم متعـذِّرُ

لم تَدرِ هل هـٰذي فتاة أم فتىً أمـرٌ مَخُـوفٌ للعقـول محيِّـرُ

إلى أن قال :

إن صار ليثُ الغاب ظبياً ناعماً فمَنِ الذي يحمي العرينَ ويثأَرُ

هـٰذا الكلام الصحيح ذا الحين أخذ بالناس الانحطاط ؛ لأن الإنسان لما كان ما يحضر المجالس . . ما يدرك الأشياء . والا موجود الخير . لما كان معاد يدرك الأشياء . . أصبح ما يميز : إن عَبَرْ ولا سَلَّم . . ظن أنه ما فيه عيب . وإن لا قَدَّر واحدْ كبيرْ . . ظن أنه ما فيه عيب .

ما هو داري ؛ لأنه بهيمة من البهائم .

وإن ما زار رحمْ له . . ظن أنه ما فيه عيب . وإن ما قَدَّر واحدْ بينه وبينه صلة وأعطاه ما يستحقه من التقدير . . ظن أنه ما فيه عيب ؛ لأنه جاهل والجاهل مثل البهيمة .

هـٰذا أنا كثير ما أذكر لكم الإمام الغزالي - رحمه الله - « إحياؤه » هـٰذا ملآن ، ذكر في « الإحياء » :

جاء واحد يشتكي إلىٰ عند عالم من العلماء ، قال له : البارحة ولدي ضربنا ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ .

قال له العالم : ماذا علمته أنت ؟

قال : علَّمْتُه البِقْراهْ ؟

قال له : ظنك ثورْ من الثيران .

هـٰذا الحال الذي بالناس ذا الحين . وذا الحين نحن الناس نشوفهم ثيران ، والسبب في ذلك : أنه معاد هناك قراءة . معاد هناك أخلاق .

وكان المأمون ابن الرشيد ـ قصة مشهورة هٰذه في « الإحياء » كذلك ـ من هو الرشيد ؟

كانت زوجته زُبَيدة تقول : أنت تحب الولد هاذاك ـ ولد الجارية ـ أحسن من ولدي .

قال لها : كلهم أحبهم سواء .

قالت له : أبداً .

فسكت ، وبعد استدعىٰ ولد زُبَيدة ـ الأمين ـ ، وقال له : اذهب هت لي أربعين ثورْ مُعَمَّمْ .

خرج ، وكلما دار حول الثيران . . ما حصل فيهن شيءْ معَمَّمْ قط . رجع وقال له : ما أنا ما حصلت شيءْ من الثيران عليهن عمامة .

قال له : اجلس . واستدعىٰ المأمون ولد الجارية ، وقال له : اذهب هات لي أربعين ثورْ معمماً .

فخرج المأمون وكل ما قبض واحد من الرجال سأله عن بعض الواجبات . . قال له : الله أعلم .

قال له انتظر ، أنت من طِلْبة أمير المؤمنين ، وهٰكذا حتىٰ أكمل العدد وجابهم له ، واستدعى أمير المؤمنين وهو في النافذة حقه ، وقال له : شف الجماعة هٰؤلاء .

قال له : قلت لك : هات لي ثيران . قال له : مِن نوعهم ،

لا تخاف ـ ويتكلم سيدي والابتسامة علىٰ وجهه ـ والناس اليوم علىٰ مثل هٰذا الحال .

هٰذا هو الواقع ـ ما بانغالط أنفسنا ، لَهْ ـ إذا ما قدَّر الإنسان نفسه .

أنا كثيرْ ما أذكر لكم : هٰذا أبو العلاء ـ واحد في (المدينة) ـ لما كنت أتكلم مرة من المرات علىٰ الأخلاق . . قال : ما زالت هناك واحدة أكبر .

ما هو الأكبر ياالشيخ حسين ؟

قال : ذا الحين نحصِّلها عمارة فيها أربعين شقة . إذا دخلت عند واحد وسألته عن جاره مَن ؟ قال : الله أعلم .

يموت ما يدري به ، يحيا ما يدري به ، تكون عنده مناسبة ولادة أو مناسبة فَرَح ما هو داري هُوْمِن قط أبداً ! ! هٰذا الشارع يقول : « **ما زال جبريل يوصيني بالجار حتىٰ ظننت أنه سيورثه** » .

أليس هٰذا من الانهيار الديني ؟ من الإنهيار الخُلُقي ، من الضياع ، من التعطيل ؟ بَلَغُوا الناس إلىٰ هٰذا الحال .

وكان الناس في (حضرموت) أهل الفقر ما معهم شيء ، يقول واحد من جماعتنا ـ الذي كانوا قبلكم هٰؤلاء إذا قَدَّموا العشاء حقهم ـ ماذا قال ؟ قال : لقمة بيدك ، ولقمة في الصحفة ، ولقمة بغوها للقبر .

يطرحون صحفة فاضية فيما بينهم ، ويقولون : كل واحد يطرح فيها لقمة للقبر ، ويواسي بها رحم أو جار من الجيران . وذا الحين ربما يكون في القِدْر زيادة ما يِشْوَرْ يدق علىٰ صاحبه ، ولا يِشْوَرْ يسأل عنه .

اسْأَلْ عنه ، ربما تستحي تُعطي واحدْ غنيْ في محله هـٰذا ، لـٰكنك اسأل عنه : يشتغل فين ؟ كم يحصل من وظيفته ، عائلته كثيرة ؟ ربما له صلة بـ(حضرموت) يرسل لأهل (حضرموت) من دخله هو هـٰذا القليل .

اسأل عنه حتىٰ تواسيه .

وهـٰذه ما تسمىٰ مواساة له ، من زاد معه شيء من طعامه قده فايت . المواساة : التي يخرجها من حساب معه . وأما واحد قده معه عشاه قد ملا بطنه ، وملا بطون أهله وعياله ، والقِدْر حقه لا يزال ملآن . . قال : بأنْدُرُه باتصدَّق .

قال العلماء : علىٰ ما فيها صدقة ؛ لأجل لا تضيع ذَلاً . فيأثم عليها ، لـٰكن الصدقة . . هـٰذه . والسؤال هو الواجب عليه .

دخلت عند جارك وسلمت عليه : كيف حالك ؛ بخير إنت ؟

هُوْمِن أنت ؟ خل نحن نتعارف ، نهار نحتاج منك من شيء . . باندق عليك ، ونهار تحتاج مننا من شيء . . دق علينا .

لا يوجد قط أبداً . يعني : منتهىٰ الإسفاف في الأخلاق ، والضياع والضلال ، والانحطاط والانهيار .

الله يحفظنا وإياكم منها .

كل واحد يلْقِي له انتباه منها هـٰذه الأشياء .

الله يعيد علينا الماضي ، ويعيد علينا الحال ، ويعيد علينا ما كنا فيه .

ثم قرا الدعاء ، وختم قصة المولد النبوي للحبيب علي بن محمد الحبشي . ثم رتب هـٰذه الفاتحة :

تقبل الله ذلك منا ومنكم ، وجعله خالصاً لوجهه الكريم ، ومقرباً إلىٰ جواره في جنات النعيم .

الفاتحة أن الله يتقبل هـٰذه الدعوات ويعجل بالإجابات ، ويجعل هـٰذه الساعة من أبرك الساعات علينا وعليكم ، ويغفر لنا ذنوبنا ، ويستر لنا عيوبنا ، ويكشف لنا كروبنا ، ويصفي مشروبنا ، ويعطينا آمالنا ، ويقضي حاجاتنا ، ويكتبنا في ديوان الكُمَّل من الأولياء ، ويسعدنا سعادة أبدية ، ويبلغنا الآمال ، ويجعلنا وإياكم من الرجال ، من الذين ما ألهتهم الدنيا بحال ، ويصلح لنا الأقوال ، ويصلح لنا الأفعال .

وكما جمعنا وإياكم على سماع سيرته صلىٰ الله عليه وآله وسلم . يحلينا بها ويحققنا بها ، ويجعلنا من خيار أتباعه ، ويجعلنا من جنوده ، ويجعلنا من حاشيته ، ويجعلنا من محبيه ، ويجعلنا من القائمين عنه ، ويجعلنا من المبلِّغين عنه ، ويجعلنا من النائبين عنه صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم .

وما كان في رجالنا وأهلنا وشيوخنا من علم ، ومن أعمال ، ومن أحوال ، ومن مقامات . . ربنا يؤهلنا لذلك ، ويجعلنا أهل لذلك .

ونسأله سبحانه وتعالىٰ كما جمعنا علىٰ سيرته . . أن يجمعنا به ، وأن يجمعنا في الحشر به ، وأن يحفظنا من أهوال الدنيا وكُرَبها بواسطته ، ومن أهوال القبر بواسطته ، ومن أهوال الحشر بواسطته ، وأن يوردنا حوضه ويحشرنا تحت رايته صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، ويسقينا من حوضه صلىٰ الله عليه وآله وسلم شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبداً .

ويمتعنا بصالحي زماننا ، ويمتعنا بالعلماء ، ويمتعنا بالإخوان ، ويمتعنا بالدعاة ، ويمتعنا بالصلحاء ، ويمتعنا بكل ذي خلة وكل ذي محبة وكل ذي صحبة ، ومن أوصانا واستوصانا بالدعاء .

ربنا يقسم لنا وإياهم في ذكر الذاكرين ، وفي صلاح الصالحين ، وفي صلاة المصلين ، وفي القُرَب .

ويدخل أعمالنا في أعمال الحبيب ، ونياتنا في نياته ، وحركاتنا في حركاته ، ويجعلها موزونة بقيد الاتباع له ، الكامل ، في جميع الأمور ، ظاهرها وباطنها .

ويغفر لوالدينا ولوالديكم ، ويجعل أرواحهم في أعلى عليين . ويعيد علينا وعليكم هـٰذه الأيام وهـٰذه الأعياد وهـٰذه

المجالس في خيرات وفي مسرات ، ويصلح البلاد ، ويجعلنا وإياكم من خيار العباد .

وإلىٰ حضرة النبي محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

❊ ❊ ❊

ختم وتأبين الحبيب الكبير
جعفر بن أحمد العيدروس (١٣٠٨/ ١٣٩٦هـ)
توفي بتريم ودفن داخل قبة العيدروس

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهـٰذه الكلمة التي كلها تأسف وحسرة وبكاء وعَبْرة علىٰ فقد عَلَم من أعلام الإسلام ، وخليفة من خلفاء سلفنا الكرام ؛ ألا وهو الحبيب الكريم الزاهد حبيبنا العم جعفر بن أحمد العيدروس . الذي وافته المنية مساء يوم الإثنين الثاني من شهر جمادىٰ الآخرة ، من عام ستة وتسعين وثلاث مئة وألف هجرية (١٣٩٦هـ) الموافق الحادي والثلاثين من مايو من عام ستة وسبعين وتسع مئة وألف ميلادي بمدينة (تريم) .

وأقيمت له قراءة بـ(جدة) لمدة ثلاث ليالي متتالية ، آخرها مساء الجمعة الثالث عشر من الشهر الحالي ، الموافق الحادي عشر من يونيو .

وبعد الختم قام محمد جبران بقصيدة رثاء في الحبيب جعفر . ثم تكلم حبيبنا عبد القادر بن أحمد بهـٰذه الكلمة .

تكلم عن نبذة يسيرة من كرم هـٰذا الحبيب وحبه للضيوف ، وأخلاقه العالية ، وزهده في الدنيا .

والحقيقة : أن هـٰذا الحبيب كما قال الشاعر :

وقد كنتَ فينا نسخةَ السلف التي ... بهـا كـل مَـن لـم يَلْقَهُـمْ يتمتـعُ

رحمه الله رحمة الأبرار .

قال سيدي ـ حفظه الله ـ :

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

يقول الله سبحانه وتعالىٰ لرسوله ـ وهو الكريم عليه ، وهو

الحبيب لديه ، وهو المقرب عنده ، وهو السيد الذي ما جيء بمثله في الأكوان كلها . يقول له : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ . ثم يقول له : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ . ثم يقول له : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ .

الحمد لله علىٰ البقاء الذي ليس بعده فناء . والحمد لله الذي جعلنا من أتباع محمد . والحمد لله الذي ربطنا بعلماء ، وربطنا بأولياء جعلهم وُرّاثاً له صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، فقال : « **علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل** » .

فالحمد لله علىٰ كل حال ، في السراء والضراء ، وفي النِّعم وفي موت الرجال .

نحمده سبحانه علىٰ أن جعل لنا هٰذه الحياة وفيها ـ قالوا ـ تمام العبرة ، وفيها ـ قالوا ـ الطريق الموصل إلىٰ الجنة ، وفيها ـ قالوا ـ المسلك الذي ينتهي إلىٰ محمد ، وفيها ـ قالوا ـ الاعتبار الذي يعتَبِر به أهل العقول التي ربطها الله سبحانه وتعالىٰ بالإدراك وبالحس ، وبالروح التي أشار إليها بقوله ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ .

نحمده سبحانه علىٰ كل ذلك ، ونسأله سبحانه أن يزيد ، وأن يزيد ، وأن يزيد ، وأن يعظم لنا الأجر ، وأن يغفر لنا الوزر ، وأن لا يهتك لنا سترْ ، وأن يجعلنا أتباعاً لمن شَرَح له الصدر ،

صلوات الله وسلامه عليه ، ولمن رفع له القدر ، ولمن أشهر له الذكر .

ونحمده سبحانه أن جعل لهٰذه الأمة نسبة من شهرة الذكر ، ومن رفعة القدر ، ومِن شرح الصدر ، ومن الاتِّباع لمحمد صلوات الله وسلامه عليه ، ومن الاقتداء به والتأسي في كل ذلك ؛ فإنه قد قال عليه الصلاة والسلام ـ في الحديث الذي تواترت له الروايات : « **من عظمت مصيبته . . فليذكر مصيبته بي** » . وفي الرواية الأخرىٰ : « **من كبرت مصيبته . . فليذكر مصيبته بي** » . وفي الرواية الثالثة : « **من أصيب بمصيبةٍ . . فليذكر مصيبته بي** » .

وتلك المصيبة بموته صلوات الله وسلامه عليه ـ قالوا ـ أكبر المصائب وأعظم المصائب ، لولا أنه سبحانه وتعالىٰ ، كَتَب الموت علىٰ جميع العباد ، وجعل للخلافة الظاهرة وللخلافة الباطنة نسبة له صلوات الله وسلامه عليه ووصلة إليه ، وإن كان في قبره الشريف ، وإن كان في حياته الأخرىٰ ، وإن كانت حياته ـ قالوا ـ حياة ثانية لٰكن اتصال هٰذه الأمة بحياته الأولىٰ . وحياته الثانية ، قالوا : أمران تنتفع بهما الأمة علىٰ كل حال ؛ فإنه عليه الصلاة والسلام لا يزال هو الراعي ، ولا يزال يرعىٰ ، ولا يزال يحفظ ، ولا يزال يحوم ، ولا تزال روحه الكبيرة تطوف في عوالمها ، وتلك العوالم هي : العوالم العليا ، والعوالم السفلىٰ .

فالعوالم العليا هي لها من قديم .

والعوالم السفلىٰ هي : لما كانت نسبة هـٰذا الخلق إلىٰ رسالته عليه الصلاة والسلام ؛ لأنه جاء رحمة ، وبُعث رحمة ، وأُرسل بالرحمة ، ووُصِف بالرحمة ، وخلق بالرحمة ، وأعطي الرحمة ، ووصفه مولاه صلوات الله وسلامه عليه بها في تلك الرسالة فقال : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ ﴾ إلىٰ آخر الآيات البينات التي يصف لنا فيها رحمته صلوات الله وسلامه عليه .

فمِن تلك الرحمة كانت هـٰذه الرعاية لهـٰذه الأمة ، ولولا رعاية سيد المخلوقات .. لهلكت الأمم ، ولما قدرت أن تعيش ، ولما قدرت أن تعرف : لا إلـٰه إلا الله ، ولا حَقَّ (لا إلـٰه إلا الله) ، ولما قدرت أن تحوطها عناية تأتي إليها من فوق ومن عَلٍ . وذلك كله إنما كان بواسطة محمد رسول الرحمة صلوات الله وسلامه عليه .

ومن تلك الرحمة أوتي كل واحد نصيباً منها ، حتىٰ الأم ، حتى سائر الحيوانات ، حتىٰ سائر المخلوقات .

قالوا : لـٰكن الذين حملوا رسالته وأمانته وخلافته كانوا كلهم رحمة . فكانت أخلاقهم رحمة ، وكان كلامهم رحمة ، وكانت

سيرتهم رحمة ، وكانت حكاياتهم رحمة ، وكانوا في جميع ذلك لهٰذه الأمة رحمة ، ينالهم من صاحب الخلافة ما ينالهم بواسطته صلوات الله وسلامه عليه ؛ لأن من أوتي الخلافة . . فقد أوتي النيابة عن محمد صلوات الله وسلامه عليه ، والنيابة عنه صلوات الله وسلامه عليه ـ قالوا ـ أعظمها يأتي في تبليغ رسالته ، وفي الرحمة التي حملها عليه الصلاة والسلام وأصيب الخلق منها بنصيب وافر .

ومن ذلك ـ كما ذكرنا ـ هٰؤلاء . ومن هٰؤلاء : الحبيب العظيم الذي اجتمعنا لهٰذه التعزية ، ولهٰذه القراءة ، ولهٰذه التسلية . ولا تسلية في موت الأكابر ولا أعظم من ذلك ، ولا مصيبة أكبر منها ؛ لأنها توالت علينا .

فيما قبل أشهر مات علينا إمام جمع لنا فيما بين العلمين ، وبين الطريقين ، وبين الهدايتين ، وبين الرعايتين ، ذلك هو : الإمام عمر بن أحمد بن سميط[(١)] . الذي عرفه من عرفه ، وسمع عنه من سمع .

كان نائباً عن محمد صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولا شك ـ في جميع أنواع النيابة .

ثم جاءتنا المصيبة الثانية ، وهي عظمىٰ وهي كبرىٰ ؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ ـ كما حكىٰ المفسرون ـ قال لنا في كتابه : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ قالوا : بموت العلماء .

---

(١) (١٣٠٣ـ١٣٩٦هـ) .

جاءتنا المصيبة الثانية تتبع المصيبة الأولىٰ بموت هـٰذا الإمام الكبير العظيم ، السيد الوقور ، الذي جمع الله له من الخلافة الكاملة عن الحبيب صلوات الله وسلامه عليه ما عرفها كل من عرفه ، وما سمعها كل من سمع عنه ؛ فقد جمع الله له من خلال الكمال والمكارم التي كانت لجده محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم ثم كانت لأجداده الذين توارثوها ، ومنهم : جده الذي يفخر به ويمشي إثره ويحذي حذوه . . العيدروس الأكبر .

ثم تبعه الإمام أبو بكر العدني ـ ثم تبعه الحسين بن عبد الله العيدروس ، ثم تسلسلت فيه وفي بني عمومته وفي رجاله .

وجاء من بعدهم الشيخ أبو بكر بن سالم بمظهر واسع ، وذلك المظهر كله إنما هو خلافة عن محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، لا أقل ولا أكثر .

كان هـٰذا الإمام سمع أن جده محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم عزف عن الدنيا فلم يدخر له منها شيئاً ، وكان لا يبيت علىٰ معلوم .

هـٰذا الحبيب جعفر علىٰ هـٰذا الحال ، تأتي إليه أموال كثيرة فيوزع ويُكْرِم ولم يترك شيءْ منها ، حَسْبكم أنه لا يملك بيتْ ، ولا يملك قطيفة ، ولا يملك نخلْ ، ولا يملك حديقة ، ولا يملك بستانْ .

وكان بيته ـ الذي يأوي إليه الكثير والكثير من الأضياف ـ

حَمّامُه عليه خرقة بدل الباب! بينما هو ينفق الألوف المؤلفة لا يدخر منها شيءْ ؛ ذلك لأن نفسه كانت من نفس جده العيدروس ، ونفس جده العيدروس كانت من نفس محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، ومحمد كان هو الذي يربي هٰذه الروح .

كانت هٰذه سيرته . قالوا : إنه صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم لقِيْ أحد أصحابه ـ وهو حارثة ـ قال له : « **ما حالك يا حارثة ؟** »

قال : عزفت نفسي عن الدنيا . أو قال في الحديث : أصبحت مؤمناً حقاً .

« **وما حقيقة إيمانك ؟** »

قال : عزفت نفسي عن الدنيا ، فاستوىٰ عندي ذهبها ومدرها .

قال له : « **أصبحت مؤمناً حقاً** » .

شهادة من محمد لا يأتي عليها ريب ، ولا يأتي فيها غلو ، ولا يأتي فيها زيادة .

مقالة جاءت ممن لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى دلنا علىٰ أن من عزفت نفسه عن الدنيا فأخرجها ولم يدخرها . . كان مؤمناً حقاً ، كان كامل الإيمان . ومن كان كامل الإيمان ـ قالوا ـ كان ذا إحسان ؛ لأنها ثلاث دوائر :

فالدائرة الأولىٰ هي : دائرة الإسلام ، يدخل منها الإنسان إلىٰ

الأركان الخمسة التي تقرؤونها كل يوم وتبتدؤن بها في تعاليمكم وفي تربية أولادكم . فإذا دخل منها ـ قالوا ـ دخل إلىٰ **الدائرة الثانية** ، وهي : دائرة الإيمان بالله . ودائرة الإيمان تعرفونها ، لا حاجة إلىٰ شرحها .

فإذا دخل منها ـ قالوا ـ دخل إلىٰ **الدائرة الثالثة** ، هي : دائرة الإحسان . والإحسان الذي شرحه لكم محمد ـ لم يشرحه غيره ـ في حديث جبريل ، قال : « **الإحسان : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك** » .

فعبادته ـ قالوا ـ لا تأتي في الصلاة ولا تأتي في الصوم فقط ، ولٰكنها أكثر ما تأتي في : إطِّراح الدنيا ، وفي البعد عن الشيطان ، وفي البعد عن الهوىٰ ، وفي البعد عن الرعونات .

فإذا ٱطَّرح الإنسان هٰذه الأشياء ـ قالوا ـ صَغَّر ما حَقَّر الله ، وعظم ما عظم الله ، ومن صغر ما حقر الله وعظم ما عظم الله ـ قالوا ـ استوجب القرب من الله ، واستوجب الوصول إلىٰ الدرجة القصوىٰ التي هي درجة الإحسان ، التي قال فيها : « **أن تعبد الله كأنك تراه** » .

قال العلماء : فمَن عَبَدَ الله وقلبه مشغول بالدنيا ـ بحلالها ، بحرامها ، بشُبَهِها ، بعُجَرِها وبُجَرِها ، ملتفت إلىٰ سوقه فلا يخطر علىٰ قلبه إلا السوق ، ولا يخطر خوف الله يوماً علىٰ قلبه . . فأنىٰ له أن يصل إلىٰ درجة الإحسان ؟ ولم يصل إلىٰ شيء ـ قالوا ـ هٰذا إذا لم يخطر علىٰ قلبه مراقبة الله .

فإذا كان ذلك الرجل لم يبالي بالدنيا تأتيه من أي باب من أبواب الهلاك ـ من سرقة ، أو من أَيمان فاجرة ، أو من افتراءات ، أو من ادعاءات ، أو من تهويلات ، أو من تهويسات ـ قالوا : فذلك لم يبالي بالله ، ومن لم يبالي بالله . . لم يُبالِ اللهُ به في أي وادٍ أهلكه .

قالوا : ثم إن الإنسان الذي لا يثق إلا بما في يده ، ولا يثق بما في يد مولاه . . فذاك ضعيف الإيمان ، فذاك ناقص الإيمان ، فذاك لم تكن عنده حقيقة من إيمان ؛ لأن الرزق قد تكفل به الله وقد ضمنه ، ومن وثق بالكفالة . . أنفق ما في يده اتفاقاً بتلك الضمانة التي وثق بها من مولاه سبحانه وتعالىٰ .

وهٰذا الحبيب ـ كما ذكرنا لكم ـ من عرفه . . فقد عرف مرتبة الإحسان في قلبه لهٰذه الغاية .

والإحسان حكىٰ لنا المولىٰ بعد أن علَّمَنا رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، فقال : ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ . فهل يُكَيَّف إحسان المولىٰ ؟ وهل يُكَيَّف قَدْره ، وهل يقَدَّر فضله ؟ لا يأتي عليه كيف ، ولٰكن! من عرفه حقيقة . . طمع فيه ، ومن لم يعرفه حقيقة . . غفل عنه ، فأخذ بدنياه ، وأخذت به الدنيا فضيعته في مهاويها وفي غفلاتها .

هٰذا الحبيب كان علىٰ مثل هٰذا الحال ، وكان شأنه التأسي بمحمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

كـان لا يبيـت علـىٰ معلـوم . قـال الإمـام الغـزالـي ـ عليـه الرحمة ـ : جاء السيد الكبير صلوات الله وسلامه عليه ـ إلىٰ فراشه عند عائشة رضي الله عنها ذات ليلة ، فقال لها : « **يا عائشة ، أراني كئيباً** » قالت له : لا أراك الله بأساً ولا بؤساً يا رسول الله ، مم اكتئابك ؟ قال لها : « **لا أدري !** » .

فأخذت ـ قال الغزالي ـ تتلمسه وتُعَسْعِسُه فإذا في ثوبه صرة ، فقالت له : وماذا في ثوبك يا رسول الله ؟

قال لها : « **وماذا في ثوبي ؟** »

قال : فأخذت الثوب فإذا فيه درهمان ، قالت له : فيه درهمان .

قال : « **هما اللَّذانِ ظهر لي منهما البؤس ، وظهرت لي منهما الكآبة ، فأخرجيهما من الدار وأنفقيهما** » فأخرجتهما السيدة عائشة ، فرجع إلىٰ حاله كما وصفه الله سبحانه وتعالىٰ ، وذهب عنه كل ما يحذر من أمر الدنيا هـٰذه ، التي فتنت الناس ، وغيرت علىٰ الناس ، وضيعت الناس في مهاويها وفي أوديتها .

كان حال هـٰذا الحبيب ـ كما ذكرنا ـ وكان حال جده صلوات الله وسلامه عليه ، أنه : جاء إليه أعرابي يسأله المال والرفد ، فقال له : « **خذ هـٰذه الأغنام** » فأخذ أغناماً كانت ما بين جبلين ، فجاء إلىٰ قومه ، فقالوا له : ممن هـٰذه الأغنام ؟

قال : يا قوم ، أطيعوني فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشىٰ الفقر .

ثقةً بمن ؟ ثقةً بمولاه . كان هـٰذا الحبيب في هـٰذه الغاية ، وأنتم تعرفون الناس اليوم ، فهل ترون فرقاً فيما بينه وبين الناس ؟ أو ترونه!! أحد الناس يظهر الفَرْق . وكل واحد يوزن بميزان نفسه وبميزان من يعرفه من إخوته ؛ ليرىٰ حال هـٰذا الإمام العظيم الذي قدم علىٰ مولاه مُكْرَماً ، كما قال الإمام أبو سعيد ـ رُئي بعد موته ، قال الغزالي ـ فقيل له : ما حالك

فقال :

قدمت علىٰ ربٍّ كريم فقال لي: هنيئاً رضائي عنك يا ابنَ سعيدِ
فقد كنتَ قَوَّاماً إذا غسق الدجىٰ بعبـرةِ مشتـاقٍ وقلـب عميـدِ
فدونك فاختر أيَّ قصر تريده وزرني فإني منك غيرُ بعيدِ

هـٰذه هي المناقب ، هـٰذه هي المفاخر ، هـٰذه هي المآثر ، هـٰذه هي الباقيات ، هـٰذه هي الصالحات .

قال صاحب « الرسالة القشيرية » : لما حضرت الشيخ الشبلي الوفاة . . كان واحد من جلسائه يكرر عنده : لا إلـٰه إلا الله .

فقال : يا هـٰذا ، لي معها ثلاثة وثمانون سنة ، أتراها تنفك عني أو أنفك عنها هـٰذه اللحظة ؟ اسكت يا هـٰذا ، وأنشد :

(إن بيتـاً أنـت سـاكنـه) مَـن هُـوْ ذا الـذي سـاكنـه

هو ربه ، ربه ساكن هـٰذا البيت ، والبيت هو القلب ، والقلب هو عرش الرحمـٰن .

إن بيتـاً أنـت سـاكنـه غيـرُ محتـاجٍ إلـىٰ السُّـرُجِ

وجهُـك المـأمـون حُجَّتُنـا   يـوم تـأتـي النـاس بـالحُجَـجِ

ومن كان قلبه ـ الذي هو بيته ـ لم يكن فيه ربه . . فيه دنياه ، أو فيه هواه ، أو فيه غفلته ، أو فيه شيء من الأمور التي لا تستحسن ـ فحَسْبه نفسه . ومن كان بنِيَّتِهِ فيه مع ربه . . فإنه مع ربه دائماً لا يفارقه ولا يفارق ربه .

قالوا : وقال الإمام الشافعي ـ عليه الرحمة ـ لما دخل عنده الربيع يسأله عن حاله ، قال :

ولما قَسا قلبي وضاقت مذاهبي   جعلت رجائي نحو بابك سُلَّما

تعـاظَمَـني ذنبـي فلمـا قـرنتـه   بعفوك ربي كان عفوُك أعظما

فما زلتُ ذا ذنبٍ كبير ولم تزل   تجـود وتعفـو مِنَّـةً وتَكَـرُّمـا

وكان الحبيب ـ حفظه الله ـ ينشد هٰذه الأبيات والعَبْرة تخنقه . ثم قال :

هٰكذا كانوا مع العمل الصالح ، لا يزالون يشهدون التقصير مع التشمير ، وأكثر النـاس لا يـزالـون يشهـدون التشميـر مـع التقصير! عكس ما كان عليه هٰؤلاء ، وعكس ما كان عليه الناس . والناس شَغَلَتْهم الدنيا .

قال صاحب « الرسالة القشيرية » ـ رحمه الله ـ أن واحداً كان يسأل ـ إذ كان من آخر الليل . . يقوم ويصيح علىٰ باب مسجد الشُونُوزِيَّهْ ـ فيقول : أين الناس ، أين الناس ، أين الناس ؟ ثم إذا سكت طويلاً . . قال : ذهبوا في الكأس .

يعني : أخذتهم الدنيا ، فتركوا قيام الليل ، وتركوا المسجد ، وتركوا الجماعة ، وتركوا الأحوال الذي كان عليها محمد سيد أهل الشفاعة صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

ثم لنرجع إلىٰ هٰذا الحبيب : كان من أمره ـ كما ذكر لكم هٰذا الولد ؛ أي : أحمد جبران ـ يرسل إلىٰ كثير من الأرامل إلىٰ بيوتهن من حيث لا يعلم أحد ، ثم يرسل إليهم بالأموال الكثيرة .

كنت عنده ذات مرة من المرات ، فجاء إليه أحد السُّوَّال ، فقال له : اجلس احضر الغداء معنا .

قال : لا ، أنا مستعجل . أعطني عوين .

قال : لا ، اجلس احضر الغداء .

قال : لا ، أنا مستعجل .

قال له : ما شيء عوين إلا بالغداء . جمع بين الفضيلتين! إذا كان هو واحد منهم لي ذكرهم الغزالي . . بايقول له : خذ وخلِّصنا منك ـ لٰكن هٰذا الإمام ، الدنيا والضيافة والمفاخر التي كان يتحلىٰ بها أهله الأبرار . . كان متحلياً بها .

قال له : ماشي عوين إلا بعد ما تتغَدَّىٰ معنا . وكان ينتظر أن يعطيه شلن إلىٰ خمسة شلن ، عادة من يعطي إلاَّ من هٰذا النوع . والخمسة كبيرة علىٰ الناس .

فلما تغَدَّىٰ . . قال : هَيَّا عم جعفر ، فُكْ عَلَيّْ[1] .

قال له : اجلس خذ لك شاهي .

---

(١) فك علي : أي ائذن لي .

قال له : معادنا محتاج للشاهي ، بغيت باتخلَّص أنا . بايقوم في سبيله .

قال له : اقعد للشاهي . فلما جلس ـ وكان مستعجلاً بغىٰ الخلاص ـ وشرب الشاهي . . أخذ من جيبه الذي فيه مال الله الذي لا يفنىٰ ، وأخذ ربطة فأعطاه إياها .

قال له : لمن هـٰذه يا عم جعفر ؟

ربطة ربما فيها خمسين ، أو مئة ، أو مئة وخمسين !

قال له : لك .

فأعاد عليه القول ، ما أحد يعطيه مثل هـٰذا العطاء !

لمن يا عم جعفر ؟

قال له : لك يا ولدي .

قال له : لي أنا هـٰذه ؟ !

قال له : لك .

قال له : لي كلها ؟

قال له : لك .

قال له : والله ، معاد عَبَرْت عند أحد في السوق .

خلاص يكفيه . أذكرتنا هـٰذه القضية بقضية للحبيب محمد بن طاهر الحداد[1] ـ سيد الكرماء ، إمام آخر من كبار الكرماء ، قريب العهد .

---

(١) وفاته (١٣١٤هـ) .

جاء إليه سيد من آل مقيبل بدوي ، وبعد ما جاء إلىٰ عنده . . بغىٰ منه نصف ريال فرانصه « فرنسي » ، وإلا . . ربع ريال . جلس عنده ، فقال له : اجلس تغد معنا .

قال له : لا ، أنا مستعجل .

قال له : ماشي فَكَّة[1] ، قعد للغداء .

تغدَّىٰ هو وإياه ، بعد أن تغدَّىٰ . . قال له : عادك تَعَشّْ .

قال له : فُكّْ عَلَيّْ أنا بغيت بَأَنْدُر ، با أترزق الله .

قال : ماشي إلا بالعشاء .

وأخذ معه هـٰذا السيد ثلاث أيام ، ولما انتهت الثلاث الأيام . . قال له : باتخلِّصنا يا عم محمد وأهلي من ورائي هناك ، وأنا باترزق الله ، قابضنا لِلُّقمة حقك .

قال له : باخلصك اليوم . ونادىٰ علىٰ عمي حسين جبريل بن حامد العطاس ، قال له : حسين!

قال : مرحباً .

قال : هات الدرج . أتىٰ له بالدرج ، قال له : كُبّْ الذي فيه في رداء السيد هـٰذا . كَبّْ الذي فيه في رداء السيد ، فإذا به ثلاثة وثمانين ريالاً . في ذلك الوقت . الذي الريال واحد فيه يكفي ستة أشهر .

قال له : لمن يا عم محمد ؟

قال له : هـٰذا السيد طاش عقله .

---

(١) فكه : رُخصة بالخروج .

رَدَّها عليه مرة أخرىٰ وثانية وثالثة ، قال له : لك .

سقط السيد صريعْ . نادىٰ علىٰ عمي حسين ، وقال لهم : تعالوا رُشُّوا السيد ونبهوه ، إن انتبه ورجع عليه حسه . . أعطوه إياها إذا قدهو في داره ، وإلا . . أعطوا زوجته .

شَلَّوْه علىٰ مثل هٰذا الحال . هٰؤلاء يعطون عطاء من لا يخشى الفقر ، اتكالاً بالخزانة التي هي مَلأىٰ بالأرزاق .

ومثلهم الشيخ ابن عربي ـ انظروا إلىٰ المقامات الكبرىٰ ـ كان من شأنه أنه : لما جاء من (الأندلس) إلىٰ (دمشق) أقبل عليه أهل (دمشق) وأقبل عليه سلطانها . ولما أقبل عليه سلطانها . . نزل له عن قصره وعرشه ، وقال له : هو لك .

قال له : أكرمك الله . فلما جلس في هٰذا القصر الذي أعطاه إياه سلطان (دمشق) خرج ذات يوم جلس علىٰ الدكة ـ يسمونها : « المصطبة » المتقدمون ـ ولما كان جالس علىٰ الدكة ، قال : إنه ذات مرة من المرات مر به سائل ـ وكانوا لا يردون السائل ؛ لأن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم (نهىٰ عن رد السائل) قال : « **ولو جاء علىٰ فرس** » ـ قال السائل للشيخ ابن عربي : أعطني عوين ؛ أي : مساعدة .

قال له : أما أنا ما شيء معي يا شيخ .

قال له : أعطني عوين . شافه قاعد تحت القصر الكبير .

قال له : أما أنا ما شيء معي يا شيخ .

قال له : أعطني عوين .

قال له : ما معي إلا القصر هـٰذا ، بغيت الحصن هـٰذا الذي معي ؟

قال له : لا تسخر بي يا شيخ .

قال له : أنا ما أسخر بك .

قال له : إذا ما تسخر بي . . قم اخرج منه .

خرج منه ، وقال له : اطلع الحصن ، والحصن تراه ملك لك ومنذور به لك .

طلع المسكين ، فانتشر الخبر في (دمشق) فأرسل سلطان (دمشق) إلىٰ المسكين ليسترد منه الحصن . بلغ الشيخ ابن عربي ، فأرسل للسلطان وقال له : بلغني أنك أرسلت إلىٰ السائل الذي أعطيته القصر حقك لتسترده منه ، وكأنه ما بلغك أن محمدْ صلىٰ الله عليه وآله وسلم يقول : « **العائد في صدقته كالعائد في قيئِهِ** » لا تعد ولا أعود إليه . اتركه له وخله يتصرف فيه بما شاء .

فوقف عنه السلطان ، وبنىٰ لابن عربي قصراً آخر منه .

هـٰؤلاء الذين كانت ثقتهم بالخزانة الإلـٰهية أوثق بما في يدهم ، وبما في جيوبهم وبما كان عندهم .

كان هـٰذا الإمام ـ الحبيب جعفر ـ علىٰ مثل هـٰذا الحال . وكان من الأخلاق ، وكان من التواضع ، وكان من الصدق مع

مولاه ، وكان من الاحتمال ما يراه الكثير ملآن بالأخلاق . ثم كان له دربة في السلوك وتعليم الناس طريقة السلوك ؛ لأن السيد أوتي موهبة الذكاء ، وموهبة الحفظ الدقيق ، كما قال لكم جبران : كانت له دربة ، يعرف يؤلف الناس ، يجمعهم علىٰ الثناء ، ويجمعهم علىٰ الكرم . وهٰكذا كان .

وموته كان ثلمةً في الإسلام ، وربما يطول الكلام في مثل هٰذا السيد وفي مثل هٰذه الأخلاق .

كان هٰذا السيد علىٰ مثل هٰذا الحال ، وكان من خبره : أنها تجتمع إليه الأرواح فيشعر بها الإنسان ويشعر بالسكينة .

وكان من خبره أنه : يتكلم ، يطلعه الله بالفراسة الصادقة التي قال فيها الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم : « **اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله** » .

ينظر إلىٰ كثير ممن يأتون إليه ، فربما يخبرهم بحاجاتهم قبل أن يتكلموا بها ، وربما يسألهم حاجاتهم قبل أن ينطقوا بها . وكان يجيب كلا علىٰ حدة بحاجته .

رحمه الله ونفعنا به ، وأعاد علينا من بركته . وأسأل الله أن يجعل قدوم روحه الزكية الطاهرة علىٰ مولاها وهي راضية وهي مرضية ، قدوم خير لأهل البرازخ ، وقدوم خير لأهل الدنيا ، وقدوم خير لأهل بلده ، وقدوم خير لأولاده ، وقدوم خير لحاشيته وأحبابه ، وقدوم خير علىٰ أهل لا إلٰه إلا الله أجمع ،

فيرفع الله عن أهل لا إلـٰه إلا الله كل عناء ، ويرفع الله عنهم كل بؤس ، ويرفع الله عنهم كل شدة ، ويرفع الله عنهم كل عذاب ، ويجيرهم من مكر كل ماكر ، ومن ظلم كل ظالم ، ومن عناء كل ذي عناء ، ومن جبروت كل ذي جبروت حتىٰ تصلح الأرض ومن عليها ، فيطمئن الناس إلىٰ إيمانهم ويرجع الناس إلىٰ مولاهم ، ويدخلون مع ربهم في أمان واطمئنان .

وأرجو أن يكون يوم موته ـ وغير يوم موته ـ شفاعة لهـٰذه الأمة من مغفرته العامة .

نسأل الله أن يغفر لنا ذنوبنا ، وأن يستر لنا عيوبنا ، وأن يجبرنا في مصيبتنا ، وأن يخلفنا خيراً منها ، وأن لا يغيب عنا روحه الشريفة . وأن يحسن الخلافة علىٰ تالينا ، وعلىٰ أوَّلنا ، وعلىٰ إخواننا وعلىٰ أصحابنا وعلىٰ محبينا ، وعلىٰ جميع أهل لا إلـٰه إلا الله ، حتىٰ يظهر علينا نور لا إلـٰه إلا الله ، ونطمئن ثقةً بلا إلـٰه إلا الله ، وندرك حقائق لا إلـٰه إلا الله ، فنرقىٰ في مراقيها واثقين بأن لا معبود إلا الله ، ولا مقصود إلا الله ، ولا مشهود إلا الله ، ولا موجود إلا الله .

ونسأله سبحانه بواسطة هـٰذه الروح الطاهرة أن يسبل علينا وعليكم جميعاً الستر ، وأن يضفي علينا وعليكم رداء العافية ، وأن يبلغنا وإياكم في دنيانا وأولادنا ما نؤمل ، وفي أخرانا ما نؤمل ، وفي عرصات القيامة يجمعنا بصاحب الشفاعة حتىٰ نشرب من حوضه ونَرِد مع الواردين ومع الكارعين ، ومع

الشاربين ومع الرائدين ، ولا يذودنا عنه ذنب ولا يذودنا عنه عيب ، ولا يذودنا عنه ذائد حتىٰ ندخل معه ونقعد معه في مقعد صدق .

وإلىٰ حضرة النبي محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

* * *

كلامه عن الصلاة وفضلها وفوائدها للإنسان أكثر من (١٢٠) فائدة وعن الحج وفضائله ومنافعه الكثيرة، والحج دائرة واسعة وعن فراسة المؤمن

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة القيمة في الروحة التي عقدها في منزله بـ (جدة) العم محسن بن علوي بن عبد الله السقاف ، مساء الجمعة الخامس من شهر الحجة من عام ستة وتسعين وثلاث مئة وألف هجرية ، الموافق السابع والعشرين من نوفمبر من عام ست وسبعين وتسع مئة وألف .

وكانت روحة عظيمة ، حضرها كثير ممن طلعوا للحج ذلك العام ، ومنهم : العم عبد القادر بن سالم الرُّوِش السقاف .

والعم أحمد بن علوي الحبشي .

والعم أحمد بن جعفر بن شيخ السقاف .

والعم محمد بن شيخ المساوى .

والعم حسن بن شيخان الحبشي .

وكثير من غيرهم .

وبدأت الروحة بقراءة في الفقه ، ثم تكلم العم عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمٰن بهٰذه الكلمة ، فبدأها عن الصلاة وأهميتها ومكانتها عند الله ، ثم تكلم عن الحج وما فيه من منافع للناس .

وقد استمر ـ حفظه الله ـ في كلامه مدة اثنتين وأربعين دقيقة .

قال سيدي ـ حفظه الله ـ :

كل واحد يجب عليه أن يسأل عن أخيه ، فيعرف صحته وسقمه ، وغناه وفقره ، وسفره وغير سفره . فإذا ما حضر ،

وكان يعتاد الحضور في المسجد . . سأل عنه .

ثم قالوا : رابطة الإخاء ؛ لأن كثرة الاجتماعات تعطي زيادة قوة .

ثم رابطة الولاء : إذا توالىٰ الناس علىٰ عمل واحد ـ قالوا ـ كانوا فيه إخوة ، وإذا كانوا فيه إخوة . . كان الرباط واحد فيما بينهم . هـٰذا بالنسبة للأعمال الظاهرة .

وبالنسبة للأعمال الباطنة التي ذكرها الله : الصلاة جعلها الله سبحانه وتعالىٰ أشطار : فشَطْر منها قسم عامة المؤمنين ، يدخل فيه المسيء في بركة المحسن . ومَثَّلَ العلماء بذلك بأمثلة ، من تلك الأمثلة قالوا : الغزوة التي كان فيها رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم قل الزاد فيها علىٰ أصحابه ، فقال لهم : « **اجمعوا بقية ما معكم** » . فجمعوا ما معهم من سويق ومن تمر ومن طعام ومن أقراص ومن غير ذلك ، ولما جمعوا . . خلطه صلىٰ الله عليه وآله وسلم وبَرَّكَ عليه بيده الشريفة ، وقال لهم املؤوا مزاودكم . فملؤوا مزاودهم كلهم ، وبقي الشيء كله كأنه لم يُمَس شيء قط .

قالوا : وفي ذلك دلالة علىٰ أن الصلاة التي تقام في المسجد جماعة أفضل ؛ لأنه كم من واحد صالح فيها تكون صلاته مع الله سبحانه وتعالىٰ وعند الله بمكانة ؟ فتأتي مع الصلاة الثانية ،

وتكون فيها داعية الاجتماع قبول ؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ لا يترك الناس بعضهم لبعض ، هو دعاهم لهٰذه المائدة ، هو دعاهم لهٰذا الاجتماع ، هو دعاهم لهٰذا الخير ، هو دعاهم لهٰذه البركة . ومن وراء هٰذه البركة ـ قالوا ـ إن الصلاة جعلها المولىٰ سبحانه وتعالىٰ أولاً وسيلة للعبد إذا أراد أن يلجأ إلىٰ ربه ، وكأن الله سبحانه وتعالىٰ قال له : وقت لجوئك في الصلاة . نَبَّهَنا علىٰ ذلك بحكاية زكريا ، لما أراد زكريا الولد ، ورأىٰ مريم ، ورأىٰ من عجائب خوارق العادة ، التي انخرقت لها وهي بنت صغيرة . . طمع زكريا في أن يأتيه ولد ، قال : إن الله ليس بأصم حتىٰ لا أدعوه ، وإن الله ليس يغلق بابه دون أحد . فدعا ربه .

حكىٰ الله ، قال : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۝٣٨ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ ﴾ . دلالة علىٰ أن أعظم أنواع الاستجابة في أوقات الصلاة وفي نَصِّ الصلاة .

ثم قال العلماء : إن الصلاة جعلها الله صلة فيما بين العبد وبين ربه ؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ جعل لكل ظاهر باطنْ ، وجعل ذلك الباطن ـ قالوا ـ أصلاً يتصل به بالعالم الأعلىٰ .

فباطن الصلاة هٰذا : تَنَزُّل المولىٰ سبحانه وتعالىٰ ، وإنزاله من الحضرة العلية علىٰ عبده بما يطلبه وبما لا يطلبه ، تنفتح له

أنواع من المطالب وأشياء من الغيبيات التي كانت لا تنفتح إلا لمن فتح قلبه للصلاة ، وجعل تلك الصلاة ـ قالوا ـ حاضراً فيها القلب ، نائباً فيها في تلك الحضرة عن من ؟ نائباً فيها عمن دعاه لإقامة الصلاة ؛ وهو السيد الكبير صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

وكان ينبغي أن يكون الإنسان إذا قام في مقام من هو أكبر منه . . ينبغي له أن يعظِّم ذلك المكان ، أن يكرِّم ذلك المكان ، أن يقدس ذلك المكان .

ذا الحين ، نحن إذا مات واحد من الظاهرين ، وأقاموا بدله واحد ثاني . . يحتفلون بكرسيه ، ويحتفلون بمقامه ، ويحتفلون بهيبته ، ويحتفلون بهيئته ، ويحافظون علىٰ أصل المقام هٰذا ، وهو المنصب . المنصب ، المنصب ، المنصب ويُحتَرَم . هٰذا إلا فرع من الفروع التي نالت شيءْ من الحضرة المحمدية ، نال قليلْ بالنسبة هٰذا الولي أو العالم أو الصالح .

فإذا أقام الإنسان نفسه في ذلك المقام . . كان ينبغي له أن يعظم المقام أولاً ، كان ينبغي له أن يقدس المقام أولاً ، كان ينبغي له أن يقدس من دعاه إلىٰ هٰذه الحضرة ، كان ينبغي له أن يكرِّم ذلك ، كان ينبغي له أن يُكْبِر ذلك ، كان ينبغي له أن يشرِّف ذلك . فإذا أعطاه حقه من الشرف . . كان من لازم ذلك الإعطاء تنزل السكينة ، وإذا نزلت السكينة ـ قالوا ـ حصل الاتصال فيما بين العبد وبين ربه ، انفتح القلب ودخل فيه النور ، وإذا دخل فيه شعاع النور . . جاءت الإلهامات الكبيرة العظيمة التي لا تزال

تتنزل علىٰ الأولياء ؛ لأن الأولياء كانوا نواباً عن الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، وعلىٰ قدر استعداد كل واحد ممن ناب وعمل فيما ناب به ، ناله نصيب من ذلك الاستعداد .

ومن كان استعداده أكمل . . كان نصيبه لا زال أشمل ، وكان نصيبه أعظم .

ثم هـٰذا العطاء الذي إذا لاحظ الإنسان تنزله . . يلاحظ أولاً كيف كان في الأنبياء .

كان عطاء الأنبياء والمرسلين ـ إذا لاحظنا نحن ـ كل واحد أعطاه الله أولاً نصيب من المعجزات التي ما أعطاها غيره من النبي الذي قبله ، دلالة علىٰ أن عطاياه تتنوع سبحانه وتعالىٰ ، وعلىٰ أنها تتنزل ، وعلىٰ أنها لا تقف دون حد .

ثم ذلك العطاء ـ قالوا ـ يكون من وراه إفهامات قد يؤمر بها النبي وقد لا يؤمر بها النبي .

كذلك الولي تتنزل عليه تنزلات كبيرة ، قد يكون في استعداد صدره أن يتكلم بها ، وقد يكون في استعداده أن تظهر له نتيجة يتكلم عنها .

هـٰؤلاء الذين يتكلمون عن شيء من أمور الغيب ، من أين أخذوه ؟ أخذوه عن محمد .

محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم هـٰذا الذي جاءنا بالعلم

الظاهر ، ودلنا بدلالات علىٰ علم الغيب . إذا سار الإنسان في تلك الدلالة . . انفتح له كوة بقَدْر نصيبه .

وعلم الغيب هـٰذا حكاه الله لنا ، قال : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ دلنا علىٰ أن العلم وسيلة ، ثم دلنا علىٰ أنه يشاء لمن أراد ، ومن أراد . . يعطيه نصيبٌ منه ، والنصيب بين قليل وكثير .

ثم دلنا علىٰ أن الكثير من ذلك العلم الذي يُعْطِي هو قليل ؛ لأنه قال : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ دلالة علىٰ أن ذلك قليل .

ثم قال في آيات أخرىٰ ، في آيات الشفاعة وتلك لها صلة بالقدس الأعلىٰ : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ . وقال لنا في كثير من الآيات التي فيها دلالة علىٰ ذلك .

وهـٰذه لا تُنال ـ شُفوها ـ إلا إذا عرف الإنسان أنه قام في مقام محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، وعظم ذلك المقام تكرمة لمن أقامه ، هو نفسه ما يقدر علىٰ شيء ، ما يُلْهَم شيءٌ إلا إذا عظَّم ، إلا إذا قدَّس ، إلا إذا كَبَّر ، إلا إذا أَجَلَّ هـٰذه النعمة ، وأعطاها حقها . . ظهر له شيء منها .

وأما هو نفسه ، قالوا : الإنسان مقرطس لا يدرك شيء . لـٰكن الفتحات التي تأتيه والكوات والثقوب التي تنفتح له إنما تنفتح له بواسطة الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، وبواسطة التعظيم .

هٰذا نوع من أنواع الصلاة ، ومن وراء ذلك النوع أنواع أخرىٰ . قالوا : تلك الأنواع أعطانا صورة عنها الشارع صلىٰ الله عليه وآله وسلم لا تُدرَك إلا بمثال ، ذلك المثال ـ قالوا ـ :

إن الإمام الغزالي ـ عليه الرحمة ـ سئل عن الصلاة ، فقال : الصلاة هٰذه نعرف أن الله فرضها فريضة ، وذكرها في محكم آيِه ، في كثير من آيات كتابه : ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ في كثير من الآيات . لٰكن هل لنا أن نطلع علىٰ معنىٰ من تلك المعاني ـ التي ذُكِرت في الصلاة نَعرف به شيءْ من مقاييس الصلاة ؟

قال لنا الغزالي : نعم . ذلك لا يُعرَف إلا بمثال ، ذلك المثال : أن أحد الأغنياء كان له ولد ، وأن ذلك الغني بنىٰ بيت في رأس الجبل وسَوَّره ، وجعل عليه حديقة ، واعتنىٰ بشجرة قدام البيت ، كان يعتني بتنقيتها ، كان يعتني بحقلها ، كان يعتني بتنظيفها ، كان يعتني بإقامتها .

فلما قربت وفاته . . استدعىٰ ولده ، قال : يا ولدي .

قال : لبيك .

قال له : تراني معتني بهٰذه الشجرة ؟

قال له : نعم ، أنت معتني بهٰذه الشجرة .

قال له : إذا أنا مُتّ . . فلا تترك عنايتك بهٰذه الشجرة ، اعتن بهٰذه الشجرة كما ما رأيتنا معتني بها .

قال له : إن شاء الله .

فقدر الله أنه لما توفي الأب . . جاء الولد واعتنى بالشجرة هـٰذه ، ولما اعتنىٰ بالشجرة هـٰذه ، واعتنىٰ بتنقيتها ، واعتنىٰ بتنظيفها سنة . . ظهرت له في أيام زهور أخرىٰ ذات روائح طيبة ، فلما ظهرت له هـٰذه الزهور ذات الروائح الطيبة ، قال : إنه اعتقد الولد أن المقصود من رعاية الشجرة الرائحة الطيبة ، فاقتنىٰ أشجارْ علىٰ حافة بيته كثيرة ذوات روائح طيبة ، ولما كبرت الأشجار وأزهرت . . ضاقت ساحة البيت عن الشجرة ، فقطع الشجرة القديمة ، ولما قطع الشجرة القديمة بعد برهة من الزمن . . لسعته حية ، فاستدعَوْا له الحكيم ، ولما حضر الحكيم . . جاء وقال لهم : هل عندكم الشجرة الفلانية ؟

قالوا له : لا ، ما عندنا الشجرة الفلانية ، كانت عندنا ولـٰكننا قطعناها .

قال لهم : هـٰذه فيها دواء لسع الحيات ، وفيها دواء للسم الذي يأتي من الحيات .

قال الغزالي : لما كان الوالد يعرف ما يعرفه الحكيم . . اعتنىٰ بالشجرة ، والولد لا يعرف هـٰذا .

عاده ما وصل إلىٰ رتبة العلم الذي يوصّله إلىٰ معرفة الحقيقة بعناية الشجرة ، وكان يعتقد أنْ الشجرة المقصود منها الرائحة فقط ، كما نعتقد نحن أننا مأمورين بالصلاة فأقمناها ؛ لأن

الصلاة باب يدخل منه العبد إلىٰ حضرة واسعة إذا أعطاها حقها ، ولن يعطيها حقها ، لـٰكنه إذا فتح له باب الاستكانة وباب التواضع وباب التعظيم للآمر بها . . يدخل من ذلك الباب ، وفي ذلك يرىٰ عجائب من ورائه أبواب تنفتح له فتظهر له عجائب ، وتظهر له عجائب ، وتظهر له عجائب ، وتُفتَح له من المغَيَّبات ومن العلوم ما لا يفهمه ولا يدركه بهـٰذا .

قالوا : الأمر بالصلاة . ليست الصلاة للأمر فقط ، وليست الصلاة كما يعتقد الناس اليوم أنه إذا صلىٰ الواحد قالوا له : صليت ؟ قال : نعم تخارجنا!

هو المولىٰ ـ كما قال لكم مساوَىٰ ـ هو له مصلحة ، هو محتاج من صلاة مصلي ، تَرِد عليه بفائدة ، تَرِد عليه بعائدة ، تَرِد عليه بشيء يطلِّع ربحْ . ما يستثمر المولىٰ من صلاة مصلي ، ولا من عمل عامل ، ولا من خِيرْ خَيِّرْ ، ولا من حركة ذي حركة قط .

لـٰكن العبد نفسه يستثمر الصلاة ، ويستثمر من وراء الصلاة أمر المولىٰ سبحانه وتعالىٰ ، ويستثمر من ذلك الأمر الطريق التي تأتيه بواسطة القائم بالصلاة ، والآمر بها ، وهو محمد سيد الأولين والآخِرين عليه الصلاة والسلام . يدخل من ذلك الباب إلىٰ أبواب تتفتح له ، فتظهر له .

ليست برياضة ـ كما يعتقدها كثير من الناس ـ وإن كان في حركاتها شيء تعين الجسم .

الأخ محمد مساوى وأفاض عليكم هو والأخ محمد الشاطري من ذلك :

اجتماع الحج هـٰذا ـ قالوا ـ واحد من الاجتماعات التي ختم المولىٰ سبحانه وتعالىٰ بها عام الإنسان . لما كانت الأمة مرحومةً . . كانت الدعوة من سيد الأمة صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، وكانت الرعاية كبيرة . كانوا الناس كثيري الغشاوات ، كثيري الغفلة ، كثيري الأخطاء ، كثيري الأعمال التي ربما لا تُرضِي ، كثيري الركون إلىٰ الدنيا ، كثيري الاعتماد علىٰ النفس . . وما شاكل ذلك . والبشرية تقتضي ذلك ؛ لأن أكثر الناس ـ قالوا ـ عامة ، إلا من هداه الله بنور العلم ، أو لجأ إلى شيخ من المصلين ، يرىٰ صلاته ويعمل ، فالعمل هو علم ـ ويستدل منه ـ قالوا : جعل المولىٰ نفحات رحمة بهم من أجل نبيهم الذي أُرسِل رحمة ، الذي قال له الله : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ كلمة العالمين كلهم ، بما فيها الأشجار ، بما فيها السمـٰوات ، بما فيها الأفلاك ، بما فيها الملائكة .

فالأمة التي تنتسب إليه رحمتها ـ قالوا ـ أكثر ، لو خصصت لها تسعة وتسعين من هـٰذه الرحمة . . كانت مستعدة لها ؛ لأن مُقَدَّمها محمد .

هـٰذه إنما كانت كلها تلجأ إلىٰ محمد صلوات الله وسلامه عليه لأجل تلك الرحمة .

قالوا : كانت هـٰذه الرحمة تتناوب الأمة في الصلوات

الخمس ؛ لأن الصلوات الخمس ـ قالوا ـ جعلها النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم مثل النهر : « **لو أن علىٰ باب أحدكم نهراً يغتسل فيه كل يوم خمس مرات . . هل يبقي ذلك من درنه شيئاً ؟** » هٰذا مثال محسوس . لو كان الإنسان يغتسل كل يوم خمس مرات . . هل يبقىٰ عليه وسخ في جسمه ؟ لا ، ما يبقىٰ عليه وسخ في جسمه . مَثَّله النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم بالصلاة ، إذا كان يصلي خمس مرات ـ قالوا ـ لن يبقىٰ عليه شيء .

ثم من وراء هٰذا حكىٰ لنا ، قال : ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ وفسَّر الشارع كبريات الحسنات في الصلاة .

ثم قال في الحديث الثاني : « **الصلاة إلىٰ الصلاة كفارة لما بينهما إذا اجتنبت الكبائر** » . في هٰذا الحديث ضمان من محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، وهو لا ينطق عن الهوىٰ . فإذا صلىٰ الإنسان الصبح وصلىٰ الظهر . . كانت صلاة الظهر مكفرة لما بينها وبين صلاة الصبح .

الصلاة إلىٰ الصلاة مكفرة لما بينهما ، والجمعة إلىٰ الجمعة مكفرة لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر ، ورمضان إلىٰ رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر . هٰذا من يتكلم به ؟ يتكلم به واحد كلامه يزيد ويقصر ؟! يتكلم به سيد البشر ، يتكلم به من قال فيه المولىٰ : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ . ضمان أعطاكم إياه إذا بَعُدْتَ من الكبائر .

ثم قال لنا في الحج ، قال : « **الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة** » .

« **من حج ولم يرفث ولم يفسق . . خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه** » .

« **الحج يكفر الصغائر التي قبله ، الحج يَجُبُّ ما قبله** » .

أحاديث كثيرة أوردها لنا الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم فسَّرَتْ المنافع أو بعض المنافع التي حكىٰ لنا المولىٰ بها ، وقال : ﴿ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ ﴾ .

من تلك المنافع : التعرف بالعلماء ، التعرف بالأولياء ، التعرف بأهل الفضل ، السعي من وراء الرزق ، التعرف بناس معهم عقول ، ربما كانت أكبر من عقلك ، عندهم آراء ربما كانت أكبر من رأيك ، التعرف بالأرواح السابقة التي كانت في علم الله .

ربما يحضر هـٰذا الحج فيأنس الغريب بغريبه وهو من أقصىٰ البلاد ، والثاني من أقصاها الثاني ، فإذا لقيه . . عرفه واطمأن إليه ، وحصلت فيما بينه وبينه ألفة ، حصلت فيما بينه وبينه صداقة ، حصلت فيما بينه وبينه محبة ، حصل فيما بينه وبينه تعارف . من أين هـٰذا التعارف ؟

من أين هـٰذا التآلف ؟ نبَّهَنا عليه الشارع وقال في هـٰذه الأرواح : هي جنود مجندة ، ما تعارف منها في ذلك اليوم ، في يوم ﴿ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ ﴾ قالوا : ائتلف في هـٰذا اليوم الذي يجتمع فيه

صاحبه بصاحبه . وإذا ائتلف صاحبه بصاحبه ، واتحدت الروح بالروح . . ربما قضىٰ عليه دَينْ ، ربما كفاه مغرَمْ ، ربما آتاه مالْ ، ربما استفاد منه علم ، ربما آواه ، ربما أصابته منه دعوة ، ربما أصابته منه بركة ، ربما أصابته منه رحمة ، ربما فهم منه معنىٰ آية ، ربما فهم منه معنىٰ حديث ، ربما انتفع به ، ربما جاء به إلىٰ بلده ليدعو ، أو ليعلِّم ، أو ليقدِّم أو ليقوم ، أو ليعمل بأي شيء .

دلالة علىٰ ماذا ؟ دلالة علىٰ أن هـٰذا الاجتماع فيه هـٰذه الناحية من نواحي المنافع . ثم من وراء ذلك يرىٰ الإنسان الصالح فيتأثر له ، يسمع الدعوة فيتأثر لها ، يسمع الداعي فيتأثر ، يسمع الواعظ فيتأثر ، يسمع الخطيب فيستفيد ، يسمع الآية ـ وكان يقرؤها ـ فتقرع سمعه في ذلك الموقف .

ثم يحضر يرى الناس كلهم مقبلين علىٰ مولىً واحد ، شُعْثاً غُبْراً ، آوين إلى الله ، راجعين إلىٰ الله ، متضرعين إلىٰ الله ، لاجئين إلىٰ الله .

كيف لا يحصل منه شيء ؟ دلالة علىٰ أن هناك منفعة أخرىٰ .

هـٰذه إلا ظاهر المنافع .

وباطن المنافع :

كل واحد محتاج إلىٰ أخيه دائماً ، الناس كأسنان المشط ، لا فضل لأحد إلا بالتقوىٰ ، إلا بالعلم ، إلا بالعمل ، إلا بالإيمان ، إلا بالسيادة ، إلا بالكفاءة ، إلا بالأفضلية . . يستفيد منه الإنسان دلالة علىٰ المنافع .

هٰذا نوع من المنافع .

وإذا اتصل العبد بربه ففتح له قلبه وأشهده من مغيَّباته شيء . . أليست من كبريات المنافع ؟!

أليست من عظامها ؟! أليست مما لا يتوهمه الإنسان ؟!

هٰذا شيء يعبِّر عنه اللسان ، وربما من وراء ذلك أشياء لا يعبر عنها اللسان .

قالوا : لأن الحج دائرة واسعة ، تجتمع فيها دوائر أهل (لا إلٰه إلا الله) علىٰ اختلاف متنوعاتهم ، علىٰ اختلاف اتساعاتهم ، علىٰ اختلاف مشاهدهم ، علىٰ اختلاف مشاربهم ، علىٰ اختلاف ما عندهم ، علىٰ اختلاف ما يفهم ، علىٰ اختلاف ما يعطىٰ ، علىٰ اختلاف ما يذوق ، علىٰ اختلاف ما يقرأ ، علىٰ اختلاف ما يستفيد ، علىٰ اختلاف ما يفيد ، علىٰ اختلاف ما يخشاه ، علىٰ اختلاف ما يختشى . . فيستفيد من ذلك .

يرىٰ أشكال الناس ، يرىٰ في وجوه الناس . والوجوه هٰذه طلاسم تُقرأ ، كل واحد يعرف الصالح ، ويعرف الصديق ، ويعرف العدو ، ويعرف الخصم ، ويعرف الليِّن ويعرف الشديد ، ويعرف ذي المزاج الحار ، ويعرف ذي المزاج اللين . حينما يشاهده في وجهه إذا جاء . . قال : هٰذا وجهه وجه صالح ، الثاني قال لك : ذا يظهر أنه قَبْسَة[1] . والثالث قال لك : ذا يظهر فيه شدة .

---

(١) قبسة : أي سريع الغضب .

كله يقرؤه في وجهه بلا تعب ، هـٰذا من العلم المخفي ، هـٰذا من العلم المطلسم الذي أعطيه الناس ؛ لأن ما هناك دلالة .

لو قيل له : عرفته بماذا ؟ بلا شيء . إنما قَبْله عينين براقتين ، وقبله جبين ، وقبله فم ، وقبله لسان . لـٰكن الوجه يعطي ما في الباطن ، فيأخذ الإنسان بقَدْره ما يعطيه .

هـٰذا بالنسبة لعامة أهل (لا إلـٰه إلا الله) . أما خواصهم . . فقد قال لكم نبيكم : « **اتقوا فراسة المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور الله** » . يتكلم عن مغيَّب عن القلب فيخبر عنه ، فيستفيد الإنسان من ذلك الكلام معرفة علم الباطن ، ويخرج من ذلك العلم بيقين منه ، بمعرفة بنتيجة منه ، بدلالة منه ، بخير منه . مثل هـٰذا الاجتماع .

هـٰذا قبل اجتماع الحج ، وقبل اجتماع عرفات جاءنا علي بن شيخ بلفقيه من (أبو ظبي) جاءنا أحمد بن حسين السقاف من (مقاديشو) جاءنا محمد مساوىٰ من (حضرموت) جاءنا باحبيشي من (مصر) جاءنا فلان من مكان الفلاني . ناس كنا نتوهم عنهم ، جاؤونا ، طال ما انتظرناهم ، وطال ما تشوقنا لهم . عرفناهم ، وعرفنا من لم نعرف .

كم مَن نلقىٰ ؟ قد مرت معنا مجالس كثيرة . كنا أمس عند الحبيب حسن فدعق ، رأينا الشاميين عددْ منهم ، رأينا المصريين عددْ منهم ، رأينا الليبيين عددْ منهم ، رأينا الإرتريين عددْ منهم .

كلهم هٰؤلاء وجدنا فيهم الصالح ، وجدنا فيهم الخيِّر ، ووجدنا فيهم المقبول ، وجدنا فيهم من جاء إلىٰ الله بهمة . هٰذا إلا نوع خفيف تستدلون به علىٰ ما وراء ذلك من أنواع المنافع .

المسألة الكبرىٰ ، قالوا : إن الاجتماع هٰذا لما ضمن النبي صلوات الله وسلامه عليه فيه قبول الدعاء ، فقال : « **من وقف بعرفات فظن أن لن يُغفَر له . . فهو محروم** » . قالوا : أتدرون لماذا ؟

قالوا العلماء الاثنا عشر مسألةً ، المسألة الكبرىٰ من ذلك : أن الله يتجلىٰ في ذلك اليوم ، بما لا يتجلىٰ فيه في غيره . ومتىٰ تجلىٰ المولىٰ سبحانه وتعالىٰ . . عاد المولىٰ يحاسب مثل ما نحاسب بعضنا البعض ، كالقائل : هٰذا إلا يبغضنا ، هٰذا إلا مقصِّر في ، هٰذا إلا ما يعزمنا ، هٰذا إلا ما يكلمنا ، هٰذا إلا ما يعطينا . . المولىٰ ما هو كمانا طبيعته شيء فيه من هٰذه الطبائع . مائدة كبيرة مبسوطة في عرفات ، يلجأ إليها الناس في ذلك اليوم .

الرجوع إلىٰ من ؟

يلجأ إلىٰ من ؟

إلىٰ أي فريق ؟

إلىٰ أي نفر ؟

إلىٰ أي أحد ؟

اللجوء إلىٰ الله ، الرجوع إلىٰ الله .

والمولىٰ سبحانه وتعالىٰ جمع الناس في هـٰذا المجمع الرحب لهـٰذا فإذا جاء الإنسان بهمة قوية ـ أو قالوا : لم تكن همة فعالة ـ والله مطلع قده علىٰ السرائر ، هجس به ضميره ، أو تكلم به لسانه ، لا يحتاج في ذلك إلىٰ اطلاع ، ولا يحتاج إلىٰ رفع صوت : أربعوا[1] علىٰ أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ، ولا تدعون غائبْ ، ولا تدعون أعمىٰ . تدعون واحد يشاهدكم ويسمعكم ، ويعلم خائنة العين ، ويعلم ما في الضمير ﴿ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ معاد يحتاج إلىٰ شيء قط أبداً .

يطَّلع هو سبحانه وتعالىٰ عليه فيعطى على قدر ذلك .

ثم قالوا : إن الرجوع إلىٰ الله في ذلك اليوم ـ قالوا ـ فيه دلالة علىٰ الاستكانة .

ما هي الاستكانة ؟ الخضوع لله سبحانه وتعالىٰ .

ثم قالوا : من وراء ذلك أنها دعوة ، عزيمة التي عزمكم إليها ربكم سبحانه وتعالىٰ ؛ كما ما تحضرون في الدعوات التي تدعون فيها للضيافة والتي تدعون فيها للولائم ، والتي تدعون فيها لمثل ذلك . هـٰذه دعوة .

جاءكم إبراهيم علىٰ لسان مولاه بأمر وإذن قال له : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ﴾ . أمر منه سبحانه وتعالىٰ ﴿ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا﴾ إلىٰ أن قال : ﴿ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ۝٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾ .

---

(١) أربعوا: أي خففوا .

ثم قالوا : كانت الدعوة إلىٰ أين ؟

كانت الدعوة إلىٰ بيته . هٰذا البيت التي تؤمه فجاج الناس بقلوبها ووجوهها ، من كل فج ، من كل ناحية يَصِلُون إليه من (حضرموت) يصلون إليه من (اليمن) يصلون إليه من (الشام) يصلون إليه من (مصر) يصلون إليه من (ليبيا) يصلون إليه من (الهند) يصلون إليه من (أندونيسيا) .

ذلك البيت الذي تؤمه القلوب كلها ، فإذا حضرت نفس تلك القلوب ، وجاءت إليه . وهو منتسب إلىٰ من . . هٰذا البيت حد يملكه ؟ الملك لله سبحانه وتعالىٰ .

هٰذا بيته شرفه الله سبحانه وتعالىٰ ، قالوا : وفيه دلالة علىٰ أفضليته ، وعلىٰ شرفه : أن الناس مع عظم هٰذا البيت تتجه بعيونها البراقة التي تشغل الإنسان عن أي نوع يشغله .

لو شاهدنا قصر من القصور لغني أو لأمير ، أو لشريف أو لمشروف . . التفتت إليه العين ، واتجه إليه القلب ، وقال الإنسان : هٰذا القصر عجيب ، أو : هٰذا القصر أعجوبة ، أو : هٰذا القصر أنيق . لٰكنك ضعه عند بيت الله الحرام . البناء هٰذا الذي هو من حجارة مغطى بخرقة ، تلتفت العيون والقلوب والقوالب إلىٰ هٰذا البيت ، قدامه وعن أجنحته ، وعن يمينه وعن يساره الفنادق ، والبيوت والعمائر المزركشة هٰذه ، والملونة والمهيَّأَة والعظيمة ، هل تلتفت العيون والقلوب إليها مثلما تلتفت إلىٰ هٰذا البيت العظيم لا يلتفت إليها أحد ؟ !

هل تقف الناس أمامها معجبة بها مثلما تقف معجبة أمام هٰذا البيت العظيم ؟! أو تحس بقشعريرة عندما يقف الإنسان بالملتزم ، أو يقبض علىٰ الحجر الأسود ، وقد سماه النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم علىٰ لسان مولاه : « **يمين الله في أرضه** » . من قَبَّله أو وضع يده ـ أخبرنا الصادق المصدوق ـ كأنما قبل يمين الله ، أو كأنما وضع يده علىٰ يمين الله سبحانه وتعالىٰ ، بشهادة من لا ينطق عن الهوىٰ .

فكيف لا يتحرك قلب الأمة ؟!

فكيف لا يقشعر الإنسان عند هٰذا ؟!

فكيف لا يلتفت الإنسان ؟!

فكيف لا يستعذب الإنسان ؟!

فكيف لا يملأ هٰذا البيت صدر هٰذا الإنسان ؟!

ثم هو يعتقد كل الاعتقاد أنه إذا وقف وناجىٰ ربه واطلع عليه ربه من فوق سبع سمٰواته . . يشعر بضمان الاستجابة المحققة . ثم إذا جاء مع ازدحام الناس . . يرىٰ الباكي ، يبكي لمن ؟

يرىٰ الشاكي ، يشكي لمن ؟

صاحب الأنين يئن لمن ؟

يرىٰ صاحب الصوت الخفي ، يحرك صوته الخفي لمن ؟

كلهم يجأرون إلىٰ الله ، كلهم يرجعون إلىٰ الله ، أفلا

يرحمهم الله ؟ أفلا يدركهم الله ؟ أفلا يَشْرُف عليهم الله في تلك اللحظة ؟

هٰذه مآثر عظيمة ، هٰذه مشاعر كبيرة جعلها الله لعامة أهل لا إلٰه إلا الله . ومن جلس مع الله دائماً . كان دائماً في صفا ، كان دائماً في أنس ، كان دائماً في طاعة ، كان دائماً في غيبوبة ، كان دائماً في حضور ، كان دائماً مع المذكور ، كان دائماً في الملأ الأعلىٰ مشهورْ ، كان دائماً له حالة ترتفع عنها الستور ؛ لأنه مع الله دائماً ، لهٰذا تنكشف له ، لهٰذا تدعو له .

قال الشاعر في ناس وجدهم يبكون علىٰ رمضان ـ وهو كان من الصالحين ـ قال :

بكىٰ رمضانَ أقوامٌ وقالوا : مضىٰ شهر العبادة والغنائمْ
فقلت : دعوا البكاء فلو بقيتم علىٰ التقوىٰ بقي رمضان دائمْ

هٰؤلاء أهل التقوىٰ في رمضان مضىٰ عمرهم كله وهم في طاعة ، عمرهم كله وهم في هناء ، عمرهم كله وهم في صفاء . والحبيب أحمد بن زين الحبشي ، هٰذا الإمام الكبير ، ماذا كان يقول ؟

كان يقول : جلسة مع الصفاء ـ وهو يحكيها ـ جلسة مع الصفاء تكون للعبد مع الله سبحانه وتعالىٰ تكون له خير من سبعين حجة مقبولة . هٰذا إذا كان هناك صفاء ؛ لأنه إذا حصل الصفاء . . حصل الاتصال بالله سبحانه وتعالىٰ ، وإذا حصل الاتصال بالله سبحانه وتعالىٰ . . أثمر ذلك الاتصال ، أثمر النفع ،

أثمر قبول الدعاء ، أثمر الاستجابة ، أثمر المنازلة .

لهٰذا كان الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم قال للسيدة عائشة ، لما كان يَحْصُل له هٰذا الصفا في الصلاة ، كانت السيدة عائشة رحمته وأرادت أن ترأب صدعه ، وأشفقت عليه ، قالت له : أَوَ تصلي ـ أَوَ تفعل هٰـذا ـ وقد غُفِر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟

كان يصلي حتىٰ تورمت قدماه .

قال لها : « **أفلا أكون عبداً شكوراً ؟** » .

يستلذ كما يستلذ الواحد . ذا الحين عندكم إذا أدرك الإنسان فائدة المجلس . . استلذ به ، إذا أدرك فائدة التجارة المُتَّجِر . . استلذ بها .

ذا الحين هٰؤلاء أهل السوق عندنا في هٰذا البلد يخلطون الليل بالنهار . أهل (مكة) في هٰذه الأيام يستلذون ، معاد يشعر بتعب الليل وسهره ، وإن شعر بشيء من التعب . . أخذ لنفسه شيء من المنبهات تقوِّمه وتنشطه . ولما كانت اللذة موجودة عند الفائدة . . كان النوم هٰذا الذي يعين الجسد عنده لا يساوي شيءْ قط أبداً . ترك كل شيء ولعاد اعتنىٰ بالنوم ولا اهتم بالنوم .

هٰؤلاء كانوا يتذوقون المجلس ، كانوا يستشعرون بالوقوف مع الله . وكان الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم يقوم من الليل وقد غُفر له ، كما سمعتم الأحاديث التي لا تخفىٰ ، قال لعائشة : « **أفلا أكون عبداً شكوراً ؟** » .

قال العلماء : والشكر هـٰذا يقتضي أن يكون علىٰ قَدْر ما يتنزل حال ما يتنزل أو يعطاه الإنسان . الذي أُعطيه صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، يقتضي وجوب الشكر عليه ، كما أنه نحن الذي أُعطِيناه يقتضي وجوب الشكر علىٰ مقدار ما يعطينا . أُعطِينا كثيرْ بالنسبة ، وهل نحن سألنا ؟

وُجِد الإنسان في هـٰذه الحياة ، لما وجد في هـٰذه الحياة ، وأعطي الإدراك ، وأعطي النعمة ، وأعطي العقل ، وأعطي النمو . . كان هـٰذا ما أعطيه شيء سابقه طلبها من ربه ؟

حد دَعا له بها ؟

حد ضمن له بها ؟

هـٰذا إلاَّ المولىٰ سبحانه وتعالىٰ ضمن .

كلها نعم ، تتوالىٰ ، تتوارث ، تزيد ، لا تنقص ، لا تتبدل ، يجب علىٰ الإنسان أن يشكرها .

قالوا : أقل ما يكون على الإنسان : أن يحفظ سمعه ، يحفظ بصره ، يحفظ بطنه ، يحفظ فرجه ، يحفظ يده ، يحفظ قلبه . هـٰذا ـ قالوا ـ نصيب من الشكر ، إذا حفظهن مما لا ينبغي . . قالوا : دليل واحد من أدلة الشكر .

ومن أدلة الشكر : حينما يقول : « الحمد لله » يملأ قلبه قبل أن يمتلىء لسانه ، ثم يجعل لسانه ممتلئة بذلك . ثم إذا قال : لا إلـٰه إلا الله . . يستحضر في تلك اللحظة : لا معطي ولا معبود

ولا مقصود إلا هو سبحانه وتعالىٰ ، ويجعل الناس كلهم هباء قدامه .

وإلىٰ هنا ربما أنه يطول عليكم المجلس ، ومحسن[1] يمكن بغاكم تقومون ، وإن بغيت حد منهم المنشدين . . هنا موجودين ، بغيت حد ينشد منهم لأجل نصلي العشاء .

وأنشد العم محمد بن شيخ المساوى من « الهمزية » مبتدأً من البيت :

لا تقس بالنَّبِيِّ في الفضل خلقاً   فَهُوَ البحر والأنام عضاءُ

ثم أعقبه الأخ محمد بن عبد الله السقاف ، وأنشد :

إلىٰ طيبة وما في الكون بقعة غير طيبة   بها قلبي يطيب
إلىٰ الشباك والمحراب والروضة الرحيبة   ومسجدها الرحيب
منازل أنزل القرآن فيها   وروح القدس جبريل
يعود الحَيّ مَن كُتْبَت له العودهْ   وتيسير السبيل

وبعدها مُدَّت سفر الأكل وتعشىٰ الجميع في ضيافة العم محسن بن علوي السقاف ، وكانت ضيافة عظيمة . وبعدها صَلَّوا صلاة العشاء ، وخُتم الاجتماع بفاتحة الصلاة .

نفعنا الله بما سمعناه وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *

---

(١) أي : صاحب الدعوة .

العلامة أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب[1] متبحر في العلوم وله مؤلفات كثيرة وفيها ذكره والده الحبيب أحمد بن عبد الرحمن

> وتكلم سيدي ـ حفظه الله ، ونفعنا بكلامه، آمين ـ تكلم بهٰذه الكلمة في روحة الجمعة بتاريخ السادس عشر من شهر صفر ، عام سبعة وتسعين وثلاث مئة وألف هجرية ، الموافق اليوم الثاني من شهر فبراير من عام سبعة وسبعين وتسع مئة ميلادية . بمنزل الأخ سالم بن حسن السقاف ، عندما تحولت الروحة إلىٰ منزله مؤقتاً بسبب إصلاحات بمنزل العم طٰه بن محمد بن طٰه .
>
> وسبق هٰذه الكلمة قراءة في الفقه في كتاب الصلاة من « كتاب أبي شجاع » ثم أنشد العم أحمد بن حسين[2] قصيدة، ثم العم سالم خرد أنشد قصيدة للحبيب عبد الله حداد ، رحمهما الله .
>
> ثم بعد ذلك تكلم حبيبنا العم عبد القادر بن أحمد ـ حفظه الله ، آمين :

قال حفظه الله :

الإنسان عبارة عن إناء ، يصلح لأن يكون لشراب طيب أو لشراب فاسد ، ويصلح أن يكون لعمل خير أو لعمل غير خير ، ويصلح أن يكون هو طيب ويصلح أن لا يكون طيب .

فالسابقون أخذوا بالتعاليم النبوية يد بيد وواحدة بواحدة ، مع حرص كامل علىٰ أنهم خُلِقوا أفضل المخلوقات ، فأَعطَوا الأفضلية حقها ، وأعطوا الكرامة حقها .

---

(١) وفاته بالهند (١٢٦٢/ ١٣٤١هـ) .

(٢) الحبيب أحمد بن حسين بن محمد بن حسين السقاف توفي بجدة (١٤٠٢هـ) .

وكان في ذلك الوقت ، حتىٰ النساء كانت الواحدة إذا جاءها المولود . . تربيه ، وفي تلك التربية نفسها تُعَلِّق الأصل علىٰ أن يكون بمثابة فلان العالم ، أو خليفة عن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، أو شيخ هـٰذه البلدة ، أو شيخ العلماء . تعلق الآمال ثم هي تطلبها من مولاها ، والمولىٰ هو يعين علىٰ هـٰذا إذا اتجه إليه الإنسان بالدعاء والتربية الحقة والدعاء كانا متلازمين فسارا معاً .

فُقِدت هـٰذه ذا الحين كلها . الواحد ذا الحين مننا ما وَجَد التربية حتىٰ يربي ؛ لأننا ذا الحين ما أنفقنا إلا علىٰ الدنيا ، ما أنفقنا علىٰ الآخرة . يفتح الإنسان عينيه من بطن أمه ، أولاً فلا يجد شيء من اللذائذ الروحية قط ، يتدرج يتدرج ، يتدرج ، ثم يعيش علىٰ هـٰذا .

هـٰؤلاء الذين ربتهم أمهاتهم قبلنا ربوهم علىٰ لا إلـٰه إلا الله . يربوهم علىٰ ما كان عليه مَن قبلهم ، يخوفونهم من المعصية ، يخوفونهم من الكلمة النابية ، يخوفونهم من النظر إلىٰ المألوفات والمستحسنات هـٰذه ، فيطلع الولد أو البنت من أول أمره من صباه وهو قده حامل له راية الحفظ من الشيطان ؛ لأنه قده مشىٰ في الطريق من أول قدم . هـٰذا ذهب عنا كله!

هـٰذا الإمام الحداد . . الذي سمعتوا قصيدته ـ كلكم مجمعين علىٰ أنه سيد العلماء ، وأعطي من الذكاء والفطنة والفهم والقدرة ، لـٰكنه مع هـٰذا يتطلب الدعاء ممن يجده من صالحي هـٰذه الأمة .

أنا كثيرْ ما أذكر لكم ـ وهو يحكيها ـ عن واحد اسمه عبد الرحمـٰن بن شيخ عيديد . كان أُمِّيْ وكان سليم البال ولكنه مربوط بالسر ، يطلَع الإمام الحداد صاحب العلم الغزير فيزوره .

وكان هـٰذا لصفاء قلبه يلاحظ في الإمام الحداد ملاحظات غيبية ، ويسميه مع شبابه ، ويقول له : شيخ الجماعة .

وهـٰذا هل تعرفون سببه ؟

سببه : أن أمه نوت نيات ، والده علوي بن محمد الحداد .

هـٰذا ما كان من أهل العلم الواسعين هـٰؤلاء وأهل الظهور ، هو من أهل الولاية ، معروف بالسر وبالولاية ، وكانت له أعمال هو ذكرها الإمام الحداد وحدث بها . لـٰكن الأم هـٰذه كان لها نظر في أن يكون شيخ إن حملت بولد من علوي بن محمد الحداد . هـٰذا كان اعتقادها وأملها الكبيرين . وهي تطلب ممن ؟ تطلب من الله . فقدَّر الله أن حصل لها ذلك ، وحملت فولدت بالولد هـٰذا .

حرصت كل الحرص أن تربيه التربية الكاملة النزيهة الطيبة ، حتىٰ يجيب الله دعاها فيه ويتحسن ظنها ويتحقق . كان من شأنها تحرص عليه قالوا من واحد من أخواله كانت فيه رائحة جذب فقدر الله أن دخل عليه وألقىٰ عليه بيده عطر وأمه غير موجودة وهو مصاب بالجدري هـٰذا ، فكُفَّ بصره ، فتغيرت أمه لأنها كانت تعلق الأمل عليه . ولـٰكن الأمل هـٰذا ما دام معلق ومربوط بدعاء من قلب صحيح ودعاء إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ الذي لا يخيِّب من رجاه . أوقع الله في قلبها أنها تخرج به إلىٰ عند ضريح

العيدروس . وضريح العيدروس مبارك . لأن العيدروس من كبار الرجال الذين أعطاهم الله من الولاية الكبرىٰ ما لا يَقْدَرْه الإنسان ولا يُدرِكه إلا من وصل إلىٰ درجة من درجات الولاية يعرف شيءْ من هـٰذا .

خرجت به وهي علىٰ هـٰذا الأمل بعد ما حكوا لنا الشيوخ القصة . تدرج هـٰذا الولد في التربية ، وهي تَرَبِّيْه أولاً .

ربته أولاً عن البعد عن سفاسف الأمور .

ربته أولاً علىٰ التدريج الذي كان آل (حضرموت) يربون عليه : بالذكر الحسن ، ولا إلـٰه إلا الله ، والتخويف من الدنيا والتحذير منها والبعد .

ذلك لأنها موكولة دواعي البشرية إليها كلها .

هـٰذا من حين صغره ظهرت عليه الآثار ، وهبت عليه ريح العناية . وريح العناية لا تزال تهب ما انقطعت قط ، لـٰكن الإنسان يصد نفسه عنها . هـٰذا الذي قال فيه أبو العتاهية : حِجابُكَ منكَ وما تَشْعُرُ .

واحد ما له صلة بربه صحيح ، ينام وهو لا يذكر ربه ذكر يَستَحِب أن ينام معه علىٰ كلاءات ربه . ويصبح وهو لا يذكر ربه ذكر محتاج إلىٰ عافيته وإلىٰ نعماه . يصلي ولا يدرك في صلاته أنه ينبغي له أن يصليها في جماعة ويصليها في المسجد إذا قدر .

كيف يدركه هـٰذا الإنسان ؟ كله سببه التربية ، فإذا فاتته هـٰذه

التربية الصالحة . . فاته الخير . واحد فاقد الخير ما يعطىٰ شيءْ ، ما يدرك شيءْ .

ثم هٰؤلاء الذين نذكرهم لكم ، هٰؤلاء جعل الله فيهم مغناطيس من مغناطيس أسرار النبوة المحمدية التي لا تزال تتقد أنوارها في الكون . إذا نظروا إلىٰ واحد . . كانت النظرة هٰذه ـ كانت ـ بمثابة رحمة إلٰهية تتساقط علىٰ قلبه شيءْ فشيءْ ، شيءْ فشيءْ ، شيءْ فشيءْ تبعد منه ظلمة القلب . هٰذا ، وربما بقي علىٰ رعونته ، حتىٰ إذا جاء الأوان وامتلأ القلب من تساقط تلك القطرات النورانية . . حضر الصفاء القلبي .

وهٰؤلاء كلهم ما وصلوا إلىٰ الله بالأعمال ، ولٰكنهم وصلوا إلىٰ الله بهبوب ريح العناية ، وهبوب ريح العناية لا يكون إلا حيث الرحمة . لا يُدرَك في أسواق ، ولا يدرك في مجالس مقهاية ، ولا يدرك في مجالس لهو ، ولا يدرك في شيء ، يدرك عند الرجال الذين ذكروهم لنا الإخوان في أول الجلسة .

ذكروا لكم ـ عمكم عبد الباري العيدروس ـ هٰؤلاء الذين وصلوا إليهم وصلوا إلىٰ الله بهم ، والذين وصلوا إلىٰ العلم بهم ، والذين أدركوا من الارتباط القوي ، حيث أن الواحد يفضِّل هٰؤلاء ويفضِّل ما مع هٰؤلاء ، ويفضل أيامه التي حضرها وكانت عند هٰؤلاء ، وهي ساعات قليلة بالنسبة لمظاهر الدنيا .

فلو قيل مثلاً للشاطري أو لأحمد بن حسين ، أو لحسن أو لسالم بن علوي خرد ، حَضَروا عند ناس أمثال عمكم عبد الله بن

عيدروس ـ ما شفتوه أنتم ـ يخرج الواحد أولاً بداعيه أمه أو أبوه ، يقول له : اخرج حضر الروحة عند عمك عبد الله . كما هم الجماعة هٰؤلاء .

الشاطري كان يسوقه يمكن أبوه وإلا أمه ، يحضر الروحة لأجل بركة عمكم عبد الله بن عيدروس . ذلك الحضور هو الذي صَيَّر الشاطري وخرد ومن علىٰ شاكلتهم من الرجال الذين يُلجأ إليهم .

ولو قيل لهم : كيف تجدون لو عُرِض عليكم مظهر من مظاهر دنيا بقشان ، أو مال من أموال أمثال بن محفوظ ، أو من أمثال الكعكي ، أو من أمثال أحد من أهل المظهر ، أو بغيتوا روحة حق عمكم عبد الله تتلذذون بحلاوتها ؟ إذا جلس أمامكم كأنه نبي : « **علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل** » .

وأنتم كما رأيتم من المتأخرين مثل عمكم محمد بن هادي السقاف ، إذا جلس عمي محمد علىٰ طراحته . . العيون كلها تحدق إليه ، ولا يخرج من البيت إلا إلىٰ درس أو مناسبة تقتضي ذلك ، فإذا خرج ، وكان المجلس ملآن لغو ، فإذا تكلم الحبيب . . يعقد الألسنة بسر النبوة ، وسر الخلافة ، وسر العلم .

هٰذا الذي فُقِد اليوم ، هٰذا الذي جعل الناس اليوم يمضي عليهم الوقت كله ، وهو لا عنده مرح ولا عنده فرح ولا عنده انشراح ، ولا عنده خير ، ولا عنده بركة ، ولا عنده شيء قط أبداً .

ما وجد من يأخذ بيده ، ولا وجد من ينبهه من نومته ، لا يزال

في غفلة ، لا يزال في نَوْمَة ، لا يزال في سكرة ، لا يزال في رقاده السبب في ذلك : أن الناس كله فقدوا كما ذكرنا لكم أكثرهم ممن فقد هـٰؤلاء الرجال .

ثم جاء زمان فتنته أكثر من خيره ، فتنة عمياء بَهْيَا[1] بلوىٰ . لا أعني أنا هـٰذه السنين الشديدة ، لـٰكن الزمان الذي مر عليكم فيما قبل فقدتوا فيه مجالس ، وفقدتوا فيه رجال وعلماء كان الناس يحرصون علىٰ حضور مجالسهم أكثر من حرصهم علىٰ الحضور إلىٰ مجالس اللهو ، وإلىٰ مجالس الغفلة ، يرىٰ الواحد أن فيها الغنية ، ويرىٰ الواحد أن فيها الراحة الكاملة ؛ ذلك لأنها تجمع الروح وتجمع القلب مع الله ، ويأتي فيها ذكر رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم . ورسول الله هو محبوب إلىٰ كل واحد ، لـٰكن إذا قيل للإنسان : كم أعددت لمحبوبك ؟

أعددت له شيء من الصلاة علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم؟ لا .

أعددت له شيء مما يفرح به ويعجبه ؟ لا .

أعددت له شيء مما تسمعه من سيرته ؟ لا .

كيف تقول : إنه محبوب النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ؟!

أنت لا تزال في غفلة ، هو محبوب في القلوب كلها ، لـٰكنك أنت لا تزال بعيداً عادك إلا في غفلتك عنه ؛ لأنك لو كان لك من الصلاة علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم شيء ، لو كان لك من

---

(١) بَهْيَا : أي واضحة .

الحضور معه والإكثار مما كان عليه ، لو كان لك اتصال بالرجال الذين هم مربوطين به . لا يزال الكون معلقْ بالنبي ، ولا يزال الكون مربوطْ برجال العلم الدعاة ، هـٰؤلاء الذين بهم حياة الشعوب والقلوب ، لا بالمال ولا بالدُّوَل ، ولا بالمظاهر ولا بشيء من هـٰذه الخلابة . إنما قائمة الشعوب برجال أهل السر .

كان الأخ عبد القادر الروش يخبرنا عن الحبيب عيدروس البار في (مكة) هـٰذا ، قال :

كان هـٰذا السيد من الصالحين . وبعد قال : إنه يقول : فلان بايكون له مظهر ، وفلان ما بايكون له مظهر . قال : تجرأت عليه يوم ، أو تجرأ عليه عمر اليافعي توفي عام (١٣٩٦هـ) ، توفي العام . قال يسأله دائماً عن كثير من المسائل وإن العلماء في مكة كثير قال : إنها دخلت الناس إلىٰ هـٰذا البلد ، كانوا الناس في جميع الأوقات يعتبرون الحرمين المرجع للناس ، والعلماء والأولياء يأتون إلىٰ (مكة) من جميع البلدان ، و(مكة) أم القرىٰ ، والعلماء لهم تقدير ومكانة .

وبعد ، قال له : نحن الذي نقرِّب ، والذي نبعِّد والذي نجيب . هو إلا رجل بعيد من مظاهر الدنيا ، بعيد من هـٰذه المظاهر .

إنما حياة الشعوب قائمة بهم، لا بهـٰؤلاء، والناس غافلون عنهم، والناس معرضون عنهم ، والناس بعيدون عنهم . ومهما اتصل

الإنسان بالواحد منهم . . ما يلقِيْ إليه شيء مما معه إلا إذا اطمأن .

أنا ربما كثير ما ذكرت لكم أنه كان واحد من تلامذة بعض الشيوخ من أهل الولاية ، جاء إلىٰ شيخه يَخُبْ[1] ، قال له : بغيتك تعلمنا الاسم الأعظم .

قال له : لماذا بهٰذه السرعة عليه ؟ ـ أي : على حصوله ـ .

قال له : إنني لقيت شرطي يضرب فلان بن فلان الصالح التقي .

قال له : شيخه : هُوْ ذاك الذي علمني اسم الله الأعظم ، ولو كان اسم الله الأعظم يؤتاه مثلك . . لكان خبطت عالم ربك ! ما يؤتاه إلا واحد ثابت ، لا يؤتاه مثلك .

وكان الشيخ الشعراني يحكي لنا حكاية أخرىٰ ، قال : إن واحد مرهون بالسر من الشيوخ ، وإنه معروف أنه إذا جاء إليه واحد طالب منه شيء من الاتصال بالعالم الغيبي هٰذا . . يعطيه علىٰ قدر استعداده ويَصِله . وتلاميذه ـ قالوا : كثير منهم خاملين ـ قالوا له ذات مرة : نحن نرىٰ ونشاهد أنك تعطي كثيرْ ، وتمد كثيرْ ، وكثير يصلحون بواسطتك ، ونحن إلىٰ متىٰ ؟ بغينا قسمنا من السر .

قال لهم : لا ، مازلتم لا تصلحون للسر .

ما هو السبب ؟ كل يوم نحن متأدبين !

قال لهم : لا .

---

(١) يخب : أي يسرع .

قال الشعراني : فقدر الله أنه ذات مرة جاء واحد من أهل الثروة بولده ، وقال له : بغيتك تُقَرِّيْه مع هٰؤلاء .

قال له : اتركه . فأراد أن يختبرهم . أدخل الولد إلىٰ خلوة ، وقال لهم : الولد هٰذا شفوه ، والمقصود مايمكن تتكلمون ، أمر قضاه الله والسلام .

قال : قاموا وأخذهم العجب . حد يقول : بايفعل بالولد شيء من المحرم .

وحد يقول : بايَغْنُص[1] للولد .

اختلجت بهم الظنون ، وكل واحد قام واختلس من المجلس وقالوا لأبي الولد : أدرك ولدك!

قال : فجاء الأب مذعورْ وقال للشيخ : أين ولدي ؟

قال له : ولدك هنا ، لماذا أنت مذعور ؟

قال : إلاَّ قالوا لي : إنك أدخلته بخلوة ، أو شيء من هٰذا الكلام .

قال له : من قال لك ؟

قال : قالوا لي تلاميذك .

قال الشيخ : كنت بغيت باختبرهم ، هل يصلحون للسر أم لا ؟ وها هو ولدك ذا موجود . اخرج يا فلان .

---

(١) باينغص : أي يخنقه .

وقال لتلاميذه : ما أنتم أهل للسر .

السر هـٰذا يصلح بأن يكون الفرد صالح له . وصلاحية القلب أولاً بأن يكون الإنسان مع الله .

ما يتأتىٰ واحد لا يزال عنده غفلة ويطلب شيءْ من السر ، ما يعطي الصلاة حقها ، ما يعطي النافلة حقها ، ما يعطي الأم حقها ، ما يعطي الأب حقه ، ما يعطي المجلس حقه ، ما يعطي من هو أسن منه حقه ، ما يعطي الجار حقه ، ما يعطي الرحم حقه ، ما يعطي ـ مثلاً ـ من يستحقه من الحقوق حقه . هـٰذا ما قام بالسر الظاهر فكيف يتأتىٰ أنه يتطلب ـ يريد ـ أن يخطو خطوة إلىٰ ما وراء ذلك ؟!

ما يتأتىٰ السر هـٰذا ، لابد أن يكون الإنسان يُكرِم ، يُكرِم الأوامر ، ثم يكرم نفسه ، ثم يكرم غيره ، ثم يقوم حَسَب ما أمر الله مِن طلب الدنيا .

مطلوب من الإنسان أن لا ينسىٰ نصيبه من الدنيا ، مطلوب من الإنسان أن لا ينسىٰ نصيبه من الآخرة ، مطلوب من الإنسان أن لا ينسىٰ نصيبه من القرآن .

أعتقد أني لو سألت عن قراءة القرآن ـ الله أعلم ـ أكثر الناس لو سألت أحدهم يقرأ كل يوم في كتاب الله . . الجَيِّد لي يقول : أنا أقرأ لي قليل . هـٰذا الكتاب العظيم الخالد التالد ، لي فيه العلم الواسع .

كان الشاطري قبل البارح عندي هو وأحمد مشهور ، بقوا يكيلون علينا سؤال قفا سؤال ـ يلقيه الشاطري وساعة أحمد مشهور ـ وعندنا سالم بن عمر[1] يلقون أسئلة من هٰذا الكتاب والأحاديث العظيمة الواردة عن النبي ﷺ، ثم جولات في معانيها .

كم جاب لنا الشاطري من محفوظاته ، وجاب لنا مشهور من محفوظاته ، وجاب لنا سالم بن عمر من محفوظاته !

هٰذا كله فُقِد! معاد حد هو قط . عاد الشاطري بيننا وبينه حديث من الأحاديث قبل ليلتين بايراجعه . والليلة نسأله عنه ، قال : بكره إن شاء الله ـ غدوه باروح للمكتبة وباراجعه .

هٰذا يكاد فُقِد وارتفع ، نفس الحديث هٰذا معاد يعرف عنه الإنسان شيء . أنا قرأت رسالة للحبيب بوبكر بن عبد الرحمٰن بن شهاب ، أرسلها للحبيب أحمد بن حسن . مما أعجبنا في الرسالة أنه قال له :

ومما سمعته عنكم في هٰذاالوقت : عنايتكم بعلم الحديث ، وعلم القرآن ، وعلم السيرة النبوية . وهٰذي تكاد تكون فقدت .

هٰذا ابن شهاب ، البحر الواسع فيها هٰذه الأشياء ، لكن! حتى كُتُبه الآن معادها معروفة ، وإلا . . فهو مفخرة (حضرموت) على الإطلاق ، ومفخرة الوادي على الإطلاق .

---

(١) سالم بن عمر بن عبد الرحمن السقاف توفي بالرياض في جمادى الأولى (١٤١٢هـ) وهو ابن عم الحبيب عبد القادر .

يكاد يكون كَتَب في كل فن : الشعر جَوَّده ، المنطق جَوَّده ، له رسالة فيه ، علم البيان والبديع كذلك له رسالة فيه جَوَّدها ، السلم كذلك ، وفي جميع الفنون جَوَّدها . ما يَعرِف الإنسان شيءْ من كُتُبه أبداً ، اللهم! إلا غايتهم تعجبهم قصائده الغزليات هٰذه . وأكرم وأنعم ، ولٰكن بن شهاب ماله إلا الغزل بس ؟! شُغْله إلا التغزل في النساء وما شاكلهن!؟ له « الذريعة » هٰذه السلسلة

إبْدِيْ بربي وارثِ الأرضِ المعينْ　　ومَن عليها وهو خير الوارثينْ

سلسلة نظمها ـ قالوا ـ في ليلة ؛ لأنه كان يحضر درس الحبيب علي حبشي . وبعد قال له : انته يا أبو بكر الليلة يظهر إنك ما وعيت الدرس . كأنه شافه يتشاغل بشيءْ .

قال له : لا ، لا ، وعيته . وأصبح له بـ« الذريعة » كلها منظومة فيها . آه قال يا الشاطري وسالم ؟

وعُذْرُ مَن لم يبلغ العشرينا　　يُقبَل عند الناس أجمعينا

أخذها الشاطري في « منظومة الفلك » يومه جَدُّه بن شهاب ، ويومه عنده من الذكاء حقه .

وآخر قال :

ولِبَني إحدىٰ وعشرين سَنَهْ　　مَعذرةٌ مقبولة مستحسَنَهْ

جاء الشاطري ، آه قلت في حقك المنظومة ؟

فأنشد العم محمد (من منظومة الأستاذ الشاطري) :

هٰذا الذي جادت به ٱلْقريحهْ   مبني على القواعد الصحيحهْ

فاعمل بما حوى وكن مجتهدا   ولا تكن في عمل مقلدا

لكي تكون من ذوي التحقيقِ   ومن رجال الفحص والتدقيقِ

ولا تكن ذا همة ضعيفهْ   فتكتفي بهٰذه اللطيفهْ

حاشاك أن ترضى نزول الأسفلِ   بل كن مخيِّماً بأعلى منزلِ

وٱعْفُ عن العيوب فيها واصفَحِ   وإن رأيت خطأً فصحِّحِ

فالجبر للكسر من اللوازمِ   لأنها ركيكة الدعائمِ

ناظمها ينقص في الآدابِ   لأنه في غرة الشبابِ

فكن له يا ناظراً ذا عذرِ   وانشد مقالَ ابنِ شهابِ الفخرِ

وعُذْرُ مَن لم يبلغ العشرينا   يُقبَل عند الناس أجمعينا

هٰذا كله يكاد طُمِس . ذا الحين نتذكر : الليلة أنا كَمْ قصائد تذكرتها من تقديركُم ؟ إذا سمعنا شيْءْ من قصائده . . ذكرنا الأدب ـ وقوله من النوع الرائع البديع . والشاطري ترك الشعر ، بقيْ البساطة قليل قليل ، له ديوان موجود . هٰذا كله بَعْد ، فقدنا الأدب ، وفقدنا العلم ، وفقدنا كل شيء ، وفقدنا التربية العجيبة .

ذا الحين : أقل ما كان ـ يا إخواني ـ وانتوا اليوم رجال المستقبل . شباب المستقبل إلا أولادكم ، لٰكنكم باتستقبلون

مستقبلكم بماذا ؟ أنتم واقعين فيه بماذا تقابلونه اليوم ؟

ذا الحين نحن جئنا وأدركنا رجالْ . لا والله يقصر الوصف عنهم . ما يدرك الإنسان وهؤلاء أدركوا رجال . أنا إذا ذكرت لكم عمل والدي ، ذيلا كلهم أدركوه ، مع أنه كان فتى الزمان :

يقوم بعمله الدنيوي بنفسه ـ عنده يقظة ـ حاجاته هو ينتبه منها .

ثم قرآنه هو ينتبه منه ، يختم الختمة حِفْظ كل أسبوع أقص عليه أنا ، في كل أسبوع له ختمة! هـٰذه درسه من جلوس وهو جالس . الكتب لي كانت تُقْرأ هذا كان من قُرَّائِه ، ذا[١] كانوا يدرسون في « التحفة » ، هُوْ يَقرأ لهم ، وبعدها يقرأ في « الإحياء » . يحضرون يمكن ثلاثون طالب علم غرة ، منهم : بن حسين ، ومنهم : بن موسى ـ عاده موجود ـ ومنهم : كان عبد الله بن شيخان ـ توفاه الله ـ ومنهم : قد يحضر مصطفى بن سالم ـ توفاه الله ، رحمه الله ـ ومنهم : قد يحضر عمي علوي بن عبد الله ، رحمه الله .

ومنهم بعد . . يحضر عمي حسن بن عبد الرحمـٰن ، ومنهم يحضر عمي إبراهيم بن عقيل . . عدد منهم كثير مِن لي أعرفهم أنا ، هـٰذا إلا درس . وبعد الدرس خروج إلى المدارس العامة .

ثم دنياه ما يهملها : ما يترك حد يقمره ، ولا يترك حَدْ يخدعه ، ولا يترك حد يأخذ عليه عقله ، كما يقول المتأخرون .

---

(١) لا أدري يشير إلى مَن مِن الحاضرين وأعتقد أنه العم أحمد بن حسين بن محمد السقاف .

ثم إِذا جيته في المسجد . . وجدته أسطوانة من أسطوانات المسجد . وإِذا جيته في الفقه . . وجدته بَحَّاث من الكبار ، يأتي بعبارة « التحفة » من حفظه ، معاد يحتاج .

ثم إِذا جئت في الحديث . . وجدت من محفوظاته ، هٰذا « البخاري » ، ما يُسأل عن الحديث إِلا ويجيبك ، أي حديث .

ثم إِذا جئت في أدبه وتؤدته . . يحضر مجالس من هم أصغر منه ، ويجلس هناك لأجل يسمع . .

كان عمي محمد بن هادي يقول : أنا قرأت على والدك . ووالدي يطلع يحضر « البخاري » حق عمي محمد ، ويجلس في آخر المجلس ، مما يعطيكم علىٰ أن النفوس مهذبة ، بلغت في التهذيب الغاية . ثم هو شيخ الوادي في ذلك الوقت .

ثم عمكم عبد الله الشاطري ، هٰذا لي تسمعون به ، طَبَّق الدنيا علمْ . من تلاميذه : عمكم أحمد الشاطري . أذكره أنا والأخ سالم بن عمر ، وأذكر فتاويه . توفي وسنّه ثمان وأربعين سنة . وإِذا شفته . . شفت الوقار فيه والهيبة ، قَدْره له في مجالسه مع تلاميذه .

ثم هو بالنسبة للفقه ، وبالنسبة للعلم كله . . يستلم المسألة الفارَّة يعطيك إِياها تَوّ مباشرة .

وأنا كثير ممن عرفتهم في (تريم) في ذلك الوقت ، شيوخ هـٰؤلاء الجماعة . بالنسبة لليوم نحن بانقول : مَن شيوخ

الوقت ، ومَن ينتمي إليهم من التلاميذ اليوم ، ومَن هم ؟ لا شيوخ ولا تلاميذ .

فإذا كان لا شيخ ولا تلميذ. . فماذا يكون حال الإنسان في بيته ؟

كيف حاله مع أهله ؟

كيف حاله مع أولاده ؟

كيف حاله مع جاره ؟

كيف حاله مع رحمه ؟

كيف حاله مع قرابته ؟

كيف حاله مع عاداته ؟

كيف حاله مع أخلاقه ؟

ذا الحين : كثير من الناس ـ يقول لي مساوَىٰ : شفتهم بعد أربعة أشهر وأنا جالس في البلاد ، ذيلا قرؤوا عليه في المدرسة ـ إذا جاء واحد. . قال : أووه العفو عم محمد ، شفنا ما خِلِيْت .

كيف ما خِلِيْت. . يظلي مساوَىٰ في المدرسة يربي عقولهم الضالة الصغيرة ذي ، يظلي يقوم بهم ، يظلي تعبان بهم! ذا الحين هو ما هو محتاج من مالهم ، هو من أثريا الزمان ، لٰكن محتاج إذا شافهم بأخلاق طيبة ، إذا شافهم في تقويمات ، كما ما ذكروا التقويمات الطيبة . متى بايكون الرجوع ؟

ثم تكلم شيخنا وأستاذنا العم محمد بن أحمد الشاطري ،

وقال ـ حفظه الله ـ مستأذناً من العم عبد القادر .

عن إِذنكم لأجل نكون عمليين إِذا أمكن :

هم الإِخوان يجون لكسب الحضور فقط! مجلس خير ، نحصِّل ، نسمع ، نخرج على هٰذه الطريقة . فإِذا أمكن . . الواحد يحصل دفتر ، يزيِّد عاده بعده الجلسة ـ ربع ساعة ثلث ساعة ـ يقيد ويكتب ما يحصله ، بايجمع شيْء كثير ، شيْء عملي ، لأن هٰذه العادة ما تفيد . نحضر ونخرج ، لا! هٰذي بلا شك أن نحن عوام أصبحنا كالعامي . . .

وأنتم فيكم الأذكياء ولا تحبون الخسارة ، وهٰذه خسارة وقت .

فأنتم الواحد لو أمكن يستعد له بدفتر ويقيد فيه . . فإِنه سيجد حصيلة كبيرة ؛ فحبيبنا عبد القادر ذا حجة علينا ، فنحب أن نعمل بما يرشدنا إِليه وأَمَرَنا الله بهٰذا ، فذا سيكون عملي ، شيء عملي ، وهو بسيط في ذاته . فإِذا أمكن نكون عمليين .

وكذٰلك : كل واحد منا يمكن بلا مسواك . . . ، خسارة كبيرة! الواحد يخسر . . كم صلاة ؟ ذا لأجل عُود ما يحمله! إِيش هٰذا التهاون ؟

إِذا الواحد بلا سواك . . فالأسوكة تباع في الطرق ، يأخذ له سواك . وغيره وغيره ـ العفو منكم ـ فالإِنسان يكون عميق ، لا يكون سطحي .

نعم! فبالأمور الدنيوية نحن عمليين إلى آخر درجة ، نقتل أنفسنا قتل ، ونخضع لرؤسائنا خضوع الأذلاء ، إيش هٰذا الكلام ؟!

إلى آخر ما قالا رضي الله عنهما وعنا ، ونفعنا بما سمعناه ، وحقق لنا ما رَجَوه منا ، وما أملوه فينا ، إنه علىٰ ما يشاء قدير وبالإجابة جدير[1] .

* * *

---

(١) مسجلة على الشريط رقم ١٣ ومدتها ٣٨ دقيقة .

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهـٰذه الكلمة القيمة ، والتي يحثنا فيها على المحافظة على التحلي بالأخلاق الكريمة ، والمواظبة على قراءة القرآن ، وعلى الصلاة في الجماعة ، وغير ذلك من نصائحه الثمينة لنا ؛ لَمَّا رأى انغماسنا في ملذات الحياة الدنيا ، وانشغالنا بها في كل الأوقات ، وحبنا للمظاهر وتقليد الغرب .

وتقدم قبله أن تكلم أستاذنا وشيخنا العم محمد بن أحمد الشاطري بكلمة قيمة ، أسأل الله أن يوفقني لجمع ما عندي من كلامه أيضاً .

وتكلم حبيبنا العم عبد القادر بهـٰذه الكلمة بمنزل أخينا سالم بن حسن السقاف بـ(جدة) مساء الجمعة ، الثامن والعشرين من ربيع الأول ، من عام سبعة وتسعين وثلاث مئة وألف هجرية (٢٨/ ٣/ ١٣٩٧هـ) . الموافق الثامن عشر من مارس ، من عام سبعة وسبعين وتسع مئة وألف ميلادية (١٨/ ٣/ ١٩٧٧م) بعد قراءة قصة المولد النبوي .

وكان حضور العم عبد القادر بن أحمد بعد الانتهاء من المولد جميعه ، لأنه كان بـ(مكة المكرمة) تلك الليلة ، ولـٰكن حرصه على الحضور جعله يأتي ولو متأخراً .

وما كان يريد أن يتكلم ، ولـٰكن حبيبنا العم سالم خرد ـ رحمه الله ـ كلف عليه أن يتكلم ؛ ليغتنم حضور العدد الكثير من أولاده في هـٰذا الاحتفال .

فقال سيدي ـ حفظه الله[١] ـ :

الوقت المناسب في تأخيري أن الشاطري لي نحن بغيناه دائماً يتكلم . . قد تكلم .

---

(١) رقم الشريط المسجل عليه هـٰذه الكلمة ١٣ والوقت ٣٨ دقيقة .

فأجابه العم محمد الشاطري : أنا بعيد عهد بالكلام وبالخطابة ، ولٰكن قلت لكم : تركت الأمر كما يجي لا كما يجب . انتهى .

وقال سيدي ـ حفظه الله ـ :

يا خير كلام ، الأخ محمد معاد يحتاج إلى تتمة ، ولعاد يحتاج إلى كلام ، ولعاد يحتاج حتى إلى تقرير ؛ لأنه كلام جاءكم في الصميم ، كله في الحكمة .

تكلم ـ فيما ـ سمعته أنا ـ عن بشرية الحبيب صلّىٰ اللهُ عليه وآله وسلم . هي ـ كما ذكر لكم ـ هي بشرية ، ولٰكنها ليست من جنس البشريات كلها . وإن كان الله سبحانه وتعالىٰ اصطفى أُناسْ من أناس من أناس من أناس من أناس . . حتى وصل الاصطفاء للحبيب صلّىٰ اللهُ عليه وآله وسلم .

فإنهم يقولون ـ ودَلَّلكم الأخ محمد على ذلك ـ . . . في شجاعته الكبيرة : لما رُعِبت (المدينة) ذات ليلة من الليالي ، وخاف أهل (المدينة) كلهم ، فخرج الحبيب صلّىٰ اللهُ عليه وآله وسلم وركب فرساً عُرْياً لأبي طلحة . ووصف الفرس ، وقال : وإن وجدناه لبحراً . ثم قال وما بـ(المدينة) فزع . رجع بعد أن طاف بها ، فلم يجد شيْءْ بعد أن رُعِب أهل (المدينة) كلها .

قالوا أهل السير كلهم : فيها دلالة على غلبة شجاعته صلّىٰ اللهُ عليه وآله وسلم على كل شجاع .

وذكروا لنا كذلك في « غزوة حنين » : أنه لما انكسر المسلمون كذلك وضعفت الشوكة ، وكان الكفار يسألون عن النبي صلّىٰ اللهُ عليه وعلى آله وسلم : أين محمد ، هل قتل أو لا ؟

أين أبو بكر ، هل قتل أو لا ؟

أين عمر ، هل قتل أو لا ؟

وكان النبي ﷺ في أول الأمر يقول لهم : « **لا تخبروهم** » .

ثم قالوا : بعد أن تكلم سيدنا عمر ، أخذ هو يرفع صوته ﷺ - وهو راكب على بغلته ، وأبو طلحة يقود البغلة - ويقول : « **أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب** » .

إشارة إلى أنه لا يخاف . والشجاع هـٰذا لا يأتي على قلبه شيء قط أبداً ، دائماً والقلب فيه شجاعة قوية جم .

وذكر لكم الأخ محمد كذلك شيءٌ من التهيؤ . والتهيؤ ذَكَر العلماء عنه أنه رعاية ثانية . رعاية أولاً تأتي في صميم القبيلة - كما ذكر لكم الأخ محمد - وفي صميم البلد الذي ينشأ فيه الإنسان .

هـٰذا أول التهيؤ ، لـٰكن : إذا ساعدته دائماً . . ساعدت الحظوظ الحظوظ فجاءت رعاية من فوق ، دائماً تسوق هـٰذا لهـٰذا .

مثاله : ما ذكره لكم كذلك في وضع الحجر الأسود . هم يعرفون ذلك ، وهو مهيَّأ لوضع الحجر الأسود ، ومهيَّأ عقله الكبير لأن يجمع أطراف قبائل قريش . ويبسط لهم رداءه ، فيأخذ من كل قبيلة واحد ليرفعوا الرداء ، ويضع الحجر ، وكلهم معه صلّىٰ اللهُ عليه وآله وسلم ، واليد الشريفة هي التي تأخذ الحجر وتضعه في مكانه .

هـٰذا قالوا من التهيؤ العقلي الإلـٰهي ، لـٰكن دخوله إلى المسجد في تلك اللحظة هي رعاية ؛ لأنهم ما كانوا ينتظرونه هو صلّىٰ اللهُ عليه وآله وسلم ، كانوا ينتظرون أي داخل ، لـٰكن لَمَّا . كانت الأمور مربوطة .

كان الصوفية عليهم السلام ـ يقولون : إنه ورد في الحديث عنه صلّىٰ اللهُ عليه وآله وسلم . . « **الحجر الأسود . . يمين الله** » ويمين محمد ـ يمينه صلّىٰ اللهُ عليه وآله وسلم ـ هو يمين الله ؛ لأن الله قال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ فلا يصلح للحجر الأسود ـ الذي سماه الله : يمين الله ـ إلا اليمين المحمدية لتضعه مكانه . دلالة على أن مع التهيؤ كانت رعاية .

ومن ذلك قالوا : إنه كان ما يأخذ الثدي الأيسر ، رعاية ؛ لأنه في ذلك الوقت شأن الصبي أنه لا يدرك . ونشأته صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كسائر النشاءات من جهة ، وتختلف عن النشاءات الأخرىٰ من جهة الرعاية والعناية التي سمعتم عنها ، مثلاً : إنه كان لا يأخذ إلا أحد الثديين فقط ؛ لأنه كان رسول العدل ، ورسول العدل ينبغي أن يكون من نشاءته في طريقه . . يمشي في العدل مع العدل ، ثم يدعو إلى العدل إذا جاءت نوبة الدعوة إلى العدل : وكثير من مثل هـٰذه الأشياء .

وهـٰذا القرآن أشار إلى التهيؤين ـ كما ذكره الأخ محمد ـ فذكر لنا في قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا يُلَقَّـٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ حتى هُيِّئُوا للقرب : ﴿ وَمَا يُلَقَّـٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ جاءه من فوق .

وهـٰذا هو الذي يشير إليه دائماً الرعاية الإلـٰهية حينما يذكرونها العلماء ، منها :

﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ .

ومنها لموسى : ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ جمعت بين التهيُّؤَين ، التهيؤ والرعاية الأخرى .

وكثير من مثل هـٰذه الآيات التي تعطي صورة على أنه صلوات الله وسلامه عليه كانت له في نشاءته ـ كما ذكر لكم الأخ محمد ـ وكانت له في الطريق الثانية التي هي الرعاية .

هـٰذا قبل الرسالة ، وقبل ظهور أي شيء ، وقبل ظهور أي عمل من الأعمال .

ثم المقصود ، حتى لا يطول عليكم الحديث ؛ لأن الأخ محمد قد شفا وكفى وأجاد وجَوَّد فيه ، جزاه الله خيرْ . وأرجو إن شاء الله أن يكون دائماً يكفي نحن الكثير ، لأنه هو يتكلم بكلام قوي ، ما يتكلم كمانا نحن نخلِّط ونخبِّط ، الشاطري يجيب كلام موزون[1] . قال : إنه ما هو من لي يجب ، ولـٰكنه من لي يجد . هُوْذا لي يجد يكفي الناس من الشاطري .

نسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يجعل لنا تهيؤ من اليوم .

يحتاج لكم أنتم نصيب من التهيؤ ، إيش نصيب التهيؤ في الإنسان ؟

نصيب التهيؤ في الإنسان أن يرتب نفسه حتى يدرك واجبه : واجبه مع نفسه ، وواجبه مع أهله ، مع صحبه ، مع والده ، مع والدته ، مع رحمه ، مع قريبه ، مع جاره ، مع إخوته ، مع جميعهم هؤلاء .

ثم مع بقية أصحابه وإِخوانه من الناس ، حق جنازة ، حق حضور ، حق قدوم مسافر ، حق شيء آخر . . حقوق كثيرة .

تأتي حقوق أفراح ، حقوق معايدة . هـٰذي ـ شفوها ـ تكاد

---

(١) يتكلم هنا والابتسامة تعلو وجهه والعم محمد الشاطري يردد ويقول أستغفر الله .

تكون طُمِست ؛ لأنكم شغلتم أنفسكم بأشغال ما اقتضت أنكم تشغلون أنفسكم بها .

حتى الإنسان الذي يخرج بعد الساعة أربعة أو عشرة ـ على ما يسمونه بالتوقيت هـٰذا ـ خمس دقائق لتعزية ، يخرج من مكتبه لتعزية ، لإِيناس ، لمسافر قدم . . خمس دقائق . منها إن تيسر له . . يخرج ثم يعود ، وإِذا لم يتيسر له إِذا خرج من عمله ، في الصبح الباكر . . فيما بين الظهرين ، لابد منها هـٰذه . يدرك الإنسان أنها حقوق هـٰذه دعا إِليها الشرع ، ثم دعت إِليها الأخُوَّة ، ثم دعت إِليها البشرية التي هي ليست كالبهيمية .

هـٰذا نوع من التهيؤ الذي ذكره لكم الأخ محمد . ومن وراء التهيؤ هـٰذا حقوق أخرى :

حقوق تربية الأولاد : الذين أدركوا التربية وأدركوا من رباهم . . قد عرفوها ، والذين لم يدركوها . . سوف يشاهدونها فيمن كانت أخلاقهم مثال من أمثلة الكمال ، من أمثلة الفضل ، من أمثلة العُلا ، من أمثلة الشرف ، من أمثلة المروءة ، من الأمثلة التي ليست فيها رعونة وليست فيها ما يدعو إِلى الرعونة أو ما يدعو إِلى عدم الاهتمام بالواجب أو المروءة هـٰذه تعرفونها .

ثم تربية مَن وراءكم ـ يا إخواني ـ : ومن اللائق أن يربي الإنسان مَن وراءه . شفونا أنا ربما ذكرت لكم في كثير من المجالس إنَّا كنت في (الشام) ـ و(الشام) هـٰذه معقل العلم ومعقل الأولياء ـ حضرت فيها . . . فسحة ـ على قولنا : (مطلع)

يقولون آل (حضرموت) ـ عملوه وكنت مَدعُوّ فيه ، وحضروا معي الجماعة الذين سافروا معي .

وكان المجلس من مجالس الدعوة ، لا يزال في كل مسجد تقريباً ليلاً وفي أكثر المساجد ، لا يقل حضور أربعة آلاف نفس ـ خمسة آلاف نفس ـ وأكثرهم من الشباب ، وهاذيلا يحضرون غيرهم ، لٰكنك ترى الشباب قدام المحاضر والداعي والواعظ !

حضرت في ذلك المجلس ، ولما حضرت في ذلك المجلس . . قام واحد من الشباب سنه لا يزيد عن ثمانية وعشرين سنة ، وقام عليه شيء من الثياب العسكرية ، فقام وخطب بخطبة أنيقة رقيقة ، فيها تقديم ذكر وثناء عاطر ، وفَرَح بالقدوم لَمَّا قدمتُ عليهم ، وفَرَح بالخطب التي يسمعونها ، وفيها شيء من ذكر العلم شفىٰ فيها وكفى .

ثم أُسنِد الكلام إليَّ ، فتكلمت ـ كما تعرفون كلامي ، يقبلونه على علاته جزاهم الله خيرْ ، باعتبار إنَّا في نظرهم إنَّا واحد من الناسّ الشيابة الذين هوْكذا يقبل الناس كلامهم ـ ولما انتهيت جاء إليَّ هٰذا الولد وأكب يقبل يدي ، ثم قال : أنا طالب لي دعوة منك .

بإِيش طالب لك الدعوة ؟ قال : أنا طالب أنك تدعي أني أخرج من العسكرية .

قلنا له : انته إلا عسكري ؟

قال : كثير من هاذيلا لي تشوفهم الشباب عسكر ، لكن شف هاذيلا كلهم حفظة لكتاب الله ، كلهم هاذيلا الشباب لي تشوفهم في العسكرية كلهم حفظة لكتاب الله ، وكلهم محافظين على الدروس ؛ لأن العسكرية عندهم إجبارية ، ولا تزيد على ست ساعات في أول النهار ، من بعد الساعة مثلاً واحدة ـ سبعة بتوقيتهم ذا ـ إلى الساعة ستة من النهار [١٢ ظهراً بالتوقيت الزوالي] وينتهي وقته ، وبعده يرجعون إلى الدروس في المساجد . يستريح الواحد ، ويرجعون للدروس في المساجد وما شاكل ذلك .

فقلت أنا : هاذيلا جيش من الجيوش! والجيش دائماً يكون من رعاع الناس ، شأن الجيش أنه يَقتُل ولا يبالي ، يفعل الأفاعيل ولا يبالي . إنه يقدم وهو دائماً يجعلونه إلا خميرة ، لكن هاذيلا في (الشام) حفظة لكتاب الله .

هٰذا الجيش حافظ لكتاب الله ، هٰذا من الجيش . . بلغ من الخطبة والأدب والأناقة والكلام الذي يتكلم به وهو في الجيش هٰذا الخطيب ، فعرفت أنا أنها لما كانت التربية محافَظ عليها في تلك البلاد . . نشأ هٰؤلاء الناس علىٰ ذلك .

ذا الحين نحن فقدنا هٰذا : كان معي في (مصر) سالم باحبيشي هٰذا ، وكنا نحضر حفلات وكنت أتكلم أنا فيها ، ويبتدون المصريون بكتاب الله .

فقال سالم باحبيشي : يا سيد عبد القادر .

قلت له : لبيك .

قال : أنا شفنا عقدت النية من بعد ما سمعت المصريين وحضرت الحفلات معك ، وقلت : إن شاء الله باأخرج إلى (حضرموت) إذا قدر الله إليها في بعض الأوقات ، وباأدعو إلى تحفيظ القرآن ، وبانجعل فيها مدارس لتحفيظ القرآن وجوائز علىٰ هـٰذا .

ذا الحين نحن ـ يا إخواني ـ وصلنا إلى هـٰذا . قبل أربعة اسابيع الأخ محمد يذكر لنا من الأخلاق ، بعد ما تكلمت أنا أنه من جملة الواجب الذي ينبغي للإنسان أن لا يتركه السواك هـٰذا . وأنا أحسب أني ذكرت لكم المحافظة والمداومة على شيء من كتاب الله ، وأعتقد أنا لو سألنا وصَدَقْتوا ـ اللهم إلا من عصم الله ـ أنه ما أحد يقرأ في كتاب الله! بانخليها مستورة ، لكنه ما يصلح هـٰذا ما يتأتى ، معاد بانتخبر ، قد يكون حد يكذب علينا ؟ المهم : أن الإنسان لا يترك هـٰذا الكتاب القيم الخالد العظيم ، الذي أذعنت له الأمم قديماً وحديثاً . في أوربا لا تزال تبتدي إذاعاتها بكتاب الله . لو ما قدر أن يقرأ جزء . . يقرأ له مقرا أربعة مقاري ويجوِّدها ، ثم يُحْسِنها ثم يلقنها .

هـٰذا ـ اليوم شفوا ـ كان عندي واحد اسمه يوسف مرغني ، قال : أنا جيت اليوم لي غرض واحد .

آه الغرض يا يوسف ؟

قال : شفنا طالب منك تدعي لي بدعوة أحفظ بها كتاب الله . بس هـٰذا لي بغيته . . . شفنا باندر من العمل وباطلع باعتكف في (مكة المكرمة) وبادْرُس القرآن العظيم .

القرآن أحق به أهل البيت لي هم جعلهم الله عِدل القرآن . أهل (حضرموت) عندكم مسجد السقاف ، سالم خرد ذا شوه من بقايا القوم هو وأولاده . يقول : كم مرات أحمد الله يوم أولادي حفظة لكتاب الله ؟

هـٰذا فضل (تريم) وفضل التربية وفضل العادات . لكن نحن ذا الحين مسألة الحفظ لي كان ، عاد نحن ما وصلنا إليها .

كان عندنا الشيخ حسن ومعلِّم الطبيل[1] كانوا يكلفون نحن بأمر والدي التحفيظ ، وحَفِظْنا القرآن . لكن نحن ذا الحين ، ما وصلنا إلى مسألة الحفظ ، وصلنا إلى تعهد القرآن بس . تعهد القرآن . والصلاة في جماعة ، الجانب الثاني لي ذكره لكم الأخ محمد هو التهيؤ هـٰذا ، الصلاة في جماعة الإقامة في شعار لها .

قال لنا ـ فيما قبل يمكن شهرين ـ واحد من الإخوان ، قال : طلع واحد من إخواننا إلى (مصر) وأحرم بالناس بالصلاة في مسجد الحسين إمامْ في صلاة جماعة ثانية ، وقرأ قراءة ما هي مجودة .

قال : بعد ما سلم . . جاء له واحد مصري وقال له : يا شيخ

---

(١) من المشايخ في تحفيظ القرآن في سيؤن قبل سبعين سنة تقريباً : الشيخ حسن بن عبد الله بارجاء والشيخ عبد الله الطبيل .

قال له : لبيك :

قال له : يكفيك الفاتحة حققها ولعاد تقرأ سورة بعدها[١] . يكفي بس عليك إلا حققها ؛ لأنه قرأ قراءة ما فيها تجويد .

والتجويد الناس ما يعقلون أنه واجب ، ما يدركون وجوبه ، هٰذه القراءة التي كان عليها نبيكم والتي أُنزل بها القرآن مجوَّد محكم ، فيها شيء من التأني ، فيها شيء من الروعة ، والنبي يقول صلى الله عليه وآله وسلم : « **ما أَذِن الله لشيء ما أَذِن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن** » .

أنا أفرح ليلة أحضر في ختم ويخلون سالم خرد يقرأ : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ ﴾ والفاتحة وآية الكرسي ؛ لأنه يجودها ، وقراءته زينة .

كان يقف على مقطع من المقاطع ما فيه وقوف ، يتعب به ولعاد يرده ، إذا وصل إلى قوله تعالىٰ : ﴿ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ ﴾ . . يقف عندها ولعاد يعيدها . وذا الحين فسح في الوقوف عليها انتبه لها ، وهو كذه منتبه خرد ، إلا هو الحقيقة ينقطع صوته عندها ، ولٰكنه اللازم أن يعيدها حتى لا يعرف السامع أنها مقطع .

ثم تجويده للقراءة ، وتحسينه لها ، وأخذه لها مع صوته الحسن الممتع يجعل القرآن قرآنْ .

---

(١) يتكلم حفظه الله والابتسامة على وجهه .

أما واحد بايهذّه : بسم الله الرحمن الرحيم . وقرأ ـ حفظه الله ـ قراءة سريعة ؛ ليعطي صورة عن بعض من يقرأ بسرعة ، لا تكاد تعرف قراءته من السرعة . ثم قرأ حفظه الله سورة الإخلاص قراءة مجودة يعطي كل حرف مخرجه ؛ ليعطي صورة أيضاً للسامعين ما يجب أن تكون عليه القراءة .

ثم قال ـ حفظه الله ـ : هٰكذا ينبغي للإنسان أن يقرأ ، يدرك المعنىٰ ، يظهر له المعنىٰ ، يدرك فيه عجائب القرآن ، يدرك غرائب القرآن ، يدرك فيه سر القرآن .

ذا الحين شوكم إن شاء الله من الليلة ، قبل ليالي الشاطري كلمكم عن السواك ، وأحسن ـ إن شاء الله ـ أنكم انتبهتوا أو ما انتبهتوا وإلا يُعاد الحديث فيه . والصلاة في جماعة ، وكلمكم الشاطري ، وأنا ذكرت لكم كذلك القرآن ، والليلة نعيد الذكر .

شفوا ـ يا إخواني ـ لا يقوم الإنسان من نومه وقلبه مظلم ، النبي ﷺ مَثَّل القلب بالبيت ، ومثل البيت الذي يُقرأ فيه القرآن كالبيت النيِّر ، والذي لا يُقرأ فيه القرآن كالميت ، مَثَّله النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم .

شفوها هٰذه تحصل ، إذا رجع الإنسان إلى تقصيراته مع الناس ، يرجع ؛ فإن عنده تقصيرات مع الله هي التي ضيعت عليه التقصيرات الثانية ، هي التي ضيعت عليه العادات الحسنة ، هي التي ضيعت عليه الأخلاق الفاضلة .

إذا حصلت تقصيرات في الصلاة ، حصلت تقصيرات في الصيام ، حصلت تقصيرات في القرآن ، حصلت تقصيرات مثلاً مع والد أو والدة وعدم اهتمام ، أو مع جار أو مع أخ أو مع قريب . . فليرجع ، فإن الغلط الذي سببه له . إن المصيبة والذنب لا يجر إلا إلى ذنب ، ولا يجر إلا إلى بلاء . ومَن داري ؟ إذا ذكر الواحد أنه مرت عليه ثلاثين من عمره ، أو أربعين من عمره . . متى يستقيم ، متى ينتبه ، في أي يوم ؟

ثم لا يدري : أيمر عليه العمر وهو في صحة ؟ أو يمر عليه العمر وهو في أمراض وفي عناء وفي تعب ؟

ثم لا يدري : الأمراض هـٰذه هل تأخذه يموت منها ، أو يبقى فيها وهو تعبان بها ، وهو لا يقدر لأي عمل ؟

لا ، لا ، إن الإنسان ـ يا إخواني ـ معرض لكل شيء .

ثم لاحظوا بعد ما يقول لكم النبي صلّىٰ اللهُ عليه وآله وسلم : « **تركت فيكم ما إن تمسكتم به . . لن تضلوا أبداً : كتاب الله وعترتي** » . حد يرضى يخرج منكم ـ يا إخواني ـ أضاف إلى الكتاب العترة .

« **أشراف أمتي حملة القرآن** » .

« **أهل الإيمان حملة القرآن** » .

« **حملة القرآن هم أهل الدين** » .

أحاديث كثيرة وردت في مثل هـٰذا الكلام .

أيرضى الإنسان أن لا يكون من الأشراف ؟

أيرضى الإنسان أن يَضيع ؟

ثم بعد ما جعلكم النبي صلّىٰ اللهُ عليه وآله وسلم عِدل مع كتاب الله ، أتتركونه ؟ أتهملونه ؟ قليل قليل فقط . ذيلا ـ شفوهم ـ كانوا يتدارسون القرآن إسألوا عن عمكم عبد الله بن عيدروس بايخبركم عنه الشاطري والاَّ خرد : كيف كانت دروسه ، كيف كان يقرأ ، كيف كان يجلس ، مع فضله وجلالته وكِبَره وقدره . يجلس للحزب بعد المغرب ، ويجلس ـ أنا شفته بعيني رأسي ـ بعد الظهر يتلو كتاب الله ، وعنده عُبَيد فَضْل يكبِّس ظهره وهو يقرأ كتاب الله ، وإلى جنبه عمي علي وعمي محمد ولديه هاذيلا يقرؤون ، وربما حد إلى جنبه من حفظة الكتاب هٰذا . وأحياناً يحضر : الشيخ عمر الخطيب[1] ، وأحمد بافضل ـ هٰذا واحد من الشيوخ ـ ومنهم عدد كثير من حفظة القرآن . وسالم خرد حفظه لأن أبوه يحفظ القرآن .

وكان المتقدمون كلهم على هٰذا النمط ، ما هو واحد ولا اثنين ولا ثلاثة . ذا الحين الدرجة الأولى أننا لا نهمله بس ، لا نتركه .

وذا الحين شفوا العيب الكبير الذي أصبح الإنسان معاد يدركه ، معاد عنده مروءة قطّ إذا قُرِىء جزء والضحى ـ يسمونهن قصار المفصل ـ تململ الناس منهن ، ويود الواحد لو بايغوص ، وإلا بايشرد . وإذا ارتفعت المروءة . . معاد استحىٰ ، قال لِلِّي

---

(١) الشيخ العلامة عمر بن عبد الله الخطيب ولد بتريم وتوفي بسنغافورة (١٤١٩هـ) .

بجنبه : هيا اقرأ . ؟؟؟؟ كيف ، اقرأ انته! وانته فين انته ؟ ما تحفظ ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ ما تحفظ ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾ ما تحفظ ﴿ أَلْهَىٰكُمُ﴾ ما تحفظ ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ ؟

ما هٰذا بكلام ذا ؟ إلىٰ هٰذا الحد وصلوا الناس ؟

وكانوا عندنا في المساجد في (حضرموت) ـ كلكم تعرفون ـ يتسابقون يوم الخميس بالهَدِّه ، وبعد الهَدِّه علىٰ هٰذا يتسابقون علىٰ « الفصول »[1] .

وأنا ـ شفونا ـ كنت في (المدينة المنورة) الزيارة لي قبل العيد ، وبعد واحد من شيوخ الحرم إلى جنبي أهدىٰ لي « الفصول » لي طبعها حسنين مخلوف . أهداها ، وكذني عندي منها النسخ هٰذي ، أخذت أعرِّب فيها : (وأطل به صلاح ظاهرنا) حسنين مخلوف ألقاها : (واصل به صلاح ظاهرنا) .

فرجع إلي الشيخ ـ وهو مصري ـ قال لي : آه تكتب يا شيخ ؟

قلت له : أكتب : (وأطل به صلاح ظاهرنا) .

قال : (واصل به) .

قلنا له : (وأطل به صلاح ظاهرنا) وبعد بقي يكرر الكلام عَلَيَّ ، قلنا له : هٰذا ما هُوْ فَنّك ، هٰذا خلُّه لأهل (حضرموت) لي يختمون في كل أسبوع ، ولي لهم تفسير ولهم شروح عليه ولهم كلام ، ولعاد تكثِّر من الكلام ، خَلّ حَدْ من المصريين

---

(١) الفصول : وهو دعاء ختم القرآن. . لسيدنا علي زين الدين العابدين عليه السلام؛ ويعرف بالفصول .

الثانيين يتكلم ، وعندي كثير من المصريين . قلنا لهم هنا لها شروح في هـٰذا الكلام .

قال : هـٰذا كتبه الشيخ حسنين .

قلنا له : الشيخ حسنين جزاه الله خيرْ ، ولـٰكنه وراه نزل به من السماء ؟ الشيخ حسنين له غلطات كما للناس غلطات ، وانته لك غلطات ، وأنا لي غلطات ، وهـٰذا من غلطات مخلوف .

فقـدَّر الله جـاء مخلـوف ، وقلنـا لـه : شفنـا تنـازعنـا نحـن وصاحبك على كلمة : (واصل) (وأطل به صلاح ظاهرنا) .

قال : القول ما قالت حَذام . القول لي تقوله أنته .

قلنا : لا ، لا ، لا : إن غلطتَ أنت ، وإلا . . ٱقعد با نصحح نحن وإياك .

بقينا نلاحظ الشيخ ، فقال : سَواء .

ونحن متأكدين أولاً مِن أَخذه عن الشيوخ ، ثم له شروح كثيرة شرحوه كثير من الناس ، ثم قُرِىءَ على شيوخ أجلاَّء على هـٰذا النَّمَط ، ثم المعنىٰ يظهر علىٰ هـٰذا اللفظ[١] أكثر .

هـٰذا بالنسبة للعادات القديمة الفاضلة ، وهـٰذه عادات ما تكلف شيءْ . كانوا العامة لي ما يقرؤون يحفظون « الفصول » ويحرصون عليها ، ثم تأتي في وقت لا يتجاوز ربع ساعة ـ عشر دقائق ـ يحرصون عليها . ذا الحين ضاعت علينا العشر الدقائق ،

---

(١) الأصل نطق بكلمة (المعنىٰ) وأبدلناها بكلمة (اللفظ) .

والربع ساعة ، والنصف ، وساعة ، وساعتين ، والخمس ساعات ، وكلها أصبحت ولعاد فيها شيء ، معاد فيها إلا فكر في العمل ، هَمّ في العمل . حصَّلت أبوك فلان ، قال : بَتَيَّت أنا عند فلان حصلت عمله يتقاضىٰ كذا ، يلقي كذا ، ويلقي كذا ، وكم ياعمل .

هـٰذه ـ شفوها ـ إلا يقولون : أنوثة الحياة ؛ لأن النساء ما كُلِّفن مثل ما كُلِّف الرجال ، فإذا لم يعرف الرجل ماذا كان من أمره ولماذا هُيِّءَ ـ كما قال لكم الشاطري ـ فهو أنثى من الإناث ، والأنثى أحسن منه ، لأنها قائمة بعملها ، قائمة بعملها في بيتها وفي أولادها وفي حاجاتها الأخرى كأحسن ما يكون ، ثم هي إذا احتاجت إلى تنبيه . . نُبِّهت ومشت في العمل ، وإذا كانت ما هي صالحة للتنبيه . . هـٰذا أمر ثاني .

والناس ذا الحين رَضُوا أن ينزلوا من الأعلىٰ إلىٰ الدون ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ لا ـ يا إخواني ـ لا أقل من خمسة مقارىء ، إذا ما قَدَر . . عشرة مقارىء ، إذا ما قَدَر . . جزء ، إذا ما قدر ، شي من مثل هـٰذا إذا ما قدر . هؤلاء يطوون من كتاب الله ، ذا الحين نحن ما جئنا للطي وما شاكل ذلك . . . ذَلاَّ بغينا من خمسة مقارىء ، يختم الختمة في شهرين ، ما هو في شهر كما آل باجُزء ، وإن قدر على جزء . . فحَسَن ، وإن قدر على أكثر . . فحَسَن .

ثم أنا ذكرت ـ ما أدري ، أو في شيء في مجامع المولد

الشريف ـ أنهم أولاد (المدينة) عدد منهم كثير ، وددت أنني أجيب لكم قصيدة كان أَنشَدَها ولد لا يتجاوز سنه اثنا عشر سنة ـ أو عشر سنوات ـ بصوت حسن وأداء كامل ، وإعراب كامل ، وتأدية للغناء كأحسن ما يكون ، مع جودة صوت . ولَمَّا قدَّمه والده لي لأمسح عليه . . قال لي : دع له شفه قد حفظ القرآن .

وين نحن من ذا الكلام ؟ آه ذا البلاء لي علينا ، آه النازلة ذي؟

كانت مَدَنِيَّة (جدة) أصبحت عليكم وبال .

كان فرحكم بنزولكم في هـٰذه البلد لما هاجرتوا من بلد ضاقت بها المعيشة عليكم ، كانت شَرٌّ عليكم من ضيق المعيشة ، كانت أسوأ عليكم ، لأن الإنسان إذا ضاع عليه خُلُق من الأخلاق ، خلق واحد من الأخلاق الحسنة ، فَقْدُه . . ما يعوضه شيء ، ما تعوضه مئة ألف ، ولا يعوضه مليون ، ولا يعوضه أكثر .

ثم اعلموا أن القرآن إذا ذَكَر أهل المال هؤلاء . . يذكرهم في معرض الإزدراء والاحتقار ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ يقول لنبيه صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

ثم أهلكم رضُوا بهـٰذا واختاروه ، بينما الواحد منهم لو سافر . . سهل عليه السفر . شفونا أنا كذلك « شرح العينية » كثير[1] ما أذكرها ، ولكنني المرة هـٰذه قللت من ذكرها .

---

(1) كتاب للحبيب أحمد بن زين الحبشي شرح قصيدة الإمام الحداد العينية طبع في سنغافورة بأمر الحبيب عبد القادر ، وتصحيح الشيخ عمر الخطيب .

أولاد أحمد بن حسين العيدروس ، قال فيه الإمام الحداد :
وابن الحسين العيدروس ملاذنا .

واحد عبد الله وواحد حسين ، قاما بالمنصب بعد والدهما .
ومنصب العيدروس الأكبر هـٰذا ومظهره هُوْ لي أقامه أحمد بن حسين .

العيدروس منصبه منصب علم ومنصب مَظهَر ، وتوفي وأولاده كلهم صغار . جاء العدني وألقىٰ مظهر كبير في (عدن) جاء حسين وألقىٰ مظهر عظيم في (عدن) جاء أحمد بن حسين هـٰذا واستجلب آل بامصري ، واستجلب كثيرْ من الأخدام ، وظهر له الجاه وظهرت له الأشياء ، ولـٰكنه قام بها فأحسن . أقام الضيافات الكبيرة ، أقام الإيواءات الكبيرة ، أقام المكارم العظيمة ، أقام الأخلاق . ثم مع هـٰذا كانت له كتب كتبها ، ثم مع هـٰذا كان يحضر الدروس ، ثم مع هـٰذا كانت له دروس .

كان في زمان باجحدب ، كان يروح يزور أحمد باجحدب ، ويجلس يحنىٰ عليه وهو المنصب ، ويتأدب له ويطلب منه وهو المنصب وشيخ (تريم) .

كان في وقته أحمد بن حسين ، وباجحدب نقيب العلويين .
توفي بعد المظهر الكبير ، وبقي أولاده الاثنين هاذيلا على هـٰذا المظهر : على إقامة وإيواء الغريب ، والأخلاق ، والخدامين بالمسجد ، والحداة ومن على شاكلتهم . . .

لكن شُفوا كيف الأخلاق الكبيرة الفاضلة التي فقدناها نحن .

لما ارتكبهما الدَّين . . قضت الظروف بالسفر فسافروا وكانوا يسافرون عن طريق (اليمن) ولما سافرا في طريق (اليمن) اغتبطوا بهما الناس وابتهجوا بهما . شافوهم زهرة لا يكون لهما نظير ، لأن العلماء من (حضرموت) ينشؤون على أخلاق نبوية ، لا يكاد يعرف الواحد من يمشي على يمينه ممن يمشي على يساره ؛ لأنه لا يلتفت ، يمشي في طريقه . ثم لا يتكلم فيما لا يعنيه ، ثم وقته موزع ، ثم أخلاقه نبوية ، ملآن وجهه وتبسماته بالبشاشة ، وفمه بالابتسامات ، وكلماته بالكلمات النبوية الحلوة الغضة الطرية .

اغتبطوا الناس بهما ورأوا . . . أمرْ ما كانوا يعتادونه ، طلبوا منهم الإقامة في قرية من قرى (اليمن) ـ ما أدري آه اسمها ، لكنها في « شرح العينية » . . فاعتذرا بأن عليهما وظائف في (تريم) وأنه لا ينبغي لهما يتساهلا .

سارا إلى الحرمين الشريفين ، ورجعا من طريق (اليمن) فألح عليهما أهل هـٰذه القرية بالجلوس ، فاعتذرا .

وقضوا ديونهم ، وجمعوا لهم وقضوا الدين ، وجمعوا لهما ـ قال صاحب « المشرع » و« شرح العينية » ـ قال : جمعوا لهما عِدلين من الأقمشة الفاخرة الطيبة .

قال : فسارا وخرجا إلى (تريم) بعد قضاء الدين ، وبعد ما يسره الله لهما ، وبقيا علىٰ منصبهما من إيواء الضيف

وإكرامه ، والقيام بالخدمات ، والقيام بالمساجد ، والقيام بالوظائف ، والقيام مع الناس بما يلزم علىٰ هـٰذا النَّمَط .

قال : ولما وصلا . . أدخلا هـٰذين العِدلين إلى دارهما ، وبقيت العِدلين كما هي ؛ لأنهما من عفاف الكرم بنصيب كبير جم . قال : حتى توفي الأول ، وبقي الثاني : وتوفي الثاني بعد قدر من الزمان ، فجاء أولادهم ليقتسموا هـٰذين العِدلين فوجدوها تتمزق من طول المدة التي بقيت في محلها ولم يلتفتا إليهما .

ومع هـٰذا كانوا قائمين بوظائف ، والوظائف هـٰذه كثير من الناس يرى أن الكرم هـٰذا ، البخل في نظره أو الاعتدال أحسن منه . لا ، لا يتأتىٰ . هـٰذا الكرم من أوصاف الحبيب ﷺ . وقبل أن يكون من أوصاف الحبيب من أوصاف المولى سبحانه وتعالىٰ ، اسمه الكريم .

كان من أوصافه صلّىٰ اللهُ عليه وآله وسلم أنه لما رأى المسلمين يتزايدون ، كان أولاً من عقله ومن حكمته ومن شيمته : إذا مات ميت . . سأل عن دَينه : « **هل عليه دين** » ؟ فإن قالوا : نعم . . قال : « **هل من قاضٍ له** » ؟ فإن قال واحد : أنا أقضيه . . صلى عليه ، وإلا . . قال لهم : « **صَلُّوا على صاحبكم** » ؛ لأن صلاته مقبولة .

ولما فُتحت عليه الفتوح عليه الصلاة والسلام ، قال : « **من كان له مال . . فماله لورثته ، ومن كان عليه دين . . فعَلَيَّ قضاؤه** » .

ثم كان لا يُبقِي شيءْ . نحن الكرم عندنا طريقته : أن يحفظ لأولاده وأن يتكرم ، والكرم هـٰذا ما هو بالسؤال ، قال حافظ :

خير الصنائع في الأنام صنيعةٌ تنبــو بحــاملهــا عــن الإِذلالِ
مَن جاد من بعد السؤال فإنه وهو الكريم يُعَدُّ في البُخَّالِ

واحد قلت له : هت لي ، فأعطاك جم . . هـٰذا بخيل ؛ لأنه ألجأك إلىٰ أنك تمد يدك له وتريق ماء وجهك .

من جاد من بعد السؤال فإنه وهو الكريم يعد في البخال
وإِذا النوال أتى وَلم يُهرَقْ له ماءُ الوجوه فذاك خير نوال

فالإنسان الذي يَقْدَر . . ثم إن الله ضمن للكريم أن لا يعثر عليه الدهر قط ، وأن تبقى يده ورجله على هـٰذا الحال حتى يلقى الله . ثم ضمان ـ قالوا ـ بعده في أحاديث صحيحة واردة لحفظ أولاده ورعايتهم . . إذا كان هـٰذا الكرم ذا في سبيل الإنفاق وفي سبيل الله ، وفي سبيل المبرات وفي سبيل الخيرات .

ونسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن ينفعنا بما سمعنا من كلام الأخ محمد ، وبما سمعتوه من الأحاديث أو من الآيات ، وأن يحلِّينا وإِياكم بصفات مَن ذكرناهم من أمثال العيدروس ، ومَن قبله ومن بعده ، من رجال الكرم ، ومن رجال المظاهر العلية الجم .

وأن يجعل مجتمعاتنا مفيدة جم ، وأن يحقق لنا ما رُمْناه منكم من قراءة كتاب الله والصلاة في جماعة .

والحمد لله .

ثم رتب فاتحة المجلس ، فقال ـ حفظه الله ـ :

أن الله يعيد علينا وعليكم نصيبٌ من سيرة سيد الأولين والآخِرين صلى الله عليه وآله وسلم ، ويجعلنا متصفين بما نقدر عليه إِن شاء الله ، ويجعلنا سائرين في الطريق الأقوم ، والطريق الأمثل ، ويحققنا بذلك ، ويجعلنا أهل لذلك ولما هنالك . ويتحفنا بما أتحف به آباءنا الأولين ، الذين ذكرناهم .

ويجعل مجتمعاتنا مجتمعات نافعة ، وَالنية دينية لادَنِيَّة إِن شاء الله .

يهبُ لنا ربنا القبول ، ويهبُ لنا ربنا الإِقبال ، ويعيد علينا من بركات هٰذه الاجتماعات ، ونصيبْ من القرب من الحبيب صلّىٰ اللهُ عليه وآله وسلم ، ونصيب من العمل من عمله صلّىٰ اللهُ عليه وآله وسلم ، ويدرج نياتنا في نياته ، وأعمالنا في أعماله ، وحركاتنا في حركاته ، ويجعلها منوطة بالصدق ، منوطة بالإِخلاص ، منوطة بالخير ، ولا يقيمكم على شدة إِن شاء الله .

ويحفظ قلوبكم من الالتفات إِلى المال ، ويجعل المال في أيديكم لا في قلوبكم . ويحفظكم إِن شاء الله من الكد ، ويحفظكم من العناء ، ويحفظكم من العَيا ، ويحفظكم من الذلة ، ويحفظكم من الإِذلال والأسواء والأمراض ، ظاهراً وباطناً . ويمتعنا برجالنا وصلحائنا وشيوخنا ، وإِخواننا

وأصحابنا متعة ظاهرة وباطنة ، ويصلحنا صلاحْ ظاهرْ وباطن ، تصلح به البلاد والعباد .

وإلى حضرة النبي محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم[1] .

❊ ❊ ❊

(١) مسجلة بالشريط رقم ١٣ ومدتها ٣٨ دقيقة .

في الختم على روح الشريفة الداعية إلى الله السيدة علوية بنت الإمام العلامة عبيد الله بن محسن بن علوي السقاف ، وهي شقيقة العلامة عبد الرحمن بن عبيد الله ، والمرحومة قائمة بدروس للنساء في بيتها

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة[1] في الختم الذي أقيم على روح الحبابة علوية بنت عبيد الله السقاف . الذي أقيم بمنزل الأخ سالم بن حسن السقاف بـ(جدة) بتاريخ الثاني من شهر ربيع ثاني من عام سبعة وتسعين وثلاث مئة وألف هجرية . الموافق : العشرون من شهر مارس من عام سبعة وسبعين وتسع مئة وألف ميلادية .

وفي هٰذه الكلمة أثنىٰ على هٰذه الحبابة ، وذكر بعضاً من عاداتها ومجاهداتها .

وفيها أيضاً : يوجه النصح والإرشاد إلى أولاده ؛ لأن قلبه يحمل عبءاً ثقيلاً لما يراه من حالتنا اليوم وبُعْدنا عن العلم وترك عاداتنا الحسنة .

قال ـ حفظه الله ـ :

وقد فاتنا جزء بسيط من بداية كلمته ـ قال ـ حفظه الله :

. . . .

أما غير المطيع : فإذا استعجله الموت ، وسبق إليه ـ قالوا ـ خفف من الأوزار التي يجنيها على نفسه في غفلته .

---

(١) رقم الشريط المسجلة عليه هذه الكلمة (١٣) و(١٤) ووقتها (٥٦) دقيقة .

والمطيع هـٰذا ـ قالوا ـ لأنه يستقبل أولاً جزاء ما قدم ، ثم بعد هـٰذا الاستقبال يستقبل مولاه برضا . ومن استقبل مولاه برضا . . لاشك أنه يفرح باللقاء ، وهو مصداق الحديث الذي أتى معنا : « **من أحب لقاء الله أحب الله لقاءَه** » .

لكن الصلحاء والعلماء والأولياء ، ومن إذا نظر الله فيهم في كونه لم يعذب أهل كونه بواسطتهم . . هـٰذا يتمنى الإنسان أن يتأخر لأجل الرحمة العامة هـٰذه . وهـٰذيك رحمة خاصة لهم ، يستأنسون بها ، ويدخلون في حياض رضوان وفي حياض كرامة ، وفي حياض أشياء من النعم التي قدمها الله سبحانه وتعالىٰ لهم في برزخهم ؛ لأن البرزخ وردت فيه أحاديث ، أن الإنسان يشقى فيه أو يسعد فيه ؛ يشقى فيه بالعذاب ، أو يسعد فيه بالنعيم .

قال الإمام الحداد :

والقبـــر إمـــا روضـــة نعيمـــهْ   نعـــم وإلا حفـــرة جحيمـــهْ
فاعمل لنفسك لا تكن بهيمهْ   تجري ولا تدري بعظم الأخطار

لأن القبر هـٰذا طريق كل الناس سالكينه . وهـٰذا يعتقد الإنسان أنه يُلقىٰ فيه في حفرة ولا يُدرىٰ عنه شي! الحفرة هـٰذي طريق للدخول إلى الدار الثانية ، مهد يمهِّده الإنسان للعمل للدخول إلى الدار الثانية .

وفـي ذلـك الانتظـار ورد عـن الصـادق المصـدوق الحبيـب

صلّىٰ اللهُ عليه وآله وسلم أن العبد يُفتح له إما كوة يأتيه منها برد النعيم من الجنان ، وإما كوة إلى النار يأتيه منها السموم .

وقد حكى المولى لنا ، قال : ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ والنزل القبر .

أخبر المولى سبحانه وتعالىٰ أن هـٰذا هو حق اليقين ، الذي معاد فيه شائبة شك ، وكلنا واردين فيه ، ولا أحسب أن أحدْ يوجد علىٰ ظهر البسيطة ـ ولو كان معتوه ـ أنه ما بايموت ، ذلك لأن مَن قبلنا مات . إذا نظرنا إلى الجيل الذي قبلنا من آبائنا وأمهاتنا وجيراننا وأقربائنا ومن على شاكلتنا ، ومن عرفنا ومن لم نعرف . . وجدناهم أنهم ما تخطتهم السنين ، كل من وصل إلى أجله المحتوم . . جاءه الموت بأي سبيل وأي طريق .

كان معي اليوم الولد محمد هـٰذا ـ الفقير كاتب الأسطر ـ وبعد يذكر لي : كان إلى جانبه واحد في دكانهم يعمل معهم ، وبعد قال : كان يأتيه ضيق النَّفَس ، وقده يعرف مرضه هـٰذا ، لكن لما كان مقدَّر عليه الموت في هـٰذا اليوم . . جاه ضيق النَّفَس ، فعملت له إبرة أو حقنة كأنها كانت سبب في الوفاة ، لأن الأجل قد قُدِّر بهـٰذا! وهو قده يَعْبُر على هـٰذا الخطر مِرارْ مطمئنْ ، ما هو هـٰذا الخطر لي بايلقىٰ فيه حتفه ، فإذا بالحتف مخبَّأ له في هـٰذا!

وموضع الكلام : أن الإنسان معرض للمنية على أي حال ، في وقت محدد لا يتقدم ولا يتأخر .

رجعنا إلى الصالحين : كما ذكرنا لكم ، قلنا : إن الصالحين نتمنى أن الله سبحانه وتعالىٰ يبقيهم في الكون ؛ لأن القرآن والآيات الصادقة والأحاديث الصادقة وردت بأن الله إذا نظر إلى بلد وفيها أحد الصالحين ـ قالوا ـ لم يعذبهم ، يرحمهم الله بواسطة ذلك الصالح ؛ لأنه يكون شفيع لهم في الدنيا ويكون شفيع لهم فيما بعد .

وهٰذه الشريفة ذي ، قال أبو الطيب المتنبي :

ولو كُنَّ النساءُ كمن فَقَدْنا لفُضِّلَتِ النساءُ على الرجال

يعرف الكثير منكم عنها أنها جمعت من العلم حصة وافرة ، أكثر من طلبة العلم الموجودين إذا حد ناقشها فيه .

ثم مع العلم تواضع ودماثة أخلاق ، وصلت بها أنها لا ترى نفسها أنها من طلبة العلم ، ولا من الدعاة .

ثم إن النساء ـ نفع الله بها رجال قبل النساء ـ والنساء لا يزلن يتهافتن على مجلسها تهافت الفراش على السراج ، ويخرجن من ذلك المجلس بفوائد . يأتون نحن كثير من أقربائنا ، ويجيبون لنا بيت شعر قد لا نسمعه ، ويجيبون لنا حديث قد لا نسمعه ، ويجيبون لنا حكمة قد لا نسمعها ، ويجيبون لنا معنى من المعاني قد لا نسمعه! وهو موجود عند هٰذه الخزينة ، في صدر هٰذه الشريفة .

إلى ذلك أنها كانت من العابدات الصالحات ، كانت جارة من جيراننا ، وكان من آخر الليل يظهر نور السراج في البيت عندهم لذكر الله ، والله قد حكى لنا في كتابه : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا ـ أو وِطَاءً ـ وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ وقال لرسوله : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ .

قالوا العلماء : (عسى) تأتي في القرآن ما هي (عسى) للترجي . (عسى) تأتي للتحقيق . ولا هي للظن ؛ لأنها إذا قام الإنسان بمثل مقام نبيه صلّىٰ اللهُ عليه وآله وسلم . . فقد أورثه المقام المحمود في دنياه قبل أخراه . ذلك لأن لقيام الليل أثر يظهر ، ولو لم يكن ـ قالوا ـ فيه بعد هٰذه الآية إلا قوله عليه الصلاة والسلام : « **ركعتان في جوف الليل كنز من كنوز البر** » .

وكنت أذكر ـ يمكن للإخوان هاذيلا ـ أنا لقيت في إحدى زوراتي للمدينة القريبة ، قاضي (أبو ظبي) لي يتهافتون الناس ذا الحين إليها ـ ودعانا إليها صاحب الضيافة ، وقال : إن القاضي هٰذا طلب حضورك .

قلنا على الرأس والعين . الناس يشتافون إنهم يحبون (أبو ظبي) باندهب إلىٰ عند القاضي هٰذا[1] .

وحضرنا مع القاضي ، وقال : شفوكم أنتم يا آل السادة آل السقاف لكم يد علىٰ جدي .

---

(١) يتكلم حفظه الله والابتسامة على وجهه .

آه اليد يا قاضي ؟

قال : اليد أن جدي مبارك ـ وهو اسمه[1] : أحمد بن مبارك بن مبارك ، أو : بن عبد العزيز بن مبارك ـ قال : إن جدي كان من العلماء ، وكنا في بلدنا دخلت دولة أخرى إلى بلدنا ، فأُلقي القبض على جدي . وكان جاء أحد السادة آل السقاف بعد أن هدأت ثائرة الفتنة ، وسأل عن علماء هٰذه البلاد ، فقيل له : إن أظهر واحد هٰذا الشيبة مبارك ذا ، جد القاضي الموجود .

فقال لماذا حُبِس ؟ قالوا له : حُبِس ما نعرف شِيْ سبب من الأسباب ! لكن السياسة لها شأنها .

قال : أنا لابد إما أدخل إلى عنده ، أو تطلقونه . أنا ما حصلت أحد آنس به ، بغيت أحد باآنس به .

قالوا له : يمكنك تزوره .

دخل إلى عنده وزاره ، وأَنِس به . وبعد ، قال : إن السيد هٰذا لما كانوا يأمرون الناس بالتشديد على الصلاة وما على شاكلتها ، وإِن السيد هٰذا تكلم وقال : ما لهم حق يقصدون ديار الناس يأذونهم ويلزمونهم بالصلاة .

قال : فبلغ الشيبة مبارك كلام السيد ، فرد عليه وقال : هٰذا له دليل عملهم . آه ؟ قال : الدليل حديث جابه : إنِ امرؤٌ تعار من الليل فنبه أهله ، فإن لم يتنبهوا ـ معنى الحديث ـ نضح عليهم

---

(١) أي القاضي موجود .

بالماء فقاموا ، فصلوا ركعتين وذكروا الله . مفاد هـٰذا الحديث ـ أذكره لكم في آخر الجلسة ـ .

قال : فأعجب السيد هـٰذا المعنى ، وقال لهم : هـٰذا عالم ، ولا ينبغي أن يسجن .

قال : فأُطلق بواسطة شفاعة السيد السقاف .

قلنا له : نحن محتاجين يا قاضي لشفاعتك ـ يتكلم حفظه الله على سبيل البسط وليس على سبيل الجد ـ خَلْق الله تهرع لَمَّان عندكم ، اعتن بهم .

قال : في وجهي ، إن من آل السقاف وإلا حد من السادة ؟

قلنا له : السادة كلهم آل السقاف ، ما حد ما هو من آل السقاف . لي يجون لَمَّان عندك من السادة أو غيرهم ، كل من جاء لَمَّان عندك ويطلب منكم إقامة أو تابعية . . لا تقصِّرون .

قال : إن شاء الله أنا ماباقصِّر .

وموضع الشاهد الذي أتى بنا إلى هـٰذا الكلام : ركعتان في جوف الليل كنز من كنوز البر ، فاستكثر أو فاستقلل . هـٰذه الشريفة ـ كما ذكرت لكم ـ ما أعرف أننا انتبهنا من آخر الليل إلا ورأينا النور في بيتها والع .

وقال لي محسن[1] قبل أمس : إنها جاءت للحج فيما قبل سنوات وأنا كنت موجود ، وأنزلها محسن في بيته ضيفة عنده ،

---

(١) السيد محسن بن علوي السقاف؛ من أقران الحبيب عبد القادر متع الله بهما في عافية .

ونزلت عنده ، وقال : إن بيتنا اعتمر بالنور من آخر الليل بواسطة هٰذه ، نرى في آخر الليل الحبابة في سجادتها وفي مفرشتها تصلي وتذكر الله وتقرأ القرآن ، وأنا أعرفها بهٰذا .

ثم إنها كانت لها خلال عظيمة : كانت كريمة ، وكانت لا تدخر ، وكانت أخذت عن كثير من الشيوخ ، في مقدمتهم : الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي ، من جملة من أخذت عنه ، ومن جملة من وضعها والدها تحته[1] .

وهٰذه البركة التي تحصل لمثل هٰؤلاء ، إنما تحصل ـ شفوها ـ بنظرات الشيوخ . نظرات الشيوخ هٰذه إكسير مجرب ، لأني أحسب أني قد ذكرت لكم أن الإمام الغزالي ـ عليه الرحمة ـ يوازن . قال : فإذا كانت نظرات العائن تؤثر في الإنسان ، وهي نظرات شر ونظرات مرض ، فهل تكون نظرات الشيوخ أقل منها ؟ لا يتأتىٰ . . هٰذه نظرات خير وبركة ، وهاذيك نظرات شر وبلاء . فإذا كانت نظرات الشر والبلاء تؤثر في جسم الإنسان . . فنظرات أهل النور كثير ما تؤثر .

كان ـ ربما أذكره لكم ـ هٰذا الحبيب شيخ بن عبد الرحمٰن عيديد ، والده كان من تلاميذ سيدنا الشيخ أبي بكر بن سالم ، وكان يحمل ولده وهو صغير . والولد كأن إدراكه للعلم قليل ، عنده رائحة من روائح الجذب .

---

(١) وللشريفة المذكورة إجازة ووصية مكتوبة من الإمام الكبير محمد بن هادي السقاف ١٢٩٢/١٣٨٢ بسيون .

قال : كان يقول لي : أنته لا تعملْ شيءْ ولا تسمع ، لـٰكنك تَشوَّف للشيخ أبي بكر بَس ، وإذا رجعت . . شفنا باسألك عن الشيخ أبي بكر . ذلك لأن الشيخ كان يقول : ناظري وناظر ناظر ناظري في الجنة .

وهو قال ـ نحن ما نحن بصدد هـٰذا الكلام ، لـٰكنه قال ـ : أنا لما جئت إلى (عينات) وجلست من وراء والدي أنظر إلى الشيخ بوبكر بن سالم ـ قال ـ شفت الشيخ بوبكر حدق علي بعينيه ونظر إلي ، وأنا معاد قدرت أشوف له يوم شَطّ .

قال : لما أدركت بعد أربعة عشر سنة . . عرفت سر النظرة هـٰذي ، وأنها خرقت قلبي وكأنما هي أصلحت ، وكانت دواء بمثابة الحبوب التي يداوي بها الطبيب مرض المريض . قال : معاد وصلت إلى هـٰذا السن إلا وقدنا أشعر بنظرات سيدنا الشيخ أبي بكر بن سالم .

وهـٰذه الشريفة وضعها والدها علىٰ الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي ، ثم هي علىٰ يد غيره كثير من الشيوخ ، ثم والدها هـٰذا الحبيب عبيد الله بن محسن[1] الذي ترك الدنيا وأهل الدنيا . قالوا : بلغ من أمره إلى أنه يسير وعليه طيلسان ؛ حتى لا ينظر إلى الناس ، ما هو إلى الحريم! ولا ينظر إلى سوق ، ولا إلى شي من المتاع الفاني ذا ، حتى الناس ما بغا يشوفهم ؛ لأنه يسير

---

(١) الحبيب عبيد اللاه بن محسن بن علوي السقاف [١٢٦١/ ١٣٢٤] وهو والد الشريفة ولازم شيخه الكبير عيدروس بن عمر الحبشي.

مُتَجَلْبِبْ عليه طيلسان . يسير في طريقه حتى إذا وصل بيته . . أخذ سبحته أو سجادته ، أو نكش كتابه ، أو جلس يقرأ . وتلميذه الشيخ الدثني . من كبار الرجال الصلحاء الذين استفادوا الحياة .

والحياة هـٰذه غنيمة لمن أدرك الغنيمة ، ومن لم يُدركها . . فهي وبال عليه . يأخذ فيها عشرين سنة ، أربعين سنة ، يعتقد أنه تمتع! وذلك التمتع بعد أربعين سنة إذا شعر بانهداد كيانه وتَضَعْضُع جسمه وانهيار قوته . . يشعر أنه مر عليه العمر في بلاء ، مر عليه العمر في محنة ، مر عليه العمر في غير طائل .

والعمر إذا لم يستفيد منه الإنسان . . يجعله صدرْ يحفظ ويُلقي . أو إذا لم يحتفظ في القلب الذي أعطاه الله إياه ، لأن القلوب ـ قال الإمام علي ـ ثلاثة .

والقلب وعاء : إما يخزن فيه العلم ، فيحفظ كثير ويمكر كثير .

أو يخزن فيه النور ، فيكون موضع نظرات الله . « **إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم** » . هي موضع نظر المولى سبحانه وتعالىٰ ، وهي التي يخاطبها القرآن .

القرآن إذا خاطب . . خاطب أهل القلوب هاذيلا ، وأما من لم يكن عنده قلب . . قد أخبرنا المولىٰ عنهم والنبي أن التكليف موضوع عنهم : البهاليل ، والمجانين ، والحمقى ، ومن على شاكلتهم هاذيلا الذين لا يدركون .

ومن يدرك عنده قلب . . هو مسؤول عن إدراكه ؛ يعني :

مسؤول عن القلب هٰذا . وسؤاله عن القلب مسؤول فيه عن الأوامر التي جاء بها الحبيب ﷺ . والأوامر يدرك منها الإنسان أن المقصود كله من البعثة أمرين :

الأمر الأول : هو الانقياد للمولى ؛ بأن يعرف الإنسان أنه عبد لابد أن يرتبط بمعبود .

الأمر الثاني : هو أن يعرف الإنسان أنه واحد من الناس الذين يمشون على ظهر البسيطة ، وأن ليس لأحد على أحد ميزة إلا بالتقوىٰ : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ .

وهٰذا الحبيب دَلَّنا وقال : «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» .

فمن فاتته الأخلاق . . فقد فاته ما بُعث به محمد ﷺ .

والأخلاق هي معروفة : الأخلاق ليست السلام عليك ، ولا كيف حالك .

الأخلاق : أن يرعى الإنسان حق والده إن كان له والد . وإن كان والده في برزخه . . عليه رعاية أخرىٰ ، مِن : إهداء الثواب ، والصدقة ، وقراءة كتاب الله ، والذكر والتسبيح ؛ لأنه ينفع عمل الولد عن الوالد .

الثانية : قالوا : من الأخلاق حسن المعاشرة مع أهله أولاً .

الثالثة : تربيته لولده .

الرابعة : مراعاة أرحامه وأقاربه كمن هو لُحْمَة في النسب هو وهم بسَوَاء .

الخامسة : مراعاة الجار : « **ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه** » .

السادسة : مراعاة حقوق المسلمين : المنقطع له حق ، الغريب له حق ، المريض له حق ، الشيخ الكبير له حق ، المُقعد له حق ، العجوز له حق .

فواجب على الإنسان يتفقدهم ؛ لأن أبوكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قربت منيته كان يقول : إني أخشى أن أسأل عن جفرة بشاطىء (العراق) ميتة هناك ، أو ماتت ؟

آه الجفرة ؟ المعز من الغنم أو ما مثله .

فين شاطىء (العراق) من (المدينة) ؟ هـٰذا باعتبار أنه والي من ولاة الإسلام . لـٰكن من عنده نشاط . . هو والي للنشاط هـٰذا ، يتفقد .

من عنده مال . . هو والي للمال هـٰذا ، يتفقد .

من عنده جاه . . هو والي للجاه هـٰذا ، يتفقد .

من عنده من الرعاية نصيب . . هو والي لتلك الرعاية ، يتفقد .

فإن لم يتفقد . . فقد أساء إلى نعمة أنعم الله بها عليه وأضاعها ، وهو مسؤول عن إضاعتها .

هـٰذين الأمرين المهمين ، فإذا جئنا ووضعنا أنفسنا في الميزان . . أحسب أن الميزان بايطيش بنا كلنا .

العبادة هٰذه ، المحافظة أقول لكم دائماً على الصلاة .

الشاطري ـ بعد ما تكلمت لكم في الصلاة ـ ذكر لنا السواك ، كذلك أحسب أن ٱلكِيَاس[1] خلية من الأسوكة ، ما أحسب أن شيءْ عليها حاضر منها قط .

وكم يكون الإنسان في إهمال ؟ السواك ما يكلف شيءْ . السواك يورث الإنسان ـ أولاً ـ نظافة الفم .

يورث الإنسان امتثال أمر النبي ﷺ .

يورث الإنسان الاهتمام بالأوامر . يورث الإنسان قبول الصلاة .

يورث الإنسان أن الصلاة بالسواك بمثابة كم ؟ سبعين صلاة : « **صلاة بسواك أفضل من سبعين صلاة بلا سواك** » . وهٰذا معاد يحتاج . ذا الحين أنتو لما جاءت شطارة المال ، كل من حَصَّل له راتب عند واحد ، وإلا . . قال له واحد : بانزيد الراتب .

قال : إليه ، وعليه المعوَّل .

وإن كان جالس في دكان ، وقالوا له : التجارة زادت في كذا وكذا . . انتبه من نفسه وبَتّْ جابه .

إذا كان الإنسان يدرك أمر دنياه . . فما باله لا يدرك أمر دينه البسيط ؟ لي ما يكلِّف ، لي ما يتعب ، لي ما يرهق ؟

---

(١) الجيب أو المحفظة التي في الثوب .

سواك في الجيب ما يكلف ، ولا هو ثقيل على الجيب ، ذاك إهمال!

ومعنى **الإهمال** : التغافل .

البارحة قرأ لنا قصيدة الأخ سالم خرد من قصائد الإمام الحداد . ذكرت أنا في سري أن هٰذا الكلام الذي لا يقدر على القول به بشر اليوم ـ مهما كان ـ مثل هٰذا الكلام العظيم الذي نظمه الإمام الحداد أو كتبه . ربما يكتب الكاتب اليوم ، فلا يقدر على حلاوة قالها عبد الله حداد وهو بَشَر ، لا يقدر على طلاوة تأتي في كلام الحداد ، لا يقدر على استحضار ما جاء في كتبه . ثم هو كفيف البصر .. يملي . ما هو من الناس الذين يظلون يشوفون ويرد الكتاب ، يقول : اقرؤوه عَلَي وإلا يرجع يقشط ويصحح . واحد مغمض ، يملي عليهم .. وخذ من العلم اللدني .

هٰذا سببه وجدته هٰذه الكرامة التي أعطيها ، والكرامة ذكرها الله : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ فإذا كانت عنده كرامة .. جاءت من فوق . هٰذا الكلام الدعوة بسيطة بالنسبة لما أعطته هو بالنسبة لما ينزل عليه ، بالنسبة لما يناله ، بالنسبة للفرح ، بالنسبة للخلعة التي أعطاه إياها .

ذا الحين الناس فقدوا الفرح للأتعاب التي يقاسونها من أجل دنيا ممقوتة ؛ لأنها قتلت الناس ، وقتلت أفكارهم وأضاعتها ،

وغيرت عليهم أمرهم كله ثم أتعبتهم ، ثم قاطعت بينهم وبين رحمهم وجيرانهم ومسافرهم وغريبهم ، وتركوا عمل البر والمسجد والصلاة في المسجد ، وزيارة القريب وزيارة الأخ . كلها هٰذه عملت قطيعة ، والقطيعة حرام ـ تعرفونها ـ واقعين الناس في حرام من حيث لا يشعرون .

سبب هٰذه القطيعة : محبة الدنيا . قنعنا بالأشغال هٰذه وقلنا : إن الناس إما مكلوفين بها ، وإما طريقة البلاد هٰذه أن تكون هٰكذا .

ولٰكن يا إخواني ، علىٰ الأقل إن الإنسان ما قدر يستقبل مسافره أو يودعه ، أو يزور مريضه أو يعوده ، أو يدخل السرور علىٰ هٰذا . . لابأس ، لٰكن هٰذه مسألة داخلية خربانة ، علىٰ قولهم .

إذا كان ما اعتنىٰ بالصلاة في جماعة ، إذا هو يسمر من الليل ـ الذي أعتقده أنا يا إخواني ، وهٰذا أشد ما يكون . . يسمر أكثر الليل كله ـ وإذا جاءت صلاة الصبح . . ما أهمته ، ربما صلاها بعد الإشراق ، وربما تهاون بها ، وربما أخرها ، وربما ما اهتم بها .

قبل أمس أظن أننا ـ أسأل الجماعة هٰؤلاء ـ كنت عند ناس في (جدة) ، وبعد قالوا لي : إنها كانت جالسة امرأة مابغت تصلي . لماذا ما تصلين يا بنت الحلال ؟

قالت : زوجي ما يصلي .

وكنتِ تصلِّين أنتِ من قبل ؟

قالت كنت أصلي ، لـٰكن زوجي ما يصلي ، وأنا الآن ما أصلي .

ما هو سببه هـٰذا ؟ والزوج كان يصلي مؤكد ، لـٰكنه وقع في غفلة ـ في مثل هـٰذه البلاد ـ سمره ، ويمضي عليه الوقت . أو يمكن تهاون بصلاة الصبح ، فلما تهاون بصلاة الصبح . . تهاون بما بعدها ، وهـٰكذا يحصل التهاون .

وهـٰذه هي التربية التي كان عليها المعَوَّل . ومثل هـٰذا الكلام صار .

ذا الحين هـٰذا أحمد شيبان قدامي ، كنت أنا عنده ، أقمت يمكن شهر في بيته في (أفريقيا) وكان عندنا واحد من ألطف الناس أخلاق ولطفْ وإحسانْ ومعاملة ، إذا قمنا إلىٰ الصلاة نحن وشيبان وأخدام شيبان . . هـٰذا يختلس[1] . سألت شيبان : لماذا صاحبك يختلس ؟

قال : هـٰذا ما بغىٰ الصلاة .

ناديناه ، قلنا له : تعال يا أخي . ما السبب الذي يمنعك عن الصلاة ؟

أخذ يتلَكْلَك في الكلام ، وبعد قال : إن نحن تعلمنا في مدارس إنجليزية ما يصلُّون ، والأغنياء ما يصلُّون ، يقولون : إن الصلاة تكون حائلْ بينك وبين الغنىٰ .

---

(١) يذهب من المجلس خلسةً .

قلنا له : بانعدد لك هٰؤلاء أثرياء الحجاز الكبار ، شفهم قيام بالصلاة ، هات غير هٰذا الكلام . هٰذه حجة ، واتفقنا نحن وإياه علىٰ أن صلاة الصبح ما فيها مفر . قنعنا .

ثم اتفقنا بعد ، وكان ما يصلي ، وأحسبه أني أشوفه ، يجيء ذا الحين عندي في الآونة بعد الآونة وهو من أحسن الناس .

ثقلَتْ عليه لأنه ما ألفها ، والشيء إذا لم يألفه الإنسان أو تساهل به . . يثقل عليه ، والمولىٰ قال : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ المولىٰ نبهنا عليها . هي خمس دقائق ، أو أقل من خمس دقائق صلاة الناس العاديين ، ولٰكنها إذا ثقلت علىٰ الإنسان . . قام الشيطان في دفعها بأقوىٰ تأثير علىٰ الإنسان فيتركها . لو بغيته يسبح أو يذكر الله ، أو يعمل ما شاء ، أو يقعد يجلس مع ناس طيبين . . يقول لك : مرحباً . لٰكن الصلاة ثلاث دقائق هٰذه تصعب عليه! نبهنا المولىٰ عليها ، وأنا أخشى من هٰذا .

فعليكم ـ يا إخواني ـ بالمحافظة علىٰ الصلاة أولاً . شفوها ، أهم ما كان : مجلبة لبركة الرزق ، والرزق المتيسر هٰذا إذا ما حفظه الإنسان بالصلاة أولاً ، ثم بما يأتي بعدها . . ضاعت عليه وهانت عليه الأشياء .

والصلاة هٰذه هي مفتاح للوصول ، ما هي إلىٰ حضرة علية ، هي مفتاح إلىٰ الرقي . إذا أحد بايرقىٰ إلى معارج الكمال ، وبايتمتع بأشياء مما تصلح للقلب وللنظر إلىٰ القلب . . هٰذه ـ شفوها ـ طريق إلىٰ الصلاة .

وإذا أراد الإنسان أن تكون له دعوة مقبولة مع الله . . طريقها : الصلاة .

والله ما يضيع من أحسن الصلاة ، ولا من قام بالصلاة ، ولا من اعتنىٰ بالصلاة قط . كلما هو محفوظ في ذمة الله ؛ لأن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم قال لنا : « **من صلىٰ العشاء في جماعة . . بات في ذمة الله حتىٰ يصبح ، ومن صلىٰ الصبح في جماعة . . ظل في ذمة الله حتىٰ يمسي** » . وكم نأتي لكم بمثل هٰذه الأخبار .

أسوق لكم حكاية كانت لي مع الأخ عبد الله بن عمر مولىٰ خيله ـ رحم الله عبد الله بن عمر ـ :

في أحد السنوات القريبة حجيت أنا وإياه[1] ، وكانت معنا الحُبابة علوية بنت محمد بن علي الحبشي ـ توفيت ، كانت تحفظ من أدعية الحبيب علي ، تحفظ كثيرْ من الأدعية ، أنا أكبرتها ـ وبعد سرت أنا وإياهم (المدينة) في سيارة حق الكعكي ، سيارة جيدة ، وبانزور (بدر) وسرنا بعد المغرب . صلينا واعتنينا بالصلاة ـ هٰذا موضع الشاهد ـ صلينا المغرب والعشاء جماعة هنا في (جدة) ومشينا يوم وصلنا إلىٰ (بدر) بانزور (بدر) والطريق ما هي معبدة إلىٰ أضرحة أهل (بدر) .

قال السائق : أنا بانتظركم هنا ، وأنتم ادخلوا .

فين ندخل ؟

---

(١) حجته كانت عام (١٣٨٤) .

قال : شفوها قدامكم .

قلنا : مرحبا .

دخلنا - بايكون هـٰذا الكلام يمكن الساعة خمسة من الليل عربي - نهَبِّد[1] ، نهَبِّد ، والشريفة هـٰذه ثقيلة جم ، مسكينة .

لما أن علمنا أننا ضعنا في الطريق . . قلنا : آل بدر جابوا لنا الضياع هـٰؤلاء .

يا خير كلام ، البدريين هـٰؤلاء المغفور لهم . وبقيت عندنا شيء من العقدة ، وقلنا : ما هـٰذا ؟ بانزورهم هـٰؤلاء وربنا ألقىٰ لنا ذا الضياع ، ما هـٰذا الكلام ؟ فإذا نحن بواحد يجيء إلينا في ظلمة الليل بالصدفة ، وسلم علينا وقال : بغيتوا قبور آل بدر ؟

قلنا : نعم هو من أنت - بارك الله فيك .

قال : أنا حسين . أنت الزين . تعال يا حسين . جاء وقبض بإيدي ، وقبضت بيد مولىٰ خيله ، وهو قبض بيد الشريفة ، فإذا به يقول بنا « تِرّْ »[2] فوق المشهد حق قبور أهل بدر . وزار بنا وزرنا ، وتمتعنا ورجعنا . بعد ما رجعنا ووصلنا . . قلنا له : بانعطيك أجرة ؟

قال : لا ، كيف أنا جئت بارَوِّيكم مشاهد أهل بدر قلتوا : بانعطيك أجرة ؟ هل أنتم تعرفون العربية ؟ لا ، لا ، أنا جئت فقط لأوَرِّيكم الطريق . تعال يا حسين . فإذا بحسين هـٰذا اختلس ، معاد

---

(١) نهبِّد : يعني نمشي ونخب في الطريق ولا نحن عارفين الطريق .

(٢) تِرّْ : أي أوصلنا مباشرة .

حد حسين . عرفنا أن هـٰذا تشكلت لنا روح إما من أرواح الشيوخ التي كانت لهم رعاية بنا ، أو من أرواح أهل بدر ، تشكلت لنا في صورة هـٰذا الإنسان وقال حسين ، وأخذنا إلىٰ موضع أهل بدر ، ورَدَّنا إلىٰ السيارة ، وإلا . . نحن بانبيت في مكاننا ذلك ؛ لأننا معاد درينا بالسيارة أين ؟ ولعاد جيئنا علىٰ الطريق . وقلنا : إن هـٰذه كرامة الصلاة التي صليناها ، ما سرنا نحن إلا بعد ما صلينا ؛ لأن التارك للصلاة ـ قالوا ـ عاصي في السفر ، أو بالسفر ، أو مع السفر .

ما تركنا صلاة ، فقلنا : هـٰذه كرامة لأهل بدر ، ساقها الله لنا . وهـٰذا موضع الكلام الذي أخذ بنا إلىٰ سرد هـٰذه القصة ، ذِكْر الصلاة وهـٰذه الشريفة التي ذكرناها لكم .

ثم يذكر لنا محسن هـٰذا دماثة أخلاقها ، قال : إننا نذبح وعندنا والدي ، قال : فإذا جاءت وقعدت علىٰ جانب من التِّفال . . قالت : شفوني أقدر أغظف ، وأقدر أخرج اللَّحُو[1] ، لا تعتقدون أنني ما أقدر أعمل شيءْ . وكلام ، ونكتة مع نكتة . . وهـٰكذا كانت هـٰذه الشريفة . ثم كم نفع الله بها من النساء هـٰؤلاء ، وكم هدتهم ، ومن الخلق الذين يجيؤون إلىٰ عندها مورد لا تزال مورود .

وكنت أنا أقول دائماً بأننا في جوار هـٰذه وفي ظلها ما باينزل الله شيء علينا من الخسف ولا من البلاء ، ولا يأتينا

---

(١) التفال : مسرفة من الخسف يوضع فيها اللحم وهي من سعف النخل . واللَّحو خيط دقيق يخرج من الأمعاء يلف بها المغاظيف .

شيء مما كنا نتخوفه من حادثات الزمان ، ووقع الأمر كذلك ؛ ذلك لأن الله سبحانه وتعالىٰ يقول : ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .

إذاً حتىٰ الكفار محفوظين بواسطة هٰؤلاء ، فضلاً عن غيرهم . إذا كان حتىٰ الكفار . . فالمسلمون مطلقاً في أمان ، وأهل لا إلٰه إلا الله في خير وأحسن من الخير .

فنحن نخاف أنه إذا تقلَّصوا أهل العلم وأهل الفضل هٰؤلاء . . تنزل علىٰ الناس أشياء .

وقد كانوا يقولون : إن الحبيب علوي بن شهاب[1] ـ رحمه الله ـ يقول : ما أنا داري ماذا يجيء عليكم بعدي . وقد قال لنا ـ وأسمعها كثير من الحبيب محمد بن هادي ـ رحمه الله . اليوم ذكرناها نحن والأخ عطاس وجماعة في (مكة) قلنا لهم : أنا سمعته بأذني ، حج في السنة الذي نزل علىٰ الناس البَرَد[2] قال : ـ أنا من السبعة الذين رفع الله بهم عن أهل الموقف ما أصابهم من هٰذه الشدة والزلازل الشديدة .

هو نفسه عمك محمد ، كان يقول مرات عديدة ـ أسمعها أنا ، مرة كنت في مجلس أنا وإياه ، قال : ـ أنا من السبعة الذين

---

(١) الإمام الكبير علوي بن عبد الله بن عيدروس بن شهاب الدين ولد وتوفي بتريم ١٣٠٣/١٣٨٦ رضي الله عنه .

(٢) حجته المذكورة عام ١٣٦٩ .

جعلهم الله درك لأهل الموقف مِنَ البرد الشديد والأمطار الشديدة.

اليوم نذكرها عند عطاس الحبشي ، قال : هو أبوهم ، معاد فيه كلام .

عمك محمد طلعة من طلعات النور الجامعة للجلال والجمال ، وجهه قنديل يضيء ؛ لأنه يمكن تقول : إنه ما عرف مجلسْ فيه غفلة ، فضلاً عن مجلس لهو أو مجلس حرام ، ما عرف شيءْ من هٰذه المجالس مع الناس ، اللهم إن كان جلس مع داخليته وأهله وأولاده.. استراح قليلْ ، وأما مع الناس.. ما فيه إلا علم . عمره كله تسعين سنة أخذها وهو في مثل هٰذا . ومن أخذ تسعين سنة في علم وفي عمل وفي صدق مع الله سبحانه وتعالىٰ. . ماذا يكون حاله ؟ الله يقول : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ هٰذا قدم صدق ، إذا قاله المولىٰ. . أعطاهم البشارة ، فكيف ومِن ورائها بشارات ومن ورائها نِعَم يستريح بها الإنسان ؟

أنا أدعوكم ـ يا إخواني ـ عليكم أن تحفظوا شيءْ من هٰذه الأخلاق التي كان عليها مَن قبلكم ، والمآثر ونظرات الشيوخ شفوها إكسير ، ترد الميتْ حيْ ، تحيي الميت ، والناس اليوم قلوبهم ماتت ، لأن القلب الذي لا يذكر الله.. غاب عن جلال الله .

ما هو لا إلٰه إلا الله ، يقول إن نسي شيءْ ، أو انتبه لشيء ،

بلسانه : لا إلـٰه إلا الله . إذا ما كان من ورائها جلال للمولىٰ سبحانه وتعالىٰ ، وتعظيم للمولىٰ سبحانه وتعالىٰ يتحرك من ورائها القلب . فلا إلـٰه إلا الله لن تعمل شيءْ ؛ لأنه هو الإلـٰه ولا إلـٰه غيره ، وهو المعبود ولا معبود غيره ، هو المقصود ولا مقصود غيره ، سواء شهدتَ أو ما شهدت ، وإن قلتَ أو ما قلت .

من أنت حتىٰ تكون شهادتك ـ مثلاً ـ لها شيء في هـٰذا العالم ؟ تحرك أو تزلزل ، هـٰذا فقط تحفظ نفسك أنت من نار ، وتحفظ نفسك من عار ، وتحفظ نفسك من شقاء ، وتحفظ نفسك من أشرار بهـٰذه الكلمة .

ونظرات هـٰؤلاء الشيوخ هـٰؤلاء ـ شوفوها ـ لها تأثير ، كما قلنا لكم ، هـٰذه الشريفة كانت لها نظرات ، ألقاها أبوها علىٰ كثير من الكبار ومن ورائهم عيدروس بن عمر الحبشي ، الذين أجمعوا في ذلك الوقت أهل ذلك العصر ـ وهو ملآن بالأساطين ـ أنه شيخ الأساطين في ذلك العصر وإمامهم . يكفي ـ قالوا ـ أن الحبيب محسن بن علوي . وهو شيخه وبينهما فارق في السن أكثر من عشرين سنة . قالوا : إنها نزلت أمطار غزيرة ، خافوا علىٰ أهل البلد منها ، وكان الحبيب عيدروس موجود ، فسأل الحبيب محسن بن علوي المارة في الطريق الذين أتوا إليه يشكون من المطر ، قال لهم : عاد عيدروس بن عمر موجود في البلد أو لا ؟

قالوا له : موجود .

قال : ناموا ما عليكم شيء .

ومثلها كانت من علوي بن سقاف لحسن بن صالح ، ـ وهو تلميذه ، وهو صغير بينهما فارق في السن ـ ما يقارب هٰذا الكلام . شَكَوْا كثرة الأمطار وخاف الناس علىٰ بيوتهم وخرابها ، فشرف الحبيب علوي وقال : عاد حسن بن صالح موجود ؟

قالوا : عاده موجود .

قال : ناموا يا أهل (سيئون) ما عليكم شيء مع وجود حسن بن صالح في بلادكم . لأن الله ينظر إليهم .

وكل من عنده ولد . . أقل ما كان ـ في هٰذا الزمان الذي قَلَّت فيه التربية ، وضعفت تربية الرجال فضلاً عن النساء ـ أن يحضر ولده إلىٰ العلماء .

أنا ذا الحين إذا نظرت إليكم كلكم . . أقول : إنكم ما حصلتوا أحد يربيكم . أنا كذلك ـ شوفونا ـ عمري أكثر من ستين سنة[1] ما حصلت حد يربينا كماهم هٰؤلاء : أحمد بن حسين ، وسالم بن محمد ، والذين هم قبلنا أدركوا تربية كاملة مع شيوخ كُمَّل . ونحن جئنا كذلك في زمان ، وأنتم جئتم من بعدي ، واللي بايجون بايحصلوا من ؟ أقل ما كان أنكم ـ يا إخواني ـ إذا سمعتوا بواحد من العلماء الأكابر . . سارعوا لزيارته ، التمسوا بركته ، التمسوا دعوته .

---

(١) كان عمره (٦٦) ذلك الوقت حفظه الله ومتع به في عافية .

ومن عنده ولد .. يجيء به . كان أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم يأتون بأولادهم إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

سئل ابن عمر في « صحيح البخاري » قال : ما أرىٰ إلا أن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم حنكني ، فكان ذلك التحنيك هو الذي أوصلني إلىٰ هٰذا الحال .

وكان ابن عباس جابوه إلىٰ عند النبي علىٰ مثل هٰذا الحال ، قال ابن عباس : إنه أُتِيَ بي إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ثلاث مرات ـ توفي النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم وهو صغير ـ المرة الأولىٰ : حنكه فيها .

المرة الثانية ـ قالوا ـ دعا له ، وقال : « **اللهم فقهه في الدين ، وعلمه الحكمة ، واجعله هادياً مهدياً** » . فأطلقوا عليه لقب : « حبر الأمة » .

كان سيدنا عمر بن الخطاب إذا جاء ابن عباس .. يقدمه ، وكان يجلسه إلىٰ جنبه . قالوا له الشيوخ : لماذا تجلسه إلىٰ جنبك وعندنا أولادنا مثله في السن ؟

قال : أجلسه لسر ، ذلك السر : الدعوة النبوية ما هو هٰذا السر؟ السر هٰذا : أنه ذات مرة سألهم عن سورة النصر : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾ سأل كثيرْ

من أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، كل واحد سأله : ماذا تفهم من هـٰذه السورة ؟ كل واحد أتىٰ له بفهم .

ثم جاء وسأل ابن عباس ، قال له : الذي يظهر لي أنه أجل رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، أخبره به .

قال : لهـٰذا أقدمه عليكم .

وهـٰذا جاء من أين ؟

جاء من لسان محمد التي لا ترد لها دعوة ، قال : « **اللهم فقهه في الدين ، وعلمه الحكمة ، واجعله هادياً مهدياً** » . جاءت الدعوة هـٰذه وغسلته وألبسته خلعة من خلع النبوة ، وعلم النبوة ، ومن توريث العلم اللدني والعلم الظاهر .

وأنتم ذا الحين لعاد يقع أنكم أنتم إذا سمعتم بأحد من أهل الفضل . . لعاد تضيعون أنفسكم . أنا شفونا أقول لكم : إنها مرت عليكم الأوقات هـٰذه في ضياع ، ولا تغالطون أنفسكم ، كل واحد يحاسب نفسه ويشوف نفسه ماذا عمل في هـٰذا اليوم فقط ؟ إذا أراد أن يعرف أنه في ضياع :

هل صلى علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم مئة ، أو خمسين ؟ معاد بغينا بالآلاف أو كما هم .

يوم الجمعة أُثِر فيه عن الصادق المصدوق أن الصلاة فيه علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم تتضاعف .

ثم المحافظة على الجمعة ، كانوا يبادرون بالذهاب إلى الجمعة ؛ لأنها فضيلة دعا إليها الشارع . فيها حديث في التبكير إليها ، الساعة الأولى كمن قرب بدنة ، والثانية كبقرة ، والثالثة ككبش ، والرابعة كدجاجة ، والخامسة كبيضة . والظاهر آل باسادسة هؤلاء الذين يأتون مع الأذان لا بيضة ولا دجاجة!

إذا كان الإنسان معاد يدرك هذه الأشياء . . معاد عنده قلب ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ إذا ما أدركها . . دليل على أنه ما عنده قلب .

اعتنوا بمثل هذه إذا قدرتم عليها ، وهي في مقدوركم .

ثم هل قرأ اليوم سورة الكهف ؟ قراءة سورة الكهف من السنن المأثورة المعروفة ، يكفي أنكم رأيتم مَن قبلكم . وهي موجودة « مصاحف سورة الكهف » في المساجد ، لهذا أعتقد أن الأكثرية ، اللهم إلا من شذ الشاذ ، بعد ما كانت المسألة بالأكثرية صارت معكوسة ، ما هو السبب ؟

السبب : دخولكم إلى هذا البلد . كانت بلادكم تحنّ بمثل هذا وترنّ ، ولا يترك الوالد ولده إلا بعد أن يقرأ هذه السورة ، وبعد أن يقرأ شيءْ من كتاب الله . فسافر وأصبح ما على رقبته شيء ، ولما لم يكن على رقبته شيء . . معاد عرف الشرف ، ولا عرف العزة ، ولا عرف الكرامة ، ولا عرف المروءة ، ولا عرف ما يشاكل ذلك . لهذا إذا جئت شفته ما يسأل على مريض ؛ لأنه ما عرف .

إذا جئت شفته ما رَحَّب بمسافر قدم عليه ؛ لأنه ما عرف .

إذا جئت شفته ما حضر مجلس من مجالس إخوانه ؛ لأنه ما عرف . ثم إذا أدرك وعاد فيه حياء ، إذا شاف واحد منهم . . قال : العفو منك يا عم فلان ، شفنا مستحي .

مساوىٰ كل يوم يقول لي : انظر إلىٰ هـٰؤلاء كلهم علَّمْتُهم .

قلنا له : كلهم هـٰؤلاء صَلِّ عليهم أربع تكبيرات ، لعاد تأمل منهم خيرْ . هـٰؤلاء الذين لم يسلموا عليك وأنت تظلّي تكالفهم ، لعاد تنتظر منهم خيرْ .

دليل علىٰ أنها ماتت المروءة . ماذا قال الشاعر :

مررت علىٰ المروءة وهي تبكي فقلـت : عـلام تنتحـب الفتـاة
فقالت : كيف لا أبكي وأهلي جميعـاً دون خلـق الله مـاتـوا

معاد حد إلا الذين ما فيهم مروءة . نحن وأنتم ومن علىٰ شاكلتنا نسأل الله اللُّطف من هـٰذا الكلام .

يا إخواني ـ والله ـ شفوها سقطة ، يموت الإنسان فيها ويترك مَن وراه ، معاد بانسأله عما في قبره . يترك مَن وراه بهيمة ، لا يدرك ولا يعي . ذا الحين نراهم ، ذا الحين نشوفهم هـٰؤلاء الصغار .

من ابتلي بك وجاء بايصافحك . . أعطاك ثلاثة أصابع ، كأنما بايطرح في يدك عوين بايمدها ؛ لأنه ما يعرف ، مسكين . قد تربىٰ في بلاد ما يعرف حتىٰ يقبض اليد هـٰكذا ـ أخذ اليد باليد ـ

والسنة المصافحة والمعانقة فيها والسؤال ، فضلاً عن التسليم وما وراء ذلك . ما هو داري ، مسكين . ذا إلا شافك .

وإذا سألته : أنت ولد من ؟

قال : أووه ويش بغيت مني ؟ أعبر في طريقك .

يقايسك باتسجل عليه شيءْ . كلها ضاعت هـٰذه الأشياء ، والناس من ورائها مهملين . معاد بانقول : فرحين ، حاشا أنهم فرحين بها . ولـٰكن هل لها رجوع ؟

هل لها عودة ؟

هل لها من شيء ؟ أو قنعتوا من أنفسكم ، قنعتم من الغنيمة بالإياب ، ورضيتم بأن تكونوا موتىٰ يمشون علىٰ ظهر الأرض قبل أن تكونوا في بطنها ؟ حياة مؤسفة مؤلمة حياة ، حياة البهيمية الذي يجد الإنسان لقمة فيها بايستريح بها ويتمتع بها ، هـٰذا بهيمة من البهائم إذا كان ما أعطىٰ الجانبين .

كما ذكرنا لكم : البعثة جاءت لاتصال العبد بالمعبود .

والثانية : اتصاله بالناس ، بالكرامة إذا ما سعىٰ لها الإنسان ، هي لن توجد بدون سعي .

كل واحد يحاسب نفسه ويفكر في نفسه ، ويدرك نفسه ويعرف نفسه .

ما كان الناس هـٰكذا ، ولا هـٰذه الأخلاق ، ولا كانت الدعوة لمثل هـٰذه . كان يستحيون .

كنا إذا شفنا ـ ونحن نلعب الألاعيب الصغيرة ـ واحد من الشيوخ ، إذا قدرنا بانختفي . . اختفينا .

كنا إذا عبر عمكم محمد بن هادي ونحن ما علينا جبب . . نختفي من عمكم محمد إذا عرفنا أنه ما شافنا ، وإن عرفنا أنه شافنا . جيئنا وحايِيناه ـ أي : وقبلنا يده ـ ومع المحاياه خصام في المجلس وإلا في الروحة . هٰذا كله إلا علىٰ جبة .

ذا الحين معادها علىٰ جبة ، معاد طلبنا من الناس أن يلبسوا الجبة ، ثم لا يدرك شيءٌ من مثل هٰذه الأشياء .

كان معنا اليوم واحد في المجلس ، قال : أنا أبوي حَفَّظنا النسب . كأنه يرىٰ في ذلك مفخرة كبيرة[1] .

وعادك حافِظُهْ ؟

قال : با إذكره .

هل هٰذه مفخرةْ حِفْظنا للنسب ؟ انظر إلىٰ المكارم والأخلاق هٰذه ، انظر السيرة ، انظر إلىٰ كتاب « شرح العينية » انظر إلىٰ أحمد بن زين الحبشي ، الإمام الكبير .

كان يمشي من (الغرفة) إلىٰ (تريم) للأخذ عن عبد الله حداد ، ويجلس هو وعمر بن عبد الرحمٰن ـ من جاء بها البارحة لنا أو قبل البارحة خرد ، أو حد من الإخوان ـ يجلس هو وعمر بن

---

(١) أي حفظه للنسب ومعرفته له . . وهو خالي من سيرة الأسلاف .

عبد الرحمٰن البار الإمام الكبير الذي أحيا به الله (دوعن) والثالث ما أذكر اسمه ؟ يمكن يذكرونه الجماعة ، من هو ؟ محمد بن زين بن سميط .

يذكرون حد جاب معه حَتِي وحد جاب معه تمر ، ويقول : كيف الناس معرضين عن هٰذا الحبر الكبير الذي عنده العلوم .

قال له : اسكت ، لو دروا به الناس . . معاد بانقدر نقرب منه ، بايزاحمونا عليه وبايطردونا ولعاد بانصله .

هٰؤلاء يجيؤون من أماكن بعيدة ويجلسون .

هٰذا محمد بن زين بن سميط ، هل أنتم تدرون كيف أَمَره الإمام الحداد بالنقلة إلىٰ (شبام) ؟

قال له : أَظهِر الغنىٰ ، إذا بالليل ارشنوا النار في بيتكم ، ما باينتفعون بكم وبدعوتكم إذا رأوا أنكم محتاجين لهم . انتقل من (تريم) إلىٰ (شبام) لهٰذه الدعوة العظيمة ، دعوة نبيكم محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم . وكانا اثنين يبيتان طاويان ، ويصبحان طاويان ، ولٰكن حَدِّث عنهم ولا حرج ، بحور زاخرة تتلاطم .

وهٰذا أحمد بن زين ـ ربما قد سمعتوا الحماية التي ذكرت لكم عنها .

كان والده الحبيب زين بن علوي ، كان ما هو مثله ولا ربعه ولا نصفه ، كان عنده شيء هٰكذا من الجذب .

وهو جده أحمد حبشي ، صاحب الشعب ، هٰذا الإمام الكبير .

وأمه بنت السادة محمد[1] ، ما أدري بنْت من ؟ من أهل الوهط .

قال الحبيب محمد بن زين : إنه كان والدها في رباط تاج في (مكة) وكان عنده واحد من المشايخ آل باعباد ـ شفوا كيف حرص السابقون ـ قال : استشعر المنية .

قال السيد : هٰكذا لباعباد .

يا باعباد .

قال له : لبيك .

قال له : أنا معي هٰذه البنية فاطمة ، إن قدر الله وجرىٰ علي أمر الله . . اخرج بها إلىٰ (حضرموت) وزوجها علىٰ سيد كفؤ ترضاه لها .

قال له : مرحباً .

مات السيد ـ انظروا كيف التربية ، وكيف بُعْد النظر الذي معاد يدركوه الناس اليوم ، مات السيد السقاف هٰذا ـ قام بالوصية باعباد ، وخرجها من رباط تاج هٰذا الذي في (مكة) إلىٰ (الغرفة) . فلما أدركت وصلحت للزواج . . خطبها زين بن علوي بن أحمد بن محمد الحبشي وتزوج عليها .

---

(١) الحبيب وجه السؤال للأستاذ محمد الشاطري .

حملت منه بالأول ثم مات ، ثم بالثاني ثم مات ، ثم بالثالث ثم مات . وكان واحد من آل باشراحيل من أصحاب الإمام الحداد الذين رباهم الحداد حتىٰ صار من أهل الكشف ، وهو إلاَّ من أهل وادي بن علي . الحبيب هـٰذا زين بن علوي تغير حاله يوم عياله يموتون . هـٰذاك جاء من وادي بن علي ، وذا خرج بمربشته زين بن علوي والمزحاة حقه . . عارضه قدام باب الغرفة ، سَلَّم عليه وصافحه ، وقال له : بغيت فين حبيب زين بحقك المربشة ؟

قال له : أما أنا مات ولدي سالم أمس بابحث عليه ، بغيت با شِلُّه[1] ، فيه حالة جذب .

قال له : لا تبحث علىٰ سالم ولا تكلم سالم ، شف حبابتي فاطمة معها حمل بولد ذكر يستشفىٰ به من السم الناقع .

انظروا إلىٰ المقاصد الحسنة، وانظروا إلىٰ نظرات الأولياء هـٰذه.

هـٰكذا يا باشراحيل ؟ قال له : هـٰكذا .

رجع إلىٰ الدار ونادىٰ علىٰ الحبابة فاطمة : يا فاطمة .

قالت له : مرحباً .

قال لها : هل أنتِ حامل ؟

قالت : ما أدري إذا كان عندي حمل أم لا! إنما الدم حقي انقطع .

قال لها : أما أنا . . فقد قال لي باشراحيل .

---

(١) أي : با يبحث القبر وبا يشله .

قالت له : بَشَّرك الله بالخير .

ظهر الحمل فولدت بالإمام الكبير أحمد بن زين . تربىٰ علىٰ جوع وعلىٰ فقر ، وراح يدرس ويحضر المجالس ، ولما أدرك . . صار يسير إلىٰ (تريم) علىٰ رجليه ، ما يسير راكب ، ويقعد في (تريم) هناك .

كان يدرس علىٰ كثير من شيوخ (تريم) وبعد اتصل بالحبيب عبد الله حداد ، والحبيب عبد الله الحداد في أول أمره . وعكف علىٰ عبد الله الحداد ، ولعاد فارق الإمام الحداد ، ولزمه حتىٰ صار أحمد بن زين الحبشي كتبه تدل عليه ، واسمه يدل عليه فقط .

كا ن عمكم محمد يقول : ما جاءنا مِن بعد أحمد بن زين .

يقولون الشيابه : عادنا نأخذ ونعطي ، وإذا قالوا : قال أحمد بن زين . . معاد عليه سؤال ولعاد فيه كلام .

هـٰذا نحن بغينا ذا الحين . أقل ما كان ـ كما قلنا لكم ـ صلاح الخارب حقنا ، والله بايعطينا ؛ لأننا جئنا في زمان متأخر ، ما بايضيِّع علينا شيءْ .

نسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يغفر لهـٰذه الشريفة ، ويجعل مقرها ـ إن شاء الله ـ في الجنة ، ويجعلها مع أبويها ومع سيد المرسلين صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم ومع رجالها . ويغفر لنا ما سلف ، ويقيم منا ـ إن شاء الله ـ حركة انتباه قلبية تدعونا إلىٰ

الأخلاق العلوية والأخلاق المحمدية والسيرة النبوية ، حتىٰ يتأتىٰ للواحد أخذ طريق السلف ويمشي فيها ، ويعرف حق المروءة حتىٰ لا تبكي عليه ، ويعرف حق الشرف حتى لا يبكي عليه ، ويعرف حق العزة حتىٰ لا تبكي عليه إن شاء الله . ويجعله ربي باراً بالسلف ، وباراً بأبويه ، وباراً بأمهاته ، ومقيم بتربية أولاده ، في جميع أمره ، ظاهراً وباطناً .

ولا يحرمنا بركة وقت ، ولا بركة ساعة ، ولا بركة شهر ، ولا متعة يوم ، ولا متعة زمان .

يمتعنا وإياكم بأخلاق السلف ومتابعتهم بالسيرة علىٰ ما كانوا عليه ، حتى نتذوقها ، وحتىٰ نستحليها ، وحتىٰ نتمتع بها .

ويغفر لنا ماسلف ويحفظنا فيما بقىٰ ، ويعمر بنا زوايا أهلنا ، ويعمر بنا مساجد أهلنا ، ويعمر بنا طرق أهلنا في خير وعلىٰ خير .

وإلىٰ حضرة النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم الفاتحة .

❊ ❊ ❊



مناسك الحج (١٣٩٧هـ)

ومما امتن الله به علينا : حَجُّنا مع هـٰذا الحبيب عام (١٣٩٧هـ) ففي هـٰذا العام جمع الله شملنا بسيدي الوالد المرحوم عبد القادر بن حسين السقاف بعد غياب دام ما يقارب الثلاثين عاماً . فاستضافه حبيبنا العم عبد القادر بن أحمد للحج معه في هـٰذا العام ، واغتنمنا هـٰذه الفرصة السعيدة وعزمت علىٰ الحج مرافقاً سيدي الوالد . فقد أسعدنا الله بالحج مع حبيبنا العم عبد القادر بن أحمد ومع سيدي الوالد . وقد وفقنا الله أن سجلنا التلبية والدعوات ، ابتداءً من خروجنا من منزله العامر (بمكة المكرمة) بشارع المنصور ، وانتهاءً بوصولنا إلىٰ المسجد الحرام . ثم دعواته في الطواف جميعها ، ودعواته بـ(عرفات) . وبما أن المتعلقين بهـٰذا الحبيب كثير ، والمحبين له أكثر . . خطر ببالي أن أجمع ما سجلته في هـٰذه الوريقات ـ وهو ما تيسر لي تسجيله مع انشغال البال وكثرة الأشغال ـ سائلاً المولىٰ أن يجعل سعيي مشكوراً وقصدي مبروراً ، وأن ينفع به جميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات . آمين اللهم آمين . في صباح يوم السبت التاسع من شهر الحجة عام سبعة وتسعين وثلاث مئة وألف ، تجمعنا في منزله العامر (بمكة المكرمة) بشارع المنصور وعددنا يزيد علىٰ أربعين نفراً ، رجالاً ونساءً ، منهم :

سيدي الوالد عبد القادر بن حسين .

العم أحمد بن علوي المشهور .

علي الرضا .

أخي المرحوم أحمد بن عبد القادر .

حسين بن علي .

عبد الله بن عبد القادر بن أحمد .

عبد الباري بن محمد بن أحمد .

والفقير محمد بن عبد القادر بن حسين .

وفي حوالي الساعة الثالثة زوالي صباحاً ركبنا السيارة متوجهين إلىٰ المسجد الحرام . ومن حين سارت بنا السيارة وإلىٰ أن وصلنا المسجد وحبيبنا يلقنا التلبية وغيرها من الدعوات الجليلة .

وهـٰذا أوان الشروع فيها :

لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك . كررها ثلاثاً .

ثم قال : اللهم صل وسلم علىٰ سيدنا محمد مفتاح باب رحمة الله ، عدد ما في علم الله ، صلاة وسلاماً دائمين بدوام ملك الله .

اللهم إنك أمرتَ نبيَّك ورسولَك إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحج ، وفتحت أسماعاً قد أردت وصولهم إلىٰ بيتك الحرام ، وأرسلت رسولك محمداً سيد الأنام للإعلام بذلك . . اللهم إنه قد بلغنا ذلك ، وإنَّا برحمتك قد سمعنا أذان إبراهيم ، وجئنا إلىٰ بيتك الحرام ملبين مجيبين ، وعلينا من الذنوب كأمثال الجبال .

اللهم إن رحمتك واسعة ، وإن دعوتك إلىٰ هـٰذا البيت إنما هي من رحمتك بهـٰذه الأمة ، بواسطة المغفرة وبواسطة الوصول إلىٰ المراتب التي دعا إليها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

اللهم اغفر لنا سالف الإجرام ، وارحمنا يا ربِّ ـ في موقفنا هـٰذا رحمة توصلنا بها إلىٰ أعلىٰ مقام ، واجعلنا مع نبيك ومع من تبعه وقَرُب منه ، واحفظنا ـ يا ربِّ ـ إذا غفرت لنا أن نلم بذنب أو معصية أو تحل علىٰ قلبنا غفلة .

اللهم ساعدنا علىٰ ما تريده منا ، ووفقنا للإجابة ، وسهل لنا السبيل للوصول إلىٰ (عرفات) ، واجعلنا فيها من المغفور لهم ، وأعنا فيها علىٰ القيام بحق الأمر وحق الطلب . وارحمنا ووسع لنا ، وأعنا علىٰ الوصول إلىٰ مشعرك الحرام ، وإلىٰ الذكر فيه ، وإلىٰ رفع أيدينا لقبول دعواتنا ، وصلاح قلوبنا ، وصلاح أولادنا .

وأعنا علىٰ الوصول إلىٰ (منىٰ) وإلىٰ جمرة العقبة ، وعلىٰ الرجوع إلىٰ (مكة) للطواف ببيتك الحرام ، ولإتمام المناسك ، وللرجوع إلىٰ (منىٰ) لنشهد فيها تعرفاتك إلىٰ خلقك الذين استجابوا لنداء إبراهيم ، ولسماع دعوة نبيك سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .

يا خير من أجاب ، يا خير من دعاه داع ، بحرمة الإسلام ، وبدعوة محمد ، وبوجاهته وحبك له . . إلا ما قبلت دعواتنا ، وعجلت بإجاباتنا ، وأظهرت فينا سر الوقوف ، وأظهرت فينا سر الوصول إلىٰ حج بيتك الحرام .

اللهم وآباؤنا وأمهاتنا وإخواننا وجيراننا في قبورهم مرهونون بأعمالهم ، لا ينفكون عنها ولا يبرحون ، راجين منك أن تفسح لهم في قبورهم ، وأن تروِّحها وتروِّحهم بنعيم قربك ، وأن تؤنسهم بقبول أعمالهم وصلواتهم ، وأن ترحمهم وترحمنا إذا صرنا إلىٰ ما صاروا إليه .

يا مجيب الدعوات ، يا سامع الأصوات ، يا راحماً من استغاث بك في الملمات . . جئناك بضعف من العمل ، وبقلوب مشغولة بالدنيا . اللهم وأولادنا وإخواننا وأهلونا في بيوتهم ينتظرون منك فرجاً لهم ، اللهم فأشركهم في حج الحاجين ، وعمرة المعتمرين ، وطواف الطائفين ، وعكوف العاكفين ، ودعاء الداعين . اقسم لهم بنصيب وافر ، ولنا معهم ، ولمن طلب منا الدعاء ، ولمن استعان بنا ، يا أرحم الراحمين .

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين .

لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . كررها ثلاثاً .

اللهم صلِّ علىٰ سيدنا محمد أبيض الوجه . اللهم بيض به وجوهنا ، واحفظنا به من العار ومن النار ، واقبل به حجنا وزيارتنا وعمرتنا ، يا أرحم الراحمين .

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين .

انتهت دعواته ـ حفظه الله ـ في طريقنا من بيته بـ(مكة) إلىٰ المسجد الحرام . وهٰذه دعواته حال الطواف بالبيت :

قال ـ حفظه الله ـ ملقناً أتباعه : نويت أن أطوف بهٰذا البيت سبعة أشواط ، طواف القدوم للحج ، لله تعالىٰ :

دعاء الشوط الأول :

بسم الله ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد .

اللهم صل وسلم علىٰ سيدنا محمد مفتاح باب رحمة الله ، عدد ما في علم الله ، صلاة وسلاماً دائمين بدوام ملك الله .

اللهم إنك أكرمت وأنعمت علينا بالوصول إلىٰ بيتك الحرام ، وإلىٰ ساحته العظمىٰ التي من ورد فيها. . أخبرته بأنه عندك مقبول ، وبرسولك موصول .

اللهم إنا جئنا ممتثلين ، مطيعين منقادين. . فاقبل بنعمتك لنا بالهداية إلىٰ الصراط المستقيم ، واجعلنا مع المُنْعَم عليهم من النبيين ، والصديقين والشهداء والصالحين .

بسم الله ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر .

ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار . يا عزيز يا وهاب يا وهاب يا وهاب .

الشوط الثاني :

بسم الله ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد .

اللهم لك الحمد كما نقول وخيراً مما نقول .

لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي ، وإليك مسعاي ومآبي ، وهـٰذا طوافي علىٰ ما فيه ، وها أنا قائم ببابك ، داخل بفنائك ، معترف بعظيم ذنبي ، أنت الذي تغفر ، وأنت الذي تقيل عثرة العاثر .

يا مقيل العثرات. . أقلني واسمع صوتي ، وارحمني في موقفي ، واجبر كسري ، وقو ضعفي ، واجعلني لا أعود من

هٰذا البيت إلا وقد غفرتَ لي ذنوبي ، وسترت عيوبي ، وكشفت كروبي .

بسم الله ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر .

ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار . يا غفار ، يا وهاب يا وهاب ، يا كثير النوال .

الشوط الثالث :

بسم الله ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر .

اللهم يا كبير يا عظيم ، يا متعالي يا عزيز يا عليم . . أنت عالم بحالاتنا وضعفنا وعجزنا ، وأنت دعوتنا إلىٰ مائدة رحمتك فجئنا إليها منكسرين ، وبذنوب لا نقدر علىٰ حملها .

اللهم فارفع عنا ثقل ذنوبنا واغفر لنا ، وافتح لنا أبواب فضلك ورحمتك .

يا كثير الخير ، يا كثير الخير ، يا كثير الخير ، يا عظيم النوال . . بيدك الخير ولا بيد غيرك ، وبيدك النوال ولا بيد غيرك ، فارحمنا ، وأعطنا ، وارفعنا من موقف الذل إلىٰ موقف العزة ، فإنك قلت ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

بسم الله ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر .

ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار . يا عزيز يا غفار ، يا وهاب يا وهاب ، يا كثير الجود ، يا كثير النوال ، يا متفضِّلْ بالإحسان .

الشوط الرابع :

بسم الله ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا .

اللهم إنك طلبت من خلقك أن يحمدوك ويشكروك علىٰ نعمك ، ورضيت بالحمد ثمناً لآلائك ولنعمك .

اللهم إنا نحمدك ونشكرك ونذكرك ، وإن القلب غافل واللسان ملآن بالذنوب .

اللهم أنت المتفضل ، وأنت المعطي ، وأنت الكريم الذي لا يبخل ، والذي يعفو ويجود . . جد علينا بما جدت به علىٰ من اخترتَه لمسامرة قدسك في هٰذا المطاف ، وفي هٰذه الساعة ، وفي هٰذا الوقت ؛ فإنا ننتسب إلىٰ رسولك صلى الله عليه وآله وسلم نسبة صحيحة ، اللهم فارحمنا بهٰذه النسبة .

بسم الله ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر .

ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار . يا عزيز يا غفار يا غفار يا غفار ، أنت الذي تغفر وتستر وتجبر .

الشوط الخامس :

بسم الله ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد .

اللهم أنت الذي تعطي ، وأنت الذي تغفر ، وأنت الذي

تجبر . . فاجبر كسر ضلاعنا ؛ فإنا موثوقون بمعاصي ثقيلة بَعُدْنا بها عن سنة نبيك صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم .

اللهم فقرِّبْنا من نبيك ، وقرِّبْنا منك قُرْباً نشعر ببركته وخيره وبره ورضاك عنا .

اللهم ارض عنا ، اللهم ارض عنا ، اللهم ارض عنا وارض عن والدينا وأمهاتنا رضاً تُحِلُّ به عليهم جوامع فضلك وإحسانك وكرمك يا وهاب ، يا ذا العطاء ، يا ذا النوال ، يا ذا الخير يا ذا البِر .

اللهم عاملنا بما أنت أهله ، ولا تعاملنا بما نحن له أهل ، وأعطنا فوق آمالنا التي نطلبها ، واجعل المطالب عالية ، واجعلنا في الدرجات العالية .

بسم الله ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر .

ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار . يا عزيز ، يا غفار ، يا غفار ، يا غفار . . اغفر لنا ذنوبنا ، واكشف لنا كروبنا .

الشوط السادس :

بسم الله ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد .

اللهم إنا نسألك من فضلك العظيم وكرمك العميم ، أن تسترنا ، وأن تغفر لنا ، وأن ترفع أقدارنا ، وتشرح صدورنا ، وترحمنا في موقفنا هـٰذا .

اللهم ارفع ذكرنا فيمن رفعت ذكره ، وقَدْرَنا فيمن رفعت قَدْرَه ، واشرح صدورنا بما شرحت به صدر نبيك محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، شرحاً نطمئن به إلىٰ عبادتك ، ونتذوقها ونستلذها ، ويظهر علينا سرها وبركتها ، وندرك بها حقائق رقائقها ومعانيها ، ونرتقي بها إلىٰ الدرجات العلىٰ ، والمراتب التي وصلها أحباب نبيك الذين اختَصَّهُم واختَصَصْتَهم أنت بمسامرة قدسك . يا رحيم ، يا أرحم الراحمين ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا ذا العطاء العظيم . والحمد لله رب العالمين .

بسم الله ، الله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد .

ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار . يا عزيز يا غفار ، يا غفار يا غفار ، يا كثير الخير .

الشوط السابع :

بسم الله ، الله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد .

اللهم زد هٰذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ، وزد من شرفه وعظمه وطاف به كرامةً ورفعةً .

اللهم إنك جعلتَه قبلة المصلين ، وكعبة المقبلين ، ومثابة للعالمين . واجعلنا يا ربي ممن ظهرت له سرائر القبلة فدام مقبلاً عليها ، وظهر له سر مغناطيسها الذي يجذب القلوب فعرفها .

اللهم أوصلنا إلىٰ مقام الشهود يا معبود ، يا غني يا حميد

يا قيوم ، يا ذا الفضل ، يا ذا الكرم ، يا ذا العطاء . . بلغنا ذلك المقام بمحض فضلك لا بأعمالنا ؛ فإن أعمالنا لا تصل بنا إلى حال ولـٰكنا ممتثلون .

بسم الله ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد .

ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار . يا عزيز يا غفار ، يا كريم ، يا ذا الجود والإنابة والعطاء .

بسم الله ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد .

الحمد لله علىٰ هـٰذه النعمة .

وبعد الطواف توجهنا بالقرب من مقام سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وصلينا ركعتي الطواف ، وبعدها دعا سيدي بهـٰذه الدعوات :

اللهم بحق هـٰذا الأمر ، وبحق نبيك الذي جاء به ، إلاَّ ما قبلت صلاتنا ، وقبلت دعواتنا ، وأثبتنا عليها بالمغفرة ، ورفعت رتبتنا ، وجعلتنا من خاصة أوليائك الذين خصصتهم برضاك ، وخصصتهم بعطاك ، وخصصتهم ببِرِّك ، وخصصتهم بنَداك .

اللهم لا تحرمنا خير ما عندك لشر ما عندنا ، وأقبل علىٰ مقبلنا بما أقبل ، وعلىٰ مدبرنا بواسع فضلك وعطاك . يا أرحم الراحمين ، يا أرحم الراحمين .

حسرت النفوس وعَيَتِ الألسن لكثرة ذنوبها .

اللهم فارفع عنا الذنوب ، اللهم فارفع عنا الذنوب ، وافتح وافتح ، وافتح يا ربي فتحة القلب حتىٰ يشاهد ما وراء الغيب ويطمئن إلىٰ العبادة ، واحفظه بها مما لا ترضاه .

يا حفيظ يا عليم ، يا كافي يا شافي . . اشف قلوبنا من الأمراض ، وألسنتنا من العِيِّ ، ونفوسنا من الحسرة ، واجعلنا قائمين بحق الحق ، في كل حق ، حتى يتبين لنا الحق .

وارحمنا يا رب في هـٰذا الموقف ، وفي كل موقف . والحمد لله رب العالمين . بسر أسرار الفاتحة .

ثم اتجهنا إلىٰ (الصفا) و(المروة) وعلىٰ (جبل الصفا) لَقَّنَنا ـ حفظه الله ـ نية السعي ، وتلا قوله تعالىٰ : ﴿ ۞إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ .

بعد ذلك ركب سيدي ـ حفظه الله ـ علىٰ العربة ، فسعىٰ راكباً ، وسعينا نحن وكثير من الإخوان مع سيدي الوالد عبد القادر بن حسين رحمه الله .

وانتهينا من السعي بعد الظهر ، وتوجهنا إلىٰ (عرفات) مرددين التلبية إلىٰ أن وصلنا وحطت رحالنا فيها ، وأخذ كل واحد يرفع كفيه ويدعو الله .

ثم قرأ سيدي ـ حفظه الله ـ دعاء عرفة المشهور ، يلقننا إياه لم نورده هنا .

ومن دعائه في هٰذا اليوم المبارك :

اللهم ارحمنا وانظر إلينا ، وانظر إلىٰ أهل عرفة نظرة رحمة ، ونظرة عطاء ، ونظرة رضا . واغفر لنا واغفر لهم ، وارحمنا وارحمهم ، ووفقنا ووفقهم ، وأنزل علينا ماء الرحمة حتىٰ يذهب عن قلوبنا الأدران والران .

يا قديم الإحسان يا عليماً بالحاجات ، يا مطلعاً علىٰ القلوب ، يا عالماً بالخفيات . . إليك وجهنا أمرنا وفوضنا كل شيء معنا ، فبرحمتك التي ترسلها هٰذه الليلة إلا ما جعلت لنا نصيباً وافراً يغمرنا فيها ، وتغسل بها آثامنا وقلوبنا ، وأَهِّلْنا يا ربي لسماع نداء نبيك ورسولك فيها ، وأظهر علىٰ قلوبنا نورها ، واطمس عن سرائرنا كل ما يشغلنا وما يحجبنا عنك وعن ذكرك .

اللهم اجعل قِرانا هٰذه الليلة ـ بعد المغفرة ـ التأهل للاجتماع برسولك محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلَّم وسماع صوته ، والأخذ عنه ، والنظر إليه .

اللهم وما تكرمت به في هٰذه الليلة علىٰ خاصتك من أهل هٰذا الموقف إلا ما أدخلتنا في الخاصة ، أو تعرفت إليهم فتعرَّف إلينا بما تعرفت به إليهم . وإن تجليت علىٰ الخاصة . . فاجعل لنا نصيباً من تجليك الأعظم ، تتأهل له القلوب ، ويأخذ بها إلىٰ مرقاها التي ترقىٰ فيه ، يا علام الغيوب .

اللهم أذقنا لذة قبول هٰذا الدعاء في هٰذا الموقف ، وأذقنا

بعد اليوم لذة الصلاة ، ولذة السر ، ولذة البركة والفهم بما آتيته وجعلته في كتابك من علوم لا تدرك .

اللهم اجعلنا ممن أخذ منها بنصيب كامل .

اللهم إن رسولك صلىٰ الله عليه وآله وسلم دعا لابن عمه عبد الله بن عباس بأن تفقهه في الدين وتعلمه التأويل ، ونحن نطلب منك ـ يا قديم الإحسان ـ أن تفقهنا في الدين .

اللهم فقهنا في الدين ، وعلمنا التأويل ، وفقه أولادنا وأحفادنا وذوينا ما تسلسلوا ، وعلمهم التأويل .

اللهم إنَّا نباتُ نعمتك فلا تجعلنا حصاد نقمتك .

اللهم إنك تعلم ما نحن فيه من الغضاضة ، وقد خرجنا من بلادنا فارين بديننا ، وتركنا أولادنا وأهلنا ولم نقدر علىٰ أخذهم ولا علىٰ الرجوع إليهم . . اللهم فارفع عن بلادنا ما حل بها ، وعن أهلنا وقومنا من يؤذيهم وما يؤذيهم .

اللهم شتت شمل كل المعادين لك ولنبيك ولأهل لا إلـٰه إلا الله ، ولا تبقي لهم قرارْ ولا استقرارْ ، يا ولي يا قهار .

اللهم إنا نسألك أن لا تردنا خائبين :

إن أبطأت غارة الأرحام وابتعدت ... عنا فأقرب شيء غارة الله

يا غارة الله جدي السير في عجل ... في حل كربتنا يا غارة الله

عدت العادون وجاروا ... ورجونا الله مجيرا

وكفىٰ بالله وليـاً ... وكفىٰ بالله نصيرا

اللهم إنك طمست عيون أعداء نبيك صلّى ٱلله عليه وآله وسلّم وقهرتهم بدعوته وبالذلة وبالمقت.. اللهم اقهر أعداءنا، وشتت شملهم، وأرسل عليهم الدائرة، واجعلهم شَذَرْ مَذَرْ. وأقم في وادينا لسان العلم النافع، والقرآن النافع، والعمل الصالح، وبلغنا ما نريد وفوق ما نريد.

اللهم وما آتيته آباءنا وشيوخنا من علوم وأعمال، ومن أحوال ومقامات، ومن عطايا جسام، وما تكرمت عليهم به وأسمَعْتَهم الهواتف، ورفعتَ عن بصائرهم الحجاب، وعن أسماعهم حتىٰ أُسمِعتْ، وأَرهَفَت وسمعَتْ داعي الحق ونداء الحق، يا حق يا مبين.. أسمعنا ذلك النداء[1]، واجعلها آذاناً صاغية؛ فإنك قلت في كتابك الكريم: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾.

وقال نبيك: «**اللهم اجعلها أذن علي**».

اللهم اجعلنا مثل علي، اللهم اجعلنا مثل علي، تعي آذاننا ما وعته أذنه.

وارفع ذكرنا فيمن رفعت ذكره، واشرح صدورنا فيمن شرحت صدره ويسر لنا أمورنا، واكفنا عن الحاجة إلىٰ خلقك.

اللهم اجعل حاجتنا إليك، وأمورنا كلها عليك ومعَوَّلنا في جميع أحوالنا عليك.

يا خير من دعاه الداعون، ويا خير من استجاب لدعوة

---

(١) رفع بها صوته من ياحق إلى ذلك النداء.

الداعين ، ويا خير من أعطىٰ ، ويا خير من تكرم ، ويا خير من شرَّف ويا خير من هدىٰ .

اللهم إنك قلت في كتابك الكريم لنبيك العظيم : ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾ . اللهم اجعلنا ممن سبحك وذكرك فذكرته في مَلَئك .

اللهم بلِّغنا الغاية القصوىٰ ، وارفع درجتنا في الدنيا والأخرىٰ . يا أرحم الراحمين ، يا أرحم الراحمين . إلـٰهنا . . لا تردنا من هـٰذا الموقف إلا وقد اطمأنت الأنفس بقبول الدعوات ، وسماع الكلمات ، وبلوغ المراتب العليات .

اللهم احفظنا حفظاً يليق بكرمك ، حتىٰ ننتسب إليك ، بكمال العبودية المحضة الخالصة ، ظاهراً وباطناً . واجعلنا محفوظين في أمورنا من نزغات الشياطين وفتن المضلين ، وأَلْقِ علينا واقياً تقينا به من الجبارين ومن الظالمين ومن الشياطين ، ومن كل ذي سوء يا أرحم الراحمين ، يا أرحم الراحمين ، يا أرحم الراحمين .

اللهم إنا عبيدك وأنت مولانا ، وأنت ربنا ، خلقتنا قبل أن نسأل ، وتكرمت علينا قبل أن نطلب ، فأوجدتنا من العدم بسابقة محض جودك يا كريم .

اللهم كَمِّل لنا نعمك واجعلها مصروفة في طاعتك .

اللهم لا تمتنا إلا وقد جمعت بيننا وبين نبيك محمد صلىٰ الله

عليه وآله وسلم في هـٰذه الدار ، مع العافية ، من غير سابق عذاب ولا عناء ، ولا تعب ولا أذىٰ .

اللهم تب علينا توبة نصوحاً ، وعُمَّنا بها جسماً وقلباً وروحا .

اللهم أنزل علىٰ قلوبنا برد ماء الرضوان ، يا قديم الإحسان ، وقد قلت في كتابك : ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴾ .

اللهم عاملنا بإحسانك وطَوْلك ، وتكرم علينا بقربك ورضوانك وارحمنا وارحم أولادنا ، وارحم نفوساً ورجالاً غرهم طول حلمك .

اللهم احفظنا أن نرجع إلىٰ ذنوب حفظتنا منها وأشفقت علينا منها .

اللهم يا سامع الصوت ، ويا سامع الدعاء ، يا سابق الفوت ، ويا محي العظام بعد الموت . . صل علىٰ نبيك محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، واسمع أصواتنا ، وعجل بإجاباتنا ، وارحمنا في موقفنا هـٰذا .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ .

﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ثلاثاً .

﴿ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾ .

﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا ﴾ وافتقرت إلىٰ رحمتك ، فأسألك يا شافي الصدور رحمتك .

اللهم اجعلنا منغمسين في سابغ رحمتك ، وأظِلَّنا في ظلال راية نبيك ، وأدخلنا دائرة أمنك وعفوك في خير ولطف وعافية ، يا أرحم الراحمين .

وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم . والحمد لله رب العالمين .

اللهم هٰذا يوم عرفة ، يوم شرَّفتَه وكرمته وعظمته ، نشرت فيه رحمتك ، ومننت فيه بعفوك ، وأجزلت فيه عطيتك ، وتفضلت به علىٰ عبادك ، وأنا عبدك الذي أنعمت عليه قبل خلقه وبعد خلقك إياه ، فجعَلْتَه ممن هديته لدينك ، ووصَلْتَه بحبلك ، وأدخلته في حزبك ، وأرشدته بموالاة أوليائك ومعاداة أعدائك ، وأمرته ولم يأتمر ، وزجرته ولم ينزجر ، لا معاندةً ولا استكباراً عليك وها أنا ذا بين يديك صاغراً ، ذليلاً ، خاضعاً خاشعاً ، خائفاً ، معترفاً بعظيم ذنوبي ، مستجيراً بصفحك ، لائذاً برحمتك ، موقناً أنه لا يجيرني منك مجير ، ولا يمنعني منك مانع . . فعُد عليَّ بما تعود به علىٰ من اعترف بما اقترف ، من فضلك ، وجد علي ، بما تجود به علىٰ من ألقىٰ بيده إليك ، من

عفوك ، وامنن علي بما لا يتعاظمك أن تمن به علىٰ من أَمَّلَك ، من غفرانك ، واجعل لي في هـٰذا اليوم نصيباً من رضوانك ، ولا تردني صفراً مما ينقلب به المتعبدون لك من عبادك ؛ فإني وإن لم أقدم ما قدموه من الصالحات . . فقد قدمتُ توحيدك ونفي الأضداد والأنداد والأشباه عنك ، وأتيتك من الأبواب التي أمرتَ أن تؤتىٰ منها ، وتقربتُ بما لا يتقرب أحد منك إلا بالتقرب به ، ثم أتبعت ذلك بالإنابة إليك ، والتذلل والاستكانة ، وحسن الظن بك ، والثقة بما عندك ، وشفعته برجائي الذي قَلَّ ما يخيب عنده راجيك ، وسألتك مسألة الحقير ، الذليل البائس الفقير ، الخائف المستجير ، خيفة وتضرعاً ، وتعوُّذاً وتلوُّذاً ، لا مستطيلاً لتكبر المتكبرين .

فيا من لا يعاتب المسيئين ، ويا من يمن بإقالة المستقيلين ، ويتفضل بإنظار الخاطئين . . أنا المسيء المعترف العاثر ، أنا الذي أستحيي من عبادك وأبارزك ، أنا الجاني علىٰ نفسه ، أنا المرتَهَن بذنبه ، أسألك ـ بحق من انتخبت من خلقك واصطفيت من بريتك ـ أن تتغمدني في يومي هـٰذا بما تتغمد به من جاء إليك متنصلاً تائباً ، وتولني بما تتولىٰ به أهل طاعتك والزلفىٰ لديك والمكانة منك ، يا أرحم الراحمين .

إلىٰ آخر ما قال رضي الله عنه وأرضاه .

ومضىٰ ذلك اليوم كله في دعاء وخضوع وخشوع ، وأخذنا نردد قراءة سورة الإخلاص ، ونردد :

اللهم يا دائم الفضل علىٰ البرية ، يا باسط اليدين بالعطية يا صاحب المواهب السنية . . صل وسلم علىٰ سيدنا محمد خير الورىٰ سجية ، واغفر لنا يا ذا العُلا في هٰذه العشية .

ثم صلينا العصر فقط ، أما الظهر . . فصليناه بـ(مكة المكرمة) .

وبعد الصلاة رفع سيدي ـ حفظه الله ـ يديه ودعا بدعوات جليلة . قال حفظه الله :

اللهم ، وما يتنزل في هٰذه العشية من خير إلا ما جعلت لصلاتنا قبولاً عندك ، ولأذكارنا قبولاً عندك ، ولطلوعنا إلىٰ هٰذا الوادي قبولاً عندك . اجعلنا فيه من المقبولين ، واجعلنا فيما بعد اليوم ـ يا رب ـ من المأذون لنا في المغفرة ، والمأذون لنا في جميع أمورنا في صلاح ظاهرنا ، وصلاح باطننا ، وصلاح أولادنا .

اللهم لا تخرجنا من هٰذا الجمع ولا من هٰذا الوادي إلا وقد أعطيتنا الآمال وأَثْبَتَّنا في ديوان الكُمَّل من الرجال ، وكتبتنا ـ يا رب ـ فيمن كتبته من أهل المقامات العوال ، والأعوال التي ما وراءها أعوال[1] .

أثبتنا اللهم بذلك ، واحفظنا يا رب من أن ينالنا بواسطتها

---

(١) الأعوال : الأسهم والأنصبة .

تعب أو عناء . اجعلها سهلة سلسة ، واجعلنا قائمين بالأوامر ممتثلين لها ، منتهين عن المناهي .

واحفظنا ـ يا رب فيما يبقىٰ من أعمارنا ، وبارك لنا فيه حتىٰ يقع يومنا كسبعين يوماً ، وعامنا كسبعين عاماً ، وتحصل لنا البركة ، ونلقىٰ فيها جميع ما لقيه مَن قبلنا .

اللهم إن خزائنك ملأى بالعطاء وإنها فياضة ، وإنك لا تزال تسكبها علىٰ ذوي الخير ، ولا تزال تعطيها . . اللهم أعطنا كما أعطيتهم ، وامنحنا كما منحتهم . وهب لنا علماً يصحبه النفع ، وعملاً يصحبه القبول .

واجعلنا عندك محبوبين بسرِّ ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى ﴾ .

واجعل لنا وجاهة في الأعمال وفي الأحوال بسر قولك ﴿ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ .

اجعلنا من المقربين ، وبلغنا يا رب ما بلَّغته الكامل . واجعل البصيرة تشاهد ، واجعل القلب يدرك ، واجعل السمع يسمع ، واجعل البصر يبصر ، واجعل جوارحنا كلها ناطقة بذكرك وبشكرك وبحمدك .

واجعل جميع ما خوَّلتَه لنا من نعمك وأَبَحْتَه لنا يا رب من فضلك ومن عطائك . . مصحوباً بالعافية في خير ، مصحوباً بالعمل الصالح .

اللهم أَصْحِبْنا التقوىٰ ، واجعلها لنا خير زاد ، وأَلْبِسْنا من

خلعها ما ألبسته الكمل من قبلنا من الأجداد ، وهب لنا ما وهبته لهم ، ولا تحرمنا أذواقهم ، ولا تحرمنا عطاءهم وبلغنا مراتب أهل الشهود ، ومقام المراقبة يا معبود ، يا حي يا مقصود ، يا موجود في كل الوجود . أَشْهِدْنا ذلك بواسطة زين الوجود ، حبيبنا محمد صلىٰ الله وسلم عليه وآله وصحبه ، ومن تبعه من الركع السجود .

واجعلنا من أسعد الناس في هٰذا اليوم ، واقسم لأولادنا وإخواننا وجيراننا وأصحابنا بالسعادة ، واجعلها سعادة أبدية لا شقاء بعدها ، ولا نكث بعدها ، ولا غفلة بعدها ، ولا معصية بعدها ، ولا ذلة بعدها ، ولا سوء بعدها .

واجعلنا يا رب ممن أعزته بعزك ، وقد قلت في كتابك : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

اللهم اجعلنا من كُمَّل المؤمنين ، الذين أعطيتهم العزة وصالوا في هٰذا الكون علىٰ من عصاك وعلىٰ من خالفك ، وعلىٰ من لم يأخذ بدعوة نبيك . اجعل اللهم لنا تلك العزة ، وأَصْحِبْنا إياها مع العافية والقبول دائماً . واجعل دعواتنا مرفوعة ، وكلماتنا مسموعة وقلوبنا مجموعة .

واجعلنا يا رب بصدق اللجوء إليك فيمن تبع سيدنا محمداً ، وأدخلنا في شفاعته ، واجمعنا به في هٰذه الدار ، واجمعنا به في البرزخ ، واجعله ربيعنا وشفيعنا ، واجمعنا به في الحوض وقبل

الحوض يوم الورود ، حتىٰ نشرب من ذلك الحوض من يده الشريفة شربة هنيئة ، واجعله يقابلنا بوجه باسم .

واحفظنا يا رب من الظلم ومن أهل المظالم ، وكن لنا ولياً وبنا حفياً .

هٰذا ما تيسر لنا جمعه في هٰذا اليوم المبارك المشهود ، ويليه ما وفقنا الله لجمعه في أيام (منىٰ) المباركة ، ومنها : هٰذه الكلمة التي تكلم بها في صباح اليوم الأول من أيام (منىٰ) يوم عيد الأضحىٰ المبارك . وتكلم بها للوفود الذين جاؤوا إليه صباح هٰذا اليوم يهنئونه بالحج وبالعيد .

قال ـ حفظه الله ـ : ١٣٩٧/١٢/١٠

إن الولاية كلها جاء بأسرارها وميراثها صاحب النبوة محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، فكلها موجودة لديه ، حيّاً كان أو ميتاً ؛ لأن العلماء أجمعوا علىٰ أنه حي في قبره ، وأن حياته البرزخية ليست كحياة البشر ، حياة أخرىٰ في جميع أموره صلىٰ الله عليه وآله وسلم . أحواله كلها كانت أصلها نور ؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ خلقه من نوره ، وقال : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ ﴾ .

فإذا قال القرآن : ﴿ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ ﴾ أفيمتري أحد في حديث صح أنه صلىٰ الله عليه وآله وسلم لم يصح فيه الحديث « **كنت أول النبيين** » أو « **كنت نوراً وآدم بين التراب والماء** » .

لا يمتري أحد بعد أن يقول القرآن : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ ﴾ هو محمد ﴿ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ هو قرآنه صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

فإذا قال لنا المولى إنه نور . . فلا شك أن بشريته عليه الصلاة والسلام شأنها لا كشأن البشريات الأخرىٰ في جميع أموره عليه الصلاة والسلام . بشريته كانت أحوالها عجيبة ، كان يقول لَمَّا كان يواصل في صيامه : « **إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني** » . وكان مع ذلك لم يضعفه الوصال في الصوم ، ولم يأتي عليه شيء صلىٰ الله عليه وآله وسلم مما يغير البشرية .

وكان من شأنه صلىٰ الله عليه وآله وسلم : أن قريشاً كانت تؤذيه وتشتد في إيذائه وهو يقول : « **اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون** » .

وشأن البشرية ، لو كانت بشرية محمد مثل بشريتنا . . لضاق صدره ودعا عليهم ، وجاء لهم بأثقل مما كان معهم ، ولٰكن كان شأنه عليه الصلاة والسلام أنه يقول : « **اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون** » .

قال البرعي :

ودعوة أحمدٍ : رب اهد قومي فهم لا يعلمون كما علمنا

وقالوا : إن من شأنه عليه الصلاة والسلام أنه كان في جميع أموره ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ كان يأخذ باليسر . وكانت

الأمور تتبعه لا يتبعها ؛ ذلك لأنه مرسل . كانت الملائكة معه ، وكانت الرياح معه .

الرياح معه في أموره كلها ، كانت الرياح معه بالنصر عليه الصلاة والسلام في غزوة الخندق لما ضاق بأهل (المدينة) وكان العدد قلة ، ولٰكن الله سبحانه وتعالىٰ أعطاه النصر في جميع أموره . وجعل أموره كلها عليه الصلاة والسلام تأتيه أفواج ليَعْلَم الناس أن حاله عليه الصلاة والسلام لا كحال الناس فجاءت له الريح في هٰذه الحالة ، فأخذتهم وشَتَّتت شملهم .

وكانت الريح معه تأتي رخاءً عليه الصلاة والسلام ؛ لأنه قال : « **نصرت بالرعب** » .

وكان من أمره عليه الصلاة والسلام : أن الملائكة طوع إرادته عليه الصلاة والسلام . فجبريل لا يزال قائماً تحت ركاب بغلته عليه الصلاة والسلام سواء كان في إسرائه ومعراجه ، أو كان في أخذه ، أو كان في حضره ، أو كان في سفره ، لا يزال جبريل آخذْ بركاب بغلته عليه الصلاة والسلام . ولهٰذا قال أبو نواس لما قيل له : ألست تمدح علي الرضا ، قال :

قيل لي: أنت أحسنُ الناس طُرّاً	في فنون من الكلام النبيهِ
لك من جَيِّد القريض مديح	يشبه الدُرَّ في يَدَيْ مجتنِيهِ
فعلامَ تركتَ مدحَ ابنِ موسىٰ	والخصالِ التي تَجَمَّعْنَ فيه
قلت : لا أستطيع مدح إمام	كان جبريل خادماً لأبيه

قالوا : هٰذا منتهىٰ علو الرتبة في حق الخدمة لا في غيرها ؛ لأن جبريل أمين الوحي وأمين السر ، سماه المولىٰ سبحانه وتعالىٰ : الروح الأمين ، حيث قال في كتابه : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ وقال أيضاً في الآيات الأخرىٰ ـ لما ذكر يوم القيامة ، وذكر أهوال يوم القيامة ، قال : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ ﴾ يعني جبريل ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ .

قالوا : ومن يأذن له الرحمٰن ؟ وإن كان لم يُظهِر اسمه ، ولٰكنه يُعرَف من مدلول ذلك أن أحب الخلق إليه هو الذي يؤذَن له في الكلام . وأحب الخلق إلىٰ مولاه هو محمد بن عبد الله ، ذلك الذي قال له : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ يمن عليه بنعماه يقول له : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ وموسىٰ ـ قالوا ـ طلب الشرح ، قال : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۝ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴾ وفرق بين محبوب وبين محب ، وبين مدعو وبين داعي ، وبين حبيب وبين غيره .

هٰذا صلوات الله وسلامه عليه هو الحبيب ، ومن محبته له سبحانه وتعالىٰ : أنه أشفق عليه في كثير ، أشفق عليه أولاً لما رأىٰ أمته ملء قلبه ، وكان قلبه ممتلأً محبة للأمة وشفقة عليهم .

أشفق عليه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ فأعطاهم بعد الصلاة التي أذن له به في الحضرة التي وصل إليها أن سَلَّم علىٰ هٰذه الأمة . سلم هو علىٰ مولاه في تلك الحضرة بقوله : « **التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله** » فردت عليه الحضرة وقالت له : « **السلام عليك أيها النبي ورحمةُ الله وبركاته** » .

كان المولىٰ لا يزال يلاحظ شغاف قلب حبيبه محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، فرأىٰ أن أمته وسط قلبه فأمرنا بذكر السلام عليهم : السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين .

نعمة! فين هـٰذا كان ؟

ولهـٰذا جاء في الصلاة ليَذْكُر العبد أنه ذُكِر في تلك الحضرة التي لم يصل إليها نبي ولا ملك ، وأدير اسمه في تلك الحضرة . ثم قال : إن الصلاة فرضت خمسين صلاةً ، ولشفقة محمد علىٰ هـٰذه الأمة الضعيفة المرحومة رُدَّت إلىٰ خمس ، ولها أجر الخمسين .

ثم قال : إنه إذا سجد تحت العرش السجدة العظيمة الطويلة للشفاعة . . يناديه ربه ويشفق عليه ، فيقول له : « **يا محمد ارفع رأسك** » وذلك شأن المحب حين يخاطب محبوبه ، يقول : ارفع رأسك ارفع رأسك ، وسل تعطى . فمتىٰ رَدَدْتُ لك طلباً ، واشفع تُشَفَّع . فيقول : « **أمتي ، أمتي** » هـٰذه لشدة الشفقة عليها .

وقالوا : ومن شدة الشفقة : أن أعطىٰ الله هـٰذه الأمة هـٰذا الحج المبرور . فورد عنه عليه الصلاة والسلام : « **من حج فلم يرفث ولم يفسق . . خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه** » .

وقال : « **الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة** » .

فنسأل الله أن يجعل حجنا مبروراً ، وسعينا مشكوراً ،

وعمرتنا متقبلة . وأن يَهُبَّ علينا من نسيم هبوب محمد ريحاً تأتي علىٰ القلوب فتصلحها ، فتكشف عنها الران ، وتذهب عنها الأحزان ، وتفتح لها باب المواصلة بالإحسان ، وينادي عليها بـ : ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ .

يا حنان يا منان ، يا قديم الإحسان . . أمتنا علىٰ حبه صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، وابعثنا علىٰ حبه ، وأحينا علىٰ حبه ، واجعلنا متمسكين بحبه ، وافتح لنا باب المواصلة به حتىٰ نتصل به صلوات الله وسلامه عليه ، ونأخذ عنه مباشرة كما أَخَذ عنه مباشرة . فقد قيل : إن الإمام عمر بن عبد الرحمـٰن العطاس - رضي الله عنه - سئل ، قيل له : هل لكم اجتماع برسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ؟

قال : كيف يغيب عنا وهو أصل وجودنا[1] ؟ !

إشارة إلىٰ أنه ما يفارقه صلىٰ الله عليه وآله وسلم قط .

وقال الإمام الحداد - عليه الرحمة - لما سئل ، قال : إنه إذا أشكل علينا الحديث . . أخذناه من النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، معاد نحتاج إلىٰ مراجعة الكتب ، أهـٰذا صحيح أو غير صحيح .

وكان الشيخ علي خالع قسم إذا سلم في صلاته بقوله : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . . يسمع الرد من الحضرة الشريفة بقوله : وعليك السلام يا شيخ . . منقبة كبيرة .

---

(١) يتكلم هنا . . والعبرة تقطع كلامه حفظه الله . .

قالوا : ثلاث مناقب :

أولها : أن النبي سماه : شيخ ما جاءه الاسم من واحد من أمثاله من العلماء ، والاَّ من أهل الفضل والاَّ من غيرهم .

المنقبة الثانية : قالوا : أنها سماع صوت النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

المنقبة الثالثة : أنه يسلم عليه النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ومن سلم عليه النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم دليل علىٰ أنه بلغ المرتبة العليا التي ما وراءها مرتبات .

وكان سيدي أحمد الرفاعي لما جاء إلى الحضرة المحمدية وسلم علىٰ الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم . . أنشد الأبيات المشهورة التي يقول فيها :

في حالة البعد روحي كنت أُرسِلها   تقبِّل التُّـرْبَ عني وهي نائبتي
وهٰذه دولة الأشباح قد حضرت   فامدد يمينك كي تحظىٰ بها شفتي

فظهرت اليد الشريفة وقبَّلها علىٰ ملأ من الناس .

وكان شيوخنا يحكون لنا أن الإمام حامد بن عمر ـ السيد الكبير ، قالوا ـ لما جاء إلىٰ الحضرة المحمدية . . وجد المسجد ملآن بالزائرين ، فجلس في أخريات المسجد ، فإذا أحد الأَغوات يقوم من باب الشباك وينادي : فيكم حامد بن عمر ؟ ويتخطىٰ الناس حتىٰ وصل إلىٰ آخر المسجد . فقال له : نعم! أنا حامد بن عمر .

قال له : قم واجلس تحت الشباك ، فإن رسول الله يناديك . . مرتبة كبرىٰ ! !

كان الحبيب علوي بن شهاب يقول :

فَرْق ما بين مَن يُخطَبْ ومن كان خاطِبْ

نسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يرزقنا نصيبٌ كاملٌ من محبته ، حتى يظهر جلاء المحبة علىٰ القلوب فيمتلىء فيها سر المحبوب ، ويظهر من ذلك السر الاتصال به صلوات الله وسلامه عليه ، فينفتح لنا ـ إن شاء الله ـ باب للاتصال به في السراء والضراء ، حتىٰ لا يغيب عنا .

ونسأله أن يجعل هٰذا الحج وهٰذه الأعياد مقبولة ، وأن يجعلنا وإياكم ممن بلغ سؤله ، وآتاه مولاه مأموله ، ووصله بمحمد رسوله ، صلوات الله وسلامه عليه . والحمد لله رب العالمين .

* * *



وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة مساء الإثنين الحادي عشر من شهر الحجة ، عام سبعة وتسعين وثلاث مئة وألف (١٣٩٧هـ) . وذلك في مخيم العم محمد بن صالح المحضار بـ(منىٰ) .

وفي هٰذه الليلة يقيم المحضار من كل عام مولد عظيم يحضره الكثير من الحجاج من جميع أقطار العالم الإسلامي .

وبعد الجلوس من المقام تكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة التي خشعت لها القلوب وتلذذت بها الأسماع .

قال ـ حفظه الله ـ :

لا شك أن قدسية هٰذه الأماكن ، وقدسية هٰذه الأيام ، والتنزلات التي تحصل فيها ، والأخبار التي جاء بها السيد المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم عنها ، والآيات القرآنية التي تحدثت وأنبأت عنها ، ثم تلتها ذكرىٰ سيدنا وحبيبنا ونبينا محمد مستودع سر القلوب وأصلها . . كل هٰذه لا شك أنها تأخذ بقلوبكم ، فترفرف وتحن تلك القلوب إلىٰ ذلك العالم . وما جعلها الله سبحانه وتعالىٰ مقراً للتنزلات في هٰذه الأيام المشهودة ، وما أخبر عنها محمد صلوات الله وسلامه عليه عنها ـ لأنها ليالي النفحات والتنزلات التي تحصل فيها ـ وبأن مَن حج وكان حجه مبرورْ . . كان جزاؤه الجنة . . كل هٰذه تُطَمْئِن القلوب ، وتحرك القلوب .

ولا شك أن قلوبكم اليوم غير ما كانت عليه في الأسبوع

الماضي ؛ ذلٰك لأن الأسبوع الماضي كانت القلوب مشغولة بأشغالها : منهم من شغلته دنياه ، ومنهم من شغلته غفلته ، ومنهم من بقي مع لهوه ، ومنهم من لا يزال يسبح في سكرته . لٰكن الناس الآن حينما يفدون إلىٰ هٰذه الأودية المباركة إلىٰ (عرفات) التي يقول فيها الإمام الحداد :

وفي عرفاتٍ كلُّ ذنب مكفَّرٌ ومغتَفَرٌ مِنَّا برحمة غافر

ويقول فيها الشارع صلوات الله وسلامه عليه : « **من وقف بعرفة فظن أنه لن يُغفَرَ له .. فقد أُبعِد من رحمة الله** » ضمان محقق ، جاء علىٰ لسان لا تنطق إلا عن حق ولا تعرف الهوىٰ ، من نبيكم وشفيعكم الذي جاء لكم بالقرآن ، وجاء لكم بالرسالة وجاء لكم بالهداية ، وجاء لكم بهٰذا الخير الذي أنتم لا تزالون جالسون عليه ، والمائدة الإلٰهية مبسوطة والقاسم فيها محمد صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم فإنه قد أخبر عن أيام (منىٰ) .

ثم إذا لاحظ الإنسان حجه عليه الصلاة والسلام وهو في الثالثة والستين من عمره في آخر سنة من سنين الحياة الدنيا ، ولاحظ أنه يأتي من هنا إلىٰ هنا ، وأنه طلع يوم التروية إلىٰ (منى) فصلىٰ بها العصر وصلت معه الألوف المؤلفة ـ التي قال أهل السير أنها مئة وعشرين ألف ـ قالوا : إنه لما خرج عليه الصلاة والسلام إلىٰ (المدينة المنورة) وأحرم من (ذي الحليفة) وركب ناقته القصواء وعليها قطيفة ـ قالوا ـ أرادوا أن يبدلوا تلك القطيفة ،

وأن يجعلوا عليها فراش يليق بمقام النبوة ـ ولا شيء يليق بمقام النبوة من أمر الدنيا مهما كان فقال لهم : « لا » .

هٰذا هو السيد المتواضع قال : « **أرجو أن لا يكون في هٰذا الحج رياء ولا سمعة** » .

ومن أين للرياء لمحمد ؟

ومن أين السمعة به عليه الصلاة والسلام وهو الذي ينفر الخلق عنها ؟ وهو المعصوم من كل زلة ، ومن كل غفلة ، ومن كل خطرة ، ومن كل شائبة لا تناسبه عليه الصلاة والسلام .

قالوا : لما استوىٰ علىٰ ناقته قبل أن يُحرِم . . التفت يميناً ، فرأىٰ عموم أمته وهم الجيش الكبير والعدد الكثير ، فاغرورق الدمع في عينيه ، ثم نظر يساراً فرآهم علىٰ مثل ذلٰك ، ثم نظر وراءه فرآهم علىٰ مثل ذلٰك . قالوا : هٰؤلاء يسوقهم محمد إلىٰ الجنة ويدعوهم إلىٰ الهدىٰ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ . يدعوهم لهٰذا

فكانوا يسيرون وراء ناقته وإلىٰ جنبي ناقته رضي الله تعالىٰ عنهم ، وهو عليه الصلاة والسلام فرحاً مغتبطاً مسروراً مطمئناً إلىٰ الدعوة التي آتاه الله إياها ، وأنها لا تزال تمدنا وتمد العالم كله ، سهله ووعره ، يمينه وشماله ، شرقه وغربه .

ثم لما لبى . . لبىٰ بصوت تخنقه العبرة حينما قال : « **لبيك اللهم لبيك** » . جاء بهٰذه الأمة إلىٰ مولاه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ تلبي كلها بصوت واحد .

قال ابن سعد : إنه حينما يلبي وحينما يخطب وحينما يتكلم عليه الصلاة والسلام . . يُسمِع آخرهم كما يُسمِع أوَّلهم ، بصوت لا يحتاج إلىٰ مُسَمِّع ولا إلىٰ مُكَبِّر ، ولا إلىٰ شيء آخر .

وكانت الجيوش ـ ذكروا أنها وصلت إلىٰ مسافات بعيدة في (ذا الحليفة) لكثرتها .

قالوا : إنها خرجت معه من (المدينة) سبعين ألف .

وقال بعضهم : تسعين ألف .

وقال بعضهم مئة وعشرين ألف .

ولا تزال تفد الوفود عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو في طريقه حاجاً إلىٰ هٰذا البيت المعظم ، وإلىٰ هٰذه الأودية المباركة ، وإلىٰ هٰذه الأماكن التي شرفها الله سبحانه وتعالىٰ .

ثم إذا لاحظ الإنسان ونظر إلىٰ أودية قفر ، ليس بها ما يسبي العين ، ولا ما يحرك النفس . . يجد الإنسان أن فيها ما يحرك القلب ، فيجعله يخفق لسر لا يدركه ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ إلاَّ مَن كان ذا علم علىٰ بصيرة ، إلا من أوتي نصيباً من العلم الذي أوتيه محمد بن عبد الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم الذي يقول له مولاه : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ .

من أين له هٰذا العلم ؟ هل تعلمه من بشر ، أو قرأه من كتاب ؟ جاءه من عند الله . ثم هو يبثه علينا في أحاديثه العظيمة

وآيات كتابه الكريمة ، بثاً سهلاً واضحاً ، سلساً هنيئاً مريئاً ، بلا تعب ولا عناء .

قالوا : ولو لم تتقدم اللسان المحمدية بتلاوة كتاب الله . . لما قدر أحد أن يقرأ ، ولما قدر أحد أن يسمع ذلك الذي يقول المولىٰ فيه : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ .

إذا كانت هٰذه الجبال تتصدع . . فأنىٰ للبشرية الضعيفة أن تقدر علىٰ هٰذه التلاوة إذا نزل علىٰ قلبها أو نزل علىٰ جسمها الذي من أدنى شيء يتأثر ؟ لٰكن المولىٰ سبحانه وتعالىٰ لما أراد الكرامة . قال : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ .

هل يريد مَن يعرف هٰذا التيسير ؟

قال الصوفية ـ عليهم الرحمة ـ : إن التيسير قراءته علىٰ لسانه عليه الصلاة والسلام . فكل ما يجري علىٰ لسانه ـ قالوا ـ يأتي سائغاً هنيئاً مريئاً ، لا يشوبه شدة ، ولا يشوبه تلكؤ ، ولا يشوبه شيء مما يشوب ومما يغيِّر ، ومما تَعْثَر اللسان ولا تقدر علىٰ النطق به ، لٰكنه جاءت به هٰذه اللسان الكبيرة الواسعة العظيمة ، فكان إذا تلاه صلوات الله وسلامه عليه . . انساغ لقلوب أصحابه ففهموه .

ثم أخبرنا هو صلىٰ الله عليه وآله وسلم في الحديث الوارد عنه حينما يقول : « **ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنىٰ بالقرآن** » . من ذاك هو النبي إن كان الأمر فيه نكرة . . فهو أشهر

من المعرفة . لا شك أن النبي هو محمد صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم .

هل القرآن أنزل علىٰ موسىٰ فيتغنىٰ به فيسمعه مولاه ، أو علىٰ غيره من الأنبياء حتىٰ يتغنىٰ فيسمعه مولاه ؟ لا ، إنما هي إشارة عائدة منه إليه عليه الصلاة والسلام يدركها الإنسان .

هٰذا كله جاءت به الرحمة الإلٰهية . والرحمة هو محمد ؛ لأنه قال : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ .

هٰذه الرحمة التي جاءت وتنزلت وأخبرنا بها ، كما رويتُ لكم في الحديث الوارد عنه في قوله عليه الصلاة والسلام : « **الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة** » شهادة مِن مَن ؟

ثم يقول : « **من حج ولم يرفث ولم يفسق . . خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه** » .

هٰذه شهادة جاءتكم بواسطة هٰذا السيد الكبير صلوات الله وسلامه عليه . فماذا ينبغي للحاج بعد هٰذه الشهادة وبعد هٰذه الضمانة ؟

ثم يقول ـ يخبرنا هو عن الصلوات والجمعة والحج ، فقال ـ : « **الصلاة إلىٰ الصلاة كفارة لما بينهما إذا اجتُنِبَت الكبائر . والجمعة إلىٰ الجمعة كفارة لما بينهما إذا اجتُنِبَت الكبائر** » .

وكذلك أخبرنا عن رمضان : « **ورمضان إلىٰ رمضان كفارة لما بينهما إذا اجتنبت الكبائر** » .

هـٰذه الكفارة ، عبارة عن ضمان جاءكم من نبيكم وحبيبكم الذي لا يزال يشفق عليكم وقلبه ممتلىء بمحبتكم ، كما أخبركم ربكم : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

قالوا : من تلك الرأفة : أن المولىٰ سبحانه وتعالىٰ لا يزال ينظر إلىٰ شغاف قلبه الممتلىء بالمحبة بهـٰذه الأمة ، فيعطيه ما يتمناه . كما حكىٰ المفسرون في قوله : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ .

قال الشاعر :

ألم يرضك الرحمـٰن في سورة الضحىٰ   وحاشاك أن ترضىٰ وفينا معذَّبُ

وقال الإمام البخاري ـ عليه الرحمة ـ في الحديث الوارد عنه بعد ما أوذي عليه الصلاة والسلام ، وسألته ملائكة الجبال بإذن ربها بأن تطبق علىٰ قريش وعلىٰ ثقيف الأخشبين[1] ، قال : « **لا ، إني أرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يتولىٰ هـٰذا الدين** » .

هـٰذه هي الرحمة . لو كانت بشريته كبشرية الناس . . لغضب عليه الصلاة والسلام ، ولـٰكن أنى لبشريته أن تغضب ، أنى لبشريته أن تتأثر ؟

ذلـٰك هو نبيكم الذي ملأ الله قلبه من المحبة لأمته ، وأشفق عليكم .

وقريش لما أتاها . . وفتح (مكة) قال لهم : « **ما ترون أني**

---

(١) الأخشبين : جبلان في مكة .

فاعل بكم ؟ » قالوا : إن تعذب . . فقد أسأنا ، وإن تغفر . . فخير أخ . فقال : « **لا أقول لكم إلا كما قال العبد الصالح** : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ **اذهبوا فأنتم الطلقاء** » . فعفا عنهم عليه الصلاة والسلام ، ثم تركهم حتىٰ جاؤوا ودخلوا في دين الله أفواجاً . وقد حكىٰ المولىٰ سبحانه وتعالىٰ في قوله : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ .

قال أهل التفسير : إذا قال المولى : (الناس) (يا أيها الناس) فإنما المقصود بهم : قريش ؛ لأنهم هم الأشداء الأقوياء ، وغيرهم من العرب ومن البادية فإنما هم تبع لهم إنما هم يدخلون معهم ، إنما هم يأتون من حيث أتت قريش . ولهٰذا لما قال لهم عليه الصلاة والسلام وتركهم وعفا عنهم ، وقال لهم : « **لا أقول لكم إلا كما قال العبد الصالح** : ﴿ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ **اذهبوا فانتم الطلقاء** » . قالوا : رجعوا من بيوتهم في اليوم الثاني ودخلوا في دين الله أفواجاً ، فجاءت الأعراب من جانب البلاد ، من شرقها ومن غربها ، ودخلوا معهم في دين الله أفواجاً كل ذلك بواسطة رحمته .

ومن هٰذه الرحمة ـ كما ذكرنا لكم ـ : هٰذه المواسم ، وهٰذه الأيام ، وهٰذه الأماكن العظيمة المقدسة المشهودة المشهورة ، التي جاء القرآن بفضلها ، وجاءت الأحاديث بفضلها ، وجاءت الأخبار بأخبارها وانتشار فضيلتها . ثم يقول لنا هو عليه الصلاة والسلام : « **إن لربكم في أيام دهركم**

نفحات ، ألا فتعرضوا لها » .

قالوا : لا شيء أعظم من هٰذه النفحات ، ولا شيء أكبر من هٰذه النفحات ، ولا شيء أقدس من هٰذه التنزلات التي تتنزل ، يشهدها من يشهدها ، ويُحجَب عنها من لا يدركها . ولٰكنه يدخل في المغفرة يشاهد ما أوردنا من الأحاديث المقدسة .

ثم ماذا ينبغي للإنسان ؟

ينبغي للإنسان يا ـ إخواني ـ أن يجدد له توبة مع الله إذا عرف أن الأحاديث والآيات أخبرته بالمغفرة له في هٰذه المواقف .

ثم بعد التوبة يترك ما كان يعمله من إساءة .

إن كان شأنه أنه يترك شيء من الصلوات المفروضة . . فعليه من بعد اليوم أن يعتني بصلواته في أوقاتها وفي جماعة ، حَسَب ما وردت الأخبار عن الشارع الكبير صلوات الله وسلامه عليه .

وإن كان مقصراً في زكاته . . فعليه أن لا يتهاون بعد اليوم ، ثم يخرج ما فات مما لم يخرجه من سابق الزمان ، حتىٰ يكون حجه مقبول ، وحتىٰ تشمله المغفرة .

ثم إن كان له أبوان وقصر في حقهما . . فشأنه أن لا يهمل أمرهما ؛ فإن شأن الأبوين عظيم . المولىٰ يقول : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ . كفىٰ .

ثم يقول : ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ .

ثم إذا كان له قرابة أوله أهل ، أو له إخوان ، أو له جيران . .

فشأنه أن يتفقد ، وشأنه أن يرعىٰ ، وشأنه أن لا يهمل ؛ لأن المولىٰ يهدد في كتابه الكريم فيقول : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ﴾ هٰذه اللعنة في قطيعة الرحم ، فما بالها في إهمال الأم ، أو في إهمال الأب ، أو في إهمال من له حق آخر ؟

ومن يقدر علىٰ لعنة الله ؟

ومن ذا يطيق هٰذا الكلام إن كان له قلب ، إن كان له سمع ، إن كان له حس ، إن كان يدرك أن رسالة محمد فيما أخبر به في هٰذه الدنيا وبعد الموت واقع لا محالة ؟ وإن حصل عنده تشكيك . . فقد كفر بالرسالة .

قالوا هٰذا إلا فيها .

والجار . . يقول النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم : « **والله لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه** » .

ويقول : « **ما زال جبريل يوصيني بالجار حتىٰ ظننت أنه سيوَرِّثه** » .

ويقول في حديث عمرو بن شعيب ، لما أورد حديث الجار ، عمرو بن شعيب قال : حتىٰ في أولاده : « **ولا تؤذيه بقتار**[1] **قدرك ، إلا أن تغرف لهم منه** » .

---

(١) قتار : أي دخان .

ثم يا إخواني هـٰذا الكلام الذي لو أتيت به ومشيت معه . . لطال بكم .

هـٰذا سبيله العلم . . أين العلم اليوم ؟

العلم هو الذي أتت به الرسالة المحمدية ، والذي قال فيه الشارع : « **إنما بعثت معلِّماً** » جاء وعَلَّم ، جاء ودعا . ولا يزال المعلمون منهم البقايا إلىٰ اليوم ، ولا يزال الناس قديماً يحرصون علىٰ العلم ويحرصون علىٰ العمل به ، حتىٰ جاء هـٰذا الزمان ، فطغىٰ المال وجرف القلوب وأداها إلىٰ الهاوية ، وأفسدها كما تفسد الأرض السبخة ، وأصبح الإنسان إذا دخل وقت الصلاة وعنده شيء من أشغاله ، أو عنده أحد من أصحابه . . قال : ربما في الوقت سعة .

من أين هـٰذه السعة إذا أخذه الشيطان وأدلاه[1] بغروره ؟

ثم الصلاة في جماعة غير الصلاة في الدار . ثم الصلاة مع ذوي العلم غير الصلاة مع الجاهل . ثم الصلاة مع الصالح غير الصلاة مع غير الصالح .

ثم هـٰذه الأشياء ـ كما ذكرنا لكم ـ في كتب العلم موجودة ، وأهل العلم لا يزال البقية الباقية منهم موجودون .

فنسأل الله أن يحقق منا التوبة ، وأن يأخذ بأيدينا إلىٰ هـٰذه الأوبة ، وأن يشرح صدورنا بنور العلم ، وأن يجعله مقتدانا نسير

---

(١) أدلاه : أي لبس عليه .

في ظله وفي نوره حتىٰ نأتي إلىٰ الجنة . هـٰذا هو الذي قال فيه المولىٰ : ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم ﴾ .

هـٰذا هو نور العلم لا غير . ومن لم يكن له علم . . من أين له النور ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ أخذ الله بقلوبنا إلىٰ ذلـٰك ، وقَبِل حجنا وعمرتنا ، وجعلنا وإياكم من العائدين .

والحمد لله رب العالمين .

* * *

وتكلم سيدي ـ متع الله بحياته ـ بهٰذه الكلمة في منزل العم سقاف بن محمد بن حسين السقاف بـ(جدة) بتاريخ عشرين من شهر القعدة من عام سبعة وتسعين وثلاث مئة وألف هجرية (١٣٩٧هـ) بمناسبة عمل ضيافة لقدوم سيدي الوالد عبد القادر بن حسين من (أندونيسيا) هٰذا العام . وتقدمت كلمته قصيدة أنشدها حبيبنا سالم بن علوي خرد رحمه الله . ثم تكلم سيدي بهٰذه الكلمة ، واستهلها بذكر رجال الحضرة الذين تُعرَف في وجوههم نضرة النعيم .

قال سيدي ـ حفظه الله ـ :

المولىٰ سبحانه وتعالىٰ جعل الكون للأمة ؛ لترتقي به من مستوىٰ البشرية إلىٰ المحل الأسنىٰ في الكون . وجعل هٰذا الذوق والوجدان يسري حتىٰ في البهائم . والعلماء ذكروا أن الإبل هٰذه إذا حَمَّلوها أثقال وظمئت ، حدا بها حادي وهي لا تراه ، وتسمع صوته . . فتمد أعناقها وتمشي مسرعة ؛ كي تصل إلىٰ الحادي هٰذا وهي تتلذذ بالغناء . ولهٰذا قال النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم لأنجشة لما كان يحدو بالإبل ، قال له : « **رويدك ، رفقاً بالقوارير** » ؛ لأن الحدا يؤثر عليها .

وجعل الله سبحانه وتعالىٰ هٰذا التأثير لتتحرك الروح ويسمو الإنسان بنفسه ؛ لأن الإنسان مادام في حضيض البشرية . . فهو في حمأة ، في منتهىٰ القذارة ، في منتهىٰ الارتباط والارتطام في

سِجِّين ، وفي أقل من سِجِّين ، وأخس من سِجِّين .

الذوق هـٰذا إذا تحرك وتحركت معه الروح وحداه الحادي . . تحرك إن كان إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم . . فإنه سوف يسمع أشياء من سيرته ومن أخلاقه صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، إذا تحركت لها روحه . . لا بل وأن ينتقش في الروح شيء ، وإذا انتقش في الروح شيء منها . . تحركت الروح وأخذت تمشي مع هـٰذه الأخلاق ومع هـٰذه السيرة . ثم هو يَعِدُ نفسه في مجلس آخر تتحرك فيه الروح بذوق أشمل وذوق أكمل ، حتىٰ يرتفع من الحضيض إلىٰ اليفاع . وإذا ارتفع من الحضيض إلىٰ اليفاع . . أصبح حُرٌّ بالنسبة ، وقد كان عبدٌ مملوكٌ لهواه وللدنيا . فإذا أصبح حُرٌّ . . اقتنصته الرعاية الإلـٰهية فصيرته عبدها ، وإذا صيرته عبدها ، كان لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يعي إلا ما يأتي من فوق ، من تلك الحضرة .

ولهـٰذا الصوفية لهم مشارب ، كان هـٰذا البيت لشريف ـ يقولون : أصله يمدح امرأة اسمها زهراء ـ جعله الصوفية غناهم إلىٰ الحضرة الأحدية ، يقول فيه :

يا عمرو قلبي عند زهراء ... يعرفه السامع والرائي
لا تَدْعُني إلا بيا عبدها ... فإنه أشرف أسمائي

وشرف العبودية بالنسبة لهـٰذا الرجل للمرأة ، يرىٰ أنه فيه الغَناء ـ كل الغَناء ـ إذا اتصل بمحبوبته ، والروح إذا أدركت من

الذوق نصيبٌ وحركة مع النصيب . هـٰذا شرف العبودية إلىٰ المولىٰ ، إلىٰ المعبود الأعلىٰ بحق ، إلىٰ المقصود بحق ، إلىٰ المشهود بحق ، إلىٰ الموجود بحق ، إلىٰ الذي يستحق أن يسمىٰ مولىٰ ، وإلىٰ الذي يستحق أن يسمىٰ رب ، إلىٰ الذي يستحق أن يسمىٰ مقصود ، وغيره : لا مقصود ، ولا رب ، ولا إلـٰه ، ولا شيء قط أبداً ، ولـٰكنها حاجات يقتضيها ، وتَتَنزه لها شهوته فيعتقد أنها تُقضىٰ ، إما من امرأة ، أو من مخلوق ، أو مِنْ شيء من هـٰذه الأشياء .

إذا سما بالإنسان وجدانه الحقيقي . . أدرك أن المحبوب الكبير هو الذي يعطي وهو الذي يزينه النسبة إليه .

ما أدري ؟ البارحة أو غير البارحة ذكرت للإمام الغزالي - رحمه الله - قولةً من أعجب قولاته :

قال الإمام الغزالي : إن الناس علىٰ قسمين :

إما رجال الحضرة الذين عبدوا الله حق عبادته ، هم لا يزالون ملابسين للحضرة ، وعليهم من بهائها ومن جمالها ومن أنوارها ما يحفظ الطَّرْف مما عليهم من الضياء ، وكلما مر عليهم وقت من الأوقات . . أعطتهم الحضرة الإلـٰهية خلعة وكستهم ضياءً ، وقالت لهم : ما أحسن هـٰذه الخلعة ، وما أعظم هـٰذا البهاء .

يقول الواحد : مِمَّنْ تأتي هـٰذه الخلع ، ومن أين تأتي هـٰذه الكسوة ؟

ثم هم كما حكىٰ المولى : ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾ هـٰذا الوصف المنطبق عليهم .

ثم تَعرِف ماذا في وجوه الناس هـٰؤلاء الذين شملتهم حمأة الدنيا ، تعرف فيهم نضرة ماذا ؟ هل شيء علىٰ وجوههم من بريق هـٰذا النعيم ؟ ما يُمْكن إلا لمن أطاع ، إلا لمن تولاه الحق ، إلا لمن قُرِّبْ ، إلا لمن أعطاه ربه سبحانه وتعالىٰ نصيبْ من التوفيق يكسوه إذا كساه . . أعطاه علىٰ وجهه كسوة نور ، وعلىٰ جسده كسوة نور ، وخَلَع من فوق ذلك خلعة هي أسمىٰ وأشرف من أن توصف . أولـٰئك علىٰ هـٰذا الحال ، وهم في الحضرة عليهم من الخشية ومن النعيم ما لا يكيف .

قال : وغيرهم من أهل الدنيا شأنه من يغسل المراحيض والأوساخ والنجاسات دائماً وهو ملطخ بالقاذورات ، وإذا تحركت نفسه وطلع ليدخل من الباب . . قال له البواب : إلىٰ أين ؟ أتريد أن تدخل بقذارتك إلىٰ حضرة نظيفة ، إلىٰ حضرة مطهرة ، إلىٰ حضرة بعيدة عن الأدناس ؟ لا يمكن أن تدخل . . ارجع .

يرده البواب ، فإذا رجع . . يقول : ارجع غَسِّل نفسك ونظف نفسك ، واخرج من هـٰذه الحمأة ، وٱلبَس لك ثوبْ طاهرْ ، كما حكىٰ المولىٰ : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ إلىٰ آخر الآيات . وإذا طهرت نفسك . . تعال واقرع الباب ، إذا فتح لك الباب . . فأنت السعيد .

وكم من واحد وقف علىٰ الباب فلم يفتح له ؛ لأن الحضرة يمكن تَقْبَل ويمكن ما تَقْبَل .

كم من ناس لا يصلحون لها ولا تصلح لهم .

وهٰذه الحضرة عبارة ـ قالوا ـ عن دخول إلىٰ الآخرة وخروج من الدنيا ، وما هو بخروج حقيقي ، إنما يضحي الإنسان بنعمه ؛ فربما يمتَّع بأكثر مُتَعِه : حينما يمتَّع بأهله فيستريح ، يمتع بولده فيستريح ، يمتع بذكر الله فيأنس إلىٰ الله ، يمتع بالصلاة فتنفتح له أبواب في الصلاة كانت مغلقة عن غيره ، فيتذوق ، وربما ارتقىٰ فيها من عالم إلىٰ عالم ، ومن شهود إلىٰ شهود ، ومن مراقبة إلىٰ مراقبة ، ومن وصف إلىٰ وصف ، ومن سُلَّم إلىٰ سُلَّم . . حتىٰ يقف به إلىٰ أسنىٰ حضرة الشهود حيث لا مشهود إلا إلٰه المعبود .

هٰذه هي السعادة ، هٰذه هي الغبطة .

كان الشيوخ يذكرون أن الحبيب حامد بن عمر ـ الإمام الكبير هٰذا متأخر ، أدركوه شيوخ الشيوخ الذين أدركناهم ـ قالوا : إنه كان إمام في مسجد القوم مسجد باعلوي ، المسجد المعظم هٰذا . وكانوا يقولون : إن كل من صلى إمام في المسجد . . زَيَّنَه المسجد ، إلا حامد بن عمر فإنه زاد المسجد نوراً فوق نوره .

قالوا : إنه كان في سجوده انفتحت له أبواب المكاشفة والمواصلة مع الله ، فرأىٰ شيئاً في سجوده فظهر لمن وراءه ؛ لأن

المأموم مرتبط بالإمام ، وظهر لمن علىٰ يمينه ومن علىٰ يساره . . وهٰكذا حتىٰ انتهىٰ إلىٰ آخر المصلين . فلما سلم من الصلاة . . قال أحدهم : وقع لي في سجودي كذا .

قال الثاني : وأنا وقع لي .

قال الثالث : وأنا وقع لي .

قال الرابع : وأنا وقع لي .

حصلت لهم مواجهة مع الله سبحانه وتعالىٰ أغلىٰ مما كانوا عليه ، أغلىٰ من المتعة بالدنيا ، أغلىٰ من الذواق الذي يذوقه الإنسان وأنه منعَّم فيه وهو معذَّب ؛ لأن الإنسان في هٰذه الدنيا انشغل فكره بها ، وأخذت بمجامع فكره فألقته إلىٰ هوة سحيقة بعيدة .

حكىٰ الله لنا قال : ﴿ ۞ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ .

قالوا العلماء : هٰذا العبد حتىٰ فِكْرُه معاد يقدر عليه .

ثم رجع وحكىٰ لنا مثل آخر ، قال : ﴿ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرًّا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ﴾ .

لا ، ما يتأتىٰ .

وفي الآية الأخرى : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾ .

وفي الآية الثالثة : ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ ﴾ معاذ الله أن يستوي ذلك .

معاد يحتاج إلىٰ ذكر بعد القرآن ، وهـٰذا الكلام قط الإنسان يدركه .

قال الإمام الغزالي : إن الحسن البصري خرج هو والفرزدق يمشيان في جنازة النوار[1] ، والحسن البصري معروف مرموق بالسر عند الناس كلهم ، من يعرف ومن لا يعرف والفرزدق معروف ـ كذلك ـ بحالته شاعر ، كان هَجَّاء وكان مداح ، وكانت له قربة وصلة بأهل البيت الطاهر ، أرجو أن يرفعه الله بها من حضيض ما وصل إليه من شعره .

قال : إنه كانا يمشيان معاً في أول الناس ، ولما التفت الفرزدق ورأىٰ الأمة تمشي في ركب الجنازة . . قال للحسن : يا أبا سعيد .

قال له : لبيك .

قال : ما ترىٰ الناس قائلين في وفيك ؟

قال له : ما هم قائلين شيءْ .

قال له : بلىٰ ، يقولون : يمشي خير الناس مع شر الناس .

قال له : لستُ بخير الناس ، ولستَ بشر الناس .

قال : ثم إنه سكت هنيهة ، ثم قال له : أبا سعيد .

قال له : لبيك .

قال له : ما أعددت لهـٰذا اليوم ـ أي : يوم القيامة ـ ؟

---

(١) أي زوجة الفرزدق .

قال : أعددت له : « لا إلـٰه إلا الله » منذ ثمانين سنة . ثم أنشد :

أخاف وراء القبر إن لم تعافني	أشدَّ من القبر التهاباً وأضيقا
إذا جاء في يوم القيامة قائد	عنيد وسوَّاق يسوق الفرزدقا
فقد خاب من أولاد آدم من مشىٰ	إلـىٰ الله مغلـولَ القـلادة أزرقـا

المهم ـ يا إخواني ـ لا تفقدون شيءْ من المجالس ، فيها شيء من الروحانية يدرك الإنسان فيها ذوقه الذي أماته بنفسه وَوَأَدَهُ بذاته . نسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يعطينا ذلك الذوق .

ثم عزم علينا العم سقاف لتناول الغداء ، وتغدى الجميع مسرورين . وبعد الغداء أنشد العم علوي بن شيخ الحبشي قصيدة الحبيب علي حبشي : قال الفتى الحبشي إلىٰ الغَنَّاءْ وَرَدْنا زائرين .

وبعدها رتب سيدي هـٰذه الفاتحة :

الفاتحة أن الله يكرم أهل الكرامة ويجمل أحوالهم ، ويبارك لهم في الكرامة ، ويجعلها ساعة قبول ، ويستجيب الله لنا ولكم ، ويعطينا الآمال ، ويهب لكم الذرية الطيبة إن شاء الله ويسعدنا بالسعادة التي أسعد بها شيوخنا ورجالنا ، ويكتبنا في ديوانهم ، ويعطينا ما أعطاهم ، ويمنحنا ما منحهم ، ويجعل أوقاتنا كلها أوقات أعياد وأفراح بذكر محمد والدعوة إلىٰ طريق محمد .

ربنا يحيينا عليها ويبعثنا عليها ، ويجعلنا من أهلها ، ويحمينا

حاميها ، ويدركنا ما فيها ، ويدخل بنا إلىٰ أهلها في الخير وعلىٰ الخير .

ويغفر لوالدينا والمتقدمين في هٰذه البلاد ، ويجعل أرواحهم في أعلى عليين مرتبطين بهم - إن شاء الله - دائماً ، ويرحمهم ويرحمنا إذا صرنا إلىٰ ما صاروا إليه ، ويجعل المصير إلىٰ خير في أمر الدنيا والآخرة ، ويصلح البلاد والنادي والوادي ، ويرفع ما حل بها ظاهراً وباطناً .

ويعطينا آمالنا ، ويقضي لنا حاجاتنا ، ويتولانا كما تولىٰ مَن قبلنا ، ويهدينا فيمن هداهم ، ويتولانا فيمن تولاهم .

ويدخلنا حماه ، وحمىٰ أنبياه ، وحمى أصفياه ، وحمى رجالنا أهل (تريم) إن شاء الله . ويحنن أرواحهم علينا . ويعطيهم النور في برازخهم ، ويرفع بواسطتهم ما حل بالوادي وأهل الوادي ، ظاهراً وباطناً .

وإلىٰ حضرة النبي محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

* * *

تكلم سيدي ـ متع الله بحياته ـ بهٰذه الكلمة في الختم الذي أقيم علىٰ المرحوم العم طٰه بن عبد الله بن أحمد بن طٰه السقاف . وذلك عام (١٣٩٧هـ) . المتوفى بالصولو (٦) ذي الحجة (١٣٩٧هـ) .

وبعد الختم أنشد أحد الحاضرين قصيدة الحبيب عبد الله بن علوي الحداد . ثم تكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة ، وذكر الكثير ممن اختطفتهم المنية من أعز الرجال في أواخر العام الماضي وأول هٰذا العام ، وحث الحاضرين علىٰ اغتنام البقية الباقية من الشيوخ ، وختم كلمته بالفاتحة .

قال ـ حفظه الله ـ :

مرت لنا بالحما المأنوس أعياد مع الأحبة لو عادت ولو عادوا

هٰذه القصيدة للإمام الحداد ، ما أحسبكم بغافلين عنها .

ومناسبة القصيدة : أن الإمام الحداد يرثي أخاه من أمه وأبيه الحامد بن علوي الحداد . وكان ـ كما ذكره ـ من العلماء ، وكان من الأمجاد ، وكان له قيام بالإمام الحداد نفسه .

وذكر فيها أيضاً أنه في ذلك العام توفوا ستة ، ومنهم : ابن عمه ـ كما ذكره ـ مثل الشقيق[1] وابن العم .

ومنهم : أخوه في الله الإمام الكبير علي بن عبد الله العيدروس ، صاحب (سُرْت)[2] وعدد كثير . وفيما أحسبه أن منهم واحد اسمه : أحمد بن عمر ، ذكره في مكاتبة جمعهم هٰؤلاء كلهم .

---

(١) مثل الشقيق وإبن العم في زمرٍ طابت خلائقهم والسعي والزادُ

(٢) سُرْت بلد بالهند .

وكلهم هٰؤلاء كبار علىٰ الإمام الحداد ، وكبار عند الله سبحانه وتعالىٰ ؛ لأنهم كما قال فيهم الشاعر الإمام الحداد :

من الذين بعلم الله قد عملوا   واستغـرقتهـم عبـادات وأورادُ

ومناسبة القصيدة هٰذه تأتي في الرثاء . وأجمع الشيوخ في كلامهم أنه ما فيه رثاء يتلىٰ بعد تلاوته المرة الأولىٰ إلا رثاء الإمام الحداد ، لأنه دعوة عامة إلىٰ الله ، يناسب كل مقام ، وكل زمان وكل مكان .

والمناسبة الليلة لا تخفىٰ ، نحن نبكي ميتاً ، وما نبكي ميتْ نبكي في هٰذا العام أكثر من اثني عشر ميتاً ماتوا ـ كلهم كرام علينا ـ في هٰذا العام وأواخر العام الماضي .

المناسبة للاجتماع لوالدنا طٰه بن عبد الله بن أحمد بن طٰه السقاف ، ولٰكن . نحن ذكرنا أن العام هٰذا رحل فيه علينا ـ كما ذكرنا ـ أعداد ، في مقدمتهم أولاً :

الحبيب عمر بن أحمد بن سميط[1] : كان رجل العلويين في الأخير ، من عرفه . . فقد عرفه ، ومن لا عرفه وسأل عنه . . وجَدَه جمع الله له من مكارم الأخلاق ومن العلم ومن العمل ما لم يجمعه لغيره في العصر الأخير .

ومنهم : الحبيب السخي الكبير ، العارف بالله ، المعروف جعفر بن أحمد العيدروس المتوفى بتريم .

ومنهم : أخونا عبد الله بن أحمد الهدار .

---

(١) المولود سنة (١٣٠٣هـ) والمتوفى بجزر القمر سنة (١٣٩٦هـ) .

ومنهم : أخونا محمد بن سالم بن أحمد بن حسن العطاس . المتوفى بسنغافورة .

ومنهم : أخونا عبد الرحمـٰن بن حسن بن شهاب الدين المتوفى بتريم .

ومنهم ـ فيما قبلهم كذلك بعدة أشهر : أخونا عيدروس بن سالم بن محمد السقاف المتوفى بسيون .

وفيما قبلهم بثمانية أشهر : عبد الرحمـٰن بن عمر بن حامد السقاف المتوفى بسيون .

وفيما بعدهم هـٰؤلاء من الإخوان : الشيخ فضل بن محمد بن عوض بافضل المتوفىٰ بتريم .

ومنهم في الأخير : الحبيب علي بن محمد بن عبد القادرْ السقاف المتوفى بسيون .

وكم جمعت علينا الأيام من الناس الأعزاء وجمعتهم أيام الوفاة ونحن متنائين بعيدين الدار .

من هو بـ(جاوه) كان بعيداً عن أقاربه ، وكان قلبه يتلمض من الشوق ومن الحسرة .

ومن هو في الحرمين الشريفين . كان بعيد الدار عن بلاده وعن قومه ، وقلبه يتلمض من الشوق ومن الحسرة .

ومن في غيرها من بلاد الله كذلك . ذلك لأن البلاد نفسها كل واحد اشتاق إليها لكونها وطنه .

قال ابن الرومي :

وحَبَّبَ أوطانَ الرجال إليهمو مآربُ قضَّاها الشباب هنالكا

إذا ذَكَروا أوطانهم . . ذَكَّرَتْهمو عهودَ الصِّبا فيها فحَنُّوا لذٰلكا
وقد ألفته النفس حتى كأنه لها جسد إنْ بان غُودِر هالكا

وابن الرومي ذكر واحدة من جم ، لٰكن إذا ذكر الإنسان له شيوخ من أهل العلم وأهل الولاية ـ إذا نظر الواحد إليهم فكأنما نظر إلىٰ قنديل من قناديل النور ـ كيف لا يبكي عليهم ، كيف لا يتغير عليهم ؟

إذا كان له أصحاب من الناس الطيبين الذين عرفهم بالأمانة في العهد ، والوفاء بالوعد ، والقيام بالحق والقيام مع الحق ، والقيام مع الناس . . كيف لا يبكي عليهم ، كيف لا يتأثر عليهم ؟

ثم إذا نظرنا . . وجدنا أن كل من مات ترك مكانه ـ كما قلنا ـ فجوة ما أحد مَن يسد ربعها ولا عشرها .

أنا ذكرت في مناسبة موت عمكم طٰه . عمكم طٰه الكثير منكم ما يعرفه إلا أنه كان من أهل (جاوه) فقط . وما هو من أهل (جاوه) فقط ، له كانت أخبار وأعلام ، وأعظمها : أنه ارتبط بشيوخ .

فيما قبل شهر كنا نتذاكر ، نحن والإخوان هٰؤلاء ـ الأخ محمد الشاطري ، والأخ سالم خرد ، والإخوان الذين يحضرون ونحضر نحن وإياهم ـ كلام الإمام الحداد يحكيه عن الحبيب محمد بن علوي السقاف صاحب (مكة) .

هٰذا محمد بن علوي صاحب (مكة) من كبار الرجال العلويين الذين كما ذكرهم الشاعر :

من الذين بعلم الدين قد عملوا   واستغرقتهم عبادات وأورادُ

قالوا : إنه جاء عاني إلى الوهط إلىٰ الحبيب عبد الله بن علي ـ هٰذا الإمام كان شيخْ كبيرْ ـ ابن الشيخ علي بن أبي بكر السكران ، وقصده : الأخذ عنه والانتماء إليه والإجازة ، فسأله وقال له : ولادتك سنة كم يا محمد ؟

قال له : ولادتي سنة ألف واثنين .

قال له : أما لو كانت ولادتك قبل الألف . . لكان أعطيتك السر هٰذه الساعة ، وقلت لك : ارجع في طريقك ، أما ذا الحين . . اجلس واقرأ عندي ، واخدمنا عادك فوق القراءة .

قال له : يا خير .

جلس عنده وخدمه . وذكرت أنا للجماعة ـ والجماعة يعرفون ، ولٰكن التذكار فيه حركة للقلب . ذكرت أنا ـ أن ذلك العصر الذي يشير إليه عصر الألف هٰذا فيه مجموعة من الأولياء . كانت السماء ملآنة بالأنوار ما يتصاعد إليها إلا أنوار ، ما يتصاعد من الأرض دخان ، ولا يتصاعد منها غبار ، ولا يتصاعد منها أكدار ، ولا يتصاعد شيء قط ، ملآنه بالنور .

وبسبب هٰذا الامتلاء يحصل الإنسان علىٰ مراده في أي وقت مباشرة إذا جاء إلىٰ عند العالم أو عند الولي . والزمان المتراكمة فيه الغبارات ـ كما زماننا هٰذا ـ وبالخصوص في هٰذا البلد ، بلد لها عجيج بالدنيا بدل العجيج بذكر الله ، عجيج بحركة الكون ،

حركة مغمورة بالغفلة عن الله ، لاشك أنها تأتي علىٰ عكس العصر الذي ذكره الحبيب عبد الله بن علي لما قال له : لو كانت ولادتك قبل عام الألف لأعطيتك مقصودك مباشرة .

نحن الواحد نبعد بعيد عنه ، ومن البُعْد : إذا نظر الواحد ، عاد حد يسأل عن شيخ في هٰذا الزمان ؟

عاد حد يقول : أنا شيخي فلان ؟

عاد حد يقول : أنا استجزت من فلان ؟

عاد حد يقول : أنا أخذت من فلان ؟

أنتم ما تعرفون هٰذا كله قط أبداً ، ومن سمعه أو عرفه . . الغفلة أخذت به فأبعدته عن كل هٰذا ، وإلا . . كان الوادي كل أهله مترابطين . الشيوخ كثرة في ذلك الزمان ، ومع الكثرة هٰذه هٰذا ينتمي إلىٰ الشيخ هٰذا ، وهٰذا ينتمي إلى الشيخ ذاك ، وهٰذا ينتمي إلىٰ الشيخ هٰذا . . والشيخ يقبض بيد الإنسان حتىٰ يوصله إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، والنبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم باب الله :

فأنت باب الله أي امرىءٍ أتاه من غيرك لا يَدخُلُ[1]

فين الإنسان بغا بايدخل ؟ معاد عرفوها الناس .

وعمكم طٰه ، المقصود الذي أريد أن أذكره أنه أدرك حبيبه علي حبشي عم أمه ، أدركه وأخذ عنه ، وقرأ عليه وارتبط به .

---

(١) هذا البيت من أبيات للشيخ أبي الحسن البكري أولها ما أرسل الرحمن من رحمة ؟

والإشارة إلىٰ هـٰذا هو ما ذكرت لكم أنه أدرك العصر الذي ملآن بالرجال الكبار .

من ذلك الإدراك : أنه كان محفوظ السر ومحفوظ السريرة ، وكانت دائماً مرائيه بالشيوخ هـٰؤلاء وارتباطه بهم .

كان يقول : إذا تشوش علي حال . . أرىٰ والدي .

وكانت أمه ـ انظروا أنتم الفرق ذا الحين في الزمان هـٰذا ـ كانت أمه بنت الحبيب شيخ بن محمد الحبشي ، عاشت أولاً وتربت في بيت الحبيب علي حبشي ، زوَّجها الحبيب علي علىٰ ولده عبد الله بن علي الحبشي ، ما طابت العشرة فيما بينه وبينها ففارقها ، فلما فارقها . . انتظر أنها تخرج إلىٰ بيت الحبيب شيخ ـ بيت والدها ، وكانت تربت إلا في نفس البيت ـ فأشفق عليها الحبيب علي لما طلقها ولده ولا قدر يجابهها ، حتىٰ سار إليها وفي نفسه شيء .

لما سار إليها . . قابلته ببكاء مر ، تأثر الحبيب علي منها ـ وقد كان متأثراً ـ قال لها : لا تخافي ، ولا يكون في بالك شيء ، باتتزوجي علىٰ واحد من أولادنا ، وباتكون لك منه الذرية الطيبة .

هي تعرف أن كلام الحبيب علي ما بايقصر . ما هي إلا مدة العدة حتىٰ انتهت ، فخطبها عمكم عبد الله بن أحمد[1] ، وتزوجها عمي عبد الله بن أحمد ، وكان من خواص تلاميذ الحبيب علي الحبشي .

---

(١) الحبيب عبد الله بن أحمد بن طه السقاف (١٢٨٤ـ ١٣٦٠ هـ) بسيون .

انظروا أنتم موضع الارتباط . كانت هي ذكية وعاشت في بيت علي حبشي ، معاد يحتاج إلىٰ كلام .

كانت إذا حملت . . تجيء عند الحبيب ، والحبيب قد كان كبيراً في السن شيبة تأخذ بيده وتضعها علىٰ بطنها وتدوِّرها ، وتقول : يابَهْ علي ، هـٰذا الحمل ثقيل عَلَيَّه . هي ما بها ثقل من الحمل لـٰكنها كانت ذكية .

كان يقول لها : هـٰذا في بطنك فلان بن فلان . يسميه لها وهو في علم الله !

انظروا الارتباط الذي ما يحصل اليوم ، لا بين شبابنا ولا بين شاباتنا . تلد بالولد هـٰذا وقد اسمه معها ، معاد إلا يجيؤون للحبيب ويرتب الفاتحة علىٰ هـٰذا الاسم . . وهـٰكذا .

ومن جملتهم : عمكم طـٰه ، سماه الحبيب علي قبل أن يوجد ؛ لقوة الارتباط حق أبوه وحق أمه . كانت تخبر هي بنفسها ، وأنا سمعتها ، وعمي طـٰه كان يردد هـٰذه القولة .

قالت : إني لما حملت بحسين . . جئت علىٰ عادتي إلىٰ أبوي علي ، وأخذت يده ووضعتها علىٰ بطني ودوَّرتها ، وقلت له : ثقل الحمل علي . قالت : ما شيء كلام .

قالت : رجعَتْ له في اليوم الثاني ، تسلم عليه علىٰ عادتها ، وعملت معه علىٰ عادتها من وضع يده علىٰ بطنها ، قالت : ولا شيء كلام .

عندنا مثل في (حضرموت) يقولون : ذَلأَبَنَيَّهْ في الطبق .

وهي ما جابت إلا أولاد ، ما جابت إلا وحده بنيَّة ، وكل ما دخلت عليه قالت : ما شيء كلام . فإذا بالكشف الذي يشاهدون مثل هٰؤلاء الرجال عيان في تلك السنة . وفي ذلك الشهر والتي كانت ولادتها فيه جاء أخوه من (مكة) الحبيب حسين[1] ـ إمام من الأئمة ، من كبار أئمة العلويين ، كان والدي يقول : لولا ظهور الحبيب علي . . لظهر بمظهر كبير ، ولٰكنه غطَّىٰ عليهم الحبيب علي ولم يترك لأحد مظهر . إمام كبير الشان ـ جاء وكانوا في أنيسه ، فجاؤوا يبشرونهم بالولادة ، وأتت بولد .

ولما وضعت بولد ـ كانت ليلةً ممطرة ، كان الماء يسيل في السواقي ـ لما خف السيل . . قال الحبيب علي للحبيب حسين : قم يا حسين بانزور شيخانه ، بانهنيها بالولادة .

قال له : يا خير .

قاموا الاثنان وهم شيابه قدهم إلا يتعَكَّزون في الساقية ، ودخلوا إلىٰ عندها . لما دخلوا ، قال : إنهم قال لهم الحبيب حسين : يا علي .

قال له : لبيك .

قال له : شف هٰذا الولد دَرَكي ، لا تسميه ولا تتعرض له .

قال له : دَرَكك .

---

(١) الإمام العلامة مفتي الشافعية بمكة المكرمة حسين بن محمد بن حسين الحبشي المولود بسيون (١٢٥٨هـ) والمتوفى بمكة المكرمة (١٣٣٠هـ) .

قال له : إذاً اسمه حسين .

ورتب الفاتحة الحبيب حسين .

فيه إشارة إلىٰ كشف الحبيب علي ، ما كلمهم ولا سأل عنهم ، كلما قالت له : ثقل الحمل علىٰ بطني . . ما رد عليها جواب ، قده يشوف أنَّ دَرَكه حسين الحبشي الذي في (مكة) جاء وحضر الولادة .

وموضع الكلام : الارتباط الكلي بالشيوخ هٰؤلاء لما كان هٰؤلاء الاثنين ـ عمكم عبد الله والحبابة زوجته ـ مرتبطين ارتباطاً قوياً بشيوخهم هٰؤلاء . . كانت النتيجة هٰكذا ، كان يسميه في عالم الغيب .

وكان من علاقته به أنه يقول : إن من نعم الله عَلَيَّ ـ أي العم طٰه يقول ـ ما معي فرحة في حياتي أعظم من فرحتي لما شفت حبيبي علي بهٰذه العينين . وكان ذلك في آخر لقائي معه قبل شهرين رحمه الله .

هٰذا فُقِد اليوم من الناس وارتفع .

هٰذا سببه : أن أمه غذته في نفسه ، وغذاه في نفسه والده بهٰذه التربية ، رُبِي علىٰ هٰذا ، وكانوا علىٰ هٰذا الحال السابقون كلهم .

واليوم لو سألنا : حد منكم له شيخ يرتبط به ؟ الذي ما يعرف الشيخ . . يضيع هٰذا .

هٰذا الإمام الحداد الذي سمعتوه في قصيدته يقول :

ولا بد من شيخٍ تسيرُ بسَيرِهِ .

وهٰذا الحبيب علي يقول :

مَن لا صَحِبْ في زمانهْ شيخْ عارفْ مكينْ
عَـدَّتْ حيـاتـهْ وهُـوْ معـدودْ فـي المفلسيـنْ

كان والدي يخبر عن واحد من السادة آل البيْض ، يقول : كان مرتبط بواحد من آل الشيخ أبي بكر . . الحبيب أحمد بن عبد الله ـ وكان السيد هٰذا مجذوب ولٰكنه ولي من كبار الأولياء . وكان كل ما عنده شيء وكل من بايخرج من (الشحر) إلىٰ (حضرموت) أعطاه شيء للحبيب هٰذا . فتغيرت الأحوال وضاقت به ، قال : أنا مرتبط بالسيد هٰذا بأخرج إلىٰ عنده .

خرج إلىٰ عنده ، فخرج السيد صاحب كشف فيلاقيه إلىٰ الجبل لما رآه مقبلاً ، وقال له : عم أحمد ، أنا خارج إلىٰ عندك .

قال له : وأنا طلعت لمقابلتك ذا الحين .

فأراد مصافحته ، قال له الحبيب أحمد : لا تصافحني ، أنا أعلم أنك جئت طالب قضاء حاجة ، أنت جئت من أجل دنيا .

فقال له : المقصود الحاجة مقضية ، وارجع في سبيلك ، معاد شيء بعد هٰذا .

ذا الحين ، لما كانت القلوب اسودت وأظلمت ، إذا ضاقت بالإنسان حاجة . . بات يتلملم طول ليله ، ويتململ في فراشه ،

ولا يدري إلىٰ أين المرجع ؟ وهـٰذا ـ شفوها ـ بوادر شك ، والعياذ بالله ، لماذا ؟

قالوا : لأن الإسلام والكفر الفرق فيما بينهما :

أن المسلم إذا ضاقت به الحال . . رجع إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ ، فأدركته الرعاية الإلـٰهية .

والكافر : يرجع إلىٰ من ؟ ما هو مؤمن بربه ، ما معه حد ، يبيت يتململ طول وقته ويتعب ويتنكص . . وهـٰكذا حتىٰ تتغير عليه حياته ولا هو داري يرجع إلىٰ من ؟

والإنسان كذلك ، إذا معه شيخ . . يدركه هـٰذا الشيخ ، إذا أقبل عليه وجاء وقت الضائقة وقال : أنا معي شيخي فلان بن فلان ، إن كان موجود . . يكتب له أو يسير إلىٰ عنده ، وإذا ما هو موجود . . اتفقت الروح بالروح بفاتحة ودعوات صالحة ، وجاءه الفرج بواسطته .

والآن! ما أحد مرتبط بشيخ ، والسبب في ذلك : ما أحد قرأ ، ما أحد عرف ، ولا أحد يدرك شيءْ من مثل هـٰذا . ذا الحين ترون الفرق .

هـٰذه القصيدة التي أنشدها الأخ سالم خرد لكم ، هـٰذه القصيدة كهربت المجلس كله ، وصيرت المجلس كله وكأنما هو خرج من عالم (جدة) وقتام (جدة) إلىٰ عالم روحاني ، إلىٰ عالم فضاء فيه لوامع بروق ، وفيه لوامع نور ؛ لأنها جاءت من

لسان طاهرة . وفرق بين لسان تكذب ولسان ما تعرف الكذب ، ولسان تلغو ولسان ما تعرف اللغو ، ولسان ما تعرف القراءة . . كلكم تدركون أن هناك فرق .

وهٰذا ـ شفوه ـ هو سر النفث . لماذا النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم كان يقرأ علىٰ المريض وينفث ؟ لأن الرحمة حينما تُقرأ من اللسان الطاهرة لها تأثير . أما اللسان التي هي غير طاهرة . . ما لها تأثير .

كانوا يذكرون أن الشيخ أحمد بن موسىٰ بن عجيل ـ الإمام العظيم ـ جاؤا إلىٰ عنده في ليلة من الليالي ، وقالوا له : فيه فلان مصروع هناك أصابه الجن .

قال لهم : يا خير . قام إلىٰ عنده ووقف عليه وقرأ هٰذه الآية : ﴿ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ فخرج الجني من المصروع يصيح ، واستقامت حالة المصروع وذهب .

ثم لما توفي الشيخ أحمد . . عاد إليه الجني ، ولما عاد الجني . . جاؤا أرادوا حَدْ يقرأ . قال لهم واحد من تلاميذ الشيخ ، أو ممن حضر مع الشيخ ، قال لهم : أنا باأقرأ ، أنا سمعت الشيخ يقرأ الآية .

ذهبوا إلىٰ عنده ، فلما ذهبوا . . قرأ الآية : ﴿ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ قال الجني : الآية هي الآية ، واللسان غير اللسان ، كَرِّرْها إلىٰ أن تتعب ، أما أنا . . لن أتحرك .

كذلك الأمر ، لسان طاهرة ما تعرف الغِيبة ، ما تعرف الهذيان ، ما تعرف الكذب ، ما تعرف الهزل من القول ، ما تعرف إلا الصدق . . لا يكون منها إلا الطهارة والقبول . هٰذه الطهارة المطلوبة والمقصودة .

وهٰذه القصيدة زينت المجلس ؛ لأنها جاءت من لسان جمع الله لها بين العلم والعمل ، وجمع الله لها بين الدعوة المحمدية ، وجمع الله لها بين الحفظ ، كانت ما تعرف غير هٰذا .

وأما ألسنتنا والمجالس هٰذه التي يخرج منه الإنسان بقلب ملهو ، والعياذ بالله ؛ لأنها مجالس : فلان قال ، وفلان ترك ، وفلان لَبُوه النار ، فلان ما فيه خير ، فلان تَرْكُه ، فلان فَعْلُه . . ما يستفيد منها الإنسان شيء .

هٰؤلاء هم رجالنا وشيوخنا ، كان وقتهم كله موزَّعْ . إذا نظرنا إلىٰ الإمام الحداد . . حصَّلناه تخرجوا عليه تلاميذ كثيرون ، وألَّف كتبْ كثيرة ، ودعا إلىٰ دعوة كبيرة ، وأنتج علمْ كثيرْ .

وإذا نظرنا نحن إلىٰ الزمان هٰذا . . وجدناه ما فيه شيء ، كله ما فيه شيء .

وكان العَلَوي يَظْهَر ـ شفوا ـ في هٰذه البلاد وفي أي بلاد . هٰذه (جاوه) لما فتحوها العلويون بالأخلاق وبالعلم وباللسان

الطاهرة ـ فقط لسان طاهرة ، وقلب طاهر ، وجسم طاهر فيه عينين لا ينظران إلىٰ ما لا ينبغي ، وفيه سمع لا يسمع ما لا ينبغي ، دانت لهم البلاد بهٰذا ، وقد دانت لهم بواسطة سيد الوجود صلىٰ الله عليه وآله وسلم . كان الأمين بين قومه ، والآن نحن ـ يا إخواني كما ذكرنا ـ بكينا علىٰ الرجال هٰؤلاء . ولٰكن إذا بكينا . . ماذا نستفيد من البكاء ؟

ما هي الفائدة التي نستفيدها من البكاء ؟

هل بانأخذ الأماكن التي كانوا يأخذون فيها وباندعو ، أو بانتصل بالشيوخ حتىٰ نرتبط بالشيوخ ؟

حتىٰ الشيوخ هٰؤلاء كانت لهم صولات ولهم جولات :

كان عمكم حامد البار ـ رحمه الله ـ يخبرنا عن الحبيب علوي بن طاهر الحداد الإمام الكبير ، سافر إلىٰ (إفريقيا) في أول أمره ، وكان شيخه الحبيب أحمد بن حسن العطاس وكأنه كانت له في خطاباته جولات فيها ، وكأن عمي حامد ما عجبه منه ما يقوله في خطبه وكلامه ، فقال للحبيب أحمد بن حسن : بغيتك تدعي لعلوي بن طاهر .

قال له : لماذا بغيتني أدعو له ؟

قال له : بَلَغَنا أنه يخطب خُطَبْ ما تناسب .

قال له : علوي بن طاهر شفنا عرضته علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

خلاص ، من عُرِض علىٰ النبي . . بلغ مقصوده . وذا الحين ، أنتم موجودون : أحد بايعرضنا علىٰ النبي ؟ الشيوخ الذين كانوا يعرضون علىٰ النبي توفاهم الله ، إلىٰ من بانروح يا إخواني ؟ أو هل نبقىٰ هٰكذا حتىٰ نكون من الناس الذين لا يُلتَفَت إليهم ؟ أو من الناس الأقزام ، أو من الناس الذين لا ينفعون ولا يستنفعون ؟

وفوق هٰذا إن الواحد مننا ما يعرف شيءْ ، حتىٰ جانب مروءته أو جانب دينه . الأخلاق ليست موجودة ، وإن وجدت هٰذه الأخلاق . . فهي مصطنعة ، وما هي أخلاق مِن قلوب صادقة حية .

إذا الواحد بُلي بضيف قدَّر الله عليه . . قال له : أهلاً وسهلاً ، كيف حالك ؟

وإذا ما بُلي به ـ يقولون : ما شافك ما لامك ـ معاد بينه وبين الضيف أي صلة قط أبداً إنه قريبُهْ أو بعيد ، أو له صلة به ، أو ماله صلة به . ما أحمق هٰذا!

الإنسان الذي له نسب طيب ، أو الذي كان له شيوخ طيبين ، أو الذي يرغب أن يكون له مظهر في المجتمع .

أو يريد الإنسان أن يكون حيوان من الحيوانات ؟!

الإمام الغزالي كان يقول : الناس ثلاثة ، وأمثلتهم ثلاثة .

قال : بعض الناس تراه مثل الملائكة ، حكىٰ الله عنهم أنهم يستغفرون لمن في الأرض .

وبعض الناس مثل الحيوانات التي لا تضر ولا تنفع .

وبعض الناس مثل الحيوانات الضارة والعقارب والحيات التي كلها بلاء علىٰ الناس .

قال : إذا لم تُفَضَّل أن تكون من ملإ الملائكة . . كن من الناس الذين لا يضرون ولا ينفعون ، الحذر أن تكون كما الحيات والعقارب . شأن الذين يقعدون يهذُّون علىٰ الناس ، هم حيات وعقارب ، لا أقل ولا أكثر .

الله يعيد علينا وعليكم ماضي هٰؤلاء الرجال ، ويحمينا بأخلاقهم ، وينعشنا بسيرتهم ، ويبعث فينا باعث الهمة ، وباعث الإرادة ، وباعث الصدق ، وباعث العمل الصالح . ويغفر لوالدنا طٰه ، ويغفر لمن ذكرناهم ، ويغفر للمتقدمين ، ويجعل أرواحهم في أعلىٰ عليين ، ويخلفهم وينعش الهمم .

اغتنموا ـ يا إخواني ـ هٰؤلاء ، انظروا إلىٰ هٰؤلاء ، ما زالوا معكم بقايا كلهم .

عمكم أحمد بن حسين السقاف هٰذا أدرك شيوخ ولا يزال يلهث . كثير من الناس إذا جاؤا . . قالوا : بن حسين في وادي . نعم في وادي ؛ لأن وديانه غلقت ، قومه وأهله هٰؤلاء معاد أحد

منهم . ذِكْرُه وكلامه معهم بلا شك .

وذا الحين جاءكم عمكم عبد القادر بن حسين السقاف ، هـٰكذا : من الذين بعلم الدين قد عملوا .

ومعكم الأخ محمد بن أحمد الشاطري .

ومعكم الأخ سالم بن علوي خرد .

ومعكم عمكم حسين الحبشي ، هـٰذا ـ انظروه ـ جوهرة من الجواهر ، عاشر خاله عمر بن عبد الله الحبشي وصفى سريرته . وكلهم الإخوان هـٰؤلاء .

وكذلك الأخ سالم بن عمر ، والأخ عبد القادر ، والإخوان هـٰؤلاء ، وأخونا محسن بن علوي ، وأخونا علي بن سميط . . كلهم بقايا هـٰؤلاء ، وكلهم نظروا إلىٰ رجال وإلىٰ وجوههم ، ناس طيبين ، وبقيت الطِّيْبة من هـٰذا .

احرصوا ـ يا إخواني ـ علىٰ أنكم تنتعشون من تلك الطِّيْبة وتأخذون بنصيب منها ، تشمونها وتدركونها ، وتتذوقونه .

والذواق هـٰذا أنا دائماً أوصيكم بقراءة شيء من الكتب مع هـٰؤلاء ، وحفظ أولادكم ، وحفظ جماعاتكم وصلواتكم ، وحفظ نساءكم . ودائماً الإنسان إذا جلس . . يذكِّر أهله ويعرِّف أهله .

انظروا هـٰذه الكتب تُقرأ ، فيها أخلاق ، وفيها سيرة . وكتب الإمام الحداد فيها الغنية وفيها الكفاية .

الله ـ إن شاء الله ـ يهدينا كما هدى مَن قبلنا ، ويتولانا كما تولىٰ مَن قبلنا ، وينعش القلوب ، وينعش الهمم ويحييها ، ويبعث منها باعث الإرادة الصادقة ، ويبعث فينا وفيكم باعث الدين ، ويجعلنا من حماة الدين ، ويجعلنا من أعلام الدين ، ويجعلنا من رجال الدين ، ويحيي بنا ميِّت الدين ، وينعش بنا هامد الدين ، ويجعلها حياة ـ إن شاء الله ـ منتعشة بالدين والدنيا .

يعمر بكم الدنيا ويعمر بكم الدين ، ويعمر بكم سيرة أهلكم الصالحين وسيد المرسلين . ويجعلها ليلة ـ إن شاء الله ـ يمطر عليكم ماطرها ، ويحييكم ـ إن شاء الله ـ وينعشكم وينعشها .

ويجعل لكم اتصال ـ إن شاء الله ـ بالعالم الأعلى ، فتستمدون منه الخير والبركة ببركة من ذكرناهم من الرجال والشيوخ والهداة ، وبركة القصيدة التي سمعتموها ، وبركة المجلس وبركة الاجتماع .

علىٰ هـٰذه النيات نسأل الله تعالىٰ أن يتقبل هـٰذه الدعوات ظاهراً وباطناً .

وإلىٰ حضرة النبي محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

* * *

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة في حفل تأبين حبيبنا العم حامد بن محمد سري ـ رحمه الله ـ والذي وافته المنية بأرض (أندونيسيا) يوم الأحد ، الثالث والعشرين من شهر الحجة عام ثمانية وتسعين وثلاث مئة وألف (٢٣/ ١٢/ ١٣٩٧هـ) .

وقد أقيمت علىٰ روحه قراءة بمدرسة بن لادن بـ(جدة) مساء الجمعة ، تاريخ ست من محرم من عام ثمانية وتسعين وثلاث مئة وألف (٦/ ١/ ١٣٩٨هـ) .

وبعد كلمة حبيبنا العم عبد القادر بن أحمد قام حبيبنا العم سالم بن علوي خرد وألقىٰ قصيدة رائعة ، أبَّن فيها الفقيد ، ومطلعها :

غاض بحر من العلوم غزيرُ ... ومن الأفق غاب بدر منيرُ
يوم غالت يد المنايا إماماً ... ماله في العلوم قطُّ نظيرُ

قال سيدي ـ متع الله بحياته ـ :

نحمد الله سبحانه وتعالىٰ الذي لا يُحمَد علىٰ مكروه سواه ، ولا عطاء إلا عطاه ، ولا خير إلا خيره . ونصلي ونسلم علىٰ مصطفاه ، وعلىٰ آله وأصحابه الهداة ، وبعد :

فالناس نَسُوا أنفسهم . كان الناس يقولون في القديم : إن الناس كانوا في غفلة ، وكان الناس في القديم يقولون : إن الناس نسوا الموت . أما اليوم . . فإن هٰذه الآية ربما حقت في الناس : ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ .

ما يدرك الإنسان أنه سائر إلىٰ مصير ، ولا يدرك الإنسان أن عليه سؤالٌ لربه ، ولا يدرك الإنسان أن عليه حقوق ، ولا يدرك الإنسان أن عليه واجبْ ، ولا يدرك الإنسان أنه خلق ليكون كريمْ ، ليكون شريفاً ، ليكون عبداً لله ، آخذْ من صفات مولاه ، ومن الأخلاق التي أعطاها لرسوله ، وبثها رسوله محمد صلوات الله وسلامه في أمته .

فَقَد الناس هٰذه الأخلاق ، وسبب فَقْد الأخلاق : فَقْد التربية ، وسبب فقد التربية : فقد العلم . ولما قل العلم وطغت المادة وظهرت علىٰ الناس . . أخذ الناس يموجون ولا يدرون إلىٰ أين ؟ ويمشون ولا يدرون أين المستقر ؟ كل منهم لا شك ولا بد أنه صائر لمصير ، فذلك المصير هو الموت ، لا يَحمَده إلا من ألقىٰ السمع لمولاه ، وعمل بما جاء به مصطفاه ، وسار في الطريق التي رضيها له مولاه . وذلك أمثال هٰؤلاء ، مِن أمثالهم : حبيبنا الذي اجتمعنا الليلة من أجله . جَمَع علماً جَمّاً ، وأخلاقاً واسعةً ، ونفساً سخيةً ، ودعوةً محمدية ، حرصاً علىٰ اتصاله ورجاله القادة الأثبات الذين سلكوا مع خير البرية محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

كان إذا ذكر شيوخه ومصنفاتهم ووصاياهم . . أسبلت عينه ما شاءت من دموعها ، ذكرىٰ لهٰؤلاء القوم الذين كان بهم قوام الأمر ، وكان بهم دوام دين الله سبحانه وتعالىٰ . هٰؤلاء هم

الذين عرَّفوه نفسه ، وعرف تلك النسبة ، وسلكوا به في المهيع الذي سلك به مَن قَبْله . ومَن قَبْله إذا فكر الإنسان ما هو ومن هم ؟ جاءت الرسالة المحمدية ، وجاء بها خير البرية ، فتلقاها أصحاب محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وكان محمد لهم هو المعلِّم ، وكان محمد لهم هو الشيخ ، إليه يرجعون إذا أشكل عليهم الأمر ، وإليه يأخذون سندهم ، ومنه يأخذون علمهم .

فنحن قرأنا فاتحة الكتاب هٰذه ، إذا سئل الواحد عن من أخذت هٰذه الفاتحة ؟ ومن هو شيخك ؟ إما أبو بكر الصديق ، إما علي بن أبي طالب ، إما عمر بن الخطاب ، إما عثمان ، إما العشرة ، إما الحسين ، إما الحسن ، إما العباس ، إما حمزة ، إما خديجة ، إما فاطمة ، إما عائشة ، إما زوجاته صلى الله عليه وآله وسلم ورضي عنهم أجمعين .

ومن سواه . . إنما أخذوها من لسان محمد ، وأخذوا بعدها معظم كتاب الله إن لم يكن كله ، وتناوله بعده التابعون ، وتناوله بعد التابعين العلماء . . استمر علىٰ هٰذا الحال حتىٰ وصل إلىٰ شيوخنا ، فأخذوه ، وأخذوا حديث رسول الله ، وأخذوا علم رسول الله ، وأخذوا أخلاق رسول الله ، وأخذوا سيرة رسول الله ، وأخذوا الطريق التي سنها رسول الله ومشىٰ عليها ، وهي الصراط المستقيم التي يقول الله فيها : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ .

ونحن إذا قيل لنا : عن من أخذت القرآن ؟

عن من أخذت الفاتحة ؟

عن من أخذت طرف العلم الذي اهتديت به إلىٰ صلاتك ، وإلىٰ زكاتك ومعروفك وصومك ، وحج بيت الله ؟

نقول لهم عن من ؟ إلىٰ من نسند أمورنا ؟ إلىٰ هـٰذه المجالس الجوفاء؟! إلىٰ ناس ما يعرفون ما هو السند؟! إلىٰ ناس ما يعرفون ما هي السلسلة؟! إلىٰ ناس لا يعرفون إلىٰ أين كان مستقىٰ هـٰؤلاء؟!

إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم . يعيش المرء علىٰ جهالة ثم يموت علىٰ جهالة ، والشارع الحكيم صلوات الله وسلامه عليه قال : « يموت المرء علىٰ ما عاش عليه » هـٰذا الحبيب المتوفَّىٰ ـ رحمه الله ـ كان إذا ذكر شيوخه ، وفي مقدمتهم أساطين العصر المتقدم : علي بن محمد الحبشي ، وأحمد بن حسن العطاس . . كان يبكي وكانت تذرف عيناه ؛ ذلك لأنه رأىٰ رجال عليهم أنوار النبوة تلوح ، إذا ذُكِروا في المجلس . . نزلت الرحمة ؛ ذلك لأن مجالسهم كلها علم ، كلها دعوة ، كلها حكمة ، كلها طريقة لمحمد وآل محمد ، ولِمَا كان عليه محمد صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم .

وكانوا يقولون لنا : إن المتقدمين إذا وصلوا كتاب الجنائز في كتاب الفقه . . أطبقوا الكتاب من كثرة البكاء . وكثرة البكاء من ماذا ؟ مما هو قادم عليه الإنسان بعد أن يوضع في قبره ، بعد أن

تستلب روحه قبل أن يوضع في قبره .

أخبرنا الصادق المصدوق بالموت وبما بعد الموت ، وبالقبر وسؤال القبر . فكان الواحد منهم يرتجف .

وفي نصائح الإمام الحداد يحكيها عن الإمام الغزالي - رحم الله الإمام الحداد ، ورحم الله الإمام الغزالي - قال : إن واحد قرأ في ليلة من لياليه قوله تعالىٰ : ﴿ ۞ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴾ سورة الصافات . والآية نزلت في الكفار ، لـٰكنه استشعر ربما حصل ظلم من نفسه في حق أبيه وأمه ، أو في حق زوجه ، أو في حق ولده ، أو في حق جاره ، أو في حق رحمه ، أو في حق قريبه ؟ فبكىٰ وخرَّ مغشياً عليه ، واعتقد أهله أنه مات ، فاستدعوا جارهم . فلما استدعوا جارهم وحضر الجار . . أخذ ينبهه حتىٰ انتبه ، قال له : ماذا أصابك ؟ قال : ما أصابني شيء ، لـٰكنها مرت عَلَيَّ هـٰذه الآية في صلاتي فخشيت أن أكون من الذين ظلموا أنفسهم . فسقط الجار وبكىٰ! ثم عاد الرجل وسقط مرة أخرىٰ ، فجاؤا أهله يقولون له : يا جار السوء ، جئناك تنبِّه أبينا فإذا أنت تلقيه ثاني مرة للصرعة الأخرىٰ . قال لهم : ما هو أنا صرعته ، ولـٰكن صرعته هـٰذه الآية .

واليوم يموت الميت فلا يتحرك عرق ، إذا جاء قال : شيء خبر . . قالوا : فلان حَكَوا به ، فلان مات اليوم . كأن لم يكن .

هٰذا الموت كلنا واردين عليه ، كلنا صائرين إليه ! !

قال الشاعر :

فمـا المُعَـزَّىٰ ببـاقٍ بعـد مَيّتِـه ولا المُعَزِّيْ ولو عاشا إلىٰ حينِ

كلنا ميتين ، وكلنا في الطريق ، لٰكن! ماذا أعد الإنسان لموت يفجؤُه ولا يدري متىٰ ؟

هٰذا هو النسيان ، كان السابقون يتأثرون من ذكره ، لٰكن نحن نسيناه نسياناً كأنما هو خبر من الأخبار ، أو حديث من الأحاديث ، أو أمر من العابرة . يسمع الإنسان بموت القريب ، أو الجار ، أو البعيد ، أو الأخ ، أو العالم ، أو الفاضل . . فلا يتحرك له عرق ، ولا تتحرك له شعرة .

وموت الأكابر ، وموت العلماء ـ قالوا ـ إنه من أشراط الساعة . قال ابن المبارك :

إذا مـا مـات ذو علـم وحلـمٍ فقد ثُلِمَتْ من الإسلام ثُلْمَهْ

إلىٰ آخر الأبيات المشهورة .

كل يوم نُثْلَم ، وكل يوم يأتي علينا الموت فيأخذ الطيبين .

والمـوتُ نَقَّـادٌ علـىٰ كفـه جـواهـرٌ يختـار منهـا الجيـادْ

الغزالي حكىٰ عن الفرزدق ، الشاعر المشهور ، الهَجَّاء السَّبَّاب ، لٰكن خذوا ما كان منه عند ذكر الموت . قال الإمام الغزالي : إنها ماتت النوار ، وخرج الحسن البصري ، وخرج الفرزدق ـ والنوار زوجة الفرزدق ـ وازدحم الناس علىٰ جنازتها

خوفاً من طلاقة لسانه ، وكانا يمشيان معاً في ركب الموت وركب الجنازة .

ثم قال الفرزدق للحسن : يا أبا سعيد .

قال له : لبيك .

قال له : ما يقول الناس في وفيك ؟

قال له : ما يقول الناس شيء .

قال له: بلىٰ ، يقول الناس : يمشي خير الناس مع شر الناس .

قال له أبو سعيد الحسن البصري :

لستُ بخير الناس ولستَ بشر الناس . ثم انتبه الحسن البصري وقال للفرزدق : ماذا أعددت يا أبا فراس لهٰذا اليوم ؟

قال له : « لا إلٰه إلا الله » منذ ثمانين سنة .

هٰذا الفرزدق الماجن الهَجَّاء الذي ما سلم أحد من لسانه ـ قالوا ـ إلا من كان من أهل البيت ؛ فإنه كان محبهم ، ونرجو أن يكونوا شفعاءه عند الله فيدخر الله له ما قاله فيهم . **من جملة ذلك** : القضية المشهورة التي يحكيها المؤرخون ، ويحكيها أهل السِّيَر : أن هشام بن عبد الملك لما جاء ليقبل الحجر . . وجد الناس مزدحمين عليه ، فقدم له كرسي وجلس ، وعليه التاج المرصع بالذهب . وجاء علي زين العابدين ـ كفاه الاسم : زين العابدين . قالوا : إنه سماه النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم قبل ولادته بهٰذا الاسم ، وكفاه فخراً أنه زين لكل عابد ؛ يعني : فوق العباد ـ قالوا : لما جاء . . انحاز الناس وانفرجوا له عن

الحجر الأسود . وكان أعرابي جالساً عند هشام لا يدري من هٰذا فقال لهشام بن عبد الملك : من هٰذا الذي انفرج الناس له عن الحجر الأسود ؟ قال له هشام : لا أعرفه! وكان الفرزدق جالس إلىٰ جانب ، قال : ولٰكني أنا أعرفه :

هٰذا ابن خير عباد الله كلهم ... هٰذا التقي النقي الطاهر العَلَمُ[1]
هٰذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجَدِّه أنبياء الله قد خُتِموا

إلىٰ آخر الأبيات المشهورة . إلىٰ أن قال :

وليس قولك: من هٰذا ، بضائره ... العُرْبُ تعرف من أنكرت والعجم

إلىٰ أن قال :

يكاد يمسكه عِرْفانَ راحَتِهِ ... ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلم
يُغضي حياءً ويُغضَىٰ من مهابته ... فما يُكلَّم إلا حين يبتسم

إلى آخر الأبيات التي ألهم الله الفرزدق بها وألقاها عليه في ذلك المجلس . فكان جزاء الفرزدق أن حبسه هشام بين (المدينة) وبين (مكة) .

فأرسل إليه علي زين العابدين يهديه هدية ، ومنها : ثوب من أثوابه . وأرسل له بألف دينار ، فرد الألف ، وقال له : ما كنت امتدحتك لمال ، وإنما امتدحتك لنسب سُدْتَ به علىٰ الناس ، وهو اتصالك برسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

---

(١) يلقي سيدي هذه الأبيات وصوته مخلوط بعبرة شديدة .

قال له زين العابدين : إنا إذا أعطينا أحداً شيئاً لا نسترجعه .

وهٰذا علي زين العابدين ـ قالوا ـ كان يركع ألف ركعة . وكان إذا دخل في الصلاة . . لا يدري عما يجرى حوله بشيء . سقطت سارية ارتج لها ربع المسجد ، فخرج أهل السوق ، فلما سَلَّمَ . . قال : ما شأن الناس في المسجد ؟

قالوا له : سقطت سارية سقط بها ربع المسجد !

قال : لم أكن أدري بشيء وأنا في صلاتي .

قالوا : وكان ينفق علىٰ ألف بيت من أهل (المدينة) ولا يدرون ممن النفقة ، فلما توفي . . أصابهم العري وأصابهم الجوع .

هٰذا هو ابن رسول الله ، هٰذا هو الذي يعرف سبيل الموت وما بعد الموت .

والموت هٰذا تأثر منه سيد الأولين والآخرين صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، وهو المشهود له علىٰ لسان جبريل وعلىٰ لسان مولاه ؛ لأن الجنة له ولمن اتبعه وأطاعه . كان إذا ذكر الموت ـ قالوا ـ يرتعد . قالوا : ومات ولد لإحدىٰ بناته صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، فأرسلت إليه فاعتذر ؛ لأن الموت أمره صعب ، أمره فظيع . قالوا : اعتذر لأنه لا يكاد يقدر ينظر إلىٰ الميت في تلك اللحظة .

قالوا : فأقسمت عليه ، ولما أقسمت عليه . . جاء ونفس

الصبي تقعقع كالمرجل ، فانحدرت دموع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

وما بال الناس اليوم ؟ ما يتأثر الواحد بالموت .

وما بال الناس اليوم ؟ لا يدري الإنسان عن نفسه .

وما بال الناس اليوم ؟ لا يعرفون شيء .

أصاب الناس نسيان أنفسهم فأصبحوا يعمهون ، كما حكىٰ المولى : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ .

من ذلك العَمَه : أن الواحد ربما حافظ هو علىٰ صلاته ، ولـٰكنه يمنعه المانع أن يسأل ولده عن صلاته ، وعن جماعته ، وعن درسه ، وعن خلقه ، وعن عاداته ، وعن حفظه . . ما يدرك شيءٌ من هـٰذه الأشياء قط أبداً . إن كان الولد قد هو يشتغل يقول له : هل رحت عند آل فلان وأتيت لنا بشيء منهم ؟

هل سددت الحساب ؟

هل أقفلت كذا وكذا ؟

هل سلمت علىٰ فلان ؟

لـٰكن هل صليت في المسجد ؟ أو : صليت مع من ؟ أو : زرت من ؟ أو : حضرت مع من ؟ أليست هـٰذه أعظم الفرائض ، إذا ما سأل الإنسان عنها ولده : كيف حاله ؟ وهو مسؤول عن ولده ، مسؤول عن زوجه ، مسؤول عن بنته ، مسؤول عن

أهله . ثم من النسيان هـٰذا الكلام الذي أذكره لكم .

كان الناس ، ومنهم هـٰذا الفقيد العظيم ، ولعلنا زرناه في آخر شعبان ووجدناه علىٰ حال عظيم ، ولما رآني . . بكىٰ . ذكر (حضرموت) ثم ذكر الشيوخ ، ثم ذكر والدي ، ثم ذكر مجالس كنت جلستها وأنا صغير كنت حضرتها ، يُذَكِّرنا .

قلت له : أدرك هـٰذا . بكىٰ وأرسل دموعه .

هـٰؤلاء الشيوخ هم الذين أخذوا بيده إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم . والآن إلىٰ من ؟

من يأخذ بيد الواحد إلىٰ رسول الله .

يقال له : من شيخك ؟

أخذت عن من ؟

إلىٰ من تنتسب ؟

ما يدرك الإنسان شيءْ ، بل ما يعرف شيء من هـٰذا قط أبداً .

هـٰذا القرآن جاءنا متواتر ، أليس تسمعون ؟ أو لا تسمعون أن نافع ـ من القراء ـ أخذ القراءة عن من قبله إلىٰ رسول الله .

أبو عمرو ـ من القراء ـ أخذ القراءة عن من قبله إلىٰ رسول الله صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم .

حفص ـ راوِيَة ـ أخذ القراءة عن من قبله إلىٰ رسول الله .

الكسائي ـ راوِيَة ـ أخذ القراءة عن من قبله إلىٰ رسول الله .

وأنتم عن من أخذتم ؟

كل واحد يقال له : عن من قرأ القرآن ؟

عن من يؤْخِذ ؟

أو من السوق يؤْخِذ؟! أو من أين يؤْخِذ ؟

كان رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم يعقد له مجالس في مسجده ـ في المسجد المنوَّر ـ ويسأل .

هـٰذا عمر بن الخطاب حصلت له واقعة ، وهي حكاية مشهورة : وجد يوماً حكيماً يقرأ في صلاته علىٰ غير القراءة التي أخذها عن نبيه محمد بن عبد الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم فبقي منتظره حتىٰ سلَّم ، ولما سلم . . سأله وقال له : ممن أخذت هـٰذه القراءة يا هشام ؟

قال له : أخذتها عن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

أخذه ـ ولأن عمر ذا غيرة ـ فألقىٰ رداءه علىٰ رقبته ، وأخذ يقوده كأنه شاة حتىٰ وصل به إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، وقال له : يا رسول الله ، سمعت هـٰذا يقرأ القرآن علىٰ غير القراءة التي أقرَأْتَنِيها .

قال له : « أَرْسِلْه » يعني : فُكّه ؛ لأنه قابض برقبته وبردائه .

قال رسول الله : « **اقرأ يا هشام** » فقرأ القراءة . فقال النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم : « **كذلك أُنزلت** » .

ثم قال لعمر : « **اقرأ** » . فقرأ القراءة عمر . فقال : « **كذلك أنزلت ، إن هـٰذا القرآن أنزل علىٰ سبعة أحرف** » .

هٰذا مسؤول عنه كل إنسان ، بايقول أخذته عن من . كنا نستند إلىٰ شيوخ في (وادي حضرموت) المبارك نجد المسجد ملآن ، ونجد محل الدرس ملآن ، ونجد مقاعدهم ملآنة . يدخل الواحد ويرىٰ الواحد من الشيوخ وكأنما أنوار النبوة تتقد علىٰ جبينه ، وتظهر في وجهه ، وكأنما هو مَلَك روحاني .

يمر وقت الواحد منا فلا يسأل عن الناس ولا يهمه إلا شأن نفسه ، ولا يهمه شأن الدعوة المحمدية .

والآن ـ يا إخواني ـ انشغل الناس ، كل واحد مسؤل عن يومه ، مسؤول عن ولده ، مسؤول عن صلاته ، مسؤول عن وقته ، مسؤول عن جاره ، مسؤول عن جارته ، مسؤول عن أخيه ، مسؤول عن أبيه ، مسؤول عن أمه ، مسؤول حتىٰ عن حقوق المسلمين .

إذا مات الميت . . سُن للناس أن يحضروا الجنازة قالوا : ويثاب عليها ثوابين :

ثواب القربة إذا أخذ بخاطر أهل الميت .

وثواب خروجه مع نعش الميت وأوصله إلىٰ المسجد وصلىٰ عليه ، وثواب إذا شيع الميت إلىٰ قبره . هٰذا كان له شأن ورفعة .

وأما الآن إذا مات الميت . . انتَبَهوا من قريب وإلا جار له وأخْبَروه بالوفاة ، ثم خرجوا ووضعوه في سيارة من السيارات ،

وألقوه ورموا به إلىٰ حافر القبر، وحافر القبر دَمْسه وانتهى الكلام.

ما هـٰذه الحياة؟ ما هو هـٰذا الدين؟

ما هي هـٰذه الخطة التي نمشي عليها اليوم؟

ما كان من قبلنا هـٰكذا ، ولا كان الناس هـٰكذا . حتىٰ تلقين الميت إذا ما كان له شأن عند بعض الناس. . فعندنا له شأن ، وعندنا له الدليل ، وعندنا له السُّنة .

يجب علينا أن نلقن الميت ، وأن نسأله ، وأن نخبره بما يأتي عليه كما كان عليه مَن قبلنا ، ولـٰكنها هـٰكذا : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ .

إذا ما وجد الناس الآخرون الدليل. . فعندنا دليل عليه . العمل عندنا ، ولا علينا إنكار لهم ، ولا عليهم إنكار لنا ما دمنا مستندين إلىٰ عمل كان عليه أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم . ولـٰكن الناس وأين الناس ؟ أين الناس ؟

قال الشاعر :

إني لأفتح عَيْنِيْ ثم أُغمِضها   علىٰ أُناس ولـٰكنْ لا أرىٰ أحدا

هـٰؤلاء يُبكىٰ عليهم . هـٰذا السيد الكبير إلىٰ تسعين من عمره وهو مع العلم ، وهو مع الطلب . وربما كانت عنده نيابة من نيابات الدرك في تلك البلاد التي كان فيها والناس لا يعرفون ، والناس لا يدرون ؛ لأنها تسلسل .

كان النائب الأول والخليفة الأكمل عن مولاه محمد بن

عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولما مات . . ترك الخلافة في هـٰؤلاء من أصحابه ، وتسلسلت في التابعين ، وتسلسلت حتىٰ أتت إلىٰ رجال الشريعة . واليوم من للعلم ؟ !

من للعمل ؟

من نسأله ؟

من نجد عنده شيءْ؟

معاد فيه إلا إن كانت هناك دروس . . فهي قليلة ، لا تفيد شيء ولا تدرك ذا عضة . إذا أشكلت مسألة . . ما يدركها الإنسان . . يا ما أكثر ما تشكل مسائل الطلاق . يا ما أكثر ما تشكل مسائل الحيض للنساء ، ولـٰكنهم لا يسألون . يعمل الواحد ويأتي زوجته ، أو هي الزوجة معاد تدري بنفسها ولعاد تبحث عن شيء ، تَعْمَهْ هـٰكذا .

وكم مشاكل الزكاة ، مشاكل القرآن ، مشاكل المعاملة ، مشاكل حق الجار ؟ هـٰذه طُوِيت ، وأصبح الناس مَن تأذىٰ مِن جاره . . المحكمة أمامه ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « **والله لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه** » . ويقول : « **ما زال جبريل يوصيني بالجار حتىٰ ظننت أنه سيورِّثه** » .

ولنرجع إلىٰ هـٰذا الحبيب .

هـٰذا الحبيب أدرك الشيوخ ، أدرك شيخ الوادي الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي . وهـٰذا الحبيب عيدروس بن عمر ،

كان الحبيب علوي بن طاهر الحداد يقول : هو مُسْنِد الدنيا العام ، الذي جاء بالسند .

وأدرك الفقيدُ أحمدَ بن حسن العطاس ، الإمام الكبير ، الشهير المعروف .

وأدرك علي حبشي ، ذا الجاه الواسع ، والعلم النافع الكثير ، الذي انتشر في القريب والبعيد .

وأدرك مِن بعدهم شيوخْ ، منهم : والده محمد بن سالم .

ومنهم : عمه عبد الله بن عيدروس .

ومنهم : عمه عبد الله بن علوي الحبشي .

ومنهم : والدي . ومنهم أعداد كثيرة .

هٰؤلاء كلهم أدركهم ، وكان إذا ذكرهم . . يبكي . ويحق له البكاء ، ونحن كذلك ، وكل من شاف وجه صبيح إذا ذكره . . يبكي .

وفي خاتمة القوم : الحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب[1] ، كثير من هٰؤلاء الناس الذين زاروا (تريم) أو الذين يترددون إلىٰ (تريم) يدخلون إلىٰ عند هٰذا الحبيب ، إذا نظروا إليه . . رأوا طلعة من الطلعات ، عليه من النور جلال ، عليه من الفضل جلال ، عليه من غشيان العمل الصالح جمال ، عليه من الهيبة وقار تخافه الملوك وتخشى منه ، لماذا ؟ لصلته برب السماء مباشرة . إذا رفع يديه لربه . . استجاب له الدعوة .

---

(١) (١٣٠٣ـ ١٣٨٦هـ) .

وكانوا كلهم السابقون هٰكذا كما ما يحكونه في الإمام مالك شيخ أهل (المدينة) .

كلهم هٰؤلاء أخذ عنهم هٰذا الإمام . وفي الأخير كَتَب الحبيب حامد للحبيب علوي ، فكتب له الحبيب علوي يقول له : لزم عليك الأمر أن تخرج إلىٰ (تريم) إلا إن كانت عليك وظيفة في (جاوه) عن حد من رجال دركها ؛ فإنك لا تقدر علىٰ الخروج ـ هٰذا الأمر كما ذكر ـ ما خرج الحبيب حتىٰ لقي الله . خرج إلىٰ الحرمين وحج المرة الأولىٰ والثانية ، وقبلها كذلك في أول أمره ، لٰكنه رجع إلىٰ تلك البلاد ؛ لأنه دَرَك ، والله سبحانه وتعالىٰ حكىٰ لنا أهل الدرك قال : ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ إلىٰ أن قال : ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ . حتىٰ الكفار تصيبهم رحمة بواسطة هٰؤلاء ؛ أي : أولياء هٰذه الأمة . ولٰكن نحن فين .

يا إخواني : حافظوا علىٰ أنفسكم . بكينا علىٰ هٰؤلاء ، ولٰكن! ماذا ينفع البكاء والمولىٰ يقول : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ فما معنا إلا الصبر والاستسلام للأمر ، وعلينا المسلك الذي نأمن فيه علىٰ أنفسنا من أن يأتينا الموت فيبغتنا ونموت ـ والعياذ بالله ـ واللسان تتلجلج ، والسبب في ذلك : حب الدنيا .

كان الإمام الغزالي ـ عليه الرحمة ـ كان يحكي ، قال : إنه واحد حضره الموت من أهل الشَّدهْ هٰؤلاء ، وكانوا يقولون له :

« لا إلـٰه إلا الله » . . كان يقول لهم : هاتوا المفاتيح حقي .

قالوا له : « لا إلـٰه إلا الله » قال : أعطوني مفاتيحي .

قالوا له : « لا إلـٰه إلا الله » أدرك نفسك !

قال : هاتوا لي مفاتيحي . وألقىٰ النفس الأخير .

هـٰذا التعلق بالدنيا سبيله هـٰكذا ، والشارع قد أخبر ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : « **يموت المرء علىٰ ما عاش عليه** » .

والسيرة لهـٰؤلاء : إذا بايموت الواحد . . يقول : وَضِّئُونا ودَعُوني باصلي ، هَيَّا خَلُّوا فلان يحرم فأتبعه في الإمامة . ثم يموت وهو ذاكر ، ولسانه تلهث بذكر الله .

هـٰؤلاء الذين سَعِدوا ، والذين عرفوا الحياة .

ونسأل الله أن يتغشىٰ الفقيد بالرحمة ، وأن يلهم آل الفقيد وأولاده الصبر ، وأن يجعل له نائبْ وخلفْ ، وأن يحرك من قلوبنا بواعث تدفع النسيان ، وتدفع عنا الأشغال التي غيرت فيما بيننا وبين أصحابنا .

وأسأله سبحانه أن يقيض لنا رعاةً دعاةً هداةً ، يقيمون الدين ، ونتبعهم علىٰ شريعة سيد المرسلين صلىٰ الله عليه وآله وسلم . والسلام .

❊ ❊ ❊

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ، ونفعنا به وبما قال ، آمين ـ بهٰذه الكلمة القيمة في منزل عمنا محسن ابن حبيبنا علوي بن عبد الله السقاف، بتاريخ (٢٤/٣/١٣٩٨هـ) في الاحتفال الذي أقامه لقراءة قصة المولد النبوي للحبيب علي بن محمد الحبشي .

وكان احتفالاً عظيماً حضره كثير من الآباء الكرام ، منهم : سيدي الوالد المرحوم عبد القادر بن حسين .

وحبيبنا سالم بن علوي خرد .

والحبيب أحمد بن حسين بن محمد بن حسين السقاف المتوفى بجدة ربيع الأول (١٤٠٢هـ) .

وحبيبنا أحمد المشهور .

وحبيبنا محمد بن أحمد الشاطري .

وكثير غيرهم ممن سيطول عدهم .

وبعد الجلوس من المقام أنشد حبيبنا أحمد بن حسين السقاف ـ رحمه الله ـ قصيدة الحبيب علي الحبشي :

لكم بشرىٰ الإجابة والقبولِ من المولىٰ بواسطة الرسولِ

ثم أنشد الأخ أبو بكر بن علي المشهور قصيدة الحبيب علي حبشي أيضاً :

هو النور يهدي الحائرين ضياؤه وفي الحشر ظِلُّ المرسلين لواؤه

بعدها تكلم سيدي ، وقال :

الحبيب علي حبشي هٰذا من الرجال الدعاة ، وهو أحد الشيوخ الأعلام الذين نفع الله بهم في هٰذا الكون في الطريق التي يدعو فيها إلىٰ محمد ، والتي ساروا فيها بسيرة الحبيب محمد

صلىٰ الله عليه وآله وسلم . ولمَّا صدقوا ، ولمَّا عَلِموا ، ولمَّا عملوا ، ولما توجهوا . . حصل لهم القصد ، مؤكد معاد في ذلك كلام .

وأنا كلما أردت أن أقول بيت القصيدة . . وجدت كل بيت هو بيت القصيدة ومن عيونها ، ولٰكن قوله :

بحكم الوَلاءْ جردت قصدي وحبذا مُـوالٍ أراح القلـبَ منـه وَلاؤه

هٰذا الذي يناسبنا في هٰذا المجلس . لَمَّا كان يعتقد أنه مولىٰ مع النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم . . قال : شأن المولىٰ العبد هٰذا أن يكون خَدام للمخدوم .

قال : أنا لما كنت مولىٰ . . جردت قصدي له . معاد فيه شغل ثاني ، لعاد فيه تجارة ، لعاد فيه علم ، لعاد فيه عمل . أنا جردت قصدي للطريق التي يسلك فيها . وهو ـ أي : البيت ـ من أعظم بيوت القصيدة هٰذه ، وأنسب ما يكون بالنسبة لنا إذا عرفنا : هل لنا تجريد قَصْد أو لا ؟ أو كل واحد ما يعرف إلىٰ أين المسلك ، وإلىٰ أين المذهب ، وإلىٰ أين الطريق ؟

أعتقد أن كل واحد يخرج ويعرف أن معه ربه ومعه نبيه ، لٰكن الوجهة التي يرتبط بها والتي يمشي عليها حتىٰ يعرف الوصول إلىٰ المسلك . هٰذا ما هو موجود .

قال الحبيب علي :

بحكم الوَلاءْ جردت قصدي وحبذا مــوالٍ أراح القلــبَ منــه وَلاؤه

النتيجة قدها مضمونة ، النتيجة تجمع الأمرين : تجمع سعادة الدنيا ، وسعادة الآخرة التي يطلبها العبد ، والتي لا يزال الحادي قديماً وحديثاً يحدو لها .

الحادي الأول ، هو الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم يحدو لها ، والعلماء من بعده والدعاة لا يزالون يدعون إلىٰ هٰذا المسلك .

قال الحبيب علي : أنا لما اتبعت النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم . . ضمنت القصد وضمنت الوصول :

بحكم الولاء جردت قصدي وحبذا مــوال أراح القلــب منــه ولاؤه

ما اهتم بالرزق ؛ لأنه مضمون له الرزق . ما اهتم بعمل ثاني ؛ لأنه مضمون له السعادة من وراء هٰذا والله سبحانه وتعالىٰ قد أعطانا ، أعطانا ـ قالوا ـ الأمرين لِضِمنْ واحد فقط .

أعطانا أمر السعاية للرزق ، وأعطانا خبر أنه هو المتولي للرزق :

أمر السعاية للرزق ، قال : ﴿ فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ .

وأمر التولي منه ، قال : ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ وفي الآية الأخرىٰ : ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ .

لما ذكر الرزق ، وذكر أنه هو المتولي له . . أقسم بأن عنده الرزق وأنه يعطي : ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾ . هٰذا القول بأن الرزق عنده . بقي الأمر فيما بين هٰذا وهٰذا . .

قالوا : علىٰ الإنسان أن يطلب رزقه ، ولٰكن لا يطلبه بضياع وقته كله ، أو ضياع قلبه ، وقصده في الرزق : يسعىٰ للرزق المضمون يخرج له ، يبحث عنه في سوق ، أو في عمل من الأعمال . ولٰكنه كونه يجعل القصد والوجهة كلها وراء هٰذا الرزق ؟ لا ، لأنه قد ضمنه المولىٰ ، وعَرَّفَنا المولىٰ أنه الرزق الذي قدَّره وقرَّره ، يأتي بهٰذا السعي ، وربما يأتي حتىٰ بدون سعي ؛ لأنهم قالوا : إن كثيراً من الذين لا يقدرون علىٰ السعي ، أو الذين صدقوا في الوجهة وصبروا علىٰ الضائقة . . يأتيهم رزقهم .

قال الشاعر :

مَثَلُ الرزق الذي تطلبه ... مَثَلُ الظل الذي يمشي معكْ
أنت لا تدركه مستعجِلاً ... وإذا وَلَّيتَ عنه تبعكْ

كثير من الناس مستعجل ، ما يبالي : إن كذب في سبيل الرزق ، وإن قصرت به صلاة في سبيل الرزق ، وإن حلف يمين كاذبة في سبيل الرزق ، وإن ترك حق من الحقوق عليه لوالد أو والدة ـ ما مر يزورهم وإلا ما أكرمهم ، وإلا ما أخذ بخاطرهم ـ

واعتقد أنه يسرح يسعىٰ مع الرزق! فهو مخطي في اعتقاده هـٰذا .

ومعناه : إذا استعجل الإنسان رزقه وهو يأتيه علىٰ أناة . . فقد أخطأ . الله سبحانه وتعالىٰ قد ضمنه ، وضمانُه لنا ما يحتاج من الإنسان إلا أن يمشي إليه بالهوينا ، يمشي إليه في سبيل صدق ، يمشي إليه في سبيل خير ، يمشي إليه بعد أن يطلبه من المولىٰ . وطلبه من المولى بعد أن يؤدي الأمر الذي أمره به المولىٰ .

تأدية الأمر : إذا كانت عليه فريضة . . أن يؤديها في كمال ، يؤديها في حضور ، يؤديها في جماعة ، يؤديها كذلك مع صالحين إذا قدر علىٰ هـٰذا . فهـٰذا أول طلب عليه نفسه .

ثم من وراء الطلب عليه واجبات ـ كما ذكرنا ـ لأمه ، لأبيه ، ولمن بعدهم من إخوان ومَن قِبَلَهُم ، وغير ذلك . . كلها هـٰذه واجبات تطلبه ، فإذا أهمل هـٰذه الواجبات التي تطلبه وراح يطلب رزقهم قبل أن يؤديها . . فقد استعجل أمراً لو مشىٰ فيه علىٰ طلبه كان أتىٰ به علىٰ أناة ، ولـٰكنه يستعجله الإنسان هـٰذا الرزق المضمون .

وكذلك إذا استعجل الرزق بأيمان كاذبة ، بايجيبه بمعاملة غير بـارة ، بـايجيبه بطـريـق غيـر مـرضيـة ، بـايجيبـه بهنـاة لا لهـا ولاعليها . . استعجله وهو سيأتي هـٰذا المقدَّر لاشك قد هو مقدَّر ومقرَّر له .

ماذا قال الشيخ المدهر :

والـــرزق مضمـــونٌ وقـــد يُثمِـــرُ فيـــه الطَّلَـــبُ
كعقلنـــا غـــريـــزةٌ ومنـــه مـــا يُكْتَسَـــبُ

كان الشيخ عبد الرحمـٰن بن مصطفىٰ يذكر حكاية ـ كثير ما أذكرها لكم ، ولـٰكن لا يزال الداعي يدعو إليها ليتعقل الإنسان ويَدَّكِر ، إن كان هناك قلب حضر فيه . . يلتفت إلىٰ هـٰذا الكلام ـ قال : إنه كان اثنين جالسين ، ثم اختلفا في أمر الرزق :

فقال أحدهما : إنه لا يأتي إلا بالسعي .

وقال الثاني : يأتي بالسعي وبغير سعي .

فكان من أمر القائل الذي حكم أنه لا يأتي إلا بالسعي أن خرج وفتح الباب ، ووجد تحت الباب رمانة فأخذها ، وفتح الباب علىٰ صاحبه ، وقال له : تراني لما تحركتُ رُزِقتُ ووجدت هـٰذه . وألقاها في حضن صاحبه .

ففكها صاحبه الجالس وأكلها ، وقال له : تراني لما قعدت رُزِقتُ ، والرزق لمن أكله لا لمن أتىٰ به!

حُجة للجميع . كلهم أخذوا بنصيب ، وأدلوا بنصيب من الحُجة .

والرزق ـ كما ذكرنا ـ ينظر الإنسان . . فيه عجائز كُسْح ، مكسَّحات ، فيه شيوخ عُمْي ، فيه ناس ما يقدرون من الوَهَن والضعف . يأكلون كما نأكل ، غير أنه ربما يختلف : نحن نأكل بإدام حسن ، وهم يأكلون بإدام ما هو مثل إدامنا .

يلبسون كما نلبس ، غير أنه ربما اختلف : يلبسون غير لباس ناعم ، ونلبس نحن الناعم .

يستظلون كما نستظل ، يجلسون في بيوت كما نجلس ، غير أنها ربما اختلفت ، ولٰكن الرزق مرزوقين ، نحن مرزوقون وهم مرزوقون ، وعلىٰ الإنسان أن يسعىٰ .

قال العلماء : وإذا سعىٰ بعد الطلب الذي عليه . . أدركه المطلوب . هُوْ الرزق نفسه يسعىٰ إليه إذا قام بالواجب .

ثم قالوا : علىٰ الإنسان كذلك أن يضع في نفسه ما دام أن الرزق من الله وقد ضمنه له . . أن لا يفرح بالربح إذا أتىٰ إليه ، ولا يحزن إذا لم يحصل له ربح ، أو حصل له عكس ، خسارة ؛ لأنه قد هُوْ مضمون رزقه ، لعاد يتعب نفسه في هٰذا . وهٰذا إذا ما ربح فيه . . ما هو رزقه؟! وهٰذا إذا خسر فيه . . ما هو رزقه ؟! فلا يتعب نفسه ولا يجهدها أبداً .

وكنا البارحة في مجلس ذكرنا حكاية كان يرويها الإمام الغزالي ، كل واحد يعرضها علىٰ نفسه ، وأنا أعتقد لا أحد من يقول فيها بحق إلا القليل ﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ .

قال الغزالي ـ رحمه الله ـ : إن واحد كان من الصالحين ، اشتدت به الحاجة والضائقة ، فرأىٰ في منامه واحد يقول له : عندك ضائقة ؟

قال له : نعم عندي ضائقة .

قال له : شف ، ألف دينار مدفون في مكان الفلاني .

قال له : هل فيه بركة أو ما فيه ؟

قال له : ما فيه بركة .

قال : ما بغيته .

ووجه سيدي الخطاب إلىٰ الحاضرين علىٰ سبيل البسط قائلاً : ما هو الرأي فيها يا جماعة ؟ الظاهر أنه بعيد الكلام .

وقال : إنه رآه في الليلة الثانية ، وقال له : هل أخذت الألف ؟

قال : قلت لي : ما فيه بركة . ما أخذته .

قال له : مئة مدفونة في مكان الفلاني .

قال له : شيء بركة ؟

قال له : عشرة في مكان الفلاني . قال له : ماشي بركة .

قال : ما لي حاجة بها .

في الليلة الرابعة رآه ، قال له : أخذتها ؟

قال له : لا .

قال له : دينار واحد في مكان الفلاني .

قال له : فيه بركة ؟

قال له : فيه بركة .

قال : هـٰذا الذي بغيته .

أعتقد أنكم كلكم ما توافقون علىٰ هـٰذا الرأي ـ ويتكلم سيدي حفظه الله والابتسامة تعلو وجهه ـ فأصبح يخبر زوجته بالرؤيا لثلاث ليالي .

قالت له : أنت ما فيك بركة ، من ألف دينار إلىٰ دينار واحد ؟! أنت ما فيك بركة .

قال لها : هو هـٰذا الذي بغيته .

راح ووجد الدينار مدفون وأخذه ، فذهب إلىٰ السوق ، ووجد أول ما لقي سمكتين ، فأخذ السمكتين من أصل الدينار هـٰذا ورجع إلىٰ بيته ، وأعطىٰ السمكتين زوجته ، والزوجة ما هي راضية من عمله هـٰذا .

فشقهما ، فوجد في بطن واحدة جواهر ، قال لها : انظري إلىٰ الصدق ، انظري إلىٰ البركة لما صدقنا مع الله . . جاء الرزق الكبير ، أكثر من الألف دينار وأكثر من غيره .

وهـٰذا هو الواقع ، إذا صدق الإنسان مع مولاه . . لن يخيب .

قالوا : إن عيسىٰ عليه وعلىٰ نبينا الصلاة والسلام ذات يوم يقول لبني إسرائيل ـ وهو معروف بالزهد ـ : لا الدنيا أردتم ، ولا الآخرة قصدتم .

قالوا له : وكيف ذاك ؟

قال : لو أردتم الدنيا . . لطلبتموها من خالقها . بيد من هي؟!
ولو طلبتم الآخرة . . لسعيتم لها .

ما يتأتىٰ أن تكون بركة في الرزق بغش في يمين ، في كذب ، في خداع ، في غِرَّة ، في شيء من مثل هٰذه الأشياء ينتهي هٰذا . ولهٰذا ارتفعت البركة من كثير مما نراها من الأموال التي تفيض .

وقال الغزالي : وعدم البركة تأتي في أمور ، منها ـ أيضاً كما ذكرنا ـ : أنها تنتهي بالسرعة . ومنها أيضاً : أنها يصعب علىٰ صاحبها الصدقة ، فإذا صعب علىٰ صاحبها الصدقة منه . . فمال غير مبارك ؛ لأن الرزق المبارك الذي تكثر فيه الصدقة ؛ ذلك لأن الشارع علَّمنا قال : « **ما نقص مال من صدقة** » ، بل يزداد ، بل يزداد ، بل يزداد ، معاد يحتاج إلىٰ فهم ، ولا يحتاج إلىٰ تعديل ، ولٰكن الناس ينسون ، أو ما يَدَّكرون ، أو ما يذكرون ، وربما تكثر الغفلة عن مثل هٰذه الأمور ، وإلا . . كل واحد يعرف أن الرزق هٰذا سبيله هٰذه الأمور إذا أدىٰ منه الحق ، إذا أخذ منه الواجب . إذا ما أخرج منه للرحم ، إذا ما قام فيه بحق الأبوين ، إذا ما راعىٰ فيه حق الجار ، إذا ما راعىٰ فيه حق ذي الشيخوخة ، إذا ما راعىٰ فيه حق ذي الشيبة . . من أين يبارَك له في الرزق ؟

أليست البركة ينزلها الله ؟

من أين تحصل ؟

ما تحصل هٰذه البركة إلا إذا راعىٰ وإذا أعطىٰ .

وليست البركة ـ كما قال لكم مشهور ـ لا بكثرة المال ، فالمقصود كله ، ولو وجد المال . . يفيض ؛ فالمال الذي

يفيض ، ولا يؤدىٰ منه حقوق ، لا قليلهُ ولا كثيرهُ . . لا بركة فيه .

وهـٰذا المال ـ قالوا ـ غالباً يستحوذ علىٰ صاحبه الشيطان ، فينزله في دركات التلف ، والعياذ بالله .

وهـٰذه المسألة الأخرىٰ : أن الإنسان إذا طُلِبت منه الصدقة . . ثقلت عليه ، وإذا طَلَبت منه زوجته أو ابنته أو ولده سَهُل عليه إعطاء المئة والألف ، والأكثر والأقل ، في ثوب أو في شيء تافه ، أو في شراء شيء منها للمباهات هـٰذه والمفاخرات ، وصدقة من هـٰذا الرزق ، أو معرفة حال واحد من هـٰؤلاء المستضعفين . . يصعب علىٰ الإنسان، أو يكبر عليه أن يخرجها . . دليل علىٰ أن هـٰذا الرزق ما فيه بركة ، ما فيه خير ، ما فيه حرمة .

هـٰؤلاء السابقين الذين حصلت لهم البركة في أرزاقهم وهي قليلة تمتعوا بها ، وكانوا فرحين ـ والفرح اليوم كأنه قليل مع كثر وجود الأرزاق ـ أقاموا فيها حق الله وهي قليلة ولـٰكنها مباركة ، كثيرة بالبركة ، خففت عليهم القيام بالأعباء .

قالوا : كذلك منها هـٰذه التي تثقِّل عن الطاعة ، ودلالتها عدم البركة في الرزق .

إن الإنسان إذا قلت له : هيا قم بانصلي في المسجد ، وإلا نصلي جماعة .

قال : هيا! عاد الوقت سمح .

كل واحد يوزن نفسه بهـٰذا الكلام ، إذا رأىٰ نفسه يَثْقل علىٰ الصدقة . . يرجع إلىٰ مأكله .

كان يقول أحد الصوفية ـ الذي ينقله الغزالي يقول ـ : كُلْ ما شئت فمثله تعمل .

ثم إذا صلىٰ وهو ثقيل أو وهو غير آبه بالصلاة ، يلحظ بعينه أو يحرك بيده ـ قالوا ـ لو حتىٰ رداءه كان كذا فرده إلىٰ كذا . . دليل علىٰ أنه ما هو حاضر مع الله . أو شي شَرَاء يحك جسده ، أو شيء من مثل هـٰذه الأشياء .

قال الصوفية ـ في مثل هـٰذه الصلاة الغير مقبولة ـ : أنه ورد فيها : « **الرجل تشيب عارضاه ولَمَّا يتقبل الله له صلاةً** » .

ثم كذلك كان الغزالي يحكي عن بعض الآثار ، يقول : لو صليتم حتىٰ تكونوا كالحنايا ، وصمتم حتىٰ تكونوا كالأوتار . . لم يُتقبَّل منكم إلا بورع حاجز .

وكثير يظن أن الورع في معاملة الناس الذين يعرفون عندهم شيء من الشبهة أو ما شاكل ذلك ، لا إذا كان الإنسان مستخدم عند واحد ولا أدىٰ حق الوظيفة . . دليل علىٰ أنه ما عنده ورع . يأخذ راتبه ولا يعطي صاحب العمل حقه . . دليل علىٰ أنه ما عنده ورع ، منها هـٰذه ، ما حصل له شيء من مثل هـٰذه . وكثير يأتي من مثل هـٰذا ما يدركه الإنسان ؛ لأن كثير من الناس يرىٰ أن هـٰذه

الأشياء سهلة ، مثلاً : إذا كذب علىٰ صاحبه ، أو تأخر عن عمل صاحبه . . قال له : إنِّي ما أقدر . أو ترك الزبون الذي بايشتري ، ورَدَّه إلىٰ ثاني يوم . . كلها هٰذه أعذار لا يقبلها الله ، وهو مملوك في ذلك الوقت لخدمة هٰذا العمل .

هل يدرك الواحد هٰذا الشيء ، أو لا يدركه ؟ لا ، لا يدركه ؛ ذلك لأنه لا يتعظ ، ذلك لأنه لا يَذَّكر ، ذلك لأنه لا يعرف شيءْ من هٰذه الأشياء .

كان السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ يجمعون الناس لمثل هٰذه الموائد ، ويجعلونها احتفالاً بقصة المولد النبوي ؛ لأن القلوب تتلذذ بذكر حبيبنا محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم وتتحرك ، وتُكْثِر من الصلاة عليه ، وتجتمع الناس له . وما هي بقصة المولد ، ولٰكنها سيرة كاملة لمحمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، فيها العِلْم كله ، فيها الفضل كله ، فيها الشرف كله ، فيها الرعاية كلها ، فيها العناية كلها ، فيها الهداية كلها ، فيها الولاية كلها ، فيها الاستحلاء كله ، فيها الاستغناء كله .

ما يدركه الإنسان ، يسمع شمائل محمد ولا يدركها !

ذا الحين قرأ لنا الأخ سالم خرد ـ لما كان يرتب القراءة ، ويحكمها ـ :

ومن الشرف الذي اختص الله به أشرف رسول : معراجه إلىٰ حضرة الله . . إلخ .

ثم أتىٰ لنا بكيفية المعراج . والحال الغريب هـٰذا ، وما وقع للنبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم في تلك الليلة .

ثم أتىٰ لنا بالفصل الثاني ، وهو أعذب وأعذب ، وأعجب وأطيب ، وأكبر وأكبر ، سيرته صلىٰ الله عليه وآله وسلم : وحيث تشرفت الأسماع .

أتىٰ لنا بخَلْقه ، هـٰذا ما هو في إمكاننا ، الخَلْق من ربكم ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ .

لـٰكن خُلُقه صلىٰ الله عليه وآله وسلم هـٰذا في إمكان كل واحد أن يأخذ له نصيباً من أخلاقه صلىٰ الله عليه وآله وسلم . وأخلاقه ما هي ؟ هي عمله صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

سئل عن محاسبة الخادم ، قال : « **إلىٰ سبعين من الأخطاء اقبله ، بعد السبعين يمكنك أن تعاتبه** » . والعتاب ـ قالوا ـ بلين .

وقالوا : وحكى أنس بن مالك : لما جاءت به أمه إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم وهو صبي . . قالت له : خادمك أنس بن مالك يا رسول الله ، ادع الله له .

قال أنس : خدمته عشر سنين ، فما قال لشيء فعلته : لِمَ فعلته ؟ ولا قال لشيء لم أفعله : لِمَ لم تفعله ؟ بل إن أعجبه . . أكله ، وإن لم يعجبه . . تركه عليه الصلاة والسلام .

يأخذ الإنسان منها في معاملته لزوجته ، ولخادمه ، ولأهله ، ولمن كان . إن كان كثير الغضب ، إذا ما أعجبه شيء . . يرجع

من هٰذا الغضب ومن هٰذا الحال . وإن كان كثير الرفاهية ، بغىٰ الأشياء كلها علىٰ مقتضىٰ العادات الطيبة الزينة الجم . . يرجع منها ؛ فإن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « **أجوع فأصبر ، وأشبع فأشكر** » وهو السيد الذي خلقت الدنيا من أجله .

والواحد إذا ضاقت عليه ، أو ربما تأخرت بالغداء عليه زوجته أو خادمه . . أكثر من السِّباب ، ومن الحنق ومن الغضب ، وقَطَّب وجهه ، وجاء وكأنه إبليس من الشياطين . ألا تريد أن تأخذ من صفات محمد ؟ ألا تريد أن تأخذ لك شيءْ من هٰذه السيرة ؟

ألم يأتوا لك بهٰذه السيرة لأجل تسمعها ، لأجل تتعقلها ، لأجل تأخذ منها ؟

ما هٰذه الأخلاق إلا بعض من أمهات مكارمه صلىٰ الله عليه وآله وسلم . كان من شأنه : أنهم خنقوه وكادت عيناه تخرجان ، ورَمَوه بالحجارة في بني ثقيف في (الطائف) وأدْمَوه ، وقالوا : مجنون ، وتركوا الصبيان يمشون وراءه ويرمونه ويصيحون . . ماذا كان من شأنه ؟ قال : « **اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون** » .

خذوا ـ يا إخواني ـ من هٰذه السيرة ، خذوا من هٰذه الأخلاق ، خذوا من هٰذا الحال .

هٰذا هو محمد نبيكم ، هذا هو أبوكم ، هٰذا شفيعكم ، هٰذا حبيبكم ، هٰذا قرة أعينكم ، هٰذا طريقكم . هٰذا هو الطريق ، ولا طريق للإنسان في الدخول إلىٰ مداخل الحياة إلا بواسطته . جاب لنا التعليم هٰذا .

لا سرور في البرزخ إلا إذا أدركه محمد ، ومن لم تدركه رحمة محمد . أُخِذ به إلىٰ الهاوية نعوذ بالله منها .

هـٰذا المولىٰ يقول لنا : ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ .

ومن أين الجنة ، ومن أين الروح والريحان ؟ بواسطة هـٰذا الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، بواسطة هـٰذه الأوامر ، بواسطة هـٰذه السيرة ، بواسطة هـٰذه الأخلاق ، بواسطة هـٰذا الحِلْم العظيم ، بواسطة هـٰذا الاتباع لهـٰذا الكوكب المضيء والشمس الظاهرة في رابعة النهار .

﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ . معاد لنا حاجة بها ؛ لأجل يحفظنا ربي منها إن شاء الله ، ولـٰكن يذكر الإنسان .

يا إخواني : هـٰذه السيرة ـ شفوها ـ عَقَدوها بمجالس . هـٰذا الحبيب علي في كل خميس يلقي مولد ، وقال : إنني رأيت النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم وأمرنا بهـٰذا .

فالمولد يجمع الناس ، ثم من وراء المولد هـٰذه التذكرة ، يتكلمون علىٰ حالاته صلىٰ الله عليه وآله وسلم ؛ ليأخذ الإنسان ، ولن يقدر الإنسان علىٰ أحواله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، ولـٰكن فَأْتِ بالمستطاع من عمل البِر الذي يقدر عليه الإنسان ، من العمل الصالح ، يأخذه عن الطريق . وأخذه كيف ؟

يأخذه عن شيخ ؛ لأن أصحابه صلىٰ الله عليه وآله وسلم أخذوا عن الحبيب أخذاً كاملاً ، فعلاً وقولاً ، وعلماً وعملاً ، وعبادةً وعادةً .

كان يقول لهم عليه الصلاة والسلام : « **صلوا كما رأيتموني أصلي** » وصلاَّها لنا صلاة كاملة . وكان حتىٰ في أخلاقه ومعاملاته مع الناس ، وفي أحواله مع الناس ، وفي سائر حالاته مع الناس ، وفي إكرامه للصغير ، وفي إكرامه للمرأة ، وفي إكرامه للرجل ، وفي إكرامه للناس . أذكر أنا من هـٰذه الليلة قصة أخت أنس النضيرية لما خُطِبت وتزوجت ، كان يوم زواجها ، كانوا يهيئونها لزوجها ، فجاءها سيد البشر ليهنئها بالزواج ـ انظروا إلىٰ السيرة الكبيرة ، انظروا إلىٰ الأخلاق العظيمة! جاء إلىٰ عندها ، واسمها الرُّبَيِّع ـ لما جاء إلىٰ عندها وعندها النساء يهيئنها في ذلك الوقت ، جاء إلىٰ عندها ودخل عليها وسلم عليها وجلس إلىٰ جنبها ، فلما جلس إلىٰ جنبها . . هنأها وفرَّحها بالزواج ، ثم قام عليه الصلاة والسلام . إنما جاء لأخذ خاطر هـٰذه المرأة المسكينة ؛ أي : لإدخال السرور في قلبها . لما قام . . دخلن عليها النساء ، كانت تبكي[1] وقالت : كان عندي رسول الله يهنئني ، وجلس إلىٰ جنبي كمجلسِكِ مني . إشارة إلىٰ أن قلبها امتلأ من الفرح بالنبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، وكيف لا يمتلىء قلبها ؟

---

(١) يتكلم سيدي والعبرة غيّرت صوته حفظه الله .

وربما يأتي يوم يتزوج فيه قريبٌ ، إذا جاء قال : هل تذهب تهنِّيء قريبك ؟

قال : قدنا سأحضر المَجْمَع الكبير .

كيف تحضر المجمع الكبير ؟ أولاً فرِّحه ، اسأله كيف حاله ؟ هل أموره مرتبة أو ما هي مرتبة ؟ إذا قدرت أن تعطيه . . فحبذا ، وإذا ما قدرت أن تعطيه . . فالكلمة الطيبة عطاء ، والسلام قال النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم عطاء ، والسؤال قال عطاء : اسأل عنه يفرح خاطره منك ، واجبر خاطره وفرِّحه .

قال العلماء : معاد يحتاج إلىٰ دعاء ، يشرف المولىٰ علىٰ خاطره وهو قرير منك فيدركك برحمة نتيجة لعملك . فهل ادَّكَر المُدَّكِّر بهـٰذا ؟

إذا ما حضر وسألته أين كنت ؟ قال : والله مشغول .

لك شَغْلِهْ في رأسك ؟ كيف مشغول ؟ بايجيء ملك الموت باتقول له : أنا مشغول . كيف مشغول ؟

يا إخواني : مشغولين حقيق ، مشغولين عن هـٰذه الأخلاق ، مشغولين عن هـٰذه السيرة العطرة ، مشغولين عن هـٰذه الأحوال .

كان الواحد ممن عرفناهم وعرفتموهم ـ من الذين ما ألهتهم الدنيا بحال ، ومن الذين يمشون علىٰ الأرض هوناً ـ إذا سمع بجنازة فقير أو مسكين أو قريب أو بعيد . . كان أول حاضر لها ، وإذا سمع بفرح عند واحد في زواج أو ولادة . . كان أول حاضر

لها ، وإذا سمع بمجلس من مجالس الخير والذِّكر . . كان أول حاضر لها . والوقت الحاضر قصرت الهمم في مثل هٰذا ، وأصبح الإنسان لا يريد أن يرغب في أن يتلطف باللطائف التي لطَّفه الله بها « **الهَدْيُ الحَسَن جزء من خمسةٍ وعشرين جزءاً من النبوة** » .

هٰذه لطائف تلطفك . تخرج من عند صاحبك فيقول لأهله : أدخل عَلَيَّ السرور في لطف .

وما هو اللطف ؟ مأخوذ من اسمه « اللطيف » تأتيه شيء من هٰذه اللطائف ، تنزل عليه ويجعلها المولىٰ سبحانه وتعالىٰ سمة للعبد .

ما يريد الإنسان إلا أن يكون بهيمة من البهائم ، ما يريد إلا أن يكون غافلْ كما البهيمة . كان السابقون كثير منهم علىٰ هٰذا السمت ، وكانوا ناس عندهم شيء من عمل الدنيا ، يخرج أولاً ، وقبل أن يخرج يوزع وقته بعد قراءة شيء من كتاب الله ، ثم يخرج علىٰ طهارة ، ويدخل مسجد من المساجد ، ويقبل علىٰ الله بركعتين أو أربع يستفتح بهن باب الرزق ، ثم إذا له أب أو أم . . دخل وسلم عليها ، أو عجوز أو شيبة علىٰ الطريق . . سلم عليه وسأله عن حاله ، وإن استطاع أن يقضي حاجته أو يسأله عن ترتيب قضاء حاجة له . . فحسن .

ما لم يستفتح بذلك . . لماذا يريد الرزق من الله سبحانه وتعالىٰ ؟

ثم من أراد الرزق بالنشاط لا يأتيه ، ومن أراد الرزق بالحيلة لا يأتيه ، ومن أراد الرزق بالمجون لا يأتيه ، ومن أراد الرزق بالذكاء لا يأتيه .

الرزق يأتي بطريق الاسترزاق هٰذه ، يأتي بهٰذه الطريقة .

فخذوا لكم ـ يا إخواني ـ من هٰذه الدروس ، تعقَّلوا إذا سمعتم . أنا علىٰ بالي ذا الحين بأسألكم : لما كانت هٰذه الصفات كلها تأتي علىٰ الناس في قراءة قصة المولد النبوي ، وإن الكثير إذا سمع السجعة . . قال صلى الله عليه ، لٰكن الصفة ما هي علىٰ باله!

طلبتُ من الأخ سالم خرد يقرأ لأجل تَعُون قراءة مفصلة بصوت حسن ، قلت : عسىٰ إن شاء الله تسمعون هٰذه الصفات ، وإذا سمعتم هٰذه الصفات والتفت القلب إليها . . التفت إليكم محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، وإذا التفت إليكم الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم . . أدركتكم الرحمة ، ومن أدركته الرحمة صار سعيداً ، صار مسعوداً ، صار مرزوقاً ، صار محبوباً ، صار مقرباً .

ومن لم تدركه الرحمة مهما حصل له من مال أو من شيء من هٰذه الأرزاق . . فإنها ضياع وتلف في تلف .

وكثير من الناس يتهاون حتىٰ في الصلاة ؛ لأنه يسمر مع التلفزيون ـ الذي جاء للناس ببلاء ـ ويصبح من آخر لَيْلِه معاد يقدر

يقوم لصلاة الصبح . والذي يقوم يقضيها . . هـٰذا في نظرهم هو الجيد .

وكثير منهم همه أن يمشط شعره ، وينظم رأسه ، ويخرج يجري يأخذ له كأس حليب ، وإلا يأخذ له شيء من الطريق أو من مقهىٰ ، ويسرع إلىٰ عند صاحب العمل خائفاً منه ، ولا يخاف الله ما بينه وبين ربه صلة قط ، الصلة بينه وبين صاحب الوظيفة التي يؤديها!! لو تأخر عن العمل قليل . . تغيرت عليه الدنيا ، وخرج إلىٰ عند صاحب العمل بوجه عابس ؛ لأنه تأخر عن العمل نصف الدوام ، والصلاة ما هي عنده في حساب .

فكيف الواحد يظل يسمر ـ وهو شاب ـ إلىٰ ما بعد الاثنا عشر من الليل ، ثم يقول : أنا باقوم باصلي الفجر ؟ هـٰذا يكذب ، من أين بايصلي ؟

وإذا صلى الجيد ، ونبهته الزوجة ، أو معه أم أو معه أب . . صلىٰ وهو قد يلعب به النوم ، وسرعان ما ينتهي من الصلاة وبعد السلام ـ بدلاً من التسبيح ـ ألقىٰ رأسه علىٰ الفراش حقه وعلىٰ الوسادة ، بدلاً من أن يسترزق الله في هـذا الوقت فيضيع عليه الرزق .

لا يا إخواني إلىٰ متىٰ الواحد يبقىٰ علىٰ هـٰذه الحالة ؟ أيبقىٰ هـٰذا الإنسان لا يدرك أن ربه غاضب عليه ، لا يدرك أن ربه غاضب عليه ، لا يدرك أن ربه غير راضي عليه ، لا يدرك أن ربه لا يرحمه ، لا يدرك أنها لا تنزل عليه شيء من اللطائف التي

تتنزل علىٰ رجال الخير وعلىٰ رجال الرحمة ؟ يبقىٰ هـٰكذا ، لا يتأتىٰ .

لا يا إخواني كل منكم يرجع يحاسب نفسه : إذا كان يغلبه نومه . . فلينام من أول الليل ، إذا كان لا يقدر علىٰ صلاة الصبح . . فليكلف نفسه الصلاة ، ثم في البقاء في السجادة حقه أو في المفرشة .

والصلاة في المسجد أفضل ، فإذا ما قدر ، أو ما وصل ، أو كانت في نفسه حزازة من إمام يصلي في المسجد . . فلا أقل من أنه يصليها جماعة كاملة ، بأدائها ، وورد‌ها وتسبيحاتها ، وهيئاتها كلها . فإن أخل بشيء من ذلك . . لم يرضىٰ عنه من أتىٰ بالصلاة ، وإذا ما رضي عنه من أتىٰ بالصلاة . . رضاه مربوط برضىٰ مولاه .

فانتبهوا لهـٰذه الأشياء ؛ فإن كثيراً من الناس يعتقد الصحة والفراغ والنشاط هـٰذا دليل علىٰ طول عمره ، وإذا قلت : هيا اركع السنة . . قال : هل أنا شائب ؟ عاد نحن لسنا حق تسبيح ، ولسنا حَمَلة سُبَح .

لماذا لم تكن من حَمَلة السُّبَح ؟ كيف ما أنت حق تسبيح ، كيف ما أنت حق استغفار ، كيف ما أنت حق ذكر الله سبحانه وتعالىٰ ؟!

متىٰ يأتي هـٰذا الذكر ، متىٰ يأتي وقت الاستغفار ؟

وهل تدري أنك تموت متىٰ ؟

وهل تدري أنك تموت بمرض أو بغير مرض ؟

كم من واحد من كثرة الأوجاع التي نزلت به لم يقدر علىٰ ذكر الله ، وكم من واحد من أهل المصائب التي نزلت عند الاحتضار غابت عنه الشهادة نعوذ بالله من ذلك ، هٰذا إلا ذهن مع الإنسان ، كما ينسىٰ الإنسان أمره ينسىٰ الشهادة في ذلك الوقت ، ولو ذَكَّرَه بها مذكِّر . . كأنما يجيب له كلام أعجمي ما يدركه .

والسبب في ذلك : أنه بَارَزَ ربَّه ، واعتقد أنه أقوىٰ من ربه ، أو اعتقد أن ربه بايتركه ، أو اعتقد أن ربه بايهمله ، أو اعتقد أن ما عنده شيء تقصير لربه . إذا جاء . . قال : ماذا لَقَّيْنا بربنا ؟ كيف ماذا لَقَّيْت بربك ، وهل تقدر علىٰ ربك ! ! وكيف تقدر تصل إلىٰ عالي عِلِّيِّين ؟ !

أَمَرك بأوامر ، هل قمت بشيء منها ، هل عملت بشيء منها؟ وهٰذه الأوامر ماهو محتاج منها ، ما ذلك إلا لأجل تلطيفك ، ولأجل قربك ، ولأجل يعرف هل انت عبد حقيقة أو عبد شهوة ، أو عبد هوىٰ ، أو عبد شيطان ، أو عبد لعب ، أو عبد عصيان والعياذ بالله .

الله يلطف بنا واياكم .

عاد نحن بغينا مشهور[1] يتكلم ؛ لأجل لا يطول عليكم المجلس . كلمهم خلهم يسمعونك .

---

(١) الحبيب أحمد مشهور الحداد توفي بجدة ودفن بمكة (١٤) رجب (١٤١٦هـ) .

كلمة الحبيب أحمد مشهور الحداد

فقال حبيبنا أحمد المشهور الحداد ـ حفظه الله ـ : لا عطر بعد عروس . هـٰذه المواعظ سُحُب تهطل عليكم ، وفيما قاله الأخ عبد القادر كفاية كفاية ، تفنن وأتىٰ لكم بكل طَيِّب ، وأتىٰ لكم بكل خُلق حسن ، وما بقي علينا إلا نتصور ذلك ونجتهد فيه بالخلق ، بالأخلاق التي ذكرها ، ونحاسب أنفسنا علىٰ ذلك ونندم ، ونطالب أنفسنا مطالبة جيدة بذلك من الآن ، فلا نكون من الذين قال الله فيهم : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ ﴾ .

خطر ، ولأن هـٰذا خطير ، وإلا . . من أين بانسمع مثل هـٰذا الكلام العجيب والدر الرصين ؟ الكلام الذي يحيي القلب .

نعوذ بالله من أن نكون ممن قال الله فيهم : ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ ﴾ .

كيف حال هـٰذه الفرقة ؟ قال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴾ .

نسأل الله الحفظ والسلامة . ولا جمعنا الله في هـٰذا المجلس ، ولا رزقنا حسن الاستماع . . إلا وهو يريد لنا خيراً إن شاء الله :

لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه   من فيض جودك . . ما ألهمتني الطلبا

الحمد لله ، ولا حاجة أن نتكلم بعد ما سمعتموه . هٰذا شيء ـ شوفوه ـ من نفحات الله سبحانه وتعالىٰ علينا ، نفحات ، ولا تأتي هٰذه الفوائد إلاَّ من أهلها .

أين نحن من هٰذه المواعظ ، وهٰذا الكلام المتراسل ؟ إنها لَمَوائد ، وفوائد وعوائد ، وبركات وغيوث تنزل علىٰ قلوبنا . الله يحققنا بها ظاهراً وباطناً .

والكلام طويل الشُّعَب ، طويل الذيول ، وفيما سمعتموه كفاية .

والحمد لله الذي هدانا لهٰذا وما كنا لنهتديَ لولا أن هدانا الله .

يا لها من نعمة كلنا موافقون عليها ، وكلنا قابِلُوها ، وكلنا نعتقدها ، فالقبول والاعتقاد قده خير كبير . ألسنا قابليها ؟ ألسنا معتقديها ؟ بقي علينا التمني والسعي لها ، وكلنا يتمنىٰ ذلك إلا مَن خَلَف ، وهو الذي ذهب نور الإيمان من قلبه . نرجو الله أن يحققنا بها هٰذه الأخلاق إن شاء الله . يا رب ـ كما ذكر الأخ عبد القادر ـ ننال منه النصيب الوافي إن شاء الله ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

والعفو منكم ، ولا حاجة إلىٰ الكلام ، والله أعلم .

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

* * *

هٰذه نبذة يسيرة من كلمة تكلم بها سيدي ـ حفظه الله ـ بمنزلنا بـ(جدة) في الضيافة التي أقمناها لحبيبنا الوالد المرحوم أحمد بن علي بن هاشم الحبشي (١٣٢٠ـ ١٤٢٠) وغيره ممن طلعوا للحج عام (١٣٩٤هـ) .

وقبل هٰذه الكلمة أنشد حبيبنا العم سالم بن علوي خرد قصيدة الحبيب عبد الله بن علوي الحداد التي مطلعها :

هواكم بقلبي والفؤادِ مقيمُ   وشوقي إليكم مُقعِدٌ ومقيمُ

بعدها تكلم سيدي بكلمة لم نتمكن من تسجيلها ، إلا هٰذه النبذة البسيطة ؛ بسبب خلل طرأ علىٰ المسجل .

ومما قاله سيدي ـ حفظه الله ـ :

أحسنت وأحسن الله إليك ، ذكرتنا أيامنا الماضية التي كنا فيها في صفو مع خيرة الأحباب رضي الله تعالىٰ عنهم ـ الله يعيدها علينا وعليكم إن شاء الله ـ في الوادي ، ونشهد ما شهدوه ، ونتمتع بما ذاقوه ، ويحصل لنا الصفاء الذي عاشوه .

والأيام لازم لها من فترات ، وأيامهم كذلك في فترات .

إلىٰ أن قال في آخرها :

الله يعيد علينا تلك الأيام وصفاها وذلك الوقت وعهده ، ويعيد ـ إن شاء الله ـ موائد الأخلاق وموائد العلم .

الأخلاق ، الحقيقة إنها تغيرت علىٰ الناس ، وتنكرت عليهم الأذواق والطباع ، وأصبح الناس في سُبُل أكبر من الانحدار ، انحدروا إلىٰ مهاوي معاد بعدها مهاوي ؛ لأن الناس أصبحوا لا يعرفون للمعروف قوامْ ، ولا يعرفون للجميل معنى ، ولا يعرفون للأخلاق وزنْ ، ولا يقيمون للناس وزنْ . إذا جئت لواحد وقلت له : كَنَّك ما حضرت الدرس الليلة ، والا ما جئت الروحة عند فلان ؟

قال : مشغول .

وهٰذي زيارتك ما هي من الشغل ، حضورك الدرس ما هو من الشغل! ما تقيم وزناً للأخلاق ، ما شي وزن للدين ، آه ذا الكلام ؟ مشغول! إيه من شغل ، مشغول بنفسك ؟ ما شي شغل غير الشغل بالنفس .

الله يجعلنا ـ إن شاء الله ـ ممن يقيم للأخلاق وزنْ ، وللدين وزنْ ، وللعلم وزنْ ، وللقيم الروحية وزنْ . ويعيد علينا ماضي المجد ، ويعيد علينا ذلك الصفاء ، ويعيد علينا ذلك الوقت . ويجعلنا وإياكم محفوظين ، ويجعلنا ملحوظين ، ويجعلنا مسعودين . ويرفع ما حل بالبلاد ، وبالوادي وبالنادي ، ويُجرِي لطفه الخفي علينا وعليهم ، ويعيد علينا عهدنا ومجدنا الزين ، في خير وعلىٰ خير .

ثم طلب من حبيبنا أحمد بن علي أن يختتم الفاتحة .

فقال ـ رحمه الله ـ :

ربنا يحقق ذلك في خير وعافية ، مع صلاح العاقبة الجامعة لخيرات الدنيا والآخرة ، وإلىٰ حضرة النبي محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم[1] .

* * *

---

(١) هـٰذه الكلمة مسجلة علىٰ الشريط رقم (٥) . وقبلها أنشد شيخنا الوالد سالم بن علوي خرد قصيدة الحداد :

هواكم بقلبي والفؤادِ مقيم

وبعد العم سالم أنشد أستاذنا الوالد محمد بن شيخ المساوى قصيدة للمتنبي :

صحب الناسُ قبلنا ذا الزمانا

وبعدها ذكر نكتة وقعت له مع الحبيب عبد الرحمـٰن بن عبيد الله ، وانبسط الحاضرين بها . ثم أنشد شيخنا الوالد سالم خرد قصيدة الحبيب عبد الله بن علوي الحداد :

يـــا رب يـــا عـــالـــم الحـــال إليـــك وجهـــت الآمـــال

والجميع استغرقه الوجه الأول وجزء من الوجه الثاني للشريط رقم (٥) .

كلام نفيس عن الموت وعن البرزخ

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة في روحة الجمعة ، لعشرين خلت من شهر الحجة من عام أربعة وتسعين وثلاث مئة وألف (٣/ ١/ ١٩٧٥م) وبعد الانتهاء من القراءة في الفقه أنشد أستاذنا الوالد محمد بن شيخ المساوىٰ قصيدة للمتنبي التي مطلعها :

صحب الناسُ قبلنا ذا الزمانا ... وعَنَاهم من شأنه ما عَنَانا

بعده أنشد حبيبنا العم سالم بن علوي خرد ـ رحمه الله ـ قصيدة الحبيب عبد الله بن علوي الحداد :

يا رب يا عالم الحال ... إليك وجهت الآمال

بعدها تكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة القيمة ، فقال :

بانجيب لكم ثلاث مسائل تستفيدونها . لي تناسب ذكر المجلس الليلة :

المسألة الأولىٰ : اختلف العلماء في الموت نفسه : هل الروح تفلِّت الجسم ، فتسرح ؟

أو الجسم يفلت الروح ، فتبقىٰ ؟

لعلها علىٰ بالكم يا محمد ـ يقصد العم محمد بن أحمد الشاطري ـ فأجاب : نعم ، يتكلمون علماء التوحيد حول هٰذا .

والمسألة الثانية : وقع ذكر فيما بيننا وبين الإخوان : مساوىٰ ، والشاطري ، وخرد ، فيما يُمَدُّ الإنسان به من عمر البرزخ . كثير ما يذكرونه هٰؤلاء الصوفية ، ويذكرونه المحدِّثين

كذلك ، ليس الصوفية فقط . فكثير إذا حضر أجلهم وتشفَّع فيهم مقبول الشفاعة عند الله . . يأتي له ـ مثلاً ـ من نفس العمر الثاني ، الذي هو عمره في البرزخ ، بعشر سنين أو عشرين أو أربعين علىٰ اختلاف الشفاعة وقبولها عند الله سبحانه وتعالىٰ .

والمسألة الثالثة : مسألة كذلك بحثها العلماء ، وهي : فيما يُمَدُّ الإنسان به من عمره ؛ كما ـ مثلاً ـ لو بايعطي مولىٰ (خيلة) ـ يقصد العم عبد الله بن عمر مولىٰ (خيلة) الذي كان حاضراً في الروحة ـ رحمه الله ـ لو بايعطي مولىٰ (خيلة) مساوىٰ أربع سنين .

ثم وجه الخطاب علىٰ سبيل الإيناس لحبيبنا عبد الله بن عمر مولىٰ (خيلة) قائلاً له : باتعطي مساوىٰ ؟

فقال العم عبد الله بصوت رافع : لا .

فقال سيدي : لا ، ما بايعطيه ، بعيد الكلام .

ويتكلم سيدي وهو يبتسم ، والتفت إلىٰ أستاذنا الوالد محمد المساوىٰ قائلاً : كتبنا للأخ مساوىٰ لما توفي الأخ عيدروس بن سالم ، وقلنا له : إن نحن نعرف أنك في غاية الأثر ، والواقع هٰكذا ، ومتأثر ويبكي ، وأكثر من يبكي عليه ، ولٰكن لو قلنا لك : أعطيه حتىٰ شهر من العمر . . باتقول بعيد الكلام!

وتخلل الجلسة شيء من البسط والانشراح ، والابتسامة تعلو وجوه الحاضرين . فأخذ الحديث أستاذنا الوالد محمد بن شيخ

المساوىٰ ، وقال : مثلها واقعة للعم عبد الرحمـٰن بن عبيد الله في مرض والده ، فأنشأ قصيدة يستغيث بالنبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، وطلب يومْ من الأيام أن أنشدها في مرض والده ، فأنشدتها ، فإذا فيها معنىٰ الكلام : نفسي الفداء . . . بعدما أنشدتها قلت له : من قلبك ومن صدق يا عم عبد الرحمـٰن باتفدي والدك بعشر سنين ـ عشرين سنة ـ من عمرك ؟

قال : هـٰذا كلام الشعراء .

ما لاقد جاء كحيلانْ[1] ، قال : باقول له شف حُمَيد في الضبرة ، عادك الاَّ بغيت مولىٰ (خيلة) يعطي مساوىٰ ، ما بايعطيه حتىٰ يوم واحد .

وقال سيدي : أنا تأثرت علىٰ عيدورس بن سالم السقاف ، ومساوىٰ تأثر عليه ؛ لأن أيامه كلها قليلة ، وأَكرِمْ وأَنْعِمْ بالأخ عيدروس ـ رحمه الله ـ ولـٰكن مساوىٰ حصلناه بايبكي ، والبكاء ما بايؤثر . وأنا كثير ما أذكر أبيات حافظ[2] ، حافظ حكاها فيما بين صديقين ، هل هي علىٰ بالك يا الشاطري ؟

فأجاب العم سالم خرد قائلاً : حياكم اللهُ ، أحيوا العلم .

---

(١) كلمة تستعمل لعدة معاني . . وهي هنا بمعنىٰ الموت .

(٢) الشاعر المصري حافظ إبراهيم له ديوان والقصيدة ص ٢٧٢ (١٨٧٢ـ١٩٣٢م/ ١٣٥٠هـ) .

فقال سيدي : خرد عاده يذكرها :

حياكـم اللهُ أحيـوا العلـم والأدبـا   إن تنشروا العلم ينشر فيكم العربا

وفيها يقول :

ودونَكـم مثـلاً أوشكـتُ أَضـرِبـه   فيكم وفي مصرَ إنْ صدقاً وإن كَذِبا
سمعـت أنَّ امـرَأً قـد كـان يـألفـه   كلب فعاشا علىٰ الإخلاص واصطحبا
فمـر يـومـاً بـه والجـوع ينهَبُـه   نهباً فلم يبق إلا الجلد والعصبا

وشيء من هـٰذا الكلام . وبعد قال :

يبكي عليه وفي يمناه أرغفة   لو شامها جائع من فرسخ وَثَبَا
فقـال قـوم وقـد رقـوا لـذي ألـم   يبكي ، وذي ألم يستقبل العطبا
ما خطبُ ذا الكلبِ قال الجوع يخطفه   منـي وينشـب فيـه النـاب مغتصبـا
قالوا وقد أبصروا الرغفان زاهيةً :   هـٰذا الدواء ، فهل عالجته ؟ فأَبىٰ
أجابهم ودواعي الشح قد ضَرَبت   بين الصديقين من فرط القلىٰ حُجُبا :
لـذلـك الحـد لـم تبلـغ مـودتنـا   أما كفىٰ أن يراني اليوم منتحِبا ؟
هـٰذي دموعي علىٰ الأوجان ساكبة   حزناً ، وهـٰذا فؤادي يرتعي لهبا
أقسمـت بـالله إن كـانـت مـودتنـا   كصاحب الكلب. . ساء الأمر مُنْقَلَبا[1]

والواقع أن المودات تصل إلىٰ حدود .

---

(١) وبعدها هـٰذان البيتان :

أعيـذكـم أن تكـونـوا مثلـه فنـرىٰ   منكـم بكـاءً ولا نلقـىٰ لكـم دأبـا
إنْ تقرضوا الله في أوطانكم فلكم   أجر المجاهد طوبىٰ للذي اكتتبا

هيا رجعنا إلىٰ المسائل الثلاث التي ذكرناها لكم :

المسألة الأولىٰ : ذكرها العلماء ، وقال الأكثرون منهم ـ وهم أهل الصحة في القول ـ : إن الروح هي تفلّت الجسم ، فكلما ضعف الجسم ـ قالوا : الجسم متشبث بالروح تشبث قوي . وهٰكذا ، فكلما جاءت الشيخوخة والأمراض وضعف الجسم ـ شيء فشيء خف التشبث ، فينطلق شيء من قوة الروح حتىٰ تنطلق الروح وتقوىٰ علىٰ الفرار فتترك الجسم طريحْ . وهٰذا هو الأصح ، وهٰذا الذي ذكره الشيخ الغزالي في « الإحياء » وأشار إليه بأنه القول الأصح والمعوَّل عليه عند العلماء ، وهو الأظهر بالنسبة للفهم وللإدراك .

المسألة الثانية : في عمر البرزخ ، هل يناسب عمر الدنيا ، وما يضاف منه يؤخذ لعمر الدنيا ؟

هٰذه مسائل كثيرة الوقوع ، وقد ذكرها العلماء المحدِّثون ، والصوفية يذكرونها كثيرْ ، ويذكرون وقوعها كثير . آخر قضية من التي سمعناها : قضيته نفسه بن عبيد الله كان يحكيها ، قال : إنه مرض وأَدْنَف ، وكان والده الحبيب عبيد الله ما عنده إلا هٰذا الولد وهو صبي ، عاده إلا في سن الرضاعة . ولما أَدْنَف كان الحبيب عبيد الله شيخه الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي ، يرجع إليه في كل مهمة من مهماته . سار إلىٰ عند شيخه الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي وقد حصل له يأس من حياة ولده ، وأن

الولد فايت معاد في ذلك كلام . سار إلىٰ عند الحبيب عيدروس وشرح له حال الولد .

قال له الحبيب عيدروس : إن شاء الله باندعي له ، ارجع .

ولما رجع ، قال إنه : جاهم بالليل بعد ما هدأت العيون عَبْد دَكَّ عليهم الباب ، وقال لهم : أنا فرج ، خادم الحبيب عيدروس بن عمر . يقول سيدي عيدروس : أخرجوا عبد الرحمـٰن من المرواح إلىٰ الريم . وذاك في وقت الصيف ، قال : فأخرجوه ، ولما أخرجوني . . دبت العافية فيَّ ، وأصبحت بلون غير اللون الذي كان عندي بالأمس وما قبله ، واستمرت العافية .

فسار الحبيب عبيد الله إلىٰ عند الحبيب عيدروس وأخبره ، قال له : أنا ما أرسلت لكم فرج ، ولا حد عندنا عبد ، ولـٰكنها حصلت العافية وجبنا لعبد الرحمـٰن عمر من البرزخ .

وكثير ـ منهم الحبيب عمر بن سقاف ـ مرض وأَدْنَف ، وكان الحبيب حامد بن عمر ، الإمام الكبير قرين الحبيب سقاف بن محمد وأخوه في الله ، سار إلىٰ عنده ، وقال له : بانزور نحن وإياك بشار بنية الشفاء للولد عمر .

خرج هو وإياه وزار ، ورجع الحبيب سقاف ، بعدما رجع الحبيب سقاف في اليوم الثاني . . كتب له الحبيب حامد بن عمر وقال له : لا تخافون ـ حصلت له كأنها إشارة ـ قال له : لا تخافون علىٰ الولد عمر ، فقد جئنا له بعُمْر من البرزخ . وحصل له الشفاء

معه، واستمر العمر معه إلىٰ ثلاثة وستين، وبن عبيد الله[1] استمر العمر معه إلىٰ ثمانية وسبعين ـ أو سبعة وسبعين ـ سنة من عمره .

وعمر البرزخ هٰذا ذكره العلماء ، الإمام الحداد ذكر عمر البرزخ ، ولٰكنه ما ذكر له وقائعْ ومناسباته للدنيا ، لٰكن المحدِّثين ذكروه وذكروا صلته ، وقالوا : إن عمر البرزخ متصل بعمر الدنيا ؛ لأن الإنسان إنما ينقل من هٰذه الدار إلىٰ تلك الدار ويبقىٰ فيها مرتهن حتىٰ البعث ، فالعمر هٰذا متصل بذاك العمر . وعمر البرزخ قد يكون طويل وقد يكون قصير بمن قرب من قيام الساعة ، ويأخذون منه الكثير .

ذكره الشيخ المازني ، وقال : وقد حصلت لذلك وقائع أيدها الحديث المروي عن رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم في صحة انتساب عمر البرزخ إلىٰ الدنيا . الحديث أنا ما أذكره ولٰكنه في « الفتح »[2] .

والمسألة الثالثة : الإيهاب من العمر ، لي قال مولىٰ (خيله) : أنا ما باعطي مساوى شيء من عمري .

وهٰذه المسألة هي أشكل المسائل : هل يصح لمولىٰ (خيله) أن يعطي من عمره ؟ وهل يملكه مولىٰ خيله أو ما يملكه ؟ عاد مولىٰ خيله يتعزَّز علىٰ العمر لمساوىٰ ، هو ما هو داري . ويتكلم سيدي والابتسامة تقطع كلامه حفظه الله .

---

(١) العلامة عبد الرحمن بن عبيد اللاه بن محسن السقاف ١٣٠٠/ ١٣٧٥ .

(٢) أي كتاب (فتح الباري شرح صحيح البخاري) للإمام ابن حجر العسقلاني .

هٰذا موضع الكلام : أكثر العلماء قائلين : إن الإنسان لا يملك من عمره إلا الساعة التي له هٰذه ، وأما ما وراه ما يملكه ولا يدري عنه كم . نحن ما نحن داريين باعَمِّرْ . عادنا خمس سنين ، عشر سنين أو أكثر ؟ وكل واحد ما يعرف .

قال الشيخ المازني في هٰذه المسألة في « الفتح » ـ ذكره في ذكر الموت شُوْه في « البخاري » ـ . قال الشيخ المازني : إن هٰذا لا يكون إلا من مقبول الشفاعة . واحد له شفاعة عند الله وأعطَىٰ شيءْ من عمره ، أو استوهبه أحد الصلحاء فأعطَىٰ من عمره . . هٰذايكون ، وأما غيره . . ما يملكه حتىٰ يهبه . وهٰذه القضية نبَّه نحن عليها الأخ سالم خرد .

الإمام الحداد سافر إلىٰ الحرمين الشريفين ، ونزل ضيفاً علىٰ الشيخ حسين بافضل . وذكر نزوله صاحب « المشرع » ، وقال : إن دار حسين بافضل كانت مثل الكعبة تزار في كل وقت ؛ لنزول الإمام الحداد فيها .

وقال : إن الإمام الحداد عزم علىٰ زيارة (المدينة) وزار معه هٰذا الشيخ . ولما وصل إلىٰ (المدينة) أَدْنَفَ الشيخ حسين واحتُضِر ، ولما احتُضِر . قيل للإمام الحداد : إن الشيخ حسين محتَضَر .

فقال الإمام الحداد : إنه من العيب ، يخدم نحن ويكرم نحن ويسافر معنا ولا يرجع إلىٰ أهله .

قال : فطلب من الحاضرين أن يهبوا له من أعمارهم كل بما تسمح به نفسه ـ ما هو كما مساوىٰ ومولىٰ (خيلة) ما بغوا علىٰ شيء قط أبداً ـ فكان منهم مَن وهب اثنا عشر يوم ، ومنهم من وهب أربعة أيام ، ومنهم من وهب شهرين . . . وجُمِع الموهوب هـٰذا كله فوصل إلىٰ سنتين . قال لهم : هاتوها لي في ورقة . جابوها له في ورقة ، وخرج إلىٰ الحجرة الشريفة وسلم علىٰ الحبيب ﷺ . وقال صاحب المشرع : إنه أخذته حالة وتصبب فيها عرق ، ثم سري عن وجهه ، وقال : شَفَعْنا في الشيخ حسين فشُفِّعنا . وألقىٰ الورقة في الحجرة الشريفة .

فرجعوا إلىٰ الشيخ فوجدوا العافية قد ابتدأت تدب فيه . قال : احسبوها فإنما هي سنتان أعطيت منكم ، لا تزيد ولا تنقص .

قال : بعد نهاية السنتين جاء خبر وفاة الشيخ حسين من (مكة) للإمام الحداد وهو في (الحاوي) . وإلا . . فالأعمار لا يَهَب مَن لا يملك شيءْ ، ولا يُعطِي من لا يقدر علىٰ شيء . ما يقدر الإنسان علىٰ عمره ولا علىٰ نفسه ، ولا يعرف عن العمر حتىٰ يهب منه كثير أو قليل . فلو وهب مولىٰ (خيلة) من عمره عشر سنين ولعاد له العشر السنين . . من أين بايجيب الباقي ؟ وأبو العتاهية يقول :

إنما هـٰذه الحياة متاع والجهول الغبيُّ من يصطفيها
ما مضىٰ فات والمؤمَّل غيب ولك الساعةُ التي أنت فيها

أما أبو العلاء له البيتين هٰذي في كون الإنسان لا يملك شيءْ ، وهو أبو العلاء زاهد :

الملك لله مَن يَظفَرْ بنيلِ مُنىً   يُسْلَبْه قهراً ويَضمن بعده الدَّرَكا
لو كان لي أو لغيري قِيْدُ أنملة   فوق التراب لصار الأمر مشتَرَكا

وقال أستاذنا محمد بن أحمد الشاطري ـ وله بيتين جميلين جداً قريب من هٰذا المعنىٰ ـ :

يقول داري من يقول عبدي   مَـهْ! فـالعبيـد لـربهـا والـدارُ
يَقِفـون والفَلَـكُ المسيَّـر دائـم   ويقـدِّرون فتضحـك الأقـدار

قالوا : أبو العلاء هٰذا شيعي كبير جداً ، فكان حساده يرمونه بالزندقة لأنه شيعي . وقال سيدي : أما الإمام الغزالي حَكَم له بالإسلام في « الإحياء » في كثير من مواضعه ، واستشهد بكثير من أبياته ، ومنها هٰذين البيتين في الجزء الرابع :

قال المنجم والطبيب كلاهما :   لا تُبعَث الأموات ، قلت : إليكما
إن صح قولكما . . فلستُ بخاسرٍ   أو صح قولي . . فالخسار عليكما

وهٰكذا تحولت الجلسة بعد هٰذا في محادثة ومجاذبة لأطراف الحديث ومساجلة بين سيدي وأستاذنا محمد بن شيخ المساوىٰ ، وأستاذنا الشاطري وحبيبنا سالم بن علوي خرد وغيرهم من الحاضرين ، وطال الحوار .

إلىٰ آخر ما قال رضي الله عنه وأرضاه .

❊ ❊ ❊

كلامه عن الفَرق بين المسلم والكافر
وكلام العلماء عن الاسم الأعظم

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلام في روحة الجمعة ، الخامس من محرم الحرام ، عام خمسة وتسعين وثلاث مئة وألف هجرية (١٣٩٥هـ) .

وقد بُدئت الروحة بقراءة في الفقه في كتاب الزكاة ، ثم أنشد العم سالم بن علوي خرد ـ رحمه الله ـ قصيدة الحبيب عبد الله الحداد :

يـا رب يـا عـالـم الحـال . . . .

مُبتدِئاً من قوله :

قـد استعنتـك ربـي علـىٰ مـداواة قلبـي

بعده تكلم سيدي ـ حفظه الله ـ وقال : أحسنت وأحسن الله إليك .

بمناسبة ذكر القصيدة هٰذه نذكر لكم الفرق الذي يذكرونه العلماء فيما بين (النداء) وفيما بين (المناجاة) .

القصيدة هٰذه اشتملت علىٰ المناجاة للمولىٰ ومناداة من العبد للمولىٰ .

و(المناجاة) قالوا : حين ما تخاطب القريب فيسمعك . . يقال له : مناجاة .

و(المناداة) : إذا ناديت واحد بعيد .

ولهٰذا قالوا : جاء أعرابي إلىٰ عند النبي صلىٰ الله عليه وآله

وسلم وسأله ، وقال له يا رسول الله! أقريب ربنا فنناجيه ، أم بعيد فنناديه ؟ فنزلت : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ معاد يحتاج إلىٰ رفع صوت .

والقصيدة ـ قالوا ـ أعظم ما اشتملت عليه : الفقر المحض . والإنسان إذا أتىٰ ربه بالفقر المحض ـ يعني : لا أتاه بقوة ، ولا بشفيع ولا بجاه ، ولا بوسيلة ولا بشيء ، أتىٰ رَبَّه بنفسه ـ قالوا : أدركه . وهٰذه ـ يقولون ـ هي الفرق فيما بين الكافر وفيما بين المسلم :

إن الكافر أَيُوسٌ[1] ، ما يرجع إلىٰ أحد قط أبداً ، إذا ألَمَّ به مرض . . ما معه إلا الطبيب ، فإن أعيا الطبيب خلاص . . تحير في أمره .

وإذا أصابته نائبة فقر . . رجع إلىٰ فكره ، فإن أدركه فكره بشيء . . فذاك ، وإلا . . أعياه الأمر ووقف .

وإذا نابه أمر من الأمور التي ينبغي للإنسان فيها ـ مثلاً ـ أن يرجع فيهاإلىٰ ذي رأي أو ذي مشورة ، قالوا : الكافر معه إلا غايته أن يستنجد بذي رأي أو ذي مشورة .

لٰكن المسلم أدنىٰ ما يصيبه من مرض يرجع إلىٰ ربه ، فينبسط القلب ويأنس ، ويجد أنه رَكَنَ إلىٰ ركن شديد . ﴿ أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ .

فإذا ركن إلىٰ ربه . . أدركه المولىٰ سبحانه وتعالىٰ ، وهو

---

(١) أيوس : كثير اليأس .

لا يرد من قصده ، ولا يخيِّب من جاء إليه ، ولا من لجأ إليه .

فهٰذي ـ قالوا ـ أعظم فرق فيما بين الإسلام وعدم الإسلام . المسلم دائماً يجد له ركنْ يلجأ إليه ، والكافر لا يجد له ركنْ يلجأ إليه . فين بغىٰ الكافر هٰذا ؟ ما معه حد قط أبداً ، لٰكن المسلم معه ربه دائماً ، إن رفع يده إليه . . أدركه ، وإن استغاث به . . أغاثه ، وإن استعان به . . أعانه ، وإن استفرجه كربة . . فرَّج الكربة سبحانه وتعالىٰ ؛ لأنها كلها الأمور ترجع إليه سبحانه وتعالىٰ .

قالوا : قال العلماء : وهي أعظم وسيلة جعلها المولىٰ سبحانه وتعالىٰ وأعطاها رسوله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، وقال له : « **الدعاء مخ العبادة** » .

فإذا لجأ الإنسان إلىٰ ربه ودعاه . . أدركه المولىٰ سبحانه وتعالىٰ بفرج قريب ، ما يرجع العبد من عنده قط أبداً . لٰكن قد لا يدرك العبد ، فإذا ما أدرك العبد يرجع إلىٰ نفسه لا إلىٰ ربه .

قالوا : إنه واحد من أنبياء بني إسرائيل سأل ربه ، وقال : أين أجدك يا رب ؟ قال له : عند نفسك ، لا تتعب نفسك قط ، إذا حضرت بقلبك معي . . أدركتنا ، وإذا لم تحضر بالقلب . . ما أدركتنا .

قال الغزالي ـ رحمه الله ـ : إن واحداً كان يدعو ربه سبع سنين بالاسم الأعظم ـ بعد أن طلب من موسىٰ أن يعلمه ، فعلمه نبي الله موسىٰ بني إسرائيل ـ فمرت عليه السبع السنين ولا أدرك ، ولما

لم يدركه ربه . . قال نبي الله موسىٰ ، بعد أن جاء إليه وقال : علمتني اسم الله الأعظم وأنا أدعو به سبع سنين فلم يستجب لي ، فقال نبي الله موسىٰ يخاطب ربه : يا رب! هـٰذا عبدك يدعوك سبع سنين باسمك الأعظم فلم تستجب له ، وأنا لو دعاني وأنا عبد قاسي لأجبته من مرة .

قال : يا موسىٰ ، إن هـٰذا يدعوني وقلبه عند غنمه ، ولو دعاني مرة واحدة وقلبه معه . . لأجبته .

وعندنا مسألة يذكرها المفسرون والمحدِّثون ، يقولون : الاسم الأعظم اختلفوا فيه :

فناس يقولون : لفظ الجلالة .

وناس يقولون : الحي القيوم .

وناس يقولون : بأسماء المولىٰ سبحانه وتعالىٰ كلها .

قال الشيخ العيدروس الأكبر : وأنا لا أقول بشيء من ذلك لنفسه قط ، فإن كل شيء من ذلك هو الاسم الأعظم .

والاسم الأعظم حقيقة هو : أن يأتي الإنسان مولاه سبحانه وتعالىٰ باضطرار كامل ، فينزل به الحاجة فيدركه ، فإذا حضر . . أدركه المولىٰ سبحانه وتعالىٰ . وهـٰذي كذلك أسماه ، ولـٰكن الإنسان إذا جاء ودعا ربه والقلب غافل ، إذا ما أدركه المولىٰ سبحانه وتعالىٰ ـ قالوا ـ فاته معنىٰ الدعاء ومخ الدعاء ؛ لأنه يدعو والقلب غائب ، فلو دعا والقلب موجود ، قالوا : أدركه .

وهٰؤلاء شوفوهم كثير من العلماء تسمعون عنهم إن الله لا يرد لهم دعوة قط ، فالحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم سيد العلماء وسيد الأولياء ، وسيد الأنبياء وسيد المرسلين . تكلم العلماء علىٰ حديث الشفاعة من قوله صلىٰ الله عليه وآله وسلم : « **لكل نبي دعوة مستجابة ، وخبأت دعوتي شفاعةً لأمتي** » .

قالوا : أي دعوة ردت له صلىٰ الله عليه وآله وسلم ؟

وهل رد المولىٰ له دعوة حتىٰ يقول : إني خبأت هٰذه الدعوة من أجل الشفاعة للأمة ؟ فإنه ما عُرِف أنه ردت له دعوة صلىٰ الله عليه وآله وسلم . دعا لأناس كثير :

دعا لصاحب الشاة ـ الذي أرسله يأخذ له شاة فجاب له شاتين ، فدعا له بالبركة .

قالوا : فما اشترىٰ شيءْ إلا وبارك الله له فيه .

ودعا لأنس لما جابته أمه وقالت له : يا رسول الله ، خادمك هٰذا أنس ، ادع الله له . فدعا له بثلاث دعوات :

(١) أن يطول عمره ، فطال .

(٢) وأن يكثر ولده ، فكثر .

(٣) وأن يكثر رزقه ، فكثر .

ودعا علىٰ أناس لي ذكرهم البوصيري ، قال :

خمسة طُهِّرت بقطعهم الأر ... ض فكَفُّ الأذىٰ بهم شَلاَّءُ
فُدِيَتْ خمسة الصحيفة بالخمـ ... ـسة إن كان للكرام فداءُ

إلىٰ آخر الأبيات . أهلكهم الله كلهم .

ودعا لخمسة كذلك فيما ورد في الحديث : « عُصَيَّة عصت الله ، وأسلَمُ سالمها الله ، وغِفارُ غفر الله لها » . قالوا : كلها هٰذه دعوات في عرض الإخبار منه صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

ودعا كذلك لكثير من أصحابه صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، فكلهم أعطاهم الله ما دعا لهم به . لٰكن قالوا : هٰذه الدعوة إنما هي بشارة لأمته عليه الصلاة والسلام بأن الله أعطاه الشفاعة فبشرهم ، وإلا . . فدعواته كلها مقبولة ، لا تُرَد له دعوة .

قالوا : ومضمون هٰذا الكلام : أنه لما كان دائماً قلبه عند ربه ، حاضر القلب مع الله . . لا يَرُد له دعوة .

وكان لغيره من الأنبياء ومن المرسلين عليهم الصلاة والسلام أحوال ابتلىٰ الله بها الأنبياء ، وابتلىٰ الله بها المرسلين . قال الشيخ صاحب « الفتح » : ولا يقال : إنه رد لهم دعوة ، فأخبرنا عن يونس ، وأخبرنا عن يعقوب ، وأخبرنا عن يوسف ، وأخبرنا عن هود ، وأخبرنا عن صالح ، وأخبرنا عن شعيب ، وأخبرنا عن كثير منهم وهم أنبياء ومرسلون ، وأخبرنا عن نوح كذلك . ولٰكن الله سبحانه وتعالىٰ ابتلاهم ليَعرِف مَن أولي العزم منهم ومَن غير أولي العزم ، وجعل لهم مراتب كما ذكرها العلماء . لٰكن محمداً صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ أبو الأنبياء والمرسلين وأبو المسلمين أجمع ـ لم يَرُد له دعوة سبحانه وتعالىٰ . فكانت دعواته كلها مقبولةً ، قالوا : وكانت دعوات أمته كلها مقبولة .

لـٰكن هناك أمر فقط ؛ قالوا : أما الصالحون والأولياء . . فلن يرد المولىٰ سبحانه وتعالىٰ لهم دعوة من الدعوات ، إيذاناً بخلافتهم له صلىٰ الله عليه وآله وسلم وبإرثهم منه صلىٰ الله عليه وآله وسلم . وغيرهم عندما يحضر قلبه يكون له القبول ، ولهـٰذا قالوا : قال العلماء : ؛ إن الدعاء مقبول عند الفرح ، ومقبول عند الحزن ؛ ذلك ـ قالوا ـ لأن القلب يحضر في الساعتين هاتين : ساعة الفرح وساعة الحزن ، فكان الدعاء فيها مقبولٌ .

والدعاء ـ قالوا كذلك ـ إذا خرج من لسان عارف بعيدة عن التَرَيّثْ[1] في لغو القول ، وبعيدة عن الفضول ، وبعيدة عما شابها ـ قالوا : لا شك أنه مقبول ؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ وعد الاستجابة لمن استجاب ، فمن استجاب لمولاه استجاب الله له ، والله لا يخلف وعده ﴿ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾ .

وقالوا : إنه ورد عنه صلىٰ الله عليه وآله وسلم أن الله لا يرد دعوة داع ، من أي داع دعا ، بشرط أن يكون ذا قلب كما ذكرنا .

وقالوا : إنه ورد عنه ـ أورده الحاكم ـ : « **إن لله ملكاً موكلاً بـ : يا أرحم الراحمين ، فمن قالها ثلاث مرات . . قال له الملك : قد استجيب لك** » .

قال الشيخ الحاكم نفسه في « مستدركه » قال : هل أخلف الله

---

(١) التريث : أي التمهل .

وعده ، هل نقض عهده ، وبم ؟ قال : لا ، لٰكنه اشترط أن نستجيب فلَمْ نستجيب . فمن لم يستجب لله . . خلاص ما علىٰ المولىٰ إذا رد عليه دعوته وأبقاه هٰكذا .

وهٰذه القصيدة من غرر القصائد التي جَمَعَتْ ـ كما قلنا لكم ـ بين الدعاء وبين المناجاة . والمناجاة ـ قالوا ـ هي أضمن كذلك في القبول للدعاء ؛ لأن العبد ـ قالوا ـ حينما يناجي ربه يناجيه بشيء من الإلحاح ، والإلحاح طريق للقبول ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « **ألحوا في الدعاء** » وقال : « **أَلِظُّوا بـ : يا ذا الجلال والإكرام** » .

وإن شاء الله ببركة هٰذه القصيدة التي أنشدها الأخ سالم وهي من غرر القصائد . كان الإمام الحداد يوصي بقراءتها آخر الليل ؛ لأن آخر الليل يسمونه : الكبريت الأحمر والكنز الأذفر ؛ لأن العبد يحصل له صفاء ، ويحصل له أنس ، وتحصل له طمأنينة آخر الليل ـ قالوا ـ سِيَما إذا لم يكن عنده شيء من النور يكفيه النور القلبي والنور الروحاني . وإذا كان عنده شيء من النور . . فالنور ربما يشوش علىٰ الإنسان جُمْعِيَّة قلبه ، والمهم أن يكون القلب ذا جمعية ، إذا اجتمع القلب علىٰ موارد الطلب من الله سبحانه وتعالىٰ . . أدركه المولىٰ سبحانه وتعالىٰ .

وقالوا : حتىٰ هو الإمام الحداد كان ذات يوم خارج إلىٰ صلاة الفجر ، فجاءه خادمه الحساوي وقال : يسلم عليك فلان ، وفلان سأل عنكم ولم يجدكم .

قالوا : إنه بعد ما انتهىٰ قال له : ما وجدت وقت تقول لي فيه إلا هٰذا الوقت ؟ تراني إلىٰ فين أنا رايح ذا الحين ، مقبل علىٰ الله في الصلاة ، وعندي جمعية وعندي استحضار ، فجئت تفرقها بالناس هٰؤلاء وتشوشها بكلام الناس ! فلان يسلم عليك ، وفلان قصدك للزيارة . الحذر تقول لي شيءْ بعد هٰذا الوقت ، إذا شفتنا خارج للصلاة أو خارج لدرس أو خارج لشيء . . فلا تكلمنا في شيء قط أبداً .

وكان الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم يقول لأصحابه مثل هٰذا الكلام ؛ لأنه ـ قالوا ـ إذا قام إلىٰ الصلاة . . تغير وجهه ، إيذاناً ودليلاً علىٰ أنه صلىٰ الله عليه وآله وسلم في تلك اللحظة حضر مع ربه ، والعبد إذا حضر مع ربه ـ قالوا ـ يكون العبد صغير بالنسبة لعظمة المولىٰ سبحانه وتعالىٰ . وفي تلك اللحظة في المناجاة ـ قالوا ـ لا يكون حاضر إلا القلب فقط ، وأما الجسم . . فيكون أشبه بالهباء .

وكثير مِنَ الصوفية يأتيهم الاصطلام ، وتأتيهم الغَيبة ، ويأتيهم الضعف ، ويأتيهم الذهول ، ذلك لأن العبد إذا قام أمام ربه ـ قالوا ـ معاد يدرك شيءْ . حتىٰ كان الحبيب أحمد بن زين الحبشي ـ قالوا ـ في آخر وقته إذا دخل وقت الصلاة . . يقولون له : صلاة . فإذا توضأ . . يقولون له : تكبيرة إحرام ، فيكبر للإحرام . فإذا كبر للإحرام . . يقولون له : فاتحة ، فيقرأ الفاتحة ؛ لأنه في تلك اللحظة قده مع الله سبحانه وتعالىٰ ،

والبشرية كلها تلاشت في تلك الحضرة ، معاد حد البشرية قط أبداً ، فينبهونه علىٰ كل ركن من أركان الصلاة .

ونرجو ـ إن شاء الله ـ ببركة هـٰذه القصيدة أن يتقبل الله ، ويجعل لنا نصيبْ ـ إن شاء الله ـ أولاً من صلاح القلب ؛ لأن القلب إذا صلح . . صلح العمل كله « **ألا وإن في الجسد مضغةً ، إذا صلحت . . صلح الجسد كله ، ألا وهي القلب** » .

وكان الحبيب محسن كان يقول : ألا وإن في البلد بَضعة[1] ، إذا صلحت . . صلح البلد كله ، وإذا فسدت . . فسد الجسد والبلد كله .

الله ـ إن شاء الله ـ يصلح القلوب كلها ، وبعد صلاح القلوب ـ إن شاء الله ـ بغينا ربي يغمرنا بنور يظهر علينا ، حتىٰ نعرف العبادة الحقيقية ، ونعرف صلة المخلوق بالخالق .

إذا أدرك الإنسان نصيبه من النور . . عرف أنه مخلوق ، وأن المخلوق لا بد له من خالق ، وأنه إذا عرف الخالق . . عرف أنه محتاج إليه في كل شيء : محتاج إليه في أكله ، محتاج إليه في عافيته ، محتاج إليه في لباسه ، محتاج إليه في الاستعانة في صلاته ، محتاج إليه في الاستعانة في عمله وفي رزقه . . . محتاج إليه في كل شيء . ولهـٰذا أمرنا بذلك وعلمنا ذلك ، فقال لنا في الفاتحة : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فلا إعانة إلا به ، فمن لم تدركه إعانة مولاه ـ قالوا ـ تعب في حياته ولم يدرك فيها مناه . ومن أدركته الإعانة ـ قالوا ـ أدرك المطلوب وأدرك المرغوب .

---

(١) والبضعة هم آل البيت . الحبيب محسن بن علوي السقاف ١٢١١/ ١٢٩٠ .

الله يجعلنا ـ إن شاء الله ـ وإياكم ممن شملته الإعانة ، يشملنا بالإعانة ، ويشملنا وإياكم بالرعاية ، ويشملنا وإياكم بمزيد من العناية . ويجعل لنا نصيبْ ـ إن شاء الله ـ مما كان مع الشيوخ الكُمَّل .

يجعل العلم مثواه القلوب ، ويجعل العمل مثواه القلوب ، ويجعل الصدق مثواه القلوب ، ويجعل ـ إن شاء الله ـ الإخلاص مثواه القلوب . ويجعل لنا نصيبْ من الدنيا نعمر به ـ إن شاء الله ـ دنيانا ، ونستغني به عن الناس ، ونستغني به عن الحاجة ، ونستغني به عن المساس ، ونستغني به عن الإحساس حتىٰ يكون المولىٰ لنا ، الطلب إليه سبحانه وتعالىٰ ، والفقر إليه سبحانه وتعالىٰ : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ .

الله يجعل فقرنا إليه ، ويجعل غنانا منه ، ويجعل صلتنا به ، وصلتنا بالرسول صلىٰ الله عليه وآله وسلم في جميع أمورنا ، ظاهرها وباطنها . وإلىٰ حضرة النبي محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

* * *

ـ الإنسان له ولادتان ـ
سلسلة السند والأخذ عن الشيوخ

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة في روحة الجمعة بمنزل أخينا طٰه بن محمد بن طٰه السقاف بجدة بتاريخ الثاني عشر من محرم الحرام من عام خمسة وتسعين وثلاث مئة وألف (١٢/ ١/ ١٣٩٥هـ) الموافق الرابع والعشرون من يناير من عام خمسة وسبعين وتسع مئة وألف (٢٤/ ١/ ١٩٧٥) ميلادية .

وبُدئت الروحة ـ كالعادة ـ بقراءة في الفقه في باب الزكاة ، ثم أنشد حبيبنا العم سالم خرد ـ رحمه الله ـ قصيدة للحبيب علي بن محمد الحبشي :

لا زلتُ مسرورْ يا قلبي بذكرِ السَّلَفْ

بعدها حضر سيدي من مكة غير مبالي بالمتاعب التي يتحملها من قضاء هٰذا اليوم من الصباح حتىٰ هٰذه الساعة المتأخرة من الليل ، من مجلس إلىٰ مجلس ، ولٰكن حرصه الشديد ومحبته لأولاده وتلاميذه أبىٰ إلا أن يحضر مجلسهم ؛ ليزيده نوراً .

فأنشد العم سالم خرد قصيدة أخرىٰ للحبيب عبد الله بن علوي الحداد :

هواكم بقلبي والفؤادِ مقيم

بعدها تكلم سيدي ، وقال : أحسنت ـ يا سالم ـ وأحسن الله إليك .

دائماً يقولون : إن الإنسان يحن إلىٰ ما كان ألفه في أيام صباه

أو أيام شبابه . فالإنسان الذي ألف الوطن ـ مهما كان الوطن ، حَسَن كان الوطن أو غير حسن ـ يحن إليه ، كما قال ابن الرومي :

وحَبَّبَ أوطانَ الرجال إليهمو   مآربُ قَضَّاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذَكَّرَتْهمو   عهودَ الصِّبا فيها فحَنُّوا لذلكا

وفيهم من يحن إلىٰ عشقه ، وفيهم من يحن ـ مثلاً ـ إلىٰ مجالس علم كان يأنس بها ، وفيهم من يحن ـ مثلاً ـ إلىٰ رجال كان إذا اتصل بهم . . . رآهم مناراً من منارات الهدىٰ ، وأئمةً بهم يقتدىٰ . هٰؤلاء الناس فيهم علىٰ أحوال ، أما كون الناس ينبذونهم . . فلا ، ما أحسب أن أحد ينبذهم ، وإنما الناس بين مشغول حتىٰ إذا عرته مهمة أو نزلت به نازلة . . راح إلىٰ هٰؤلاء الأوتاد والعلماء فاستنجد بهم ، فأدركه الله بنجدة من عنده بواسطة هٰؤلاء .

ومنهم من تكون له علاقة بهم ورابطة ، فنال مِن تردده إليهم السعادة والذواق الذي يشعر به في المجالس .

ومنهم من كان يرىٰ أن الحياة الطيبة ، هٰؤلاء الذين يرون أن الحياة الطيبة هي معهم وعندهم وفي مجالسهم . . كانوا يمثلونهم العلماء بالإنسان الذي يدرك ما وراء الحياة ويدرك المقصود منها . وكانوا يمثلون أمثال هٰؤلاء يقولون لهم : إن مثال الواحد هٰذا له ولادتين :

الولادة الأولىٰ التي ولدته أمه .

والولادة الثانية التي اتسعت فيها معارفه ، واتسع فيها ذهنه ،

واتسع إدراكه . واتساع الإدراك ما يأتي إلا من طريق العلم ، والعلم ما يكون إلا إذا جلس الإنسان وألقىٰ كليته وقابليته علىٰ شيخ متجرد مقبل علىٰ الله ، أدرك .

وهٰؤلاء يمثلونهم ـ كما ذكرنا لكم ـ يقولون : إن مثال الواحد الإنسان مثال البيضة والطائر الذي يكون فيها ، فلو قيل للطائر الذي في نفس البيضة : إنك لو خرجت من البيضة لرأيت عالماً أوسع من بيضتك هٰذه . . بايقول : ما يدخل في العقل . كما ما يقوله الجاهل ذا الحين لي ما يدرك شيءْ .

ولو قيل للإنسان ـ كذلك وهو في بطن أمه ـ : إنك لو خرجت من بطن أمك باتشاهد عالَمْ أوسع ، عالَمْ كبيرْ ، وفضاءْ فسيحْ ، وأشياء كثيرة . . ما يدركها ذلك ؛ لأنه لم يدرك هٰذه الأشياء ، والإنسان ما يدركها ـ قالوا ـ إلا بالإقبال ، فإذا أقبل علىٰ الشيخ وفتح للشيخ ذهنه لمثل هٰذي . . اتسعت معارفه ، واتسع إدراكه من وراء المعارف ، فأدرك المقصود من الحياة . والمقصود من الحياة ـ قالوا ـ هو : أن يعرف من العلم المعلوم ، لا العلم فقط . أما واحد يعرف إلا العلم ، كما مثلاً إذا حضرتوا ذا الحين فقرر الأخ سالم[1] أو الأخ محمد ـ أي : الشاطري ـ باب من أبواب الفقه ، فإذا ما استعمل الإنسان الباب ـ قالوا ـ معناه : أنه ما أدرك العلم حقيقة . لو قُرِىء ذا الحين كتاب الطهارة ، أو كتاب النجاسة ، أو كتاب الوضوء ، أو كتاب الصلاة ، فإذا

---

(١) سالم بن علوي خرد .

ما استعمله الإنسان ـ قالوا ـ ما دخل إلىٰ العلم من الباب ، بقي من وراء الباب ، عنده علم ولٰكنه ما دخل به .

والمقصود من العلم : المعلوم ، كما أن المقصود من الفهم المفهوم ، والتقصير في الإنسان ، يُدرَك ولٰكنه ما يدخل إلىٰ الدرك . وهٰؤلاء ـ معاد بانطيل عليكم الكلام في هٰذا ؛ لأنكم قد الوقت طويل مر عليكم أكثر المجلس ـ وهٰؤلاء الذين يحن إليهم الإمام الحداد هم الشيوخ الذين ـ كما ذكرت لكم ـ يُستنجَد بهم ويقتدىٰ بهم علىٰ قدر أحوال الناس :

فناس ـ مثلاً ـ مثل أهل الأعمال هاذيلا الذين ما يعطيهم وقتهم فرصة لأن يحضروا معهم ، إذا نزلت بالواحد نازلة ولا أدرك لها حَلّْ ، في سوقه ، أو في عقله أو عند مرشد من المرشدين . . فَكَّر ، فَكَّر ، فَكَّر ، ثم قال : آه . . عاد فلان من العلماء هنا ربما عنده فهم في هٰذه المسألة ، أو ربما عنده نور في هٰذه المسألة ، أو ربما له دعوة في هٰذه يدركه الله بالدعوة . فيأتي إليهم وهو مشغول ، ولٰكنه يعرف أن هٰؤلاء الرجال المرجع إليهم ، وواحد ما يأنس إلا بهم ، مسافر من بلاده ، أو حضر أو ما حضر ، ولٰكنه ما شُغْله إلا الأنس دائماً وهو يذكرهم وهو ملازمهم .

قضية أذكرها لكم لتدلكم علىٰ شيء من كثير من القضايا :

قال الشيخ محمد بن عوض بافضل[1] ـ رحمه الله ـ كثير منكم

---

(١) ولد بتريم سنة ١٣٠٣ وتوفي بها في شعبان سنة ١٣٦٩ .

عرفه ، كان ملازماً للحبيب أحمد بن حسن العطاس ، ومِن خواص تلاميذ الحبيب أحمد بن حسن ـ قال :

إن نحن جئنا إلىٰ قرية من قرىٰ (وادي عمد) ولما جئنا إلىٰ تلك القرية ـ القرية بادية ولـٰكن أهلها متمسكين بالعادات حقهم وبالإسلام ـ قال : جاء واحد من الناس المشغولين ، صاحب عمل منهمك في عمله ، ما عنده وقت للاتساع للدخول علىٰ الحبيب أحمد بن حسن ؛ للعلم حقه أو للولاية حقه في شغل شاغل ، ولـٰكنه اضطرته الحالة إلىٰ الدخول عند الحبيب أحمد ، فجاء وقال : حبيب أحمد .

قال له : لبيك .

قال له : أنا عندي مشكلة ، ما أدري آه سببها!

قال له : آه المشكلة لي عندك يا ولدي ؟

قال له : المشكلة أننا أخذت أرض ، وكلما سوَّرت عليها بحصىٰ وبنيت الحصىٰ عليها . . أصبح الحصىٰ كله مغيَّر ، كلما بنيته . . ينتقض هـٰذا البناء! وأرسلت ناس يبيتون في هـٰذا المكان ليرون من هـٰذا لي يغيِّر وينقض حقي البناء ، فلم يجدوا أحد وذا الحين أشكلت علَيَّ القضية ، ولا أظن أنه يوجد لها حل إلا عندك ، فين باحَصَّل الحل حقها هـٰذه ؟

قال له الحبيب أحمد بن حسن : الحل باتحصله عندي إن شاء الله ، بكرة ارجع .

فرجع له ، وبعد ما رجع له . . قال له : أَنْدُرْ بي بانشوف الأرض هٰذي . إِنْدَرْ بُهْ وشاف الأرض .

الرجل هو يعرف أن الحبيب أحمد مكفوف ، ولٰكنه في شغل شاغل ، ولٰكن ـ كما ذكرت لكم ـ الظروف اضطرته إلىٰ أن يقصد الحبيب أحمد ويترك شغله الشاغل .

إندَرْ دَرَجْ به في الأرض هٰذه ، فقال له : إن شاء الله تجيء إلىٰ عندي باعطيك الخبر .

جاء في اليوم الثاني ، فقال له : هٰذه الأرض مدفون فيها واحد من الأولياء ، وإنه ما يريد حَدْ يبني في هٰذا المكان ، باتتعب نفسك ، عرضت حالك علىٰ حَدْ ؟

قال له : عرضت حالي علىٰ أهل العلم ما أجابونا ، عرضت حالي علىٰ الحكومة ما أدركتنا ، عرضت حالي علىٰ الشرطة ما أحد أنجدنا قط أبداً .

قال له : هٰذا الخبر ، إن هٰذه الأرض مدفون فيها واحد من أهل الولاية الذين أعطاهم الله نصيبْ من التصرف ، وإنه كلما بنيت أصبح البناء منقوضْ ، ما يقدر عليه قط أبداً .

هٰؤلاء يبكي عليهم الإمام الحداد ، وهٰؤلاء يذكرهم الإمام الحداد ؛ لأن الإنسان ـ كما ذكرنا لكم ـ إذا كان إلا عنده علم ولا رَبَطه بالمعلوم ولا بالعمل . . ما استفاد من العلم شيءْ ، ولا سمي عالمْ . كما أنني قلت لكم : إذا كان فَهِم ولا دخل فيه

إلىٰ المفهوم . . ما استفاد منه شيءْ أبداً . هٰؤلاء لما دخلوا من العلم علىٰ حقيقته . . انفتح لهم الباب والعلم هُوْ في الأصل .

وفي الحديث عن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم حكىٰ لنا عن المولىٰ أنه قال : لَمَّا خَلَق العقل قال له : أَقْبِل ، فأَقْبَل . ولما أقبل العقل . . أعطاه نصيبه من العلم ، ثم قال له : أدبِر ، فأدبَر . فأخذ يعلَّم بالعلم هٰذا يعني : أرسله .

والعلم ـ كما ذكرت لكم ـ إنما هو نور ، ولهٰذا قال الإمام الشافعي في أبياته التي يبكي فيها علىٰ سوء الحفظ ـ لي حصل لنا كلنا ، ويمكن أنتم حصل لكم كماه ، أنا أول واحد كثير ما حصل لي ـ قال :

شكوت إلىٰ وكيع سوء حفظي فأرشدني إلىٰ ترك المعاصي

وأعلمني بأن العلم نور ونور الله لا يؤتاه عاصي

فالعلم الأصل فيه نور . والحقيق الحبيب عبد الله حداد يبكي علىٰ أمثال هٰؤلاء ، ويذكر الأيام التي مرت معهم ، وهو وراه ما هو عالم ؟ هو عالم ، لٰكن الإنسان ما يأنس إلا بشكله ولا ينزع إلا إلىٰ مثله ، يبقىٰ الإنسان غريب ؛ كمانا نحن نعالق محسن يجينا بعد الأربع من الليل ـ كلام علىٰ سبيل الإيناس ـ قلت له : يا محسن ، جئت باتأخذ بخاطرنا رجعنا نأخذ بخاطرك نحن ، نظَلِّي وحلانين بأنفسنا ما نحصِّل حَدْ يكلم نحن ، بغينا حتىٰ حَدْ يبسط نحن ما نحصِّل حَدْ ، خَلْقَ الله مشغولين بدنياهم .

فالإنسان ـ كما ذكرنا لكم ـ مثل الإمام الحداد هـٰذا غريب ، والغريب ما ينزع إلا إلىٰ شكله ، وأشكاله الكثير الذين أَنِس بهم ، واستفاد منهم واستفادوا منه ، توفاهم الله .

ثم هـٰؤلاء ـ الذين ذكرناهم لكم ـ الغرباء هاذيلا أخذوا العلم واحد عن واحد ، عن واحد ، عن واحد . . . حتىٰ وصل إليهم من النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم . فأَخَذ الإنسان ، ذا الحين إذا جاء الإنسان وبايقرأ القرآن ، القرآن جاء من النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، صحيح ، ولـٰكنه هل اتصل بالنبي ؟ ما شاف النبي ، ولا رأى النبي ، ولا حضر زمان النبي . لـٰكن ، كل واحد منكم اتصل بمعلِّمه ، والمعلِّم اتصل بمعلِّمه ، والمعلم اتصل بمعلمه ، والمعلم اتصل بمعلمه . . . حتىٰ وصل إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم . فهـٰؤلاء هم الذين أناروا لنا الطريق ، وفتحوا لنا الباب ، وأرسلوا لنا الكتاب ، وجاؤوا لنا بالقرآن . المعلِّم الأول : النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، والمعلم الأول ـ قالوا ـ هو المحسن الكبير .

لهـٰذا يقول العلماء : إن كل مصلي ثواب صلاته يقاسم فيه النبي ، كل من يذكر الله ثواب ذكره يقاسم فيه النبي ، وكل من يتصدق ثواب صدقته يقاسم فيها النبي ، وكل من يجلس مجلس خير يقاسم في ثواب مجلسه النبي ، وكل من يعمل عمل من الأعمال هـٰذي ـ كما ذكرنا لكم ، النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم له نصيب من ذلك العمل . وهـٰذا له نصيب من ذلك العمل ؛

ذلك لأن الذي جاب لنا الخير هو النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم كما أن الشيخ كذلك . ذا الحين ـ مثلاً كل من استفاد من سالم خرد مسألة في الفقه أو مسألة في غير الفقه ، أو مسألة نقلية أو عقلية استفادها من سالم خرد . . فلسالم خرد ثواب مثل هٰذا ؛ لأنه هو الذي دلَّه فهو معلِّمه . وسالم خرد أخذها عمن قبله ، ومَن قبله أخذها عمن قبله ، والطريق هٰذي التي سلكوها والتي أخذوها هٰكذا كانوا يأخذونها واحداً عن واحد . ثم كانوا ينتقون الواحد ، ما كل واحد يصلح .

ذا الحين كثير ما نلوم المدارس والأوضاع هٰذه الشاذة الموجودة في البلاد العربية إطباقاً . إن المعلم الذي يُعَلِّم تراه يستعمل التنباك في القسم ـ في الفصل ـ ولا يرىٰ به بأساً ، ثم يستعمل الكلام الغير الطيب ولا يرىٰ به بأسْ ، ثم يستعمل الأخلاق النابية فلا يرىٰ بها بأسْ! هٰذا ما يقال له : معلِّم ، هٰذا عنده شي من العلم ، ولٰكنه ـ كما قلنا لكم ـ ما دخل به إلىٰ الحقيقة . لٰكن ، إذا نظرنا إلىٰ المعلم الأول النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم . . وجدناه أنه ما عُرِفت أنه كانت له كلمة نابية أبداً ، ولا عُرفت أنه كانت له هفوة أبداً ، ولا عُرفت أنه كانت له صلىٰ الله عليه وآله وسلم شي من المعاملات التي تشمئز منها النفوس أبداً ، فكان مثالْ كاملْ في جميع الأحوال كلها . وكذا يكون المعلم ، مثالْ كاملْ في جميع الأحوال كلها ، ولهٰذا قال شوقي :

وإذا المعلم ساء لَحْظَ بصيرة جاءت علىٰ يده البصائرُ حُوْلا

وإذا أتىٰ الإرشاد من سبب الهوىٰ ومن الغرور فسَمِّهِ التضليلا
وإذا أُصيب القومُ في أخلاقهم فأَقِم عليهم مأتماً وعويلا

كلها هـٰذه لا لها ولا عليها . ذا الحين ، إذا شفت واحد مشىٰ وعنده شي من الجلافة ، ما أعطاك حق الإسلام . . التحية ، ولا بَشَّ في وجهك ، ولا كلمك حتىٰ ولو مستعجل ، ويقول لك : السلام عليكم ، العفو منك شفنا مستعجل . هـٰذه أخلاق الإسلام ؟ إذا مر عليك واحد بحالة غير هـٰذه الأحوال . . دليل علىٰ أن هـٰذا الرجل ما أعطىٰ الأخلاق حقها ، ودليل علىٰ أنه ما هُوْ من الأخلاق في شي ، ولا هُوْ من الأعمال في شي قط أبداً ؛ فالأخلاق شأن كبير ، وفي المعلِّم أكبر ؛ لأن المعلم ـ قالوا ـ يتأسىٰ به الولد في جميع الأمور . الولد ما ينظر إلىٰ والده ، ولا ينظر حتىٰ إلىٰ شيخ البلاد وعالم البلاد ولا إلىٰ كبير القوم ، ولا إلىٰ سلطان البلاد ، السلطان في نظره هو معلمه ، والكبير في نظره هو معلمه . فإذا جاء المعلم فاسق . . جاء الولد فاسق ، وإذا جاء المعلم غير طيب . . جاء الولد غير طيب ، وإذا جاء المعلم طيب . . جاء الولد طيب . ولهـٰذا قالوا : إن الإمام الحداد ـ رحمه الله ـ قالوا : إنه ذُكِر له بعض الناس ، وذُكِر له أنهم ما كانوا يحسنون الآداب الكاملة في المجالس .

قال لهم : هـٰذا لم يتربىٰ ، ومن لم يتربىٰ كيف يربي ؟ ما يربي أولاده ، واحد ما تربىٰ من أين بايربي أولاده ؟ ما بايربي أولاده .

وفيما أحسب أني ذكرت لكم في الأخلاق الكاملة ، وفي الاحتمال ، وفي المعرفة ، وفي المداراة . هٰذا الحبيب أحمد بن حسن الذي ذكرته لكم في هٰذه اللحظة ، قال الشيخ محمد بن عوض بافضل ـ رحمه الله ـ الشيخ محمد جاب لنا الشي الكثير من أحوال الشيوخ هاذيلا المتأخرين ـ قال : إن الحبيب أحمد جاء إلىٰ (شبام) والحبيب كفيف ـ تسمعون به كلكم ، أو من لم يسمع به ليعرف أنه كفيف ـ قال : وأدرك الناس يصلون في جامع (شبام) فصلىٰ مأموم ومسبوق ، وكان مشهور ومعروف ، لٰكنها كأن الصلاة خفيفة ، ولٰكنه أتىٰ بالركوع كامل ، والسجود كامل ، والاعتدال كامل ، وكل شيء أعطاه حقه . كان واحد من أهل (شبام) خَيِّر شاف الحبيب أحمد في الصلاة هٰذي ، ما وافقت الرجل هٰذا ، فجاء للحبيب أحمد وبقي منتظره حتىٰ سلم ، فلما سلم . . قال للحبيب أحمد ، وهو ما يعرفه أنه الحبيب أحمد ، قال له : إيش هٰذه الصلاة المُجَرْعَمَة ذي ؟! تصلي لمن أنت ، وتعمل لمن ؟

وأخذ يعتب الحبيب أحمد عتاب مُر ، ويطلق لسانه علىٰ الحبيب أحمد بلسان طليق .

قال له الحبيب أحمد : جزاك الله خير ، هديتني إلىٰ ما لم أكن أعرف ، انته بايقع شفت من صلاتي إلا ركعة وإلا ركوع وإلا سجود ؟ ذا الحين انتظرنا باصلي صلاة كاملة ، وبغيتك تسمعها ، ربما في بقية أركان الصلاة شيء .

شوفوا كيف الأخلاق الفاضلة ، هـٰؤلاء المهذبين الكُمَّل معاد عندهم شيء من المدافعات هـٰذي بغير التي هي أحسن ، أو حتىٰ بالتي هي أحسن .

قال له الشبامي : أحسنت!! هـٰذا علىٰ نية صالحة ، فرح وفي نظره أنه بايعلم السيد هـٰذا .

أحرم الحبيب أحمد بالصلاة جهراً، وقرأ الفاتحة وقرأ السورة، وركع ، وكانت لسانه تَدْرِج وقرأ ، وأتىٰ بالركوع واعتدل ، وسجد وجاب السجود وجاب فيه دعاء سيدنا علي بن أبي طالب . فمروا ناس ويشوفون الحبيب أحمد بن حسن يصلي وكُذْهُم يعرفون الحبيب أحمد ، ولا يعرفون آه المقصود من صلاته ؟ فلما سلم من الصلاة . . قال له الشبامي : هـٰذه صلاة كاملة أحسن من صلاتي ، وأدعية كثير أنا ما أحفظها ولا أعرفها أنت جبتها!

قال له الحبيب أحمد : العفو منك ، وجزاك الله خيرْ ، ما دليتنا إلا علىٰ خير ، أنا قلت : ربما شي في صلاتي ؟

ولما مشىٰ الشبامي قليلْ . . قال له واحد : آه تقول للحبيب أحمد ؟

قال له : أحمد من ؟

قال له : الحبيب أحمد بن حسن .

قال : إنا لله وإنا إليه راجعون . رجع يبكي للحبيب أحمد ، قال له : لا تبكي ؛ لأنك ما دليتنا إلا علىٰ خير ، انته آه قلت لي ؟

تبكي علىٰ آه ؟ ذَلاً لو جيت سبيتنا أوجيت ذكرت فيَّ سوء ، ذَلاً جيت علمتنا الصلاة ، جزاك الله ألف خير .

شوفوا كيف الأخلاق ، وكيف التهذيب ، وكيف الرياضة ، وكيف حسن الظن هـٰذا ؟ هـٰؤلاء الذين كانوا أوعية للعلوم ، فأخذوها واستفادوا بها ، وصار القلب يضيء بنور العلم ، وصارت الهداية مضافْ إليها ـ كما قلنا لكم ـ علم ومعلوم ، وفهم ومفهوم ، وخُلُق وأخلاق ، تَمَّت . لو أن واحد منكم أيسر ما كان بايقول : هـٰذا مِلْقي نار في قرن حمار[1] . بايعرض عنه ولا بايكلمه ، إذا ما رد عليه بكلام ما هو سَوَاءْ ، فيه جلافة ، أو فيه شيء آخَر ، أو بايقول : صلاتك لك بِتٌّ في طريقك يا جاهل . . . يا شَيء من هـٰذا الكلام . لـٰكن هـٰذا الإمام الكبير استلم الكلام منه وجلس له ، وقال له : عادنا باصلي لأجل تشوف بقية صلاتي ، ربما فيها شَيءْ . عاده يحتاج إلىٰ تنبيه ؟

هـٰكذا كانت الأخلاق ، وهـٰؤلاء الذين ذكرناهم لكم هم الذين هَدَوْنا ، وهم الذين قادونا إلىٰ الهدىٰ ، فالكتب الذي يقرؤها لكم الأخ سالم هـٰذي هم جابوها لنا ، وهم كتبوها وهم تناقلوها .

والسلسلة هـٰذي ـ قالوا ـ ينبغي لكل واحد أن يرتبط بها . كنا قبل أسبوع نحن وسقاف الكاف هـٰذا ، ذكر لنا أن عمه عبد الله قال : إن معاد حَدْ يتكلم علىٰ سلسلة السند . ونحن كثير ما نتكلم ، وكثير مانجيز فيها ، أنا في هـٰذا الحج نفسه عشر

---

(١) هذا مثل . . ومعناه أنه يهوّل الأشياء بعداوة .

إجازات كتبتهن لكثير من الناس فيهن سلسلة السند .

فسلسلة السند . . ذا الحين إذا بايعرف الإنسان الشيوخ الذين أدركتوهم أنتم ، أدركتوا مثل الحبيب محمد بن هادي ، وأدركتوا مثل الحبيب علوي بن شهاب ، وأدركتوا مثل الحبيب عبد الله الشاطري . . هاذيلا شيوخ الوقت الذين أدركتوهم ، وقبلهم شيوخ أدركوهم هم ؛ فهم أدركوا مثال والدي وأمثال الحبيب عبد الله بن عيدروس ، أدركوهم هاذيلا الجماعة : محمد الشاطري ، وسالم خرد ، عادهم قَرَوْا عليهم ؟ وهٰؤلاء لي قبلهم أدركوا الحبيب علي الحبشي ، والحبيب أحمد بن حسن ، والحبيب محسن بن علوي ، والحبيب عيدروس بن عمر ، والحبيب محمد بن علي ، ورجال كانوا زهرة الوادي .

وهٰؤلاء أدركوا الحبيب علي بن عمر بن سقاف ، والحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر ، والحبيب حسن بن صالح البحر ، والحبيب أحمد بن عمر بن سميط ، والحبيب عبد الله بن عمر بن يحيىٰ ، والحبيب طاهر بن حسين ، والحبيب عبد الله بن حسين بلفقيه ، ورجال كان الوادي بهم ملآن وأخذوا عنهم هٰذا العلم . وهٰؤلاء أكثر مرجعهم إلىٰ الحبيب عمر بن سقاف ، كان إليه يرجع سند هاذيلا المتأخرين كلهم .

والحبيب عمر بن سقاف أدرك الحبيب حامد بن عمر ، وأدرك الحبيب علي بن عبد الله السقاف ، وأدرك والده الحبيب سقاف بن محمد ، وأدرك الحبيب محمد بن زين بن سميط ،

وأدرك الحبيب جعفر بن أحمد بن زين الحبشي ، وأدرك الحبيب عمر بن زين بن سميط . وهـٰؤلاء أدركوا الإمام الحبيب أحمد بن زين ، وأدركوا الحبيب عمر بن عبد الرحمـٰن البار ، وأدركوا تلامذة الإمام الحداد ، والكثير منهم أدرك الإمام الحداد ، كلهم يرجعون إلىٰ الحبيب عبد الله الحداد ، والحبيب عبد الله الحداد هـٰذا لي يبكي له شيوخ كثير ، من الشيوخ الكثيرين هؤلاء :

الحبيب محمد بن علوي السقاف[1] نزيل (مكة) أقام في آخر وقته في (مكة المكرمة) وتوفي بها . كتب له الإمام الحداد للأخذ عنه ، فأرسل له سلسلة السند مع الإجازة . وأخذ كذلك عن الحبيب عمر بن عبد الرحمـٰن العطاس ثلاث مرات وهو مكفوف البصر ، ولما وصل إلىٰ الحبيب عمر بن عبد الرحمـٰن كان إلىٰ جنبه كثير من أصحابه ، ولما رجع إلىٰ (تريم) قالوا له : كيف رأيت الحبيب عمر العطاس ؟

قال لهم : رأيته قلب ورب . يعني : الدنيا ما لها نَفَس في قلبه قط أبداً .

والحبيب عمر العطاس هـٰذا شيخه الحبيب حسين بن أبي بكر ابن سالم .

والحبيب محمد بن علوي شيخه الحبيب عبد الله بن علي صاحب الوهط ـ أهل الوهط هذيلا رجال كبار ، قد يكون أنتم ما سمعتوا عنهم شيءْ ، فهم من كبار الأولياء ، ولا هي ولاية

(١) وفاته بمكة عام ١٠٧٢ هـ .

لحالها ، كان الواحد عنده من العلم الشيء الكثير ، من قرأ شيء من ديوان الإمام الحداد . . بايعرف عنهم ـ كان يكتب لأحمد بن عيدروس بن عبد الله بن علي بن حسن بن عمر ابن الشيخ علي بن أبي بكر ، كان يكتب له قصيدة فيها يقول له :

سلام علىٰ إخواننا والأحبة سلام كأنفاس الصَّبا في اللطافة

إلىٰ أن ذكر له السند ؛ لأن هـٰذا الحبيب أحمد بن عيدروس أخذ عن الإمام الحداد ، والإمام الحداد عاده أدرك والده عيدروس بن عبد الله فأخذ عنه ، وقال : وجدته أكبر مما كنت أعتقد . وبعد يقول :

فعنهم أخذنا كلَّ علم مُقدَّسٍ

إلىٰ أن قال :

فبالحق فلنأخُذْ علوم طريقهم يـداً بيـدٍ حتـىٰ مقـامِ النبـوة

هـٰذا عظيم الحال . كلهم أهل الوهط كبار بالعلم الجم والعمل الجم .

هـٰذا محمد بن علوي السقاف ، أخذه عن الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم والشيخ الحسين أخذ عن والده الشيخ أبي بكر .

والشيخ أبو بكر بن سالم أخذه عن أحمد بن علوي باجحدب ، وأخذه عن شهاب الدين ، وأخذه عن عمر بن شيبان . عمر بن شيبان كذلك له كتاب اسمه : « الترياق الشاف » .

وهـٰؤلاء أَخْذُهم عن عبد الرحمـٰن بن علي والشيخ عبد الرحمن ،

قالوا : أخذ عن والده وأخذ عن جد سالم خرد، محمد بن علي خرد، وأحمد شريف. وأحمد شريف كان واسع العلم ، قالوا : إنه فتاه[1] السلطان من القضاء ثلاث مرات فلم يقبل الفتوىٰ . قالوا له : ليه ما تقبل الفتوىٰ ؟

قال لهم : ما حد يوجد عالم مثلي !

فلا يوَلَّىٰ القضاء مع وجود الكفو ، ثلاث مرات وهم يفتونه . ومحمد بن علي جد سالم خرد هـٰذا . وهذاك عمهم صاحب « الغرر » كتاب عظيم ، وهو محدِّث .

وهـٰؤلاء كلهم الثلاثة أَخْذُهم عن الشيخ علي بن أبي بكر السكران ، وعلي بن أبي بكر السكران أخذه عن عمه عمر المحضار ، وعمر المحضار أخذه عن الشيخ عبد الرحمـٰن السقاف ، والشيخ عبد الرحمـٰن السقاف أخذه عن والده ، وأخذه عن محمد بن علوي يسمىٰ : صاحب العمائم ـ ووالده أخذه عن عمه عبد الله باعلوي ، وله أخذ عن والده علي بن علوي . وهـٰؤلاء الاثنان أخذهم عن علوي ابن الفقيه المقدم وعلوي عن والده الفقيه المقدم، والفقيه المقدم أخذ الطريقة حق الشيخ شعيب أبي مدين ، أخذها هو ، وأخذها الشيخ سعيد بن عيسىٰ ، وأخذها الشيخ باللوعا ـ ما هو بالَوْعار ، باللوعا ـ صاحب الدِّلِكْ لي تطلع به إلىٰ (الخريبة) مولىٰ الدلك معروف ـ ما أذكرهم نسيتهم ـ كلهم هاذيلا أخذوا الطريقة حق الشيخ شعيب . والشيخ

---

(١) فتَاه ويفتونه : أوقفوه من القضاء ومنعوه وعزلوه .

سعيد بن عيسىٰ ارتبط بالفقيه واختلط به حال بحال ، وأصبحا جزءان لا يتفرقان ، حتىٰ لما قربت الوفاة حق الشيخ الفقيه . . قال له الشيخ سعيد : أنا مرتبط بك ، ذا الحين بيني وبينك اتصال المشيخة والأخذ ، والولاء والمحبة ، بغيتك تعطينا شيءً يبقىٰ يترددون إليَّ أولادك .

قال له : السيف هـٰذا حقي خذه ، والعكاز حق سيدنا الفقيه والسبحة أعطاه إياهن ، وقال له : كل من بغىٰ طريق المدد حقي أنا والأخذ حقي . . يطلع يجيبه من عندك يا عمود الدين . فصاروا الشيوخ يتسارعون إلىٰ (قيدون) لزيارة الشيخ سعيد ولهـٰذا الأخذ .

وهـٰذي يسمونها : طريق الشيخ شعيب أبي مدين . ولهم طريق ثانية للأخذ ؛ لأن الفقيه تربىٰ بوالده علي تربية كاملة ، وتربىٰ بعمه تربية كاملة ، وعمه ووالده تربوا بوالدهم محمد .

من هو والدهم ؟ محمد بن علي بن علوي ومحمد بن علي عن والده علي . وعلي بن علوي هـٰذا خالع قسم تربىٰ بوالده علوي بن محمد ، وعلوي تربىٰ بوالده محمد بن علوي ، ومحمد بن علوي تربىٰ بمن ؟ تربىٰ بعبيد الله بن أحمد وعبيد الله بن أحمد تربىٰ بمن ؟ تربىٰ بأحمد بن عيسىٰ ، وأحمد بن عيسىٰ تربىٰ بوالده عيسىٰ ، ووالده تربىٰ بمحمد ، ومحمد تربىٰ بعلي بن جعفر العريضي ، وعلي بن جعفر تربىٰ بجعفر الصادق ، وجعفر الصادق تربىٰ بالباقر ، والباقر تربىٰ بعلي زين العابدين ، وعلي زين

العابدين تربىٰ بالحسين والحسن ، والحسين والحسن نَشَأَ في أحضان رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

هٰذه التربية الأصل ، وكان كل واحد منهم إذا ربىٰ ولده . . أخذ منه العهد ، ولا يترك خُلُقْ من الأخلاق ، ولا عادة من العادات ، ولا عبادة من العبادات ولا شيء من الأخلاق . حتىٰ كان الواحد يمتاز إذا سار في طريقه . . يمتاز في حيث ما يظهر في أي بلد من البلدان ، يظهر عليه سمت العلم ، ويظهر عليه سمت الأخلاق ، ويظهر عليه نور الاتباع الكامل . وكانوا فيهم من يرحل وفيهم من لا يرحل ، وكل واحد ـ كما ذكرنا لكم ـ يأخذ العهد عليه .

ونحن جاء الزمان هٰذا ، كان السابقين الهجرة عندهم قليلة جم ، ما يسمح الواحد بالهجرة لولده حتىٰ يطمئن إليه في خُلُقه ، ويطمئن إليه في دينه ، ويطمئن إليه في معاملته ، ويطمئن إليه في نظافة قلبه وطهارة قلبه ، فإذا لم يطمئن إليه في شي من هٰذا كله . . ما كان يرسله . هٰكذا كانت (حضرموت) علىٰ مثل هٰذا الحال ، حتىٰ جاءت الظروف الغير ملائمة ، وجاء الزمان هٰذا فرحلنا كلنا ، وهاجرنا كلنا ، وتركنا العادات التي كان عليها مَن قبلنا ، وأصبحنا كما قال الشاعر :

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له : إياك إياك أن تبتل بالماء ! !

نَذَقْنا[١] بأنفسنا ولعاد عرفنا . فعلىٰ كل واحد منكم أن يرعىٰ أنه جاء من بلد طاهر ، وأنه له نسب طاهر ، وأنه له شيوخ كرام كبار .

---

(١) نذقنا : يعني رمينا .

أنا اليوم ألقيت نظرة في رسم عمكم محمد بن هادي قدامي في دار أحمد بن عبد الله[1] ، وبعد أن ألقيت نظرة في كثير من الشيوخ الذين عرفتهم ـ أكثركم عرف الحبيب محمد ـ فما وجدت أحد في صورة وجه عمي محمد ، وفي سمته وفي أخلاقه ، وفي هيئته ، العلم موجود ، والأخلاق موجودة ، والدين موجود والعبادة موجودة لـٰكن بغيت واحد باتملي نظرك منه مثل ما تمليه من وجه عمك محمد ، ما تجده ؛ ذلك لأنه تربىٰ علىٰ التربية هـٰذه المذكورة التي كان عليها هـٰؤلاء .

والمهم من هـٰذا أنكم كل واحد ـ شوفوها ـ سلسلة سنده إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، من كان له حفظ بها أو له معرفة بها . . فليعضدها بالعمل الصالح ، وليبقىٰ ذاكرْ لها ، وليبقىٰ ذاكرْ لوصية الشيوخ ؛ لأن الشيوخ يأخذون العهد ، والله قال : ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ ﴾ .

فالإنسان واجب عليه أن يرعىٰ عهده ، ويرعىٰ نفسه ، ويرعىٰ نسبه ، ويرعىٰ خُلُقه ، ويرعىٰ عادات أهله ، ويرعىٰ طريقة أهله ، مهما كان .

شوفونا ، ذكرت لكم قبل أيام ـ أو ذكرتها لأحد الإخوان ـ في مجلس من المجالس قضية الشريف الرضي لما أرسل له الطائع عندما ولدت زوجته ، أرسل له الطائع مالْ ، لما أرسل له المال . . رد المال .

---

(١) أحمد بن عبد الله بن شيخ السقاف .

قال له الطائع : استعينوا به في مؤونة الولادة هـٰذه .

قال له : نحن نكفي أنفسنا بأنفسنا .

قال له : كان . . اصرفه للقابلة التي قاعدة عند المرأة النَّفاس ، والتي تغسِّلها وتنظفها ، وتجلس عند ولدها .

قال له : نحن قوم ما أحد يطَّلع علىٰ شي من عاداتنا غير نسائنا ، ما نجيب نساء أجنبيات قط .

هـٰذا ـ شوفوه ـ الخُلُق الكبير ، بينما هو بايتنفس بالعطية التي أعطاه إياها الطائع ، ولـٰكنها ما سمحت له نفسه أنها تنزل مرتبته عن مرتبة الطائع ؛ لأنه يقول :

ما بيننا يوم الفخار تفاوت ... أبداً كلانا في المعالي مُعْرِقُ

إلا الخلافة شرفتك وإنني ... أنا عاطل منها وأنت مطوَّقُ

ذا الحين أنا ـ شوفونا ـ كثير من الأشياء ما تعجبنا في هـٰذه البلاد ؛ لأَنَّا أشوف كثير من الناس فاتهم كثير من الشرف ، ويذكر لي هـٰذا عمكم محمد بن سالم ذا صاحبي . . البلاد التي تربِّي . . مثلاً أنتم لكم قيمة في بلادكم ، وآل العمودي لهم قيمة في بلادهم ، وكل إنسان له قيمة علىٰ مقتضىٰ مرتبته في بلاده .

قال لي محمد بن سالم العيدروس ـ ومثالها هـٰذه البلاد ذي . . با تعرفون القضية من سياق القصة ـ قال : كان عند عمكم عبد الله بن حسين العيدروس ثروة كبيرة في (جاكرتا) وعنده أولاد كثيرين ، وكانت عنده نعرة البلاد التي ربته ونعرة

الهاشمية . قال : تغدَّىٰ في مكان في يوم من الأيام ، وجاء علىٰ الكِرِيْتَ[1] حقه حتىٰ وصل إلىٰ تحت الدار ، وبعد حصَّل ولده هاشم ـ لا يزال يعيش هاشم ـ قال له : هاشم .

قال له : لبيك .

قال له : حد داخل عندك في المكان من الضيوف ؟

قال له : لا .

قال له : هُوْ مِنْ داخل ؟

قال له : عمي فرج ـ يتكلم سيدي والابتسامة علىٰ وجهه ـ العبد حقه ، كَسَرتْ كور عمكم عبد الله كلمة عمي فرج .

قال له : يا ولدي ، رح إلىٰ شركة المراكب شف شي مركب إلىٰ (عدن) وإلا إلىٰ (المكلا) .

راح وشاف له مركب ، وقال له : نعم مركب .

قال له : ذا النول ، وٱنْدُرْ إلىٰ (حضرموت) . خرج إلىٰ (حضرموت) حصَّل الناس مقدَّرين بمراتبهم ، كل صاحب عمل وصاحب حرفة بحرفته .

عرف أن الناس ما يقولون لأمثال عمه فرج : عم فرج .

ذا الحين ، يا كم من واحد إلىٰ جينا قال : يا عم فلان ، ممن لا يستحق حتىٰ السلام .

---

(١) الكريت : أي المركوب . باللهجة الأندونيسية .

وبعد رجع هاشم بعد أن ربته (حضرموت) خمس سنين . ولما رجع جاؤوا الناس يستقبلونه وعمه فرج جالس ، أراد أن يعرِّف أبوه أنه تربىٰ في (حضرموت) لما جلس قليل . . قال له : آه يابو سويد ، قم هت لي كأسة ماء .

وذا الحين ، اختلط الحابل بالنابل ، ولعاد عرفوا الناس ، صار الناس كلهم أعمام أعمام ، معاد لها قيمة الأشياء قط . قال : عمي فلان ، وعمتي فلانة .

ربنا يفتح علينا وعليكم من مجد السابقين ، ومن أخلاق السابقين ، ومن عقول السابقين ، ومن علوم السابقين ، ومن تربية السابقين ، ومن نشأة السابقين ، ومن إدراك السابقين ، ومما أعطاه ربي للسابقين ، ومن الاتباع لسيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم ، ويجعلنا به مربوطين ، وبالعمل بما كان عليه موصولين ، وفي جميع أمورنا . وينفعنا بهٰذه المجالس ، وينفعنا بالعلم ، وينفعنا بالأخلاق ، وينفعنا بالعمل ، وينفعنا بهٰذه الجلسات ، وينفعنا بإخواننا ، وينفعنا بأصحابنا . ويجعلنا كلنا متحابين ومتآخين في الله ، ومع الله ، ومع رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم . ويعمر قلوبنا بما عمر به قلوب أهل الله ، وينفعكم بالعلم ويرزقكم العمل إن شاء الله . وينفعكم بالفهم ويرزقكم ـ إن شاء الله ـ الدخول إلىٰ المفهوم فيه في جميع الأمور ، ظاهرها وباطنها . وإلىٰ حضرة النبي محمد صَلَّى الله علية وآله وسلَّم .

* * *

كلام عن الإمام المهاجر المولود (٢٦٠) بالبصرة والمتوفىٰ بحضرموت (٣٤٥) وكلام عن الهجرة في هذا الزمان

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة القيمة في روحة الجمعة ، ست وعشرين محرم من عام خمسة وتسعين وثلاث مئة وألف (١٣٩٥/١/٢٦) .

وبُدِئت الجلسة كالعادة بقراءة في الفقه ، ثم أنشد حبيبنا سالم بن علوي خرد ـ رحمه الله ـ بقصيدة : « حييت يا مربع الأحباب » مبتدئاً من قوله :

يـا سيـد الـرسـل هـادينـا هيـا بغـارة إلينـا الآن

بعدها تكلم حبيبنا عبد القادر بن أحمد بهٰذ الكلمة ، وقال حفظه الله ـ بمناسبة ذكر المهاجر في مفتَتَح كلام سالم أنشده من كلام الإمام الحداد ـ : الكثير قد سمع الكلام الكثير من الكلام حول الإمام المهاجر ، ولٰكن أريد أن أعيد عليكم شيءْ ؛ لتعرفوا السبب الذي أخرجه من (البصرة) هو : أن أهل البيت أُوذوا في أيام الأمويين إيذاءً تاماً ، ثم أُوذوا في أيام العباسين إيذاءً تاماً . ثم لما هدأت قوة الأمويين وماتت ، وهدأت قوة العباسين وكادت . . ظهر العلويون ، فأقبل عليهم الناس ، وأقبلوا عليهم بقلوبهم وأموالهم كما سمعتوه ؛ لأنهم أهل الحسب وأهل النسب ، والحسب هو العلم والعمل ، والنسب معروف معاد في ذلك شك ، وإذا جمع الله للإنسان حسب ونسب . . كان هو الفاضل في الأمة ، وكان هو الكريم في الناس ، وكان هُوْ ذا

الخَيِّر في الناس ، وكان هو ذا المظهر ، وكان ذا هُوَ الراية[1] .

لما أقبل الناس علىٰ العلويين في (العراق) بقلوبهم وبأموالهم ، قال السيد جعفر البرزنجي : إن هٰذا جدكم المهاجر ما أعجبه إقبال الدنيا ولا راق في عينه ذلك ؛ ذلك لأن الدنيا بينها وبين الجسم ارتباط كلي ، إذا لم يروِّض الجسم بالأخلاق الشرعية والعادات التي عليها خير البرية . . أخذ الجسم في ضراوة في اتباع الشهوات والإهمال ، والترقي والانحطاط في السفليات ، حتىٰ يطيح الإنسان الذي كرَّمه الله فيصبح بهيمة من البهائم . ما أعجب المهاجر هٰذا .

وكان المهاجر ، أجمع المؤرخون علىٰ أن الله أعطاه عقلْ كبيرْ وعلمْ كثيرْ وعملْ غزيرْ[1] .

قال السيد جعفر البرزنجي : إنه بلغ من شأنهم في ذلك الوقت أن الواحد إذا أراد أن يدخل الحمام . . تقوم الجواري أمامه بالمباخر ، وتبقىٰ حتىٰ يخرج من الحمام ويرجع إلىٰ مكانه . فرأىٰ المهاجر أن هٰذا شيء ما فعله النبي ولا فعله عَلِي ، ولا فعله الحسن ولا فعله الحسين ، ولا الباقر ولا السَّجَّاد ، ولا دعا إليه الدين . فخرج المهاجر من (العراق) لهٰذا الشان ، ووصل إلىٰ (المدينة المنورة) سنة ثلاث مئة وسبعة عشر من الهجرة النبوية ، فزار جده عليه أفضل الصلاة والسلام ، وكان في رأيه أن يستأذنه إلىٰ أين يكون الاستقرار له ؟ ويكون فيها الطمأنينة

---

(١) الحمد لله كل ذلك تجمع في الحبيب عبد القادر حفظه الله .

في الدين؟ لأن الإنسان مسؤول عن ذراريه ، سواء كان موجود أو غير موجود ، إذا ما ربَّاهم وجعل لهم أساسٌ من الأخلاق يستقيمون عليه ـ قالوا ـ كان مسؤولاً عنهم في كل دقيقة وكبيرة .

جاء إلىٰ (المدينة) وأقام بـ(المدينة) سنة ؛ لأن (مكة) كانت تغلي بفتنة القرامطة . دخل (مكة) في ذلك الوقت أبو سعيد القرمطي وأراق بها الدماء حتىٰ سالت في الحرم .

فأقام المهاجر سنة في (المدينة) ولما هدأت الثائرة واستتب الأمر للقرامطة . . أُذِن له في الخروج من (المدينة) بواسطة جده صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، فسار إلىٰ (مكة) حاجاً . وكان في طريقه إلىٰ (اليمن) وهو وبني عمه الاثنين ، وخرج إلىٰ (اليمن) يسير من وادي إلىٰ وادي ، ومن مكان إلىٰ مكان ، فطاب القرار لجد المراوعة والأهادلة ، ولم يطب القرار لأبيهم المهاجر ، فخرج حتىٰ وصل إلىٰ وادي (دوعن) فأقام في وادي (دوعن) في (الجبيل) أولاً وكان له بها ولد مات صغيراً ودفن بها . ثم انتقل منها إلى (الهجرين) وأقام بـ(الهجرين) واشترىٰ وبنىٰ . ثم انتقل منها إلىٰ وادي (حضرموت) من مكان إلىٰ مكان حتىٰ استقر بـ(الحُسَيِّسَة) هـٰذي ، وأقام فيها ستة وعشرين عاماً ، وبها لقي الله بعد ستة وعشرين عاماً[1] .

وكان ـ كما تسمعون ـ أعطاه الله حكمة مع العلم . كانت البلاد تغلي بالأباضية وبمبادئهم وبعقائدهم ، فكان الشيخ

---

(١) وقبره معروف بالجبل يصعد إليه بدرج كبير وعليه قبة وأسفل عند أول الدرج قبة الحبيب أحمد بن محمد الحبشي .

يجادلهم كما قال الله : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ﴾ لأهل الحكمة من غير الأباضية ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ لمن يستحق الموعظة الحسنة ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ لا بالعناد ، لمثل الأباضية ومن علىٰ شاكلتهم . فعلا كعبه ، وأظهره الله عليهم ، وأقبل الناس عليه ، وطُمِست الأباضية في ذلك الوادي بواسطة هٰذا السيد الجليل . وظهر أولاده وأُوذوا فيما بعد ؛ لأن الناس تنكروا لهم بواسطة النسب الشريف ، ولٰكن ربّاهم هٰذا الإمام أحسن التربية ، منهم : ولده هٰذا الكبير عبيد الله . اسمه عبد الله ، وكان من تواضعه ـ وسبب التواضع : التربية ، لا أقل ولا أكثر ـ كان يسمي نفسه عُبَيد الله بالتصغير .

طلع إلىٰ (مكة) واتصل فيها بصاحب « قوت القلوب » بالشيخ أبي طالب المكي وأخذ عنه وقرأ عليه ، وقوّىٰ آصرة النسب ، وخرج له بشهادة من (مكة) .

وجاء في أيام آل بصري ، الشيخ المحدث علي بن محمد بن جديد ، وجاء وقوّىٰ النسب الشريف وخرج بلائحة عليها شهادة الشهود من (البصرة) ومن (العراق) وعليها إثباتات قضاة الحرمين الشريفين ، فظهر النسب الشريف . ولهٰذا كانوا يقولون : إن نسب العلويين لا يدانىٰ مع نسب بقية المنتسبين إلىٰ الحَسَن أو إلىٰ الحسين . لكون العلويين هاذيلا نسبهم جاء بمهور ، والفضل للأعداء هاذيلا الذين آذوهم .

وموضع الكلام ـ ما ذكرناه لكم ـ : أن المهاجر ترك المظهر

الكبير ، وترك المال الكثير ، وترك الدنيا كلها ، إقبالاً علىٰ الله ؛ كما كان رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، وإعراضا عن المال والجاه ؛ كما كان أباه تخلىٰ عن ذلك ، وجاء إلىٰ هـٰذا الوادي .
والتاريخ يعيد نفسه ، كان العلويون قائمون في واديهم ، وكانوا في مأمن من الفتن وفي اطمئنان من البلاء ، وفي تنحي عن الدنيا ، لا يجيء حتىٰ للحج منهم إلا القليل ؛ لأنهم كانوا حريصين علىٰ استقامة دينهم ، وعلىٰ الخلوة والاعتزال عن الناس ؛ كما كان شأن أهل الله الكبار ، حتىٰ ـ كما قلنا لكم ـ أعاد التاريخ نفسه ، فاضطرتهم الظروف للهجرة . وكانت الهجرة قديماً أولاً إلىٰ (الهند) ثم صارت بعد (الهند) إلىٰ (أندونيسيا) ثم اضمحلت تلك الهجرة وجاءت ظروف أقسىٰ من الظروف الماضية ، فصارت الهجرة إلىٰ الحرمين الشريفين .

كانت هجرة مَن مضىٰ ـ هـٰؤلاء الذين ذكرناهم لكم ـ الذين هاجروا كانوا دعاة ، وكانوا أبطالْ ، وكانوا أمجادْ ، وكانوا نجومْ ، وكانوا أقمارْ بهم استنار الكون وبهم اطمأن ؛ فـ(الهند) هـٰذه لا تزال ترعىٰ الود وترعىٰ الأمانة الكامنة للعلويين ، ولا يزال في (مليبار) ـ قالوا ـ أكثر من ثلاثين ألف علوي في (مليبار) فقط وحدها .

وكان من الظاهرين فيها : السيد شيخ بن محمد الجفري ، صاحب « كنز البراهين » كان من الأئمة الكبار .

خرج هـٰذا الحبيب إلىٰ (حضرموت) مرتين : خرج المرة

الأولىٰ إلىٰ (حضرموت) ولقي فيها الحسن ابن الإمام الحداد وأخذ عنه ، وصنف كتابه هـٰذا : « كنز البراهين في الأخذ عن العلويين وعن السند المتين » وأول الكتاب هـٰذا منظومة ذكر فيها السند ، أولها :

لبست من شيخي علىٰ الوجه الحَسَنْ أعني ٱبنَ عبدِ الله مولانا الحَسَنْ
وهو لَبِسْ مِن أَبِيهِ سامي الذرىٰ قـدوتنـا وشيخنـا بِـلا مِـرا
عبـد الله المشهـور بـالحـدادِ من خُصَّ بالإسعاد والإرشاد

إلىٰ آخر السند حقه . نظم السند كله إلىٰ النبي ﷺ .

وخرج القَدْمة الثانية ـ لتعرفوا حرص العلويين علىٰ الزهد والقنوع والخنوع عن الدنيا ـ فكان جاء إلىٰ (تريم) بعدما مات شيخه حسن بن عبد الله الحداد وبعدما ماتوا الشيوخ الذين رآهم ، فرأىٰ في (تريم) شيْء من المظاهر ، وما كانت بمظاهر بالنسبة للزمان هـٰذا لي نحن فيه ، ففي زيارته الأولىٰ قال في (تريم) أولاً :

ولو كان لي أرضُ (المليبارِ) كلها لُجَيناً وتبراً . . ما عَدَلْتُ بها الغَنَّاءْ
ولـٰكنـه قـد كـان بـالـرغـم يـا فتـىٰ جلوسي بها ، فافهمه إن كنتَ ذا معنىٰ

خرج ـ قلنا لكم ـ القَدْمة الثانية ورآها قد تنكرت بالنسبة لما كان عليه حسن بن عبد الله الحداد والرجال الذين عرفهم . قالوا : وكان في طبعه شيء ، فأنشد هـٰذا البيت ـ ونحن ما بدا أنشدناه لأحد ، ولـٰكنكم اسمعوا لأجل تعرفون انتم لأن (تريم) فوق كل بلد عندنا ما عدا الحرمين الشريفين ـ قال الحبيب : لما وصل إلىٰ (تريم) بعد وفاة شيخه الحسن ابن الإمام الحداد

تشَوَّش وتكدر عليه الحال . وتكلم على تريم بكلام لا يليق ولا داعي إلى ذكره ، فتريم مكانها وقدرها معروف .

هٰذا الكلام قرأته عليكم لتعرفوا الفرق ، وتعرفوا حرص السابقين علىٰ سيرة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم. وأنا ذكرت لكم أن الدَّور عاد ، وأن الزمان عاد ، وأن الهجرة عادت ، وأصبحت قبل اليوم واجبة ، أما اليوم . . فهي واجبة الواجب ، ومن آكد المؤكدات ، ومن أهم المهمات ، والذي لا يهاجر مع القدرة يأتي فيه قول الله تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ﴾ .

هٰذه الآية نزلت في قوم من السابقين ، ويكاد أن تكون الهجرة واجبة لمن قدر عليها في هٰذا الزمان ، لٰكن إذا نظرنا إلىٰ الزمان ودورانه وعادته ، ونظرنا إلىٰ أنفسنا ونسبتنا إلىٰ هٰؤلاء السابقين . . وجدنا البون شاسعْ والتأخر كثيرْ ، والانحطاط أكثر والنظر إلىٰ الفانيات أكبر وأكثر ، والانحدار عن نسبة كل واحد إلى مَن قبله إلىٰ والده ، مثلي أنا ومثل الإخوان هذيلا ، كل واحد له نسبة إلىٰ نسب كريم، كل واحد من الموجودين ما يتعدىٰ والده أن يكون من العلماء ومن الأولياء ومن الصلحاء ؛ لأنها رَبَّته (حضرموت) و (حضرموت) كما قال أحمدبن عبد الله السقاف[1] .

بلـدةٌ غيـرُ ذات زرع ولٰكـن تُنْبِـت الصـالحيـن والأخيـارا

---

(١) الشاعر الكبير أحمد بن عبد الله بن محسن السقاف (١٢٩٩/ ١٣٦٩) وفاته بالبحر. له ديوان مطبوع .

بلدة من أعظم البلاد ومن أحسن البلاد ، قال الإمام الحداد :

وإنها لمن بعد المساجد الثلاثة لَمِن خيـ ـــر بلاد الله في جنوب وشامِ

ونحن قد شفنا الجنوب وشفنا مصر وشفنا الشام ، وشفنا ما عداها ، لا يوجد مثل هٰذه البلدة ولا مثل مجاوراتها من البلدان التي عمرتها هٰذه البلدة ، كل بلدة نسبتها إلىٰ (تريم) والعمارة جاءت من (تريم) والفضل يعود لـ(تريم) لا أقل ولا أكثر ، في جميع البلدان هٰذي .

وكما ذكرت لكم : ذكرنا لكم (الهند) و(جاوه) هٰذه كلها مئة وثلاثين مليون كلهم مسلمون شافعيون ـ إلا في الوقت الأخير وصل إليهم التبشير فغيَّر عليهم بعض العقائد ـ مئة وثلاثين مليون علىٰ عقيدة واحدة شافعية ، سببها : هجرة مَن قبلكم من رجالكم إلىٰ ذلك البلد وإلىٰ ذلك المناخ وإلىٰ ذلك الوادي .

وقلنا : التاريخ يعيد نفسه ، جاءت الهجرة ، وكانت الهجرة إلىٰ الحرمين الشريفين ، وكانت الهجرة أحسن من الهجرة السابقة ، ولٰكن! هل كنا أحسن من السابقين نحن ؟ لما كانت الهجرة أحسن من الهجرة السابقة . . كان يجب علينا نحنا إذا كنا أَوينا إلىٰ الحرمين الشريفين أن نكون أحسن ممن أَوىٰ إلىٰ (أندونيسيا) وممن أَوىٰ إلىٰ (الهند) وممن أوىٰ إلىٰ (الفلبين) وممن أوىٰ إلىٰ جزائر (الواق واق) ؛ ذلك لأن نحن جئنا إلىٰ بلد الشرف ، إلىٰ بلد الكرامة ، إلىٰ بلد النور ، إلىٰ بلد النبوة ، إلىٰ

بلد الرسالة ، إلىٰ مهد كان يتردد فيه جبريل ، إلىٰ محط الملائكة ، إلىٰ محط آيات التنزيل ، إلىٰ محط القرآن ، إلىٰ محط الولاية ، إلىٰ محط الأولية التي انتشر منها الإسلام ليسير إلىٰ كل بلاد إلىٰ أن وصل إلىٰ (أمريكا) وإلىٰ (لندن) وإلىٰ (فرنسا) وإلىٰ (إيطاليا) وإلىٰ (ألمانيا) وإلىٰ ما وراء ذلك من البلدان . هٰذي البلد التي انتشر منها الإسلام ورجال الإسلام ، دعاة فتحوا (إسبانيا) وصيروها بلاد علم ، وفتحوا الثانية هاذيك لي يقول فيها شوقي :

يا أختَ أندلسٍ عليكِ سلامُ مضت الخلافة عنك والإسلامُ

وإلىٰ سائر البلدان خرج الإسلام من هٰذه البلاد . لٰكن ـ كما قلت لكم ـ هل كنا كسابقينا ؟ لا ، نحن جئنا كروَّاد دنيا وكروَّاد رزق ، لا كدعاة ولا كأشراف ، ولا كذي فضل ، ولا كذي هداية ، ولا كذي ولاية . هل يصلح منا ، ونحن نعرف سيرة آبائنا الذين اتخذوا هٰذا الدين ، والدين حقنا نحن . نحن أولىٰ به ، ونحن أحق به ؟ والعلماء الصوفية يقولون في كلام النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ الثقلين هاذيلا : كتاب الله وسنتي . أو : وأهل بيتي ، في الرواية الثانية ـ قالوا : إنهم هاذيلا الثقلين ، لما قال : إنهم مع القرآن حتىٰ يَرِدا عَلَيَّ الحوض ، لا يزالان معاً حتىٰ يَرِدا عَلَيَّ الحوض .

وقالوا : إن الطهارة التي أُعطِيها أهل البيت بسبب الطهارة التي جاءت في القرآن ؛ لأنهم دائماً وهم مَرَّة وإياه ومع القرآن في

قرن : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ . وفي الآية الأخرىٰ : ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ .

فالقرآن هـٰذا كان ممزوج بلحوم أهل البيت مختلط بها ، وكانوا يرون أنهم أحق به من غيرهم ، وأنهم الدعاة به إلىٰ غيرهم لا غيرهم الداعي إلى القرآن ؛ ذلك لأنهم مرتبطين ، ربطهم به ربهم ، ربطهم به سيد الأنام صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، فلهـٰذا كان آباؤنا الدعاة بهـٰذا . نحن جئنا ـ كما قلنا ـ اختل علينا النظام في الأخير ، وسببه أمران :

الأمر الأول : أنه مات الدعاة المروِّضون للأخلاق ، الدعاة الذين إذا رأيت الواحد منهم . . ذكرت الله .

كنت أنا وأحد الإخوان هاذيلا ـ أو غير هاذيلا الإخوان ـ قبل أيام كنت في بيت أحمد(١) وقدامي صورة عمي محمد بن هادي ـ كلكم تعرفون هـٰذا الإمام ـ نظرت أنا إلىٰ صورة عمكم محمد ، وكلكم تنظرونها ذا الحين في قلوبكم ، ونظرت إلىٰ وجوه العلماء الذين عرفتهم أنا في (الشام) وفي (مصر) وفي الحرمين الشريفين وفي سائر البلاد ، ما وجدت هيئة كتلك الهيئة ، ولا هيبة للوجوه كهـٰذه الهيبة ، ولا سكينة للرجال كهـٰذه السكينة هـٰذه إلا في صورته .

ونحن حضرنا مع عمكم محمد وحضرنا مجالسه ، والشيوخ لي كانوا مع عمكم محمد وقبل عمكم محمد علىٰ هـٰذا الحال ، وكهـٰذا الحال هـٰؤلاء : ارتبطوا بالقرآن ، وارتبطوا بالسنة ،

---

(١) بن عبد الله بن شيخ السقاف .

وارتبطوا بالدعوة . نحن ماتوا علينا هـٰؤلاء ونحن عاد نحن في سن الحضانة ما هو في سن الرجولة ، لما ماتوا علينا هـٰؤلاء . . فقدنا الأخلاق ، وفقدنا السيرة الحسنة ، وفقدنا الهَدْي الحسن ، وفقدنا السمت الحسن ، وفقدنا الخلق الحسن ، وفقدنا هيئة الرجال التي إذا رُئِي صاحبها . . ذُكِر الله ، من حين ما تشوفه تقول : لا إلـٰه إلا الله .

فصرنا نحن كما قال الإمام الحداد :

نخبِّط لا ندري الطريق إلىٰ النَّجا وبالجَوْر نمحو سنة البر والعدل

يمشي الواحد مع نفسه ، كان واحد عندنا في (حضرموت) قال : يدخلون عندي كثير من الناس ، إذا جاء . . قال لي : هيا رَتِّبْ لولدي الفاتحة بايسافر . بغىٰ فين ؟

قال : بغىٰ (جدة) .

قال : قُدَّامه (مكة) ما يذكرها ، وقُدَّامه (المدينة) ما يذكرها! ذَلاَّ رتِّبْ له فاتحة ، بغىٰ (جدة) ، آه ذا العمىٰ ـ قال ـ اللي عمىٰ الله به الناس ؟ ريته يقول : بغىٰ (مكة) بلد الله . عمىٰ ظاهر معاد يحتاج إلىٰ شيءْ . السبب في ذلك : أن الناس فقدوا التربية ، وفقدوا هـٰؤلاء الرجال ، وفقدوا هـٰذه الأخلاق ، وبفقدهم فقدنا نحن السيرة ، أصبحنا أولاً كل واحد أمة لنفسه ، وكل واحد ما يعرف عن حال الثاني شيءْ ، ولا يعرف عن أمر أخيه شيءْ ، ولا يعرف عن الطريقة شيءْ ، ولا يعرف عن العهد

شيءْ ، ولا يعرف عن الحق شيءْ ، ولا يعرف عن الخُلُق شيءْ ، ولا يعرف عن العادة شيءْ ، ولا يعرف عن الأمر شيءْ .

يأتي إليه الغريب ـ ابن عمه والاًّ من بلده ـ فيسلم عليه ، أهلاً وسهلاً ، متىٰ جئت ؟

قال له : جئت البارحة .

كيف أهل (حضرموت) بخير ؟ ولا يعرف . يقول له : تفضل .

ارتفعت هٰذه كلها ، وهٰذا له سبب ، الخير موجود في طبائع الناس ، لٰكن آه السبب ؟

السبب هٰذا : أن الإنسان اتسع في العادات التي حاربها المهاجر وخرج إلىٰ ذلك الوادي المليح ، فأصبح الواحد الآن يمهِّد لنفسه من الفُرُش الأثيثة ما يطمئن إلىٰ أنه كأحد الأثرياء ، ويمهد لنفسه من المنازل الرفيعة ما يطمئن إلىٰ أنه إذا جلس كأنما جلس في عرش بلقيس ، ويمهد لزوجه من الأثاث ما لا يبالي به بالألوف ، وإذا جئت تسأله : يا فلان ، هل تدري أن فلاناً من جيرانك ، أو من أهل بيتك ، أو من قرابتك ، أو من رحمك هو في حاجة ؟ بايمكنك تعطينا له عشرين ريال ؟ إن استحىٰ منك . . أعطاك إياها علىٰ مضض وعلىٰ كُره . وإذا شافك . . قال في خاطره : عسىٰ ما يقول لي شيءْ مثل هٰذا الكلام .

السبب في هٰذا : أنها ثقلت عليكم لأنكم تبسطتوا ،

لا لأنكم ما فيكم خير ، أو لأنكم ما عندكم شي من الخير . الخير موجود ، ولـٰكن التبسط لي حاربه جَدُّكم ولي حارَبَتْه السيرة اتسع عليكم ، وصرتوا في أخلاق غير أخلاقكم ، وفي عادات غير عاداتكم ، وفي سيرة غير سيرتكم ، ثم فقدتم الكرامة ، تلك الكرامة هي كرامة العلم .

فيما قبل أربعة من الأسابيع جالسين نحن وبعض من الإخوان نذكر الاستنجاء بالحجر ، قال واحد : هـٰذا ما يتأتىٰ! ما يتأتىٰ ولا يكون ، ولا قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

قلنا له : يا وَدَّ الحلال ، شف هـٰذا الا الكتب الصغيرة .

قال : ما يدخل في العقل ، كيه الدين يدعو إلىٰ النظافة ؟

ويتكلم سيدي وهو يضحك علىٰ مثل هـٰؤلاء .

قلنا له : ذَلاًّ ما قريت في شيء من كتب الفقه أو الحديث . وبعد قلنا له : شي عندك كتاب « أبي شجاع » لي تقرون فيه ؟ قال : ماشي .

قلنا له : شي كتاب بافضل ؟

قال : ماشي .

آه عندك من الكتب ؟ قال : عندي « نيل المرام » لي شرحه السيد علوي المالكي .

قلنا له : هات « نيل المرام » مرحبا ، نَكَشْنا له « نيل المرام » حصَّل الاستنجاء . قال : ما هـٰذا ما كان ـ والله ـ علىٰ بالي .

آه البلاء ذا ؟ وآه الفكرة ذي ، ويرجع آه سببه ذا ؟

والإنسان يسَمَّىٰ آه إذا وصل إلىٰ هٰذا الحال ، والا إلىٰ هٰذه الدرجة ؟ هل يسمىٰ طالب علم ، أو يسمىٰ ذو دِين ، أو يسمىٰ ذو صلاة ؟

آه بانسميه ، ذا لي ما يَعرِف حتىٰ الاستنجاء بالحجر ؟

وهٰذا ما هو في واحد ، لو بحث الإنسان . . لوجده في كثير من الناس . كنت إلىٰ جانب واحد في (المدينة المنورة) واحد من أهل (حضرموت) إلىٰ جنبي ـ في المرة هٰذه الأخيرة قبل أمس أنا جئت من (المدينة) ـ يحرم بصلاة الجنازة وأسمعه أنا يقرأ : أصلي علىٰ هٰذا الميت الحاضر أربع تكبيرات فرض كفاية لله تعالىٰ ، الله أكبر ، الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً .

وأخذ سيدي يضحك أيضاً ، وتابع كلامه والضحك يقطع صوته قائلاً :

وبعد رفعت صوتي بالفاتحة ؛ لأجل ينتبه . وبعد ، لما سلم . . جئنا له بطريقة ثانية وقلنا له : سألتنا امرأة عن صلاة الجنازة ـ وهو الواقع ، سألتنا امرأة ـ وقالت : إني أصلي في الحرم علىٰ الجنازة ، ولاني دارية عن صلاة الجنازة .

قلنا لها : يقولون : أصلي علىٰ هٰذا الميت أربع تكبيرات فرض كفاية مأموماً ، لله تعالىٰ ، الله أكبر . ويقرؤون الفاتحة بس في التكبيرة الأولىٰ ، وفي التكبيرة الثانية الصلاة علىٰ النبي ،

الصلاة الإبراهيمية حق الصلاة ، وإن لا عرفتيها . قولي : اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد .

وفي التكبيرة الثالثة قولي : اللهم اغفر له وارحمه ـ وجبنا لها الدعاء ـ وإذا ما عرفتي هـٰذا الدعاء كله والا قولي : اللهم اغفر له وارحمه ، وكفىٰ . وبعد التكبيرة الرابعة السلام .

عرفت أن هـٰذا الرجل في علم الله ، ولـٰكنه أخذها بتعليم مني وانتبه منها ، ولـٰكن! ما قال لي : أنا شفنا ما أقرأ ولا أعرف ، ولـٰكِنَّا أنا سمعته بأذني ، معاد عندي شك أنه في علم الله ما يعرف صلاة الجنازة .

وهـٰذا كله شوفوها ـ كما ذكرنا لكم لما فقدنا المعلمين والمرشدين ، ووقع لنا أنها جاءت الهجرة ونحن في دور الشباب وفي دور السن المبكر ، قبل أن نجلس علىٰ شيوخ ، وقبل أن نقرأ علىٰ شيوخ ، فات نحن هـٰذا ، وفات نحن ما هو أكثر من هـٰذا بسبب الترف ، هـٰذا الذي يسير بالناس إلىٰ الانجراف . وشُوْا عادة الدنيا ـ يا إخواني ـ ما تدوم علىٰ حال ، أنا قد ذكرت لكم إِنَّا نشوف أكياس الشباب هاذيلا تظلي تدردش ، وسَهْل عليهم العشرة في اللهو ، ومِن وراهم ناس مستحقين ناسينهم ، وهي العشرة الريال بعشرين شلن بانفرح بها ، إنها حرمة ، وإنه رجل في (حضرموت) كلهم بايفرحون ، فالترف هـٰذا ـ شوفوه ـ دليل الانقلاب العكسي ، لا يعتقد الإنسان أن الدنيا تدوم علىٰ حال ، لأن الله قال : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ .

فعلام السَّرَف . . خرج من بلاده جائع لأجل اللقمة ؟ فإذا حصَّل اللقمة وحصَّل زايد منها . . صرف الزايد في ملاهي ! لا . . ينبغي للإنسان أن يرتب نفسه ويذكر عاداته في بلاده ، ويذكر الجوع الذي أصابه والذي أَدَّاه إلىٰ السفر هٰذا . شوفوا السابقين ، كانوا أهل ترتيب ، والا شوفوا النقمة هٰذي ، قالوا : دائماً مزاولة النعمة دائماً مرتبطة بها . إذا حافظ الإنسان علىٰ النعمة ـ قالوا ـ زادت ، وإذا ما حافظ الإنسان علىٰ النعمة . . انقلبت ، معاد في ذلك كلام .

ونحن ، شوفوا نحن نخشىٰ من الانقلاب دائما ، فأنتم قبل الصدقة وفِّروا لأنفسكم ، ولا تضيفون عادات جبتوها من بلادكم إلىٰ عادات تأخذونها من هٰذه البلاد ، عادات أهل هٰذه البلاد اتركوها لهم ، ما عليكم منها ، وعاداتكم انتو قوموا عليها ، وأقيموا علىٰ نفسكم سد من هٰذه العوائد الفاسدة . كفاكم شرفْ ، أهل بيت النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، كفاكم شرف ، فاطمة الزهراء سيدة نساء العالم وسيدة نساء الأمم كلها ، والتي لا تُفاخَر بمثلها ولا يُذكَر مثلها ولا تساوىٰ بامرأة ، سواء كانت أمها أو غير أمها . السيدة خديجة أفضل نساء رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ولٰكن مرتبتها أقل من فاطمة الزهراء .

وما كان لباس فاطمة ، وما كانت عادات فاطمة ؟ ثم ما كان لباس أهلكم السابقين ولباس من كان قبلكم ؟ ثم ما كان المأكل ؟

ذا الحين ، إذا وجد المأكل . . فلا بأس بالإنسان أن يكون فيه

علىٰ وسط . مأثور عن جدكم علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ أنه قال : ما أكل الإنسان أربعين يوماً من اللحم إلاَّ قسا قلبه . . مذكور في « الإحياء » هٰذا . رتبوا أنفسكم ترتيب تستفيدون منه الصدقة ، وترتيب تستفيدون منه رجوع العقل لي هرب علينا ولعاد نحن داريين فين .

كثير أنا ما أقول لكم : إن معروف باجرش ـ رحمه الله ـ جاء إلىٰ عندي مرة من المرات يعالق في مناسبة من مناسبات أهل البلاد هناك في (شبام) وبعد قال لي : حبيب عبد القادر .

قلنا له : مرحبا . وأنا جالس في البرزة وفي جمع كبير .

قال : ما العقل شُفُهْ معه إجازة هٰذه الأيام . فين بَتْ يا معروف ؟

قال : والله معاد نحن داريين . أخذ إجازة رَوَّح فيها ولا ندري راح قدين ، ذلك لأنه يرىٰ أهل (شبام) لا يزالون علىٰ أفضلية ، أهل (شبام) أمورهم كلها مرتبة ، ما شي يخرج عن العادات ، رتبها لهم أحمد بن عمر بن سميط ، وأخذوها واحدْ عن واحد . ولا يزال الخير في (شبام) والبركة في (شبام) وذلك بواسطة هٰؤلاء الرجال الصالحين . وكانوا كلهم أهل (شبام) أهل صلاح بواسطة الاتِّباع والانقياد والانصياع للدين ولإمثال أحمد بن عمر بن سميط .

جاء معروف يشتكي من قضية من القضايا في مناسبة زواج من

الزواجات ، وذا الحين نحن أصبحنا كل واحد يتبسط في أشياء ما لها نظر ولا لها قيمة ، ولا لها شي من مثل هٰذه العادات .

أول أمس حَدْ يقول لي من أولادنا وأصحابنا قال : جزمة اشتريتها لبنت بنتي ، بكم خذتها ؟

قال : بخمسين .

جزمة تَنْدُر بها البنيَّة إلىٰ الشارع تسقِّطها وانتهىٰ الأمر فيها ، هُوْذا كلام ؟! ذا راتبه ألف والاَّ ثمان مئة يبتْ في جزمات هٰكذا والا في سفالة ومسفالة!

رتبوا أنفسكم ، وذكِّروا نساءكم . شوا (حضرموت) إلا بلد قاحلة ، ما ذكر أفضليتها الإمام الحداد وغيره ؟ ذَلاَّ لما كانوا علىٰ منهج النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، وعلىٰ منهج النبوة ، كانوا إذا جلسوا حتىٰ لِقهوة البَسْط ـ كلكم عادكم أدركتوها ـ يقعدون يقرؤون في شي من كتب السيرة والأخلاق ، يذكِّرون به النساء فترق قلوبهن ويتأثرن . وذا الحين ، إذا جاء الواحد قالت له حرمته : شفني اليوم أخذت لي ثوب بمئة والا بمئتين. . قال : حاضر ذي الفلوس .

كيه حاضر ؟ انته أخس منها في العقل ، لا بد من شي ترتيب . ليه يا مثل هٰذه الحالة والإنسان يفكِّر ، له مرض يأتيه ، له عمر ـ يقولون ـ له أقارب ، له رحم ، له صلة ، له عادات كان يمشي عليها مَن قبله ، له بلد يرجع إليها . ذا الحين ، ذي البلد

كل يوم يطاردون خلق الله ، ساعة يقولون : ما حصَّلوا إقامة ، وكل عُود يرجع إلىٰ محله .

انتبهوا يا إخواني ، أنا ـ شفونا ـ بغيت كل واحد منكم يلقِي له ترتيب في دخله هٰذا ، القليل أو الكثير ، يترك للتوفير منه شيءْ . ثم الإسرافات هٰذه في النساء ، ادعوهن ، علموهن ، أرشدوهن . ولا يكون هكذا كل واحد يترك حرمته كأنها حاكمة عليه!

ما بدا قرأتوا وصية أبوكم علي بن أبي طالب ، كتبها للحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ؟ وصية من غُرر الوصايا ، إن شاء الله سالم يجيبها لكم هي في « نهج البلاغة » هتها لهم في الأسبوع القادم ، اقرأها عليهم ، أولها :

من الوالد الفان المُقِر للزمان ، المُدْبِر العمر المستسلم للدهر . . . إلىٰ آخرها .

بعد يقول في آخرها : ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز قَدْرها فإن المرأة ليست بقهرمانة ، وإنما هي ريحانة .

وفيها كذلك يقول : وإياك ومشاورتهن . . إلىٰ آخر الوصية هٰذه العظيمة التي سيقرؤها لكم سالم .

وذا كلام علي بن أبي طالب ، والنساء لي حضرن هٰذه الوصية عاصرن رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، كلهن صالحات ، وكلهن تقيات مؤمنات عابدات . فإياكم ـ يا إخواني ـ

أن يضيع الغارب عليكم ، أو يضيع الحبل عليكم ، أو تنخرط عليكم الحبات حبة وراء حبة ، وأمر وراء أمر حتىٰ يتخارط عليكم العدد وتضيعون .

شفوها ، ذا الحين يقيس الإنسان بمن قبله ، إذا قايَس الإنسان الهجرة بالهجرة . . وجد الهجرة حقنا تافهة وكانت إلىٰ أشرف موضع ، ووجد الهجرة حق المتقدمين شريفة وكانت إلىٰ مواضع أخرىٰ .

الله يأخذ بيدنا ويدكم إلىٰ ما فيه الخير ، وإلىٰ ما فيه الصلاح ، وإلىٰ ما فيه الرشد . ويعطينا عقولْ ـ إن شاء الله ـ صالحة نتقي بها ـ إن شاء الله ـ أمر هٰذه العواقب وخطرها ، ونترفع بها إلىٰ ما كان عليه سيد السادات ، وما كان عليه السلف القادات ، وما كان عليه مَن قبلنا من خيار البريات . يعمرنا كما ما عمرهم ، ويعطينا ـ إن شاء الله ـ إدراكْ كما ما أعطاهم ، ويعطينا إحساسْ كما ما أعطاهم ، ويعطينا انصياعْ للدين كما ما أعطاهم ، ويعطينا اهتمامْ بأمر الأخلاق كما ما أعطاهم ، واهتمامْ بأمر الدين كما ما أعطاهم ، وإرشادْ إلىٰ ما كانوا عليه كما كانوا في خير ولطف وعافية . وإلىٰ حضرة النبي محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

* * *

كلام نفيس عن الحبيب حسن بن صالح البحر (١١٩١/ ١٢٧٣هـ) والحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس المتوفىٰ بحريضة ١٠٧٢ وتلاميذ الحبيب عمر بن سقاف والسادة آل بن سميط

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة القيمة في روحة الجمعة ، الرابع والعشرين من شهر صفر من عام خمسة وتسعين وثلاث مئة وألف (١٣٩٥هـ) للهجرة ، بمنزل أخينا طٰه بن محمد بن طٰه السقاف بـ(جدة) .

وكالعادة بُدئت الروحة بقراءة في الفقه ، ثم أنشد أحد الحاضرين قصيدة للحبيب حسن بن صالح البحر ، بعدها تكلم حبيبنا بهٰذه الكلمة ، وبدأها بصورة مصغرة عن حياة الحبيب حسن بن صالح البحر وكيف نشأ إلىٰ أن بلغ حاله المعروف ، ثم استرسل كالعادة في التوجيه والإرشاد .

نفعنا الله بهٰذا الكلام ، ونفع كل مستمع وقارىء له ، آمين .

قال سيدي ـ حفظه الله ـ :

هٰذا الحبيب توفي والده وهو صغير ، ولما كان وادي (حضرموت) كانت فيه التربية الأولىٰ تربية العلم ، وكان العمل عند أهل الإسلام قديماً وحديثاً حتىٰ هٰذا العصر ، كانت التربية كلها أولاً تربية العلم ، ما جاءنا التأخر إلا في هٰذا العصر .

هٰذا الحبيب توفي والده وهو صغير ، وتزوجت أمه أحد السادة آل الجفري ، فربىٰ الحبيب تربية حسنة واعتنىٰ بتربيته ، ولما تأهل لقراءة القرآن . . طرحه عند الشيخ عبد الله بن سعد بن

سُمَير[1] يقرّيه القرآن ، ولما خَتَم القرآن ـ كان الشيخ عبد الله بن سعد من تلاميذ الحبيب عمر بن سقاف ، وكان الشيخ عبد الله من أهل العلم ، وكان كما قلنا لكم : ما خُلِقَ الإنسان إلا للعلم ، ولا شُرِّف الإنسان برسالة محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم إلا بالعلم ، كلهم قديماً وحديثاً شريف ومشروف شُغْلُهم أولاً بالعلم ، وبعد العلم كل واحد يكدح علىٰ نفسه ويخرج يترزق الله ، فيهم من يحرث ، وفيهم من يتجر ، وفيهم من يهاجر ، وفيهم من يجلس في بلاده لعمل من الأعمال ، لـٰكن العلم هو المقدَّم ، النواة الأولىٰ التي تُغرَس في صدر الولد هي العلم ـ انتهىٰ به القرآن ، فقال له : يا ولدي ، بانروح بك إلىٰ عند الحبيب عمر بن سقاف .

قال له : يا خير .

راح به إلىٰ عند الحبيب عمر بن سقاف ، وأمره بقراءة رسالة الحبيب أحمد بن زين ، شيخ المتأخرين علىٰ الإطلاق . والرسالة هـٰذه أجمعوا علىٰ أنه لا يبتدىء طالب في شي من كتب الدين والعلم إلا أَوّلاً برسالة الحبيب أحمد بن زين ؛ لبركتها وبركة الحبيب والأخذ عن الحبيب . فأمره بالقرءاة فيها ، فقرأ الرسالة حتىٰ ختمها ، ولما ختمها كان يأتي في كل أسبوع إلىٰ الحبيب عمر بن سقاف من (ذي أصبح) من مكانه فوق (ذي أصبح) مكانه عاده إلىٰ قرب (الحوطة) أقرب من (ذي أصبح) يأتي في كل أسبوع ، فلما ختم الرسالة . . قال له الشيخ عبد الله

---

(١) (١١٨٥ـ١٢٦٢ هـ) .

هـٰذا حقه : بانروح اليوم ولا تأخذ كتابك ؛ لأن من عادة المريد أن لا يقرأ إلا حسب أمر الشيخ ، بانسأل الحبيب عمر بغاك تقرأ في أي كتاب .

قال له الحبيب حسن : لا ، أنا باشِلّ « المنهاج » بغيت با إقرأ في « المنهاج » .

قال له : « المنهاج » كبير عليك! ومن الرسالة الأولية إلىٰ « المنهاج » ، « المنهاج » كبير عليك ، ولا بد أنك تقرأ في كتاب صغير أولاً قبل « المنهاج » حتىٰ تصل إلىٰ قراءة « المنهاج » .

قال : لا ، أنا باقرأ في « المنهاج » . وألح وقال له : إذا بغيتنا أسرح إلىٰ عند الحبيب عمر . . شفنا باشِلّ « المنهاج » .

لما رأىٰ الشيخ عبد الله شدة عزمه وتصميمه علىٰ أنه ما يذهب إلا بكتاب « المنهاج » . . قال له : احمل « المنهاج » إذا أشار عليك الشيخ بالقراءة فيه . . اقرأ فيه .

حمل « المنهاج » و دخل إلىٰ عند الحبيب عمر بن سقاف في زاويته هـٰذه في (السوم) فلما دخل عليه . . كاشفه الحبيب عمر بن سقاف وقال له : عساك جبت « المنهاج » يا حسن ؟ وهو عاده إلا ولد صغير .

قال له : نعم! جبت « المنهاج » .

قال الشيخ عبد الله : الحقيقة أن الولد مَرْعِي ، وأنا ما لي أتعرض في مثل هـٰؤلاء المرعيين .

والرعاية كثير من الناس يعتقد أنها تأتي بدون سابقه ، الرعاية - قالوا - كل شي ما يجي بالاستنزال ، فإذا حصلت التربية الصحيحة الكاملة - قالوا - هي دليل التوفيق ، وهي سبيل الرعاية ، انتقش بواسطة الرعاية هٰذي الأمر المطلوب ، والسلوك الحسن علىٰ المنهج المحمود .

قال الحبيب حسن البحر : نعم جبت « المنهاج » .

قال له : اجلس اقرأ انته أوَّل القُرَّاء . فجلس يقرأ في خطبة « المنهاج » والحبيب عمر يتكلم في خطبة « المنهاج » حتىٰ فرغ الوقت ، قال لهم الحبيب عمر بن سقاف : اليوم تكفيكم قراءة حسن بن صالح ، وعليها . وانتهىٰ المَدْرَس .

والحبيب حسن دَرَس علىٰ الحبيب عمر ، وتعلق بالحبيب عمر ، وسلك مسلك مَن قبله مثل الحبيب عمر ، أخذ في العبادة ، وأخذ في التربية التي ذكرت لكم أنا أن الإنسان خُلِق لهٰذا ، والدنيا الطريق لها إلا بعد ؛ لأن الإنسان إذا سعىٰ لدنيا بدون علم - قالوا - كانت وبالاً عليه . ولهٰذا ذا الحين نحن نتهم كثيرْ من أهل الدنيا ، نشوفهم ربما أنه ما يصلي جماعة ؛ ذلك لأنه مشغول بالدنيا ولا يعرف ، ربما لا يؤدي حق الله كاملْ ؛ ذلك لأنه مشغول بالدنيا ولا يعرف ، ربما لا يحضر مجلس من مجالس العلم ؛ ذلك لأنه مشغول بالدنيا ولا يعرف ، ربما لا يؤدي حقاً واجباً لجاره أو لرحمه أو لقريبه ؛ ذلك لأنه مشغول

بالدنيا . فالدنيا يجعلونها السابقون الطريق الثاني ، والطريق الأول التربية الحَقَّة والعلم .

تربىٰ الحبيب حسن بن صالح علىٰ هٰذا بواسطة أمه وزوجها هٰذا ، وصار الحبيب من كبار العلماء ، والولاية تبع للعلم . كثير من الناس إذا جاء قال : فلان ولي . . قالوا : نَعَم . . الولاية تبع للعلم . شفوها ، ما شي ولاية إلا بالعلم ؛ لأن طريق عبادة الله طريقها العلم .

ووصل الحبيب حسن بن صالح البحر إلىٰ رتبة من كبار الرتب حتىٰ أصبح . قالوا ـ : إنه من كثرة استهتاره بالعبادة والعلم أصبحت له ثلاث ميزات :

أولاً : زهده في الدنيا واطِّراحه لها جانبْ . جاء ذات مرة من المرات وكان يخدمونه : محبه عمر شماخ ، وعبد القادر بن عمر السقاف جد عبد القادر بن هود ، وآل عمي هود بن طٰه ، وعبد الرحمٰن ابن عمر جده لأمه ، وكان الحبيب لا يريد أن يستأثر بمِلْك قط أبداً ، وكان فيض الله عليه متواصل في كل وقت ، فأُرْسِلَتْ له مئتين ريال ، المئتين الريال في ذلك الوقت كبيرة ، أكثر من مئتي ألف بالنسبة للزمان ذا ـ فاتفق الحبيب عبد القادر بن عمر مع عمر شماخ علىٰ أنهم لا يخبرون الحبيب ؛ لأن الحبيب كل ما يدخل شي عليه من الدنيا . . يتصدق به ويضيِّف به ويعطي من جاء إلىٰ عنده .

واتفق الاثنان علىٰ أنهم يشترون له بها مال يتأثله ويتخرفه ، ووافقوا علىٰ هٰذا ، اشتروا المال بالفعل ولا أخبروا الحبيب ،

فلما جاء وقت الخريف . . جابوا له خريف ، قال لهم : هُوْمِن ذا جاب لنا خريف اليوم ؟

قالوا له : هـٰذا إلا من مالك .

قال لهم : مالي أنا ! !

قالوا له : نعم .

قال لهم : ومن أين أنا لي المال ؟

قالوا له : فلان ابن فلان أرسل لك مئتين ريال ، وأن نحن اشترينا لك بها المكان الفلاني .

قال : هو صدقة للمسجد ، أنا ما أريد أملك شيءْ قط أبداً ؛ لأن العبد لا يملك مع سيده شيءْ .

لـٰكن هـٰذا الحال وهـٰذا المقام أوصل الحبيب إلىٰ رتبة الاستنزال الإلـٰهي ، كانت تفيض عليه العلوم من حضرة ربه ويأتي بغريب العلوم .

ومن غريب العلوم : أن واحد جاء إليه شكا ـ ذا الحين أنا باعرض هـٰذه الحكاية عليكم وباسكت لكم هنيهة عسىٰ واحد منكم يجي علىٰ جواب مثل جواب الحبيب حسن ـ شكا إليه الحبيب عقيل بن حسن الجفري ، قال له : أنا يعتلجنا دائماً ضيق في صدري وانقباض شديد ، فما دواه يا حسن ؟

وهو في رتبته ، حد منكم بايجي علىٰ جواب مثل جواب الحبيب حسن ، شفو انتو كيف الإلهام القوي هـٰذا والأخذ الكبير .

قال له : يا عقيل!

قال له : لبيك .

قال له : لا تذكر صفاتك إذا اعتراك الضيق هـٰذا ، اذكر صفات الله : الرحمة ، الكرم ، الشفقة ، الحنان ، العطف . . هـٰذه الصفات تقتضي أن ينبسط الإنسان معها .

هـٰذا ـ شفوه ـ هو العلم اللدني والاستنزال الحقي .

وكان يقول الحبيب علي الحبشي ـ رحم الله الحبيب عقيل والحبيب حسن بن صالح ، العَلَمين الكبيرين ـ قال إن الحبيب حسن سار إلىٰ (دوعن) ولما سار إلىٰ (دوعن) سار في ذلك الوقت وقد اشتهر الحبيب ، تسامعوا الناس بصيته وبدعوته وبأخباره ، فحضر زيارة (قيدون) ـ زيارة عظيمة يجتمع لها الناس من شتىٰ الأماكن ـ فلما حضرها . . قام يتكلم في آخر الناس ، فأبهر الناس في كلامه ، قلب حي ولسان واسعة ـ يعني أنها منطلقة في الكلام الجم والعلم الجم ـ فاغتبط الناس به .

وممن اغتبط به : الحبيب أحمد المحضار[1] ، أبو الحبيب مصطفىٰ هـٰذا . فقام إلىٰ عنده وأقبل عليه وسلم عليه ، وقال له : من أنت يا أخي ؟

قال له : أنا حسن بن صالح البحر .

قال له : البُغْية المنشودة ، نسمع بك ولا بَدَا اتفقنا بك ، الحمد لله .

---

(١) (١٢١٧ـ١٣٠٤هـ) .

وطلب منه أن يَلْزَمه في رحلته هـٰذي ، فلزمه في رحلته هـٰذي وسار معه . قال : وفي ليلة من الليالي عزمه الحبيب عمر بن أبو بكر الجفري خال عمي حامد البار ـ من كبار الأولياء هـٰذا كذلك ـ قال : حضر الحبيب أحمد المحضار معه ، ولما حضر الحبيب كان الحبيب يستنزل من علومه الإلـٰهية هـٰذه ، يسأله كثيرْ فيجيبه جوابْ كبيرْ ، قال له : حبيب حسن .

قال له : لبيك .

قال له : آه تحفظون في قول الله تعالىٰ : ﴿لتنذر من كان حياً﴾ أو : ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ علىٰ القراءة الثانية .

هـٰذه الآية كلكم تقرؤونها ، كلكم تحفظونها ، ولـٰكنكم ما تدركون لها معنىٰ . آه معنىٰ الحياة في هـٰذه الآية ؟ وأما أهل البرزخ حَدْ ينذرهم ؟ حَدْ بَدَا إندر إلىٰ (حَوّاء)[1] وإلاَّ إلىٰ (الأسد) وبَيَّت يذاكرهم ؟ ما أحد بدا جاء إليهم . لـٰكن هـٰذه الآية فيها دلالة علىٰ الحياة الحقيقة ، خذوا انتوا من أحمد المحضار ، هـٰذا لي يدرك القرآن ويتفهم القرآن .

قالوا : إن الحبيب هـٰذا سأله وهم بعد صلاة العشاء ، عادهم لبعاد امتلوا من مجلسهم ، قال : فأخذ الحبيب يفيض من العلوم

---

(١) (مقبرة حوّاء) مقبرة معروفة بجدة وكذلك (مقبرة الأسد) أيضاً .

علىٰ هـٰذه الآية فقط . والسادة آل الجفري كلما دخلوا شَرْفوا بايقدِّمون عشاهم . . حصَّلوهم جالسين في صف الصلاة ، والحبيب في إمامته وفي محرابه ويتكلم علىٰ الآية هـٰذه ، كلما شَرْفَوا أولاد الحبيب عمر بن بو بكر حصَّلوهم في بحوثهم ، ولا قدروا يجابهوهم ويقولون لهم : العشاء مطروح ، أخذتهم هيبة الحبيب وهيبة العلم ، قال : حتىٰ طلع الفجر وأذن المؤذن في جامع الخريبة وهـٰذا يفيض من المعالي .

قال : لما طلع الفجر . . استوقفه الحبيب أحمد المحضار . قال له الحبيب : يا حسن .

قال له : لبيك .

قال له : أذن الفجر وذيلا بايدَخّلون عشاهم ، بانصلي الفجر وبيجيبون عشاهم .

قال له : أحسن .

وقف الحبيب عن الكلام ، فقاموا وصَلَّوا الفجر وقدموا الحبايب عشاهم .

إفطار بعد الفجر ! وهـٰذا يعطي صورتين :

الصورة الأولىٰ : علىٰ أن القرآن إذا تعقله الإنسان . . أدرك منه الحقيقة المقصودة ، وإذا لم يتعقله . . عبر عليه فلم يدركه .

ذا الحين ، أنا وانتو نقرأ هـٰذه الآية ولا نلقي بالنا لقوله تعالىٰ : ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا ﴾ .

والحبيب حسن كان يفيض من العلوم الإلـٰهية هـٰذي الذي حكىٰ الله سبحانه وتعالىٰ عنهم ، وقال فيهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ وقال : ﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ وقال : ﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ .

هـٰذي : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ للأمة ، ما هي للنبي ولا للخاصة . ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ هـٰذا العِلْم الثاني ، وهـٰذا لا يؤتاه إلا صادق السريرة .

بات الحبيب حسن يملي علىٰ مثل هـٰذا الحال ، واغتبط به الحبيب أحمد المحضار واتصل به ، وكان شيخ الوادي المهاب ، ما حد يعترضه في كلام ، لا سلطان ولا شيطان ، ولا ذو إمرة ولا ذو ولاية ، إذا قال حسن بن صالح البحر كلمة . . كانت كلمته هي المسموعة وهي المطاعة .

والحبيب حسن كان يستأنس بالصلاة التي جُعلت قرة عين النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، قالوا : إنه كان يقوم من الليل فيقرأ في ركعة تسعين ألف من ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وختمة في الركعة الثانية . هـٰذا كله من الاستئناس واللذة ، وإلا . . ما حد يُتعب نفسه . ذا الحين ، نحن لو قمنا عشر دقائق . . أثقَلَنا التعب وجلسنا من التعب ، لـٰكن الإنسان إذا أنس وذاق لذة الصلاة التي جُعلت قرة عين النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، وعرف سر الصلاة . . ارتاح .

ذا الحين كثير من الناس يعتقد أن فرضية الصلاة أمر من الله لله ، وهي أمر من الله لترويض الروح والقلب من الإنسان ؛ لأن الإنسان تأخذه شهواته البهيمية وسبعيته إلىٰ ما لا ينبغي ، فجعلت الصلاة هٰذه ترويض وتربيض له ، حتىٰ يدرك أنه ما خلق ليكون سَبُعاً ، ولا خلق ليكون شهوانياً ، ولا خلق ليكون له أثرة علىٰ الناس في الأشياء الأخرىٰ ، بل خلق لسر أراده الله له ، وليكون خليفة عن الله سبحانه وتعالىٰ . ولا تكون الخلافة ـ قالوا ـ إلا إذا أدرك الإنسان المقصود منها ، وأدرك الصلة فيما بينه وبين ربه .

لهٰذه الصلة نرجع إلىٰ ما قبل الحبيب حسن ؛ لأن الكلام علىٰ الحبيب حسن لا ينتهي ، لٰكن فيما قبل الحبيب حسن كثير ما أذكِّركم أنا أن أهلكم كلهم وشيوخهم ورجالكم اعتنقوا هٰذا الدين وجعلوه حقهم ، وكان من اعتناقهم لهٰذا الدين أن قدموه علىٰ كل شي : قدموه علىٰ الأهل ، وقدموه علىٰ النفس ، وقدموه علىٰ المال ، وقدموه علىٰ الولد . ذلك لأنه دعوة ربانية سماوية يُشرَّف بها العبد ، حينما يدعو . . يكون نائبْ عن ربه ، ويكون نائبْ عن نبيه صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، يتشرف ويسمو ، ويرتفع إلىٰ رتبة ، ما هي رتبته هٰذه التي هو بصددها ، أو التي يعتقد أنه خلق لشهوة أو لِلَذة أو لأكل أو لشي منها هٰذه ، لا ما خلق لهٰذا .

كان من هٰذا الشأن ، كثير ما أذكر لكم الحبيب عمر بن

عبد الرحمـٰن العطاس ، وكثير ما أذكر لكم السادة آل سميط : محمد بن زين بن سميط ، وعمر بن زين بن سميط ، وأخوهم الأصغر علي بن زين بن سميط .

أما الحبيب عمر العطاس هـٰذا رباه الحبيب حسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم وأحسن تربيته ، وقال له : أتدري يا عمر لماذا خُلِقت ؟

قال له : لا ، علِّمني .

قال له : لتكون نائباً عن أبيك محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، هـٰذا خلقت له .

قال له : طيِّب .

قال : والنيابة تقتضي الدعوة ؛ لأنه صلىٰ الله عليه وآله وسلم كان داعياً وكان معلماً .

قال له : أَشِر علَيَّ بالذي تريده .

قال له : أشير عليك أن ترحل إلىٰ (حريضة) و(وادي عمد) فتعلَّم .

وكان الحبيب عمر كفيف البصر ، وكان ضعيف الجسم ضعيف البنية ، وكان فقيراً ما عنده من المال شيْ قط أبداً ، أشار عليه شيخه الحبيب حسين بالرحيل ، فاعتنق الأمر وأخذه بجد ، راح واستدعىٰ واحدْ كان يعينه ويخدمه ، وقال له : شِدّ لنا الدابة حقنا . معه دابة رَثَّة ، فركبها ومشىٰ في طريقه .

قال الحبيب علي بن حسن صاحب القرطاس في ترجمته : إنها ظمئت الدابة ، والماء في الأودية هاذيك صعب ، فوصلوا إلىٰ عند بئر كانوا أهلها ينزحون ، والماء علىٰ خمسين قامة وأكثر ، قال لهم الخدام : اسقوا الدابة يا خلق الله . . طُرْحُوا لها دلو . كبر عليهم الأمر ؛ لأنهم تعبانين مساكين ، قالوا له : اسق الدابة قدَّامك ، وإلا . . اصبر .

أعاد عليهم الكلام ، هاذيلا كُذْ نفوسهم ضائقة من التعب والنزيح لي هم فيه ، جاء واحد منهم بالقدوم لي معه ، وهَشَمْ أنف الدابة ، سمع الحبيب عمر ـ لأنه ما يشوف ، مسكين ـ قال لخادمه : آه ذا ؟

قال له : واحد هشم أنف الدابة ، والدابة شف إثْمُها[1] دم يَذْلَح .

قال له : امش بنا يا ولدي ، لا كلام ولا عتاب ، ولا شي قط أبداً .

قال له : امش بنا .

هـٰكذا أخلاق النبوة والرجولة الكاملة . مَشَوا حتىٰ وصلوا إلىٰ بئر ثانية بعد مدة من الزمن وطلبوا أن يسقون الدابة ، فسقوها هاذيلا الثانيين .

وصلوا (حريضة) علىٰ ثلاثة أيام ، فنزلوا تحت بيت ، خرجت امرأة ـ أسعدها الله هـٰذه المرأة ـ وقالت لهم : آه شأنكم ؟

---

(١) أي : فمها ينزف دم .

لأن أهل البادية هاذيلا الضيافة عندهم حقهم .

قالوا لها : نحن جئنا وبغينا إلىٰ (حريضة) - وهم في (حريضة) وصلوا لها - قالت لهم : آه معكم في (حريضة) ؟

قالوا لها : نحن بانعلم وباندعي أهلها .

قالت لهم : يا خير ، والليلة عشاكم عندي ، ومبياتكم عندي .

قال الحبيب : يا خير . وقال للخدام : أَنَا إصِّلنا إلىٰ المسجد . والمسجد ينسب إلىٰ الشيخ عبد القادر الجيلاني ؛ لأن الجيلاني كثروا أتباعه وخرجوا دعاة - علىٰ مثل ما ذكرنا لكم - في كل مكان ، وفي أماكن بعيدة ، وكلما وصلوا إلىٰ مكان . . بنوا مسجدْ أو أشاروا ببناء مسجد ونسبوه للجيلاني ، شيخهم الذي فتح لهم الباب .

طلع الخادم بالحبيب إلىٰ المسجد ورجع عند الدابة حقه ، والحبيب ابتدأ يعلِّم لي في المسجد الصلاة والقراءة والفاتحة ، ورجع إلىٰ بيت المرأة فقدمت لهم العشاء - خُبز من الذرة من الموسم حقهم - وعَشَّت الدابة حقهم ، وبَيَّتَت تسمر هي وإياهم ، وبعد اغتبطت بالحبيب . وهـٰذه المرأة أَيِّم - وقالت له : انته علىٰ نية جلوس ؟

قال : علىٰ نية جلوس .

وقالت : علىٰ نية زواج ؟

فقال لها : معلوم ، إذا جلست أحتاج إلىٰ امرأة .

قالت : أَنِي باخطبك لنفسي ولا بغيت منك شيءْ ، توفي زوجي من منذ سنة أو سنتين ، وتوفي والدي وتوفيت أمي ، ولا لي إلا ابن عم ، وهـٰذا البيت عندي والشروج هـٰذه لي تَرُدّ لي القصب وتَرُدّ لي الطعام ، فإن أردت أن تكون زوجي انته . . فعلىٰ بركة الله .

قال لها الحبيب : أنا ما معي شي .

قالت له : معي أَنِي قليل حُلِي باعطيك إياه ، إذا خطبتني من ابن عمي . . تقول له : هـٰذا الحلي جهِّزها به .

قال لها : كذلك الأمر .

جاء ابن عمها في اليوم الثاني يرحب بالحبيب علىٰ عادة البادية ، فقال له : إنني أريد أن أتقرب إلىٰ الحرمة ذي لي أضافت نحن وأخذت بخاطرنا .

قال له : باشاورها ، فإذا رغبت فيك . . ما عندي مانع . قام شاورها ، قالت له : راغبة فيه .

فقال له : وافقت ورغبت فيك ، وعَادَتْنا الجهاز كذا وكذا .

قال له : ما أنا معي شيء ، معي هـٰذه الفضة ، إذا لها رغبة فيها . . هـٰذا جهازها مني .

قال له : بانشاورها . قام وقال لها : السيد شَيْبة ، ما معه شي ، معه قليل فضة .

قالت له : ورغِبْت فيه ، هات الفضة .

تزوج الحبيب بها وسعدت به وأولادها أكثر أولاده ، انتسبت إلىٰ أهل البيت الطاهر ، ودخلت في عداد عمر بن عبد الرحمـٰن العطاس ، وخدمت الحبيب ، وكانت الغَيرة فيها ولما رأت العبادة والولاية فيه ظاهرة . . قلَّت الغَيرة ، وقالت له : إن حد عندك ، أولاد أو عائلة أو أهل . . باتجيبهم إلىٰ عندي ، شفنا في خير من الطعام حقنا .

قال لها : عندي أبوي وأهلي .

قالت له : اِنْدُرْ هَتْهُم . خرج الحبيب وجابهم .

وتوفي والده بعد نص شهر ودفنه في (حريضة) ودعا إلىٰ الله وعلَّم في الوادي كله حتىٰ انتفع به (وادي عمد) و(وادي دوعن) وصار عمر العطاس نبراسْ وعلمْ يستضاء به ، وخليفة من كُمَّل الخلفاء عن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، واستأثر بالمظهر الكبير هـٰذا ، لا مظهر المال ؛ لأن مظهر المال ذا الحين إذا مات واحد من أهل الأموال . . عاد حد يذكره بعد موته ؟ انتهىٰ الأمر ، لـٰكن مظهر العلم باقي .

رجعنا من الحبيب هـٰذا كبير الشأن إلىٰ آل سميط الذين ذكرناهم لكم . كانوا في تريم ـ وكان شيخهم الإمام الحداد ـ وشيخهم الثاني أحمد بن زين الحبشي ـ الإمام الحداد كان بـ(شبام) كلهم معتنين بالدعوة ـ أنا شفونا ما أذكر لكم هـٰذه

الحكاية كقصة يسمعها الإنسان ويتأثر بها ، أذكر لكم بغيت كل واحد نفسه تسمو حتىٰ يكون هو خليفة ما هو بَعيد لَهُ ، وحتىٰ يقوم بواجب الدعوة إلىٰ الله عن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ الإمام الحداد هٰذا الكبير الشأن كان معتني بأهل (شبام) فاستدعىٰ هٰؤلاء الولدين الصغيرين وقال لهم : إن نحن بانرسلكم إلىٰ عند الولد أحمد بن زين ، بغيتكم تعلّمون في (شبام) .

قالوا له : تحت أمرك وإشارتك .

أرسَلَهم إلىٰ عند الحبيب أحمد بن زين ومعهم مكتوب ، جاؤوا إلىٰ عند الحبيب أحمد بن زين وهم فقراء ـ كما ذكرنا لكم ، الشأن إلا العلم عند السابقين ـ فجاؤوا له بالمكتوب ، فقال لهم : بارك الله فيكم ورُزِقتوا سعادتين :

سعادة امتثال أمر الشيخ الكبير هٰذا ورعايته ، والعلم والأمر والدعوة بواسطته .

ورعاية أنكم باتقومون بدعوة جهة كاملة ما هو إلا بدعوة بلد واحدة ؛ لأن (شبام) تعتبر أم للجهة القبلية يجون إليها مِن قِبْلة ، ومن نواحيها تأتي القوافل إليها .

طلع بهم الحبيب إلىٰ (شبام) وأجلسهم في مسجد بن أحمد ـ مسجد قديم ـ وقال لهم : شوا المسجد ذا اجلسوا فيه ـ وكانت في المسجد خزانة ، ما هي زاوية ، أما الزاوية هٰذه بناها الحبيب أحمد بن زين لهم ووسعها ـ قال لهم : اجلسوا في هٰذه الخزانة

حتىٰ يفتح الله عليكم ، ولا تذكرون الحاجة لأهل البلاد قط أبداً ، إذا دخل عليكم الليل . . حركوا المنحاز حقكم وأشعلوا النار حتىٰ ما معكم عشاء ؛ لأجل لا يعتقدون أنكم فقراء وأنكم محتاجين إليهم ؛ فإن المحتاج ذليل دائماً ما يُنتفَع به .

قالوا له : يا خير . طلعوا للدعوة هذيلا الأراكين ، ودعوا إلىٰ الله وأخذوا يعلِّمون . وكان الحبيب أحمد بن زين يطلع إلىٰ (شبام) يتردد لأجل تقويتهم ولأجل يعضدهم ، وكانوا هم يخرجون يقرؤون علىٰ الحبيب أحمد بن زين في الحوطة دائماً ، ثم بنىٰ لهم الزاوية ؛ لأن الحبيب أحمد بن زين علىٰ التجريد ما معه شي كذلك ، ولٰكنه شَيْءْ فَشَيْءْ ، شَيْءْ فَشَيْءْ حتىٰ بنىٰ لهم الزاوية هـٰذه . انتشرت دعوتهم وأظهرهم الله ظهورْ غطىٰ علىٰ غيرهم في (شبام) عدد كثير من السادة :

فيها آل مَرْزَق ، فيها غيرهم من السادة آل الجفري ، فيها غيرهم كذلك من السادة آل الحبشي . . . ولٰكن هـٰؤلاء الرجلين بعلمهم وعملهم ورعاية عبد الله حداد وأحمد بن زين لهم أظهرهم الله حتىٰ صار النفوذ والسلطان في (شبام) لهم ، وصارت البلاد بلدهم ، وصاروا الناس كلهم تحت رعايتهم ، معاد مرت عليهم سنوات إلا وقد القلوب والناس ملتفين حولهم بالقلوب وبالأموال ، ومشوا في الدعوة وتسلسلت الدعوة .

أَظهَرُ مَن تسمعون به بعد محمد بن زين وعمر بن زين هو : أحمد بن عمر بن زين بن سميط .

جاء بعد محمد بن زين . . عبد الرحمـٰن ، كان عالِمْ كبيرْ داعية . وجاء بعد عبد الرحمـٰن . . علي بن عبد الرحمـٰن ولده ـ وكان الناس يَدْ واحدة متعاضدين ـ هـٰذا علي بن عبد الرحمـٰن ارتكبته ديون فجاء إلىٰ عند الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر وطلب منه الإذن في السفر ـ وكانوا كلهم يد واحدة كما قلنا لكم ـ فقال له : يا ولدي ، ما يصلح تسافر انته ، إذا سافرت . . ماتت (شبام) ، انته عين (شبام) .

قال له : علَيَّ دين ست مئة ريال ، مضطر للسفر .

سكت الحبيب عبد الله ، ولـٰكن الحبيب عبد الله ممن أحكم أمر الدين وأمر الدنيا ، فاستدعىٰ ولده علويْ ، وكان علوي سافر إلىٰ (جاوه) وجاب له قليل من الثروة ، وكان الحبيب عبد الله هو نفسه مُلْقِيْ حِراثة ، وملقي صبانة ـ الصبانة الحياكة ـ جاء عنده ذات مرة من المرات الحبيب محسن بن علوي الإمام الكبير الشأن . والصَّبَّان ظل يدق علىٰ حق الدّاوفة ، فلما كان بعد الظهر اعتذر بايخرج وبايودعه .

قال له : يا محسن .

قال له : لبيك .

قال له : غير ما شَوَّشَت عليك هـٰذه الدوافة ، ظَلَّ ذا طول النهار يترح عليها .

قال له : لا يا حبيب عبد الله ، الدفة ولا التشوف إلىٰ الوجوه الصِلفة .

كان رجلْ دين ودنيا ، طَرَّب علىٰ ولده علوي وقال له : علوي .

قال له : لبيك .

قال له : عَلِيْ هٰذا عين (شبام) وإذا سافر من (شبام) عورت (شبام) وعليه دين ست مئة ، ذا الحين بيني وبينك شركة ، هٰذه مئة وخمسين وبغيت من حسابي خمسين لعلي بن عبد الرحمٰن وبغينا من حسين بن سهل مئتين وخمسين ، ومئة وخمسين بغيتها منك وانتهىٰ الكلام ، بغينا السيد يرجع إلىٰ بلاده . حسين بن سهل في (الشحر) .

قال له : يا خير كلام . رَتَّبوا الأمر هٰذا وكَتَبوا لحسين بن سهل ، وأرسلوا تحويلْ من الحبيب عبد الله بن حسين . إبرام معاد يحتاج إلىٰ مشاورة ، أَعطُوا فلانْ وفلانْ كذا ، وهاذاك ما يَرُد له كلمة .

قال له : يا ولدي ، طِلَعْ ذا الحين زر (تريم) وارجع . وشفنا نحن رتبنا لك أمرك ، وارجع إلىٰ بلادك ، علِّم وادع إلىٰ الله . لتعرفون كيف كانوا أهلكم وكيف كانوا رجالكم ، كانوا آل سميط علىٰ هٰذا الحال ، وكان العلويون كلهم يد واحدة ، إذا أظهر الله فيهم واحدْ . . كانوا كلهم مرجع أمرهم له هٰذا الواحد يرجعون إليه .

ظهر فيهم : عمر بن زين بن سميط ، وكان هٰذا بلغ من

أمره ، قالوا : أخذ سبعة عشر سنة ما وضع جنبه علىٰ الأرض قط!! كان إذا غلبه النوم . . عنده لوح يضعه هـٰكذا ـ وأشار سيدي ووضع يده تحت إبطه ـ ويستريح . وكان ولده الحبيب أحمد يقرأ عليه دائماً ، شُغْله القراءة ، حتىٰ قالوا : إنه ذات يوم دَعَوْه لِصُبْحة ـ عزموه ـ وكانت أنفاسه كما ما سمعتوا عن الحبيب حسن :

قوم ما يسمحون أصلاً بتضييع الأنفاسْ

أوقاته عزيزة عليه ، دائماً يقرأ . عزموه ناس للصبحة ، وراح للعزومة آخر الوقت ، فدخل وحصَّل المجلس ملآن ، فجلس هو وولده في آخر المجلس وسلم عليهم ، وقال لابنه : يا أحمد .

قال له : لبيك .

قال له : انكش كتابك واقرأ . وابتدأ يقرأ ، وبطبيعة الحال العلم له سلطان وله نفوذ ، انصرف المجلس إليه وصار الأسفل صدر ، لي في الصدر خلّوهم الناس في المؤخرة وكلهم أقبلوا علىٰ الحبيب عمر بن زين بن سميط وعلىٰ ولده أحمد ، وانعكست الحالة ، فالصدر ما هي إلا لأهل الصدر .

وجاء أحمد بن عمر بن سميط هـٰذا ـ تسمعون به كلكم ـ أجمع المتأخرون علىٰ أنه مجدد العصر ، وكان في زمنه : حسن بن صالح البحر .

وكان في زمنه : علي بن عمر بن سقاف[1] .

---

(١) وفاته بسيون (٦) شوال (١٢٥٨هـ) .

وكان في زمنه : محسن بن علوي بن سقاف السقاف[1] .

وكان في زمنه : عبد الله بن حسين بن طاهر[2] .

وكان في زمنه : طاهر بن حسين بن طاهر[3] .

وكان في زمنه : عبد الله بن عمر بن يحيىٰ[4] .

وكان في زمنه : عبد الله باسودان[5] .

وكان في زمنه كثير وكثير من كبار الأراكين ، ولـٰكن القيادة بيد هـٰذا الإمام ، ما حد يَخلُف عن رأيه ، ولا أحد يرجع عن أمر كان فيه أحمد بن عمر بن سميط أو تكلم فيه أحمد بن عمر بن سميط ، فالكلمة كلمته ، والرأي ما قالت حَذامِ .

وكان مظهر العلويين في ذلك الوقت أحمد بن عمر بن سميط ، ومن بركاته : الحبيب علي حبشي ، هـٰذا ربَّىٰ الحبابة علوية أمه ، وزوَّجها علىٰ الحبيب محمد بن حسين وجابت علي حبشي . كلها الأمور إذا كانت توثرها علىٰ نيات صالحة وتسلسلها علىٰ هـٰذا الحال ـ قالوا ـ أثمرت ذلك . وأهلكم كانوا اعتنقوا الدين بهـٰذا ، والدين ـ شفوه ـ هو الأمانة . كان الحبيب

---

(١) (١٢١١/ ١٢٩٠ هـ) .

(٢) (١١٩١/ ١٢٧٢ هـ) .

(٣) (/ ١٢٤١ هـ) .

(٤) (١٢٦٥هـ) .

(٥) (١١٧٨/ ١٢٦٦هـ) .

حسن بن صالح تكلم ذا مرة من المرات من جملة ما فتح الله به علىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ تكلم علىٰ الأمانة ، وتكلم عليها قبله الإمام الغزالي ، وتكلم عليها بعده أو في عصره السيد أحمد بن إدريس ، تكلم بكلام عالي .

والأمانة ، قالوا العلماء : كل شي أعطاك الله إياه وخوَّلك إياه من نِعَمه فهو أمانة عندك ؛ فعينك أمانة ، ولسانك أمانة ، ودينك أمانة ، وزوجك أمانة ، وولدك أمانة ، وجارك أمانة ، وصلاتك أمانة ، وأكلك أمانة ، وفرجك أمانة ، ورجلك أمانة . . . كل شيء أمانة عندك . فحيث نقضت الأمانة . . خنتها ، ومتىٰ خنتها . . خنت الله سبحانه وتعالىٰ . هٰكذا كانوا يمشون ، علىٰ هٰذا النمط وعلىٰ هٰذا الحال ، وجاء الزمان هٰذا نقصت النفوس ، والهمم بالناس عجزت ، والناس مختلفون في النقص والانتكاس هٰذا علىٰ أشكال :

فمنهم من لم يعرف شيءْ من هٰذا كله قط أبداً .

ومنهم من بَعُد به العهد فنسي أو تناسىٰ .

ومنهم من شَغَل وقته بدنيا أو بغفلة فأخذته وكَبَتْ به بِطْنَتُهْ فأضاعته ، والعياذ بالله .

وينبغي لكم كل واحد منكم أن يجعل له صلة . البارحة ـ شفونا ـ أنا كنت ذكرت لواحد : عندي ناس يجون في (مكة) يقرؤون ، جاء واحد ، قال : أنا بغيتنا أقرأ في آه ؟

قلنا له : اقرأ في « بداية الهداية » . هـٰذا كتاب للغزالي .
لـٰكن الناس بَعُدوا عنه ، اسمه يكفي ، بعدوا عنه الناس .

وبعد رجع لي بعد يومين ، قال لي : يومين أدوِّر له في المكاتب ما وجدته! والسبب في ذلك : أن الناس هم هـٰكذا ضاعوا . كانوا العلويون لما كانوا يمشون علىٰ منهاج ـ والسابقون كلهم ـ يأخذون بالأمور كلها في طريق التربية ، والكتاب هـٰذا تربية كاملة ، يُعتبر شيخْ ، يكفي الإنسان عن أن يسأل شيخْ ، أو عن أن يبحث مع شيخ يعلِّمه آداب النوم ، آداب دخول الخلاء ، آداب الصلاة ، آداب الخروج إلىٰ المسجد في عبارات رشيقة ومختصرة ، ما يتجاوز الكتاب عشرين صفحة في قَطْع الربع أو أقل من قَطْع الربع ، ولـٰكن الناس ما حَدْهُم لهـٰذا ، وليسوا في شي من هـٰذا قط أبداً

ثم التزاور هـٰذا لي ذكرته لكم راح ، والناس ـ شفوهم ـ كما الناس . هـٰذي المراتب لا بد من إقامتها في كل زمان ، والولاية التي أعطاها الله هـٰذه الأمة لا بد من وجودها في كل زمان ، ولـٰكن الناس غفلوا عن هـٰذا كله فلم يعتبروا ولم يُعْطُوه نظرْ ؛ لأنهم معاد عرفوا مَن هـٰذا .

والمهم مِن هـٰذا : أن كل واحد يتيقظ منكم وينتبه ويبحث عن أهله ؛ لأن كل إنسان لا طريق له إلا من طريق أهله ، والإنسان عمَّا كان عليه والده ، وعمَّا كان عليه شيخه ، وعمَّا كان عليه مَن قبله ، ثم يسلك حيث يَقْدر ، ثم ينهج حيث يَقْدر :

﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ يأخذ الإنسان في هٰذا وينتبه .

الفاتحة أن الله ينفعنا بما كان عليه مَن قبلنا مِنْ كُمَّل الشيوخ ، ويجعلنا وإياكم ممن سلك ذلك الطريق ، ويفتح لنا أبواب الخير ، ويجعلنا من أهل الخير ، ويوسع علينا وعليكم في الخير ، ويجعل الخير . . الطريق للرزق الحسي ، وطريق للرزق المعنوي ، ويوسع علينا وعليكم في الرزق المعنوي ، ويوسع علينا وعليكم في الرزق الحسي ، ولا يجعل الرزق الحسي طريقْ للبَذخ ، ولا طريقْ للشيطان ، ولا طريقْ للنفس ، ولا طريقْ للهوىٰ ، ولا طريقْ للتأبط للشر ، ولا طريقْ للأذىٰ . يجعله إن شاء الله طريقاً للمراتب العلية والأخلاق المرضية التي كان عليها خيار البرية ، ويغفر لمن ذكرناهم ، ويرحمهم ، ويجعل أرواحهم في أعلىٰ عليين ، ويجعلنا بهم مقتدين ولهم تابعين في أمر الدين وفي أمر الدنيا ، وفي أمورنا كلها ، ظاهرها وباطنها ، إن شاء الله . ويربطنا بأهل اليقين ، نقتفي سبيل أهل اليقين . وإلىٰ حضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

❊ ❊ ❊

كلمته الجامعة في الختم على العلامة الداعي إلى الله تعالى سالم بن علوي خرد والمولود بتريم سنة (١٣٣٣هـ) وأقام بالحرمين من عام (١٣٨٨هـ) وتوفي بجدة في (١٢) ربيع الثاني (١٣٩٨) رحمه الله رحمة الأبرار

> وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة في حفل تأبين حبيبنا وخليفة أسلافنا ، وأستاذنا الوالد المرحوم : سالم بن علوي خرد ، بمدرسة بن لادن ، بـ(جدة) مساء الجمعة ، الخامس عشر من شهر ربيع الثاني ، عام ثمانية وتسعين وثلاث مئة وألف (١٥/ ٤/ ١٣٩٨هـ) .
>
> وكانت وفاة فقيدنا ـ رحمه الله ـ صباح يوم الثلاثاء الثاني عشر من ربيع الثاني (١٣٩٨هـ). وأقيمت له قراءة ثلاث ليالي بمدرسة بن لادن ابتداءً من مساء يوم الأربعاء ، وأقيم الختم مساء الجمعة .
>
> وقد قام في ذلك الحفل كثير من الخطباء والشعراء بكلمات وقصائد يرثون فيها فقيد العلم والدعوة ، وكانت مسك الختام كلمة حبيبنا الوالد عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمٰن السقاف ، والتي تكلم بها والعبرة تقطّع صوته ، تألماً وأسفاً علىٰ فقد هٰذا الإمام .

قال سيدي ـ حفظه الله ـ :

اللهم لك الحمد علىٰ ما أعطيت ، ولك الحمد علىٰ ما أخذت .

لا أريد أن أستعرض في هٰذا المحفل ما سمعته من كلام الشعراء والخطباء المبرزين المجيدين ، مما أطربني وأحزنني . ولا أريد أن أذكر لكم مجيئكم وتحاشدكم في هٰذا المحفل ،

وفيما قبله من ليلتين ، وفي الجنازة التي شهدنا فيها ما لم نشهده في غيره بأخينا المرحوم وصديقنا وقريبنا سالم بن علوي . ويكفينا أن نقول : إنه سالم خرد . إذا قلنا : إنه سالم خرد . . عرفته المنابر ، عرفه الناس ، عرفه القوم ، عرفته البلاد ، عرفته المساجد . لا أريد أن أقول لكم شيئاً من هٰذا ؛ فإن إخواني قد كَفَوْني وجوَّدوا ، وربما أنني أقصِّر عنهم ، والواقع أنني مقصِّر عنهم ، والواقع أني أقلُّهم ، والواقع أني لا أزال أحبو في دَرَجهم وفي ظلهم . وحسبي فخراً إذا قمت من وراء حامد المحضار وأحمد المشهور ، ومن سمعتوه من هٰؤلاء الشعراء المُجِيدين والخطباء المبرزين .

وإنما أريد أن أذكِّركم بأن هٰذا المجلس قد كان يعتاده ذلك الفقيد ، والمساجد قد كان يعتادها ذلك الفقيد ، والمجالس قد كانت تعتاد الفقيد ، والخطب الرنانة قد كان يلقيها الفقيد ، والدعوة العامة التي ورثها عن أهله . وحسبه ميراثاً أنه كان داعياً من حين ما نشأ ، عَرَفَتْه (حضرموت) قبل أن تعرفه هٰذه البلاد ، وعرفته أسفاره ورحلاته قبل أن تعرفه هٰذه البلاد .

أما هٰذه البلاد . . فقد عَرَفَتْه فَذّاً ، بطلاً ، داعياً ، شجاعاً لا يبالي ، ثم يلهمه الله الكلام فيستقره . ثم له نبرات من الصوت إذا ألقاها . . أخذ بمجامع القلوب . ثم له قلب رقيق يتأثر قبل أن يؤثر علىٰ غيره ، فإذا تأثر . . أثر علىٰ غيره . هٰذا شأن الداعي الوارث الذي صحت له الخلافة عمن قبله من آبائه وأهله .

أما هو ـ رحمه الله ـ فقد قدَّر الله له عمراً لا يتجاوز هـٰذا السن وهـٰذا الوقت ، ولا نقدر نطلب من القَدَر أنه لو أبقاه لنا ، وقد قُدِّر له ما قُدِّر ، ومضىٰ إلىٰ رحمة واسعة ، وإلىٰ جنان كبيرة ، وإلىٰ خلد وحبور مع رجاله الدعاة .

ولا أريد أن أتألَّىٰ علىٰ مولاي حينما أقول : إنه مضىٰ إلىٰ خلد ؛ فإني سمعت من العلماء الراوين عن محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام أنه قال : « **يحمل هـٰذا العِلْمَ من كل خَلَف عُدولُه ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين** » . فإذا عرفتوا أن الفقيد كان من علماء هـٰذه الأمة . . فقد شهدتم له بالعدالة التي أعطاها رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم خلفاء هـٰذه الأمة ، والشهادة بالعدالة هي شهادة بالخير ، وهي شهادة بالجنة . وحسبه أن الألسنة ـ كما ذكر الخطباء ـ كلها تفيض له بالشكر ، وكلها تحبه ، وإذا حضر مجلساً ـ رحمه الله ـ اشرأبت له الأعناق علىٰ ما عنده من تواضع ، علىٰ ما عنده من صبر ، علىٰ ما عنده من أناة ، علىٰ ما عنده من حكمة ، علىٰ ما عنده من رَوِيَّة ، علىٰ ما عنده من إلهام ، علىٰ ما عنده من ثروة من ثروات اللغة العربية ، لا يقف أمام كلمة ولا يعجزه شيء ، ولا أمام خطبة ولا تعجزه فيها جملة ، ولا يقف عند شيء يتحير ؛ ذلك أنه مُلهَم من المُلهَمين الذين أعطاهم الله شيئاً ونصيباً من الإلهام ، الذين قال فيهم رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم : « **إن فيكم لَمُحدَّثين** » وفي رواية : « **إن فيكم لَمُلهَمين** » ومنهم عمر ابن الخطاب

رضي الله عنه . ذلك الإلهام هو الذي يتوارد علىٰ القلب فتلقيه اللسان ، كما قال الشاعر :

إن الكـلام لفـي الفـؤاد وإنمـا جُعل اللسان علىٰ الفؤاد دليلا

ثم ـ كما ذكرت لكم ـ أريد أن أذكر كما ذكره الشعراء فيما ذكروه : كانت تعتاده المجالس ، فمن يُرِد أن يقوم بهـٰذه الخلافة بعد سالم خرد ؟

كان يعتاده هـٰذا القصر ، يحضر فيه لكل مجتمَع ، إذا سمع بموت أحد من الناس ، قريباً كان أو غير قريب . . حضر ، وإذا حضر . . كانت الخطابة إليه ، وكانت إليه أيضاً قراءة ختم القرآن ، يقرؤها في ترتيل ، يقرؤها في حُسْن أداء ، يقرؤها في نظم ورنين . لصوته جذبات رنانة تأخذ بالقلوب ، وما كل صوت له هـٰذا ، وما كل قارىء له هـٰذا .

ذكر لنا الحبيب صلوات الله وسلامه عليه لأبي موسىٰ الأشعري قال له حينما سمعه يقرأ : « **كأنما أعطي مزماراً من مزامير آل داوود** » .

وذكر لنا عليه الصلاة والسلام في التغني بالقرآن في الحديث الصحيح : « **ما أذن الله لشيء ، ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنىٰ بالقرآن** » وفي رواية : « **يجهر به** » .

فأخونا ـ رحمه الله ـ كان ممن يتغنىٰ بالقرآن وكان من خصائصه التي ذكرها هـٰؤلاء : أنه استظهر كتاب الله وتركه ذخيرة

لأولاده استظهروه بواسطته ، ونِعِمَّا ذلك ؛ فأشراف هٰذه الأمة حملة القرآن ، ومن أوتي القرآن أو استظهر القرآن . . فكأنما أدرجت النبوة بين جنبيه ، غير أنه لا يوحىٰ إليه . فتلك مزايا خُصَّ بها وتأخر عنها أكثر الناس اليوم .

ومن مزاياه الكبيرة العظيمة التي كان فيها سبب التأثير : أن أخذه كان عن رجال ممن ذكرهم هٰؤلاء ، ممن سمعتموه في (تريم) التي لا يعادلها شيء في بلاد الله بعد الحرمين الشريفين العظيمين ، اختارها الله لعلماء ، واختارها الله لأولياء ، واختارها الله لسيرة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه . ومَشَوا فيها بسيرة هٰذا النبي صلوات الله وسلامه عليه ، ومشوا فيها قدم بقدم ، وضعوا القدم حيث القدم ، ومشوا علىٰ الأثر حتىٰ كانت لهم الأَثَرة علىٰ من سواهم ، وكانت لهم الميزة علىٰ من سواهم ، وكانت (تريم) (تريم) . وما (تريم) إلا بقعة من بقاع أرض الله ، ولٰكن البقاع إنما تَسعَد بأهلها . قال الشاعر الأول :

وإذا نظرتَ إلىٰ البلاد . . وجدتها   تشقىٰ كما تشقىٰ الرجال وتَسعَدُ

وهٰذه البلاد كان لها شرف المزيَّة برجال العلم الدعاة البارزين ، الذين أنجبتهم (تريم) ـ كما ذكر هٰؤلاء الخطباء ـ فجاؤوا إليها ، ومن أبرزهم : أخينا الراحل ـ رحمه الله ـ كان ـ كما ذكرنا لكم ، وكما ذكر هٰؤلاء ـ في كل يوم يغدو علىٰ قدمه

بخطى واسعة بين قريب وبعيد ، وتراه يسير إلىٰ مسجد وراء مسجد ، وإذا وصل المسجد . . قام داعياً بآيات الله ، قام مذكراً بآيات الله ، قام حاثّاً . وإذا سمع ما لا يُعجب ـ من خصائصه أيضاً أنه شجاع ، لا يتهيب موقفاً مهما كان الموقف ، وإن كانت الأمور فيه علىٰ غير مقتضاها ، لا يَرُد لسانه ولا جنانه شيءٌ ـ كان يقول ما يريد ولا يرجع عنه أبداً ، وكانت له القدرة .

ومن خصائصه التي عرفناه بها وعرفه فيها أقرانه : أنه كثير البحث في المسائل العلمية ، وكان كثيراً ما يؤول الحق إليه ، وإذا جاء الحق إلىٰ غيره وجيء له بكتاب . . وضع وخنع له ، وهـٰذه ـ قالوا ـ لا تكون إلا لمن أوتي قلباً سليماً ، ولمن أوتي عقلاً كبيراً ؛ لأن الجدال لا يزال هـٰذا ممارسة الأهواء كلها فيه ، الله سبحانه يقول لرسوله ينهاه عن الجدال : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ .

فالجدال من الآفات التي يبتلىٰ بها أكثر الناس ، لـٰكن هـٰذا أخونا ـ رحمه الله ـ إذا ظهر له الحق . . انقاد له . وقد كنا في العام الماضي نبحث في مسألة من مسائل الحج ، في واجبات الحج ، نتساءل نحن والمرحوم وأخونا محمد الشاطري ، وكان هو يسرع إلىٰ المراجعة ، وكان الشاطري سريع المراجعة ، وكنت أكثرهم نسياناً وأبعدهم عن المراجعة ، فإذا بالأخ سالم يسأل عني حينما خرجت من (مكة) ويأتي بالكتاب ويخبرنا عن الحق ، وكان في

كفة أحدنا لا في كفته ، ولـٰكن كان رائده ظهور الحق مهما كان ، وهـٰذه هي الميزة التي جعلته محبوباً .

وتحاشدكم ـ كما قال الأخ حامد ، وكما قال لكم غيره وكما قلت أنا ، لا أريد أن أكرر ـ هـٰذا الحضور ، وهـٰذا الازدحام ، وهـٰؤلاء الناس ، من أول ليلة جئنا للقراءة علىٰ الفقيد ، وإنما هي لأداء بعض واجب له ـ رحمه الله ـ فوجدنا المجلس غاص ، ووجدنا الساحة غاصة ، ووجدنا الناس كلهم باكين علىٰ هـٰذا الفقيد رحمه الله .

ونسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يقيم بعد هـٰذا الفقيد من يخلفه ، ونرجو من الله أن يكون في أولاده خير خلف ، أن نراهم في هـٰذا الكرسي دعاة ، هداة ، قائمين بالحق ، بحق علمه وبحق عمله ، وبحق دعوته ، وبحق صدقه ، وبحق نسبه ، وبحق شيوخه .

ونسأل الله أن يتغمده بالرحمة ، ونسأل الله أن لا يحزننا في فقيد من رجال العلم ، يبقيهم لنا ؛ فإن العلم شَغَر ـ يا اخواني ـ كنا نستكفي به في كثير من الجلسات ، كانت تعقد الجلسات فإذا حضر فيها سالم ـ كما قال الشاطري في قصيدته ـ نبراسها المضيء مع تواضعه . أي جلسة تعقد ما نشعر إلا بسالم خرد قده جالس في نفس الجلسة ، وإذا كانت الجلسة فيها قراءة . . استعد بكتابه ، وإذا كانت جلسة علمية . . كانت المشاركة القوية له . رحمه الله وأبقىٰ خَلَفه في خير ، وأبقىٰ فيهم العلم النافع ، وجعله

لا يزال في قبره موضع رعاية من نبيه ومن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وجعل ما نقص من عمره زيادة في عمر زوجه ، وفي عمر أولاده وذويه ، وألهمهم الصبر والسلوان ، ولا أحزنهم بعد هٰذا الفقيد . والحمد لله رب العالمين .

وإلىٰ حضرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

* * *

الإمام البخاري
رضي الله عنه
(١٩٤ـ٢٥٦)

وهـٰذه دعوات جليلة ، دعا بها في ختم « صحيح الإمام البخاري » الذي عُقد برباط العلويين بـ(مكة المكرمة) بتاريخ الرابع عشر من شهر جمادىٰ الثانية من عام ثمانية وتسعين وثلاث مئة وألف للهجرة (١٤/٦/١٣٩٨هـ) .

وقبل هـٰذه الدعوات تكلم سيدي بكلمة مختصرة ، ثم رفع يديه بالدعاء .

قال سيدي ـ حفظه الله ـ :

[كان السلف الصالح] ـ رضي الله تعالىٰ عنهم ـ كانوا يجعلون قراءة « صحيح البخاري » لكل مهمة ولكل ملمة ، قَرُبت المهمة أو بَعُدت ، في أي عالم من عوالم الإسلام . كانوا يعتنون بقراءة « صحيح الإمام البخاري » وذلك ـ قالوا ـ لأن الأحاديث التي أوردها البخاري في كتابه كلها صحيحة عن الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، أتىٰ بها بلفظه عليه الصلاة والسلام ، متحققاً فيها بواسطة الرواة الذين رَوَوا عنه صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، فلهـٰذا لَمَّا كان لفظه يتلى فإذا سمعه الإنسان فكأنما سمعه من محمد بن عبد الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، وإذا قرأه الإنسان. . فكأنما قرأه بلسان محمد بن عبد الله . وإذا سمع منه شيءْ . . فإنما سمع منه حكمة أو تعاليمْ أو أخلاقْ جاء بها رسوله صلىٰ الله عليه وآله

وسلم محمد بن عبد الله ، فلهٰذا كانت أقرب إلىٰ السماء ، وأرفع للدعاء ، وأضمن بالإجابة ، وأسعد بقراءتها في المجلس التي تقرأ فيه .

وما قرئت ـ قالوا ـ في مجلس إلا وفرج الله بها الكربة ، ورفع بها الشدة ، وأدرك بها الأمة ، ونزلت بواسطتها الرحمة ؛ لأنها كلام نبي الرحمة صلىٰ الله عليه وآله وسلم . ونسأل الله بقراءتها في هٰذا الرباط المنور ، وفي هٰذا الوادي المنور ، وحول هٰذا البيت المطهر ، وعند هٰذا الملأ الذي رضي عنه مولاه وذكره في مواضع من كتابه وأكثر . ذلك لأنه ملأ نبيكم صلىٰ الله عليه وآله وسلم . . نسأل الله أن يرفع الغمة ويكشف الكربة عن وادينا وعن أمتنا ، وعن بلادنا وعن ربعنا ، وعن شعبنا ، وعن سائر بلاد العالم الإسلامي .

اللهم تدارك البلاد برحمة منك يا رحيم ، وتدارك الأمة يا رحمٰن ، فأنت أهل الرحمة ، إليك يلجأ العباد ولا يلجؤون ملجأً سواك ، ومنك تنزل الرحمة ولا تنزل من غيرك ، وإليك تلهج الألسن رجاء أن تقضىٰ حاجاتها .

اللهم اقضي حاجاتنا وقد تشفعنا إليك برسول الشفاعة ونبي الكرامة سيدنا محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم وهو أكرم مَن خلقت ، وأفضل مَن أوجدت ، وأَعْرَفُ مَن أرسلت صلىٰ الله عليه وآله وسلم . ونسألك به وبحديثه ، وبقراءته وبكتابه ، وبما

أوليته وبما شرحتَ به صدره ، وبما أعطيتَه ، وبما كرَّمته . . إلا ماأجبتنا في هٰذه الساعة .

يا مجيب المضطرين ، يا راحم المساكين ، يا مدرك المتخبطين . . انقطعت الآمال ـ وعزتك ـ إلا منك وفيك ، وضاعت الآمال ولم تنعقد إلا عليك ، أكرمتنا بالنعمة والهداية والولادة والرعاية . . فتكرم علينا بقبول دعواتنا ، وعجل بإجاباتنا ، وارحمنا في هٰذا الموقف ؛ فإن أمامنا حديثَ نبيك ورجالِه الرواة الكرام الذين حفظوه وجاؤوا به إلينا طرياً كما قاله عليه الصلاة والسلام .

تكرَّمِ اللهم علينا بالقبول ، وعمنا بشمول السول والمأمول ، وعلِّمنا ـ يا ربي ـ ما نقول ، واحفظنا من سوء خلجات الضمائر ؛ فإنها ـ وعزتك ـ إذا زادت بها الآلام وانقطع بها حبل الرجاء . . أدركها اليأس ، وحاشا أن تيأس منك ، وحاشا أن تيأس من رحمتك ، وحاشاك أن تيأس من الدعاء إليك .

اللهم عجل لنا بقبول الدعوات ، وبارك لنا في هٰذه الساعات وأعطنا فيها الأمنيات ، وقربنا من سيد أهل الرسالات صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

وارحمنا يا رب في مجلسنا هٰذا ، وارحمنا يا رب في لهجتنا بالدعاء لك ، وارحمنا يا رب في ضعفنا ؛ فإنا ضعاف لا نملك من أمرنا شيءْ ولا من أمر غيرنا ، ولا لنا قدرة علىٰ شيء إلا بقدرتك ، فأكرمنا يا رب بما نريد ، واجعلنا من خُلَّص العبيد

الـذيـن إذا رفعـوا أيـديَهـم . . قَبلتَهـم ، وإذا تـوجهـوا إليـك . . أدركتهـم ، وإذا سـألـوك . . أعطَيتهـم ، وإذا استقـامـوا لـك . . أعنتهم .

أَقِمنا اللهم كما أقمتهم ، وأعطنا كما أعطيتهم ، في خير ولطف وعافية ، وبسر أسرار الفاتحة .

* * *

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهـٰذه الكلمة القيمة في رباط العلويين بـ(مكة المكرمة) في ختم « صحيح البخاري » أيضاً ، بتاريخ الحادي عشر من شهر رجب الحرام عام ثمانية وتسعين وثلاث مئة وألف للهجرة (١١/٧/١٣٩٨هـ) .

قال سيدي ـ حفظه الله ـ :

حضرتوا كلكم ختم « صحيح البخاري » . و« صحيح الإمام البخاري » أجمعت الأمة عليه سلفاً وخلفاً ، قديماً وحديثاً ، أنه أصح الكتب بعد كتاب الله سبحانه وتعالىٰ . ومن ذلك الإجماع ـ قالوا ـ يعرف الناس أن ما جاء في هـٰذا « الصحيح » كله هو كلام نبيكم وجدكم وحبيبكم محمد بن عبد الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم كان يلقيه في مجالس . وأنه كان يقول لأصحابه علىٰ منبره : « **إنما الأعمال بالنيات** » تدور شفتاه مع لسانه بهـٰذه الكلمات .

كان ينبغي [علىٰ قارىء هـٰذا الصحيح] أمور :

الأمر الأول : أن يتأدب عند سماع كلام جاء من لسان نبيكم صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

الأمر الثاني : أن يَحضُر بقلبه حتىٰ يفهم ما يسمع .

الأمر الثالث : أن يطلب من ربه التفهيم لمثل هـٰذا المعنىٰ ؛

فإن لكلامه عليه الصلاة والسلام ظواهر وخوافي ، وظاهراً وباطناً ، ومَطْلَعاً وحَدّاً ؛ لأنه كلام الرسول مبيِّن ومفسّر لكلام الله سبحانه وتعالىٰ .

الأمر الرابع : أن يعلم أن الرحمة إذا لم تتنزل عند كلام محمد . . فأين تتنزل ؟ فلا شك ولا ريب ولا جدل أن الرحمة لا تزال في هٰذا الموضع [تنزل عند ذكر محمد] وتنال كل واحد .

[فعلىٰ من حضر مثل هذه المجالس] عليه أشياء أخر :

منها : أن يستحضر روحانيته عليه الصلاة والسلام ، حتىٰ يناله نصيب وافر .

الأمر الثاني : أن يتأدب أدباً كاملاً معه عليه الصلاة والسلام في مجلسه .

الأمر الثالث : أن يتأدب مع كلامه كما لو كان حاضراً عنده عليه الصلاة والسلام . وهٰذا الأمر نفسه هو الذي حكم به مولاه سبحانه وتعالىٰ فقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ .

قالوا : كان أبو بكر يبَسْبس إذا أراد أن يتكلم حتىٰ يقول له عليه الصلاة والسلام : « **ارفع صوتك** » فيرفعه قليلاً قليلاً . وقعد عمر في داره خشية أن يناله شيء ، وهو الحريص علىٰ الحضور مع رسول الله في أي موطن كان وفي أي مكان كان . وقعد حكيم ابن حزام ، وسأل عنه صلىٰ الله عليه وآله وسلم لما طال قعوده في

الدار فقيل : إنه قعد بعد ما سمع هـٰذه الآية فخشي أن يناله شيء .

وكل من تكلم في مجلس يتلىٰ فيه حديث رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم . . فإنه إنما يتكلم بغير قلب ، ولو حضر معه قلبه . . لخشي أن يناله شيء ، ولو تأدب وحضر معه قلبه . . لقام بأدبه ذلك بالرحمة الكاملة وبالفتح الكامل وبالمدد الكبير . هـٰؤلاء شيوخنا الذين كان الواحد منهم يقول : لو غاب عني رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم طرفة عين . . ما عددت نفسي من المسلمين .

ويقول الثاني : كيف يغيب عنا وهو أصل وجودنا ؟

ويقول الثالث : إذا أشكل عليَّ الحديث . . أخذته من لسان صاحبه . وهو محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

ويقول الرابع : إني لم أحضر مجلساً إلا إذا تحققت حضور نبيي فيه صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

هـٰؤلاء كلهم لا شك أنهم مسلِّطون قلوبهم ويأتون بوجهة قوية كاملة إلى مجلس يُعقد فيه الحديث ، أو يُدار فيه العلم ، أو يحضر فيه رجال الخلافة . . الثابتة لهم الخلافة والنيابة عنه صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، فيأتي الواحد متحققاً أنه إذا ما رآه هو رآه غيره ، وأن الحبيب حاضر وأن الروحانية مالئة الوجود ، فيقوم من المجلس بخيره ، ويقوم برحمته ، ويقوم ببره ، ويقوم بأدبه .

هٰذا الإمام مالك ـ لما ذكرنا لكم شيءٌ عن أصحاب رسول الله ، ولو ذكرت لكم الكثير مما أفهمه وقرأته من المتأدبين بحضرته . . لضاق الوقت والوقت لا يتسع . هٰذا الإمام مالك ـ إمام عظيم ، إمام المدينة وعالمها والمرجع إليه ، والذي تأدب عنده الخلفاء ، يأتي إليه المنصور حافياً أدباً ؛ لأنه يمشي حافياً في مدينة رسول الله ويقول : كيف أركب في مدينة كان محمد يمشي عليها بقدمه ؟ إذا أراد أن يحدِّث ، أو يقيم الحديث ، أو طلبه واحد . . يقول : اسألوه هل يزورني ، أو يريد حديث رسول الله ؟ فإذا قيل له : إنه يريد حديث رسول الله . . يفتح له ، ثم يقوم ويغتسل ويتطيب ويلبس أحسن ثيابه ، ويخرج وكأنه يريد أن يقابل أحد العظماء الكبار . ولا أعظم من رسول الله ولا أكبر من رسول الله ، ولا أكرم من رسول الله ، ولا أشرف من رسول الله ، ولا خَلَقَ الله أحداً له قيمة وكرامة مثل كرامة رسول الله ، ولا ربط الله اسم أحد مع اسمه إلا اسم رسول الله ، ولا أعطىٰ الشهادة بالرسالة وجعلها في صلاة كل مصلي ، وفي ذِكْر كل ذاكر ، وفي توحيد كل موحد ، وفي دخول إسلام كل مسلم إلا لمحمد بن عبد الله . . . كل ذلك كرامة له عليه الصلاة والسلام . عرف ذلك مالك ، فكان إذا أراد أن يخرج للحديث . . تطيَّب واغتسل ، ولبس أحسن ثيابه ، وركع ركعتين ، وخرج .

ولا شك أن الواحد إن اتسعت به دائرة الفهم . . عرف أنه لا شك يقابل رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، وإن قصرت

به دائرة الفهم.. عرف أنه لا شك تأدب برسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم، واحترم حديث رسول الله وأكرم الحديث بكرامة رسول الله. وكيف لا يُكرِم أحد حديث رسول الله وقد أكرمه الله؟ ثم هو شفيعكم، ثم هو رسولكم، ثم هو منقذكم، ثم هو أبوكم، ثم هو دليلكم، ثم هو هاديكم، ثم هو حاديكم، ثم هو قارئكم، ثم هو لسانكم، ثم هو شاهدكم ومسؤولكم: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ هٰذا هو شفيعكم.

ثم يقول المولىٰ في حقه ـ والكثير منكم لا يدرك الأدب معه ـ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

ثم يقول لنا المولىٰ في كتابه الذي تتداوله الأعصار حتىٰ تقوم القيامة: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ فكيف يغفل الواحد يخبره الكتاب الكريم، يقول له: إنه عنده رسول الله؟

وكان من أدب الشيوخ ـ رحمهم الله: أن الواحد منهم حين يحضر في أي مجلس أو يخلو بنفسه.. لا يجلس إلا متأدباً؛ ذلك لأنه يرىٰ المُنعِم والواسطة في النعم حاضرَيْنِ عنده، فكيف يسوغ [أن لا يتأدب]؟

تكلمنا أمس في مجلس ـ ما أدري فيه ـ وذكرنا أن الإنسان إذا كان في خلوة وتحركت بطنه بريح كانت فيها منتنة.. كان عليه أن يقوم إلىٰ محل إخراج الريح ومحل إخراج الوسخ، كرامة للمُنعِم وللواسطة للمُنعِم؛ لأنه يشهده: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾.

وكان الواحد [من الشيوخ] لا يقدر أن يجلس علىٰ غير الحالة التي كان يُذكر فيها أدب المُجَالِسْ والمجلس ، رغبة في أن يكون حاضراً مع مولاه ومع الواسطة مع مولاه . وقد جاءنا هـٰذا الحديث هدية سائغة حفظه لنا الرجال ، هـٰذا الإمام البخاري الإمام الكبير ، كان إذا أراد أن يأخذ حديثاً من شرق الأرض ومغاربها ، إذا قيل له : إن فلاناً محدِّثاً . . سار إليه ، فإذا وصل إلىٰ بلده اغتسل وتوضأ وصلىٰ ركعتين في المسجد ، كرامة للحبيب ، وسار إلىٰ عند الشيخ المحدث ، فإن وجد عنده الأدب الكامل . . أخذ الحديث ، وإلا . . فلا يأخذ الحديث إلا بأدب كامل ، كرامة للمحدِّث ، وهو نبيكم صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، وإذا وجده في مجلس غير لائق ، أو وجده لا يحترم المجلس ، أو وجده في مكان لا يسوغ له . . لا يأخذ الحديث منه .

كان الفضيل بن عياض جاء لزيارة أحد الرجال الصوفية ليزوره ، فلما وصل إليه ـ وكان يسير أمامه ـ رأىٰ الشيخ بصق أمامه ، فرجع ، فقيل له : لماذا رجعت ؟

قال : لأنني رأيته ما حفظ سنة محمد لمحمد ، فكيف آخذ حديثه ؟ ! ونحن كما ذكرنا جاءتنا هـٰذه الأحاديث سائغة ، جمعها البخاري ما بين ستة ألف وأربعة ألف حديث ، كلها وصلت بواسطة الثقات التقاة الأئمة ، الذين حرصوا علىٰ لفظ الحديث ومتنه ، وعلىٰ أصله وعلمه ، وعلىٰ أخذه وفهمه ، حتىٰ أخذوه لنا فجاؤوا لنا به في مشكاة صافية وضعوا فيها زيتها ، وهو : أدب

المراقبة مع نبيكم صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، فجاءت تتلألأ بأنوارها ، وجاءت تضيء للأمم بأسرارها . فكان المتقدمون يقرؤونها علىٰ نيات كاملة صحيحة ، حتىٰ لا يخرج الواحد من المجلس إلا وقد أدرك له ولمن يروم غاية السعادة الأبدية . يأتي إلىٰ المجلس بأدب كامل ، بوقار كامل ، بسمع مُرهَف لحديث محمد ، بأدب كامل لشيوخه الذين أخذ عنهم وأوصلوه إلىٰ هٰذا الكتاب ، فيجلس مُطْرِقْ الرأس ، فيَدخُل عليه الحديث فيَعْلَق به قلبه فتنفتح به أبواب الفهم عن رسول الله ، وأنواع القُرْب إلىٰ رسول الله ، والمزايا التي كان يأخذها أهل الله عن رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، فيقوم بزاد من التقوىٰ ؛ وهو : المراقبة ، ولا أعظم في التقوىٰ من المراقبة ؛ فإن من راقب الله ، وراقب كتاب الله ، وراقب رسول الله ، وراقب حديث رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم . . حري بأن يقال له : إنك في أعلىٰ ، أعلىٰ ، أعلىٰ ، أعلىٰ ذروة من منابر التقوىٰ .

كان الشيوخ ـ عليهم الرحمة ـ يذكرون لنا أن شيخاً كان له تلاميذ ، وكان يفارق فيما بينهم ويفضِّل أحدَهم ، فقالوا له ذات يوم : إننا كلنا في الخدمة سواء ، فلماذا تفضل هٰذا ؟

قال : أراه يستحق التفضيل ، وفيه زيادة .

قالوا له : لا .

فتركهم فترة ثم استدعاهم وأعطىٰ كل واحد منهم طائراً ، وقال له : اذبحه حيث لا يراك أحد .

فأخذ كل واحد طائره وذبحه في خلوته ، وجاؤوا بالطيور مذبوحة ، وجاء هـٰذا الولد بطيره غير مذبوح ، فقال له الشيخ : وأنت لماذا لم تذبح طيرك كما أمرتك ؟

قال : شرطتَ علي شرطاً .

قال له : وما هو الشرط الذي شرطْتُه عليك ؟

قال : شرطتَ علي أن لا يراني أحد . وكلما دخلت خلوة . . وجدت الله فيها ، فما قدرت أذبحه ، ولو استثنيت وقلت لي : غير الله . . لذبحته .

[مثل هـٰذا] هل يكذب ؟ ما يتأتىٰ أن يكذب وهو يرىٰ نفسه مع ربه ، ما يتأتىٰ أن يقعد مع امرأة لا يصح له الجلوس معها وهو يلاحظ ربه ، ما يتأتىٰ أنه يجلس مع كتاب الله مجلساً غير متأدب فيه ، ولا مع حديث رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم وهو يعرف أن الحديث ينبغي له أن يتأدب معه .

قال لهم الشيخ : بهـٰذا فَضَل عليكم .

وبهـٰذا دل علىٰ أن المراقبة والخشية هي أعلىٰ أعلىٰ ذروة في ذرىٰ التقوىٰ ، والمولىٰ يقول سبحانه وتعالىٰ ـ حينما يخبرنا عن التقوىٰ بقوله ـ : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ ﴾ إلىٰ أن قال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ .

فكل واحد ـ يا إخواني ـ يغتنم الفرصة ؛ فإنها فرصة لا يدرك فيها الإنسان السعادة إلا إذا اغتنمها ، فإنكم في مجلس حضرتم

فيه حديث رسول الله ، والحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم روحانيته طوافة في هٰذا المجلس خاصة ، ولا يُحرَمها إلا من لا يُدرِك ، قالوا : كما الأصم الذي لا يسمع ، يحرم سماع الكلام وسماع العلم . فتأدبوا في المجلس ، وارفعوا أيديكم[1] بالدعاء متضرعين إلىٰ ربكم بواسطة نبيكم أن يرحمكم في هٰذا المجلس ، وأن يغفر لكم ، وأن يرد عليكم قلوبكم التي لا تحضر ، وأن يهيئكم لزرع الخير وأهل الخير ، وأن يجعل ما في رجال الحديث الصادقين مع رسول الله فيكم ، وأن يعطيكم وعياً قوياً يفتح لكم به أذهاناً مغلقاتِ القلوب ، حتىٰ تتسع القلوب وتتسع الفهوم ، ويأتيكم العلم اللدني من الحي القيوم .

يا حي يا قيوم . . وفر القسوم ، وأذهب الوهوم والهموم ، واجعلنا ـ يا رب ـ تحت بحبوحة الرحمة التي جعلتها لخواص رجال نبيك . وأدخلنا دائرة العلم ، وخذ بنا منها إلىٰ المعلوم . وأدخلنا دائرة الفهم ، وخذ بنا منها إلىٰ المفهوم . واملأ قلوبنا من هٰذا العلم . واملأ الظاهر بأثر المراقبة ، وبالأخلاق الكريمة التي أورثتها نبيك وأثنيت عليه بقولك : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

أيدنا ـ اللهم ـ بهٰذه الأخلاق ، وأيدنا بقبول الدعوات ، وأيدنا بانتكاس مغلقات القلوب والسيئات . وارحمنا اليوم ، وارحم شيوخنا ووالدينا ، وارفع ما حل بنادينا ، وأكرمنا ـ يا رب

---

(١) يتكلم سيدي والعبرة في حلقه .

ـ بصلاح نادينا ووادينا وبلاد الإسلام أجمع .

اللهم إنك تعلم مكاننا ، وتسمع دعواتنا ، وترانا في هـٰذا المجلس جئنا لحضور ختم هـٰذا الكتاب المبارك . . فأكرمنا بالفهم فيه واجعلنا ممن يراعيه ، ونبيك يراعيه . وارحمنا يا رب ، واغفر لنا ولوالدينا ، واخلع علينا من خِلَع جلال نبيك خلعةً نقهر بها أعداءنا ، ومِن خِلَعه خلعة جمال يظهر بريقها علىٰ القلوب وعلىٰ الوجوه نُعرَف بأنا محمديون بها . وأولادَنا أصلحهم ، وأهلَنا أصلحهم ، وبلادنا أصلحها ، وأهل هـٰذه الحرمين أصلِحهم ، واجعلها آمنة رخية ، وأعدنا إلىٰ مثل هـٰذه المجالس . ولا تحرمنا ـ اللهم ـ بركة وقت ، ولا بركة ساعة ، ولا بركة مجلس ، ولا بركة ولي ، ولا بركة تَنَزُّل ، ولا بركة إنزال ، ولا بركة رحمة ، ولا بركة هداية ، ولا بركة خشية ، ولا بركة إنابة ، ولا بركة ذي بركة ، فإن بيدك الخير ولا بيد غيرك ، وبيدك الهداية وليست بيد غيرك .

اللهم اشف مرضانا ، وعاف مبتلانا ، ووسع علىٰ فقيرنا ، وٱقْضِ ديوننا ، واكفنا ما أهمنا ، واجعل الوجهة إليك ، واحفظنا أن تتوجه القلوب نحو غيرك ؛ فإنك خلقتنا وخلقتهم ، وأكرمتنا بالعلم وأكرمتهم ، وبالهداية أكرمتهم .

اللهم اجعل الوجهة إليك ؛ فإنك قلت في كتابك : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ .

اللهم أصلح الوجهة ، واجعل القلب قابلاً لخيرك ، قابلاً

لرحمتك ، قابلاً لعلمك ، قابلاً لإرادتك ، قابلاً لمرضاتك ، قابلاً لرعايتك ، قابلاً لما تفيضه علىٰ خلقك .

اللهم لا تَحرمنا خير ما عندك لشر ما عندنا ، وكما أكرمتنا بالحضور فأكرمنا يا رب بالعطاء ، وإذا أكرمتنا بالعطاء . . فأعط أولادنا وإخواننا وأصحابنا .

اللهم لا تُقِمنا من هٰذا المجلس إلا وقد سمعت دعواتنا وعجلت بإجاباتها ، وقضيت حاجاتنا وأكرمتنا بقبولها .

وأقِمنا اللهم في مقام الصلاة ومحرابها ، وفي مقام الذكر ومحرابه ، وفي مقام العمل الصالح ومحرابه ، وفي مقام الإنابة ومحرابها .

اللهم إنك أكرمت شيوخنا بولاية كبرىٰ ، ورجالنا بولاية كبرىٰ ، وأكرمت غيرهم بسابق تَفَضُّل ، ليس بعمل عملوه ، ولا بقول قالوه ، ولا بفعل فعلوه ، وإنما هو محض مِنَّة ، ولا تزال المنة ظاهرة بالإحسان .

اللهم يا أهل الإحسان ، يا عظيم الإحسان[1] ، يا كبير الشأن ، يا حنان يا منان ، يا مفيضَ الخير ، يا دارَّ البركة . . اجعلها فينا وفي بيوتنا وفي أهلنا وفي إخواننا ، واجعل الإحسان الذي أتىٰ به صاحب الدائرة محمد دائراً علينا وفينا ، وأثبنا عليه بقولك : ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴾ .

---

(١) هنا رفع سيدي صوته بالدعاء . . حتى تأثر الحاضرون وبكىٰ البعض .

يا منعم ، يا مُتَمِّم ، يا متفضل ، يا معطي يا غني ، يا ودود يا رحيم ، يا شكور يا صبور . . شأنك العطاء والإغضاض ، وشأننا الغفلة ، فأكرمنا علىٰ ما فينا ، وارحمنا في هـٰذا المجلس ولا ترد لنا دعوة ، واجعلنا في هـٰذا الكون كبريتا أحمر . اخلع علينا الولاية ، واخلع علينا الاستقامة ، واخلع علينا الهداية ، يا هاديَ الحائرين ، يا دليلَ الضائعين . دُلَّنا إلىٰ ما فيه رضاك . والحمد لله رب العالمين .

* * *

وهـٰذه فاتحة رتبها سيدي ـ حفظه الله ـ في منزل أحد محبيه بـ(المدينة المنورة) دعاه لقراءة قصة المولد النبوي للإمام البرزنجي ، وذلك في الثاني عشر من ربيع الأول ، عام ثمانية وتسعين وثلاث مئة وألف للهجرة (١٢/ ٣/ ١٣٩٨هـ) .

فرتب سيدي هـٰذه الفاتحة في البداية ، فقال :

الفاتحة أن الله يجعل هـٰذه الساعة من أبرك الساعات علينا وعليكم ، تتجلىٰ علينا فيها روحانية الحبيب ، وتدور في هـٰذا المنزل علينا وعليكم ، ويتأثر لها القلب ، وتتحرك لها الروح ، ويطلق الله العقال إن شاء الله . ويجعلنا وإياكم من خيار الرجال ، ويربطنا بمولىٰ بلال ، ويجعلنا محبين ومحبوبين في كل حال . ويجعل السعادة الأبدية ملازمة لنا ولأولادنا ، وأهلنا وإخواننا . ويحفظنا من نكد الدنيا ومن همها ، ومن أذاها ومن بلاها ، ومن أهل الضر ، ومن أهل الظلم ، ومن أهل الفجور ، ومن أهل الزور ، ومن كل من يضر وما يضر .

يجعل علينا وعليكم وقاية تقينا من الأسواء ، وتقينا من المكاره ، وتقينا من كل حاسد ومن كل خائن ، ومن كل عاين ، ومن كل ذي ضر ومن كل ذي سُقْم .

يتكرم علينا المولىٰ بأن يلبسنا خلعة المحبة للحبيب وله

سبحانه وتعالىٰ ، ويجعلنا عنده محبوبين ، ويجعلنا موهوبين ، ويجعلنا مخطوبين ، وينزلنا أعلى أعلىٰ منازل اليقين ، ويكتبنا في ديوان المتقين . ويختم لنا ولكم بخير ، ويجعلنا من أهل الخير ، ويعاملنا معاملته لأهل الخير ، ويحفظنا من الضير ، ويُحْسِن مننا السلوك والسير .

وإلىٰ حضرة النبي محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

* * *

ثم تكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة القيمة بعد الجلوس من المقام ، (١٤/ ٣/ ١٣٩٨هـ) بالمدينة المنورة .

فقال : إنِ كانت السعادة اليوم توجد عند أحد ، فهي عند محبي محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم ؛ ذلك لأن الدنيا تجشَّأ الناس بها اليوم ، فأصبحت عبئاً ثقيلاً وعالة عليها ، وأصبح الناس منها في أتعاب ، وأصبح الناس منها مرضىٰ القلوب ، ومَن مَرِض قلبه . . فما له إلا محمد ، لا طبيب غيره ولا مستشفىٰ إلا مستشفاه ، ولا يبرىء ألم القلوب إلا هو عليه الصلاة والسلام . والقلوب ازدادت أمراضها ولٰكن طبيبها هو ـ كما ذكرنا ـ وهو أبو الأطباء ، وهو أبو الأمة ، وهو أبو الناس عامة وهو أولى بالناس عامة : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ .

قال ابن مسعود في قراءته : (وهو أبٌ لهم) .

الحمد لله علىٰ هٰذه النعمة .

وهٰذه المجالس التي يُذكَر محمد فيها وتُعقَد لأجله عليه الصلاة والسلام هي الكبريت الأحمر التي يقوم منها الإنسان وقد أُشرِب قلبه بنور محمد ، ومن ظهر علىٰ قلبه نور محمد . . سَعِد ؛ ذلك لأن لا سعادة توجد إلا بواسطته ، ولا خير يُذكَر في الأكوان كلها إلا من عنده ، ولا شرف ولا كرامة إلا لمثله عليه الصلاة والسلام . فالشرف والكرامة إنما هي له عليه الصلاة والسلام ،

والعزة التي أعطاه الله إياها وجعلنا من تبعيته وبواسطته ، فقال : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

فالغنىٰ كله في ذكره وفي القرب منه ، وفي محبته وفي التعلق به . والحياة السعيدة منوطة بمحمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، وقد أعطانا المولىٰ سبحانه وتعالىٰ صورة عن حياته لأجل يُرِينا أنه هو يربيه ، وأنه هو متوليه ، وأنه هو القائم بأمره ، وأنه هو المدبر له .

جاء معنا فيما سمعتوا في مولد البرزنجي ، وذكر لنا الشيخ أبو جميل ـ حَيَّا الله أبو جميل ، المحب الصالح ، والأخ الصادق في المحبة لنا ولأبينا محمد عليه الصلاة والسلام ـ سمعتوا في هٰذه القصيدة ومن هٰذا المولد كيف كانت حياته عليه الصلاة والسلام :

توفي أبوه وهو حمل في بطن أمه ، قالوا : لم يتجاوز الشهرين . وقال بعضهم وقد مضىٰ له شهران . ذلك لأجل تربيته تكون بواسطة الحق لا بواسطة بشر .

ثم لما توفي كان لأمه أخبار طويلة وأخبار عجيبة . أعطت قريشْ ـ وأعطت من اتصل بقريش من البادية والأعراب ـ خبراً علىٰ أن هٰذا حملاً لم يكن مثل سائر الحمل من النساء ، وأخباراً وأموراً لم تكن لغيرها .

وقد قالوا ؛ إنها كانت كل ليلة ترىٰ رؤيا تخبرها أنها حملت بسيد الأمة ، وتخبرها بأنها حملت بالسيد الذي ينقذ البشرية من

أوضارها ، وتخبرها بأنها حملت بأفضل الخلق علىٰ الإطلاق ، وسيد الرسل والأنبياء وأعظم الناس مكانة . قالوا ؛ ولما أراد الله وفاة أبيه عبد الله ـ وهولم يتجاوز بعد زواجه بها شهران كما ذكرنا في أول الكلام ، قالوا ـ : إنه استدعاه عبد المطلب أبوه وقال له : إني أريدك أن ترحل إلىٰ (الشام) مع القافلة ، فجاء إلىٰ آمنة ـ زوجته العروسة ـ وقال لها : إن أبي أمرني أن أسافر إلىٰ (الشام) .

قالت له : أبوك عنده عشرة أولاد ، وأنت سعيد بعرسي ، وأنا سعيدة بعرسك ، ولم تمضي علينا إلا ليالي . . فهلا كان أبوك اختار غيرك ؛ لأتمتع بك وتتمتع بي ، فارجع إليه فاسأله المعذرة ، واطلب منه أن يرسل الحارث أو يرسل أحد أولاده غيرك .

فقال لها : لا ، إني لا أقدر علىٰ مراجعة أبي ، فأكثرت المراجعة فيه ، ولما طالت مراجعتها . . قال لها : إنما هي شهران ، لا أقل ولا أكثر ، فاصبري حتىٰ أعود إليك بسلام ، وأظفر بك وتظفرين بي .

فودعته باكية ، قلقة ، شاكية ، راح عليها سعيدها والسعادة التي حصَّلتها به .

قالوا : حتىٰ إذا رجع ووصل إلىٰ (يثرب) مرض بها واشتد عليه المرض ، وتوفي بـ(المدينة المنورة) وذلك لخبر آخر ، يظهر من فلتات هـٰذه الحياة ؛ لأن (المدينة) معقل محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، فكان أحق بها أباه أن يكون عنده عليه الصلاة والسلام ، فكان من أمره أن توفي بها . وكانت آمنة ـ

عليها الرحمة ـ كل يوم تنظر الأيام وتحسبها وتعدها عَدّاً ، رجاء أن تنتهي فيرجع إليها زوجها وحبيبها عبد الله ، حتىٰ تعود إلىٰ الحياة الزوجية ، فتطمئن إليه ويطمئن إليها ، فإذا بالقدر يخبىء لأمه غير ما كانت تتوهمه وغير ما كانت تحسبه ، رجعت القافلة واستقبلتها قريش ، وكانت فيمن استقبلتها آمنة فإذا هي لم تجد عبد الله[1] ، فولولت وبكت ، وأسرعت إلىٰ عبد المطلب وقالت له : إن عبد الله لم يكن موجوداً بالقافلة ، فأرسل إليهم واسألهم عنه ! ! فخرج وسألهم ، فقالوا له : هلك بـ(المدينة المنورة)[2] ودفن فيها ، فأرسلوا إلىٰ (المدينة المنورة) الحارث ، فلما وصل إلىٰ بني النجار ـ وهم أخوال عبد الله ـ قالوا له : إنه هلك ، وإن قبره هـٰذا[3] . فرجع مسرعاً ، وكانت آمنة كل يوم تخرج تسترقب رجوع الحارث مع عبد الله ، فلما وصل . . أسرع إلىٰ أبيه وقال له : هلك عبد الله فأخبَروا آمنة ، فولولت وصاحت ، ولم تدر أن المولىٰ خبأ لها من هو أعظم من عبد الله ، ومن هو أكرم عليها من عبد الله . فظهر عندها الهم ، وكانت جلست في بيتها وعندها أم أيمن ـ جاريته عليه الصلاة والسلام ، التي تركها عبد الله لها ـ فإذا أصبحت . . استدعت أم أيمن وتقول لها : رأيت

---

(١) يتكلم سيدي وهو يبكي .

(٢) قوام العبارة حسب سياق ما بعدها أن نقول : مرض بيثرب وتأخر فيها ومات بها .

(٣) لا يزال قبره معروفاً عند أهل المدينة في الساحة المعروفة بالمدينة جوار رباط أنس بن مالك رباط الحضارم وقد أزيلت المنطقة كلها في توسعة المسجد النبوي الشريف .

البارحة كذا يقول لي : إنك قد حملت بسيد البشر . وفي الليلة الثانية : إنك حملت بسيد العالمين . وفي ليلة : إنك حملت بمنقذ البشرية . فكانت كل يوم إذا أخبرت أم أيمن . . قالت : ليت عبد الله حاضراً فأخبره بذلك . فتقول لها أم أيمن : انتظري فإن الله قد خبأ لك ما هو أعظم .

فلما كانت الولادة الشريفة التي وُلِدت فيها الأكوان ، لا وُلِد فيها السيد فقط ؛ لأن ولادته كانت ولادة للأكوان السماوية وللأكوان الأرضية ، انبثقت الأنوار فيها ساعة الميلاد ، واتسع أُفُقُها حتىٰ بلغت السماء وأهل السماء ، والماء ومن في الماء ، والأرض ومن في الأرض . . استشعرت آمنة تلك الليلة ألم الولادة ، فإذا بأربع نسوة عندها ، فنبهت أم أيمن وقالت لها : أأنت فتحتي للنساء الزهريات ؟ ـ واعتقدت آمنة أنهن من بني زهرة فأسرعت إليها مريم وقالت لها : لسن من الزهريات ، إنما أنا مريم أم عيسىٰ ، وهٰذه آسية ، وهاتان من الحور العين ، جئنا لمواساتك ولنحضر ولادتك بسيد الخلق أجمع صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم .

فما كان مقدار فرحها تلك اللحظة ؟

وكان من أمرها أن ولدت ، ورأت في تلك الولادة أنوار خرجت من بطنها وأضاءت الأكوان لمَقْدَم محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، وكان محمد هو النور الأزلي ، فكان تتعجب من ذلك ؛ لأنه لم يسبق مولود ظهر علىٰ مثل ولادته ، ولم يكن شأن مثل هٰذا الشأن ، فأَخبَرت من عندها ، فقالوا لها : كلنا رأينا .

ثم قالوا : دخل عليها جبريل في صورة رجل فتعجبت ، واعتقدت أنه من بني عبد المطلب ، أو من بني هاشم . فإذا هو يأتي بحريرة خضراء ـ ولم تعرف قريش حريرة خضراء ولا الحمراء ولا البيضاء ـ ويضعها علىٰ المولود الجديد ويبارك لها تلك الولادة ، ثم خرج من عندها . وأرسلت أم أيمن إلىٰ جده ؛ لأن أباه قد توفي ، فجاء مستبشراً ، ورأىٰ هـٰذا الولد ، ورأىٰ عليه الأنوار تشرق من جبينه ومن محياه ومن سائر جسمه ، ورأىٰ فيه ما لم يره في بشر أو مخلوق ، ورأىٰ أنه لم يُخلَق مولود لأحد مثل هـٰذا المولود ففرح ، وأنشد مغتبطاً :

الحمـد لله الـذي أعطـانـي ... هـٰذا الغـلام الطيـب الأردانِ

إلىٰ آخر الأبيات التي أنشدها . وهَنَّأَ آمنة ، وقال لها : إن الله قد خبأ لك سعادة فلا تبكي علىٰ عبد الله ، وافرحي بهـٰذا الغلام . وأخذه وطاف به البيت . قالوا : ومع طوافه به كان يسمع همهمة عن يمينه ، وهمهمة عن يساره ، وهمهمة من قدامه ، وهمهمة من ورائه ، وهمهمة من فوقه ، وهمهمة من تحته ، وإذا هي الملائكة تُرْسَل من فوق لتطوف بمحمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم ومع محمد ، تكرمة لهـٰذا الوليد الجديد ، وللحياة السعيدة . وإذا آمنة في حُلّةَ غير الحُلّة .

وكانت الشَّفّاء أم عبد الرحمـٰن بن عوف رضي الله عنهما رأت بصرىٰ ورأت قصورها ورأت مياهْ ساوه تغيض . ورأت قريش ما لم يسبق أن رأت مثله : شاهدوا أن الأرض انخفضت لـ(مكة)

وصارت (مكة) مرتفعة يُرىٰ كل جميع هـٰذا الكون من تحتها ، أبصروه بأبصارهم قبل إيمانهم ، ولـٰكن كان أمرْ خارقْ لولادة السيد الكبير ، ولظهور هـٰذا النور العظيم ؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ قد آذن أهل السماء ، وآذن ملائكته في الهواء ، وآذن ملائكته في الماء ، وآذن ملائكته في الأرض ، وحرك القلوب لولادة محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، فإذا الكائنات بحواشيها وبجأشها ، وبرَجْلها وبحركتها ، وبماشيتها وبأغنامها كلها تلتهب من الفرح ، وكلها تتحرك ، وما [تدري قريش] أنه سيد الأكوان ، وما رأوا إلا بصيصاً من خوارقه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأن خوارقه لا يدركها إلا مولاه الذي أعطاه ، وغيره إنما يرىٰ علىٰ قدر عقله ، وعلىٰ قدر نظره وعلىٰ قدر إدراكه ، وعلىٰ [قدر] ضعفه ، ومن ذا الذي يقدر يحصر أو يقدر علىٰ معرفة حقيقة أعيت السماء أن تعرفها علىٰ حقيقتها ، والأرض أن تعرف قدرها ، لا يقدر أحد أن يقدِّر محمد ، ولا أن يصف محمد ولا أن يُعرب عن محمد ، ولا أن يتكلم علىٰ لسان محمد أو عن لسانه بمحمد يكفي البوصيري ـ رحمه الله ـ هـٰذه الأبيات التي سمعتوها من أبي جميل ـ أحسن الله إلىٰ أبي جميل ـ يقول فيها : مَن لِحوّاءَ ـ لأجل يحدِّث أن لحواء نصيبْ من الشرف ؛ لأنها من أجداد محمد وغيرها من الأجداد ـ :

مَن لِحوَّاءَ أنها حملت أحـ ـمد أو أنَّها به نفساءُ
يوم نالت بوضعه ابنةُ وَهبٍ من فَخارٍ ما لم تنله النساءُ

وأتــت قــومهــا بــأفضَــلَ ممــا حملَــتْ قبــلُ مــريــم العــذراءُ

لا مــريــم ولا غيــرهــا ، ولا آسيــة ولا غيــرهــا ، ولا مَلَــك ولا سماء ولا غيرها ، ذاك محمد حبيب الله ، ربط الله شهادته بشهادته ، وألَّف بين اسمه واسمه وجمع بينه وبينه ، فما يُذكَر الله إلا ويُذكر محمد ، ولا تُذكَر شهادة الله إلا وتُذكَر شهادة محمد . ومن ذا الذي يُذكَر مع محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم ؟

أيُذكر آدم ، وإن كان أبوه ؟ لا .

أيذكر نوح ، وإن كان أول المرسلين ؟ لا .

أيذكر هود ، وإن كان أُرسل إلىٰ أمته ؟ لا .

أيذكر صالح ، وإن كان أُرسل ؟ أو شعيب وإن كان أُرسل ؟ أو إبراهيم ، وإن كان من آبائه الذين يحب الانتماء إليهم ؟ أو عيسىٰ الذي هو روح الله ؟ لا ، لا يُذكرون مع محمد ، ولا يذكر مع رب محمد إلا محمد .

حينما يُكتب علىٰ ساق العرش لا إلـه إلا الله . . يضاف إليها : محمد رسول الله .

علىٰ الكرسي [مكتوب] : لا إلـه إلا الله ، مضاف إليها : محمد رسول الله .

علىٰ أبواب الجنة الثمانية : لا إلـه إلا الله ، بعدها : محمد رسول الله . عليه أفضل الصلاة والتسليم .

الحمد لله علىٰ هٰذه النعمة . هٰذا سيدنا ، هٰذا نبينا ، هٰذ رسولنا ، كلكم تنسبون إليه . إذا كانت البهائم تشكو إليه فيجيبها في شكواها ، إذا كان جمل جاء يشتكي إليه من تثقيل صاحبه عليه [فرحمه] . أفلا يرحمنا وقد رحم هٰذا الجمل ، حاشاه أن يتركنا .

إذا كانت الغزالة جاءت تشكو إليه ووضعت فمها في أذن محمد ، فقال لصاحبها : أطلقها ترضع أولادها وتعود .

مَن علَّمك ـ يا محمد ـ كلام الجمال ، وكلام الغزال ؟

مَن أَمَر ـ يا محمد ـ أن تظلك الأشجار ؟

من علمك ـ يا محمد ـ أن تسمع كلام الأحجار ، وسلام الجبال ؟

علمك ربك ، وأعطاك ربك ، وألهمك ربك ، وخصك ربك .

الحمد لله علىٰ ما خصه ، والحمد لله الذي جعلنا من أمته ، وجعلنا من أتباعه ، وجعلنا من حاشيته .

سمعتم ـ كذلك ـ في القصيدة الثانية التي أتىٰ بها أبو جميل ـ بارك الله لنا في أبي جميل ـ ومنهم الولد المنشد الثاني لما أنشد لنا من قصيدة شوقي :

وجبريل الأمين ضمي

الملائكة وجبريل ، والأنبياء والمرسلون كلهم [يوم المحشر]

ينتظرون ، ينتظرون من ؟ ينتظرون محمد . يُقْبل محمد وهو يلاحظ أمته ، ويتفقد رعيله وحزبه ، ويتفقد جيرته ، ويتفقد صحبه ، ويتفقد أتباعه . وله الشرف في ذلك الموقف ، لا شرف إلا له ، لا بركة إلا معه ، لا عزة إلا عنده .

يأتون آدم ، فيقول : لست هُناكم .

يأتون نوحْ فيقول : لست هُناكم .

يأتون صالحْ ، وإبراهيم ، وهودْ ، فيقولون : لسنا هُناكم .

قالوا : لأنه موقف تضطرب فيه البشرية ، ولا يثبت قلبها مع تجلي المولىٰ باسمه القهار ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ . في يوم الحشر . . فيه الشمس تلتهب ، والعرق يلتهب ، والزبانية تلتهب ، والسياقة تلتهب ، وأصوات الزبانية تقمع وترسل . . حتىٰ إذا جاؤوا إلىٰ محمد . . وجدوه يتهلل ليس به خوف ، وليس عنده شيء من الوجل ؛ لأنه حبيب الله ، والسيد الذي اختصه الله ، والأمين علىٰ علم الله ، وعلىٰ رسالة الله ، وعلىٰ وحي الله ، وعلىٰ خلق الله ، وعلىٰ رحمة الله . يأتون إليه ، فيقول : « **أنا لها ، أنا لها ، أنا لها** » .

فإذا قال : أنا لها . . تهللت الملائكة ؛ لأنهم يدعون لبني آدم ، ولا يدرون ماذا يُفعل بهم ولا ببني آدم . ثم تتهلل الأنبياء ؛ لأنهم ما يدرون ما الموقف وما يكون في الموقف ؟ ثم يتهلل سائر الخلق ، فإذا هو يمشي وهو رافع الرأس بخطاه التي تُعرَف ، يَنْصَبُّ كأنما هو من حَدَر ، ويتصبب حتىٰ إذا وصل . . سجد

تحت العرش ، فإذا أطال سجوده . . أشفق عليه ربه ؛ لأنه يحبه ، ولا يشفق الإنسان إلا علىٰ حبيبه ، فإذا أشفق عليه . . يقول له : يا محمد ، عَلامَ هـٰذا السجود الطويل ؟ ارفع رأسك ، وسل تُعطَ ، فهل تراني رددت لك سؤالْ ؟ أو رددت لك قولْ ؟ اشفع فيمن تحب . يا محمد ، ارفع رأسك يا محمد ، واشفع فيمن تشفع .

فيشفع الشفاعة الأولىٰ ، فيأتي فإذا جهنم في تلك اللحظة ـ قالوا ـ بدأت زفراتها تَخفُت ، وإذا الحشر مع صليله ومع كثرة زبانيته يخفُتون ، وإذا الشمس تخفت . . . . . لأنه ظَهَر لها نور محمد ، وحق لها أن تخفت ، وحق لها أن تتواضع ، وحق لها أن تبعد . فيشفع سيد الأولين والآخِرين الشفاعة الأولىٰ فيمن قال : لا إلـٰه إلا الله .

الحمد لله علىٰ أَنَّا من أهل لا إلـٰه إلا الله .

ثم يرجع فيرىٰ ناساً عليهم من الكآبة ، عليهم من الضيق ، عليهم من التعب ، عليهم من الإعياء ، فيسجد سجدة أخرىٰ ، فإذا طالت . . أشفق عليه مولاه ، قال له : يا محمد يا حبيبي ، ارفع رأسك لي وسلني ، أُجِبْك وأُشَفِّعك . فيشَفِّعه ، فيَشْفع فيمن كان بقلبه مثقال خردلة من إيمان .

وماذا تكون وزن الخردلة ؟ وماذا يكون وزن المثقال ؟ ولـٰكن ذلك الميزان لا يطيش منه وزن الذرة ، فضلا عن الخردلة .

فيرجع فيَشْفع ، فتخفت النار وتخفت الشمس ، وتتواضع

الزبانية لمحمد . فإذا خمدت . . رأىٰ بقيةَ عليهم من العبوس شيء ، فيرجع إلىٰ ربه ويسجد ، فيقول له : يا حبيبي ، ارفع رأسك ، وسل أشفعك فيمن تحب . هـٰذه هي الشفاعة التي تقرؤونها في قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ .

اللهم أَرْضِه عنا ، اللهم أرضه عنا ، اللهم أرضه عنا وعن والدينا ، وأولادنا وأزواجنا ، وأحبابنا وأصحابنا ومشايخنا ، وأرضه عن أمته كافة .

فإذا شَفَع هـٰذه الشفاعات كلها . . لم يبق [في النار] إلا من وجب عليه الخلود فيها . وكان ذلك في ذلك الموقف ـ قالوا ـ تأتي الملائكة والأنبياء والرسل ، كلهم يقفون حيرانين حتىٰ يأتي الأمر بشهادة كتابه تعالىٰ في قوله : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ .

وهل يأذن لغير محمد ؟

هل له حبيب غير محمد حتىٰ يكرمه بالإذن ؟ لا ، إنما هو إذنه ، وإنما هي شهادته ، وإنما هي مفخرته عليه الصلاة والسلام . قالوا : هـٰذه المفخرة هي من تلك المفاخر التي أعطيها عليه الصلاة والسلام .

ومن المفاخر التي ـ أعطيها ـ عليه الصلاة والسلام ـ قالوا ـ أنه [كان] مهاباً حتىٰ في قريش عند أعدائه . بلغ من قريش أنهم آذَوْه أشد الإيذاء ، فكان من أمره ؛ : أن دخل عليهم الأراشي ذات يوم يتقاضىٰ أبا جهل ديناً له ، وأبو جهل كان أعدىٰ أعداء

محمد ، ولـٰكن محمد معه ربه ، معه الكون كله ، يقول له مولاه : ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ .

أيقدر عليه أبو جهل ، أو تقدر عليه قريش ؟ ضلت وخابت أحلامها وسفهت عقولها إذا اعتقدت أنها تقدر علىٰ واحد تحميه السماء بما فيها ، وتحميه الأرض بما فيها ، وتحميه الجبال بما فيها ، غرَّها السفه والقوة وظنت أن لها قدرة علىٰ محمد .

كانت [قريش] ذات يوم جالسين في حرم الله ، وكان ذاك الأراشي جاء إلىٰ أبي جهل ليتقاضاه ديناً ، وكان أبو جهل كثير الاستهزاء ، كثير الإغواء ، كثير الضلال ، كثير البعد ، فأخذ يماطل الأراشي ، والأراشي ضعيف ، من القوم الضعاف ، فجاء إلىٰ قريش وهم جالسون في الحرم محتبون بفناء البيت الحرام ، فقال لهم : أتنقذوني من أخيكم هـٰذا فإنه ظلمني ؟

قالوا له : ومن تعني ؟

قال : هـٰذا الرجل ، [ويشير إلىٰ] أبي جهل .

قالوا : ذاك الذي يصلي ينقذك [وأشاروا له إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم] استهزاءً به .

فذهب الأراشي إليه وانتظره ينتهي [من] صلاته ، حتىٰ ذهب أبو جهل إلىٰ بيته . فلما سلم من صلاته ـ وكان يصلي إلىٰ بيت المقدس قبل أن تفرض الصلوات ـ جاء إليه الأراشي ، ولم يدري أن هـٰؤلاء يستهزئون بمحمد ، ولم يعرف أنه رسول الله ، إنما

هو بدوي جاء لحاجته واعتقد أن له شفاعة علىٰ أبي جهل ، فجاء إليه وقال له : ياهـٰذا!

قال له : لبيك .

قال : إن أبا جهل ظلمني ، وأخذ يخادعني ويماطلني ويماكرني ، وقد شكوته إلىٰ رهطه فأرسلوني إليك لتنقذني منه ، فهل أنت منقذي من هـٰذا الرجل ؟

قال له : نعم ، أنا أنقذك ، قم معي .

فقام معه فقرع الباب علىٰ أبي جهل ، فظهر عليه أبو جهل وفتح الباب ، فقال له [رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم] : أعط هـٰذا دينه .

فلما قال له : ؛ أعط هـٰذا دينه . . قال له : نعم ، نعم ، نعم أعطيه الدين . وأخذه وأعطاه دينه كله ، ورجع إلىٰ الحرم .

قالت له قريش : ماذا عملت ، وماذا عمل معك محمد ؟ [يقولون لأبي جهل]

قال : إنه جاءني وظهر معه جمل كاد يلتهمني لولا أني تداركت نفسي فأعطيته [دينه] .

قالوا ؛ وكان من أمر أبي جهل ذات مرة لما ضاق من محمد . . قال : لأضربنه في حرم الله وهو يصلي ، ولا أبالي بعدها ما يفعل بي بنو هاشم أو بنو عبد المطلب . لأنه كثيرْ ما اشتكىٰ [به] إلىٰ أبي طالب فلم ينقذه ، واشتكىٰ إلىٰ قريش فلم

تنقذه ، فجاء وقعد يحلف لهم باللات وعُزَّاها أنه سوف يضربه في رأسه ، فلما أحرم [رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم] بالصلاة . . قام إليه ، فإذا حوله جملان يحرسانه . . من قوة أبي جهل الضعيف السخيف ، فرجع مفزوعاً . فقالوا له : ما الذي صدك عنه وأنت قد حلفت بِلاتِك وعُزَّاك ؟

قال : وجدت حوله جملان يريدان أن يلتهماني ، فخفت .

فلما سلم رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم التفت إلىٰ القوم فإذا هم يرتعدون ، قال لهم : « **والله لو دَنا مني أبو جهل . . لأخذه ذلك الجمل** » وقال لخديجة وأبي بكر رضي الله عنه : « **ذلك ليس بجمل ، وإنما جبريل أرسله الله ليحرسني منه** » .

كان أمره عجباً ، كان أمره كبيرْ ، كان أمره عظيمْ ، فلا غرابة أن تكون المجالس التي يُذكَر فيها [محمد] عجباً ، وتكون عظيمة ، ويخرج القلب منها من حمأ النفس إلىٰ عالم القدس ؛ لأن عالم القدس حَقُّه وقدسه هو عليه الصلاة والسلام ، والعالَم اللاهوت لاهوته . [فالإنسان] إن خانت به البشرية . . أوصلته إلىٰ حضيض ، وإن أخذ بتعاليم محمد ، وأخلاق محمد ، وكرامة محمد ، وقداسة محمد . . كان مَلَكاً من الملائكة ، يظهر بين الناس وعليه سيماء من سيماء محمد ، ذكر لنا القرآن تلك السيماء فقال : ﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾ وقال : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم ﴾ . وذكر لنا كذلك في المستقيمين أخبار تعرَّفنا كرامتهم ، وتعرَّفنا أفضليتهم ، وتعرَّفنا أن من استقام . . لبس خلعة محمد ، ومن

لبس خلعة محمد . . ظهر كالكيمياء بين الناس ، وحفت به السعادة أينما حل وأينما نزل ، وأينما قام وأينما قعد .

قال ابن مسعود ـ عليه الرحمة ـ وهو من خواص أصحاب محمد ، وكان جالساً إلىٰ أحد أصحاب محمد ، وكان ذاك طويل القيام في الليل ، وكان ابن مسعود يقوم من الليل أقله ، فقال : أرجو في نومتي ما أرجوه في قومتي . ذلك لأن عمله كله كان مع محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

رجعنا إلىٰ ذكر القرآن : حكىٰ لنا المولىٰ في هـٰؤلاء فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ ثم يقول لهم : ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ ﴾ .

من هـٰذا القائل ؟ هل هـٰذا ملك من ملوك الدنيا ؟

أهـٰذا وزير من وزارء الدنيا ؟

أهـٰذا ممن يجلس علىٰ كرسي ولا بد أن تحوطه هالة من العسكر الذين يحرسونه من الناس ؟

هـٰذا القائل هو الذي خلق العوالِم كلها ويحرسها ، يقول لهم : ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ ﴾ إذا استقمتم ﴿ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ فلا يقدر عليكم بشر ولا أحد ﴿ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ .

هـٰذا المولىٰ يقول لأوليائه وأولياء محمد ، ويقول أيضاً : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

ثم يخبرنا بالشفاعة التي لا يدري عنها من لم يقرأ كتاب الله ولا من يقرأ ولم يتدبر ، يقول : ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ ﴾ مؤمنون بمن ؟ بمحمد ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .

أعطانا صورة علىٰ أن أوروبا هـٰذه المتمادية في ضلالها ، وأمريكا المتمادية في عدوانها ، وروسيا المتمادية في فحشها ، والصين الملحدين وما شاكلهم . . في بَركة أولياء محمد ، محفوظين بأولياء ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ ﴾ عرفنا أن الإدارة للكون إنما هي لأولياه ، وأنهم هم القائمون ، وأنهم هم الحافظون ، وأنهم هم الولاة بعده ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، وغيرهم إنما له من الظاهر ما له إنما هم :

(ملوك علىٰ التحقيق ، ليس لغيرهم من الملك إلا اسمه وعقابه)

وهـٰؤلاء لهم الصَولة في الدنيا .

كان مالك ابن دينار بات عنده ضيوف ذات ليلة ، فلما أصبحوا . . استأذنوا منه فدعا لهم وأذن لهم ، فلما خرجوا ومشوا قليلاً في الطريق إذا هم بأُسُوْد فخافوا ورجعوا ، فقال لهم : ما لكم رجعتم وقد استأذنتم وخرجتم ؟

قالوا : وجدنا علىٰ الطريق أُسُوْد .

قال لهم : أو تخافون الأسود ؟

قالوا : ومن ذا الذي لا يخاف الأسود ؟

قال : سيروا معي .

فأخذ يمشي قدامهم حتىٰ وصل إلىٰ الأُسُوْد ودخل بينها وأخذ يعرك أذن واحد منهم ، ويقول لهم : ألم أقل لكم لا تكلموا أضيافي ؟ مَرُّوا بسلام .

هٰؤلاء الرجال ، هٰؤلاء السلاطين ، هٰؤلاء أهل السيطرة .

عندنا الحديث القدسي الذي نقرؤه في « البخاري » الصحيح الذي [هو] أصح كتاب بعد كتاب الله ، يقول [فيه] : « **ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل بعد أداء الفرائض حتىٰ أحبه ، فإذا أحببتهُ . كنت سمعَه الذي يسمع به ، وبصرَه الذي يبصر به ، ويدَه التي يبطش بها ، ورجلَه التي يمشي عليها ، ولسانَه التي ينطق بها . وإن سألني . . أعطيته ، وإن استعاذ بي . . أعذته** » .

كان أحد شراح « الرسالة القشيرية » يحكي لنا أن أحد الأولياء الذين كانوا غير معروفين عند الناس بالولاية ، ولٰكنهم كانت لهم عند الله مكانة سبحانه وتعالىٰ ، كان مُلزِمُه سلطان بلده أن يؤديه في كل أسبوع في يوم الجمعة طعاماً لفرسه ، يَحْسِكها ـ يعني : ينظفها ـ ويسلمه إياها ، فكان يدفعها في كل يوم جمعة حسب أوامر السلطان ، فقدر الله ذات يوم من الأيام أن تأخر المُرسَل ـ

الجندي ـ فجاء ، فوجد الرجل متأهبْ قد اغتسل وتطيب ولبس أبيض ثيابه ، ولما لبس أبيض ثيابه وخرج . . إذا بالجندي قائم تحت الباب ، قال له : ارجع أعطني الطعام .

قال له : أنا خارج لصلاة الجمعة .

قال له : لا . . ارجع .

قال له : أنا خارج إلىٰ ربي ذا الحين ، ولا بايمكني أرجع ، ولٰكنك انتظرني بعد صلاة الجمعة أعطيك الطعام .

قال : لا ما بايمكن .

قال : بايمكن إلاّ . . أنا أقول لك .

قال : أنا رسول السلطان ، أنا صاحب النفوذ .

قال : أنا أعرف أنك رسول السلطان .

قال له : ماشي طريق تمشي بها إلىٰ المسجد حتىٰ تؤدي طعامي .

قال له : لا ، لا ، أنا باخرج إلىٰ المسجد وأنته ما لك طريق تمشي بها من هنا . وأخذ بيده علىٰ الأرض فساخت رجلاه وغرق ، فكان يناديه : يا هٰذا فُكَّني ولا أعود لك .

قال له : لا ، لا ، أنا سأصلي الجمعة وأعود لك .

قال له : فُكَّني ولا أعود لك .

قال له : انتظرني ، حتى أعود ، أنته تقول لي : ما لي رخصة ،أنا أقول لك : ماشي رخصة ، أنا خارج إلىٰ ربي . وخرج [للجمعة] وحضر مع إخوانه من أهل لا إلـٰه إلا الله ،

وصلىٰ الجمعة ورجع ، ووجد هـٰذا قائم ورجليه تحت الأرض ، فأخذ بيده ونَصَغُه[1] قليلْ ، وقال له : هيا امشي معي . ارتفعت رجلاه من الأرض ومشىٰ معه ، [ولـٰكنه قال له] : فكني فلا حاجة لي بطعامك ، وما كنت أعرف أن عندك شيءْ من التصريف الإلـٰهي .

وإلىٰ آخر ما قال رضي الله عنه وأرضاه .

* * *

---

(١) ونصغه : أي جذبه .

الحبيب أحمد بن موسى بن عمر الحبشي (١)

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة في حفل التأبين علىٰ حبيبنا وخليفة أسلافنا ، العلامة الوالد المرحوم : أحمد بن موسىٰ الحبشي ، رحمه الله رحمة الأبرار . فقد وافته المنية في اليوم الثاني من رمضان ، من عام ثمانية وتسعين وثلاث مئة وألف (٢/ ٩/ ١٣٩٨هـ) وقد أقيمت له قراءة ثلاث ليالي بمدرسة بن لادن بـ(جدة) وكان ختمها مساء الجمعة ، الثالث عشر من شوال . توافد إليها الكثير من أهالي (سيئون) و(الحوطة) و(تريم)

وفي نهاية الحفل تكلم سيدي بهٰذه الكلمة القيمة ، وذكر فيها ما كان عليه الفقيد من تقوىٰ وصلاح . وتقدم قبله العم عبد الله بن محمد الصادق ، من (الحوطة) ، وتكلم بكلمة تعزية في الحبيب ، وحث الشباب فيها علىٰ طلب العلم .

بعده تكلم سيدي ، وقال :

جزىٰ الله أخينا عبد الله خير الجزاء . ذكر لكم عن هٰذا الإمام ما ذكر ، وذكر لكم عن أهلكم ما ذكر .

وهٰذا الإمام هو بقية القوم الذين عرفناهم لحماية السوم . إمام عظيم جمع الله له من التقوىٰ ، وجمع الله له من العلم الواسع ، وجمع الله له من الأخلاق الفاضلة ، وجمع الله فيه من البعد عن الدنيا ، وجمع الله [له] من كمال الاتباع لأهله .

(١) (٧/ ١١/ ١٣١٧هـ ـ ٢/ ٩/ ١٣٩٨هـ) .

ما يضع قدم إلا وهو موسوم بكمال الاتباع عمن قبله وممن عرفهم من الأئمة .

أجمع أهل بلده وأهل جهته ، ومن عرف هٰذا السيد علىٰ أنه من كبار الأولياء وهو في شبابه ، ولا يزال يترقىٰ ، ولا تزال تأخذه النشوة إلىٰ كمال الاتباع ، وإلىٰ كمال الأخذ عمن قبله من الرجال ، مع البعد عن الدنايا ، مع الزهد في الأمور كلها ، مع الاعتراف وهضم النفس ، مع العلم الواسع . ما تسأله عن مسألة إلا ويشفيك [بالجواب] .

وكان ـ رحمه الله ـ في آخر وقته يتحدث بالنعمة ، قال لي لما حضرت عنده قبل سفري بأيام ، قال : أَتَذْكُر لما قلت لك لما جئتُ إلىٰ (المدينة المنورة) : أخذتني حالة تجاه الشباك الأعطر ، وسلمت علىٰ الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم فسمعتُ الرد ؟

قلت له : ذكرت أنك قلت لي هٰذا .

وهٰذي منقبة كبيرة حصلت لكبار من الأولياء ، وكان يتستر بها ولا يحب يُظهِر شيءْ قط .

وكان يقول لي : مرة كنت جالسْ في قبة جدي أحمد بن زين وأخذتني حالة غبت عن نفسي ، فإذا هاتف من فوقي يقول لي : « أما ترضىٰ أن تكون في مقام الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي ؟ قال : وسكت . هٰذا فيما قبل عشرين سنة قال لي به ، ثم بعد ، فيما نعتقد وندين الله به ـ علىٰ ما عرفنا هٰذا الإمام ـ أنه

ارتقىٰ به الحال إلىٰ مقامات عوالي كبيرة جم . هو لا يحب أن يتكلم ، وإذا حضر في مجلس . . يعجبه أن يجلس في زاوية من زوايا المجلس البعيدة ؛ من الخمول الذي كان عليه ، والخمول هو طريقة الرجال الكُمَّل أهل الكمال .

جاء واحد إلىٰ عند الإمام الحداد ـ رحمه الله ـ وقال له : أهل الزمان ما عرفوا قدري .

قال له : ادفن نفسك[1] ، أما ترىٰ الحبة إذا دفنت في الأرض وسقيت ، إذا لم تكن مسوسة . . نبتت وظهرت .

وهـٰذا الإمام ـ كما ذكرت لكم ـ هداه الهادي ورعاه الراعي . وكان يقول لي أيضاً : كانت أمي ما أدركت عندما جاءها الوضع ، دخلت بي الحمام ، [تعسَّر] عليها الوضع ، فإذا هي تسمع صوت والدي موسىٰ بن عمر يقول لها : ما بايخرج ولدي من بطنش إلا في المنزل ، ما هو في الحمام . لأن السيد طاهر من المطهرين ومحفوظ ، وكل من عرفه شهد له بهـٰذا ، وهو عاش بعيدْ عن مثل هـٰذه الأشياء .

وكانت من رعاية الشيوخ به ـ مرة أخذته حالة في أول عمره وهو في سن الشباب ، والشيوخ يرعونه ـ : دخل إلىٰ منزل ضيِّق ـ خزانة ضيقة ـ ما تتسع لغير نومه فقط ، وأخذ فيها مدة ، وكان والدي وهو أكبر شيوخه في ذلك الزمان يتردد عليه وهو في

---

(١) إشارة إلى أنه يوصيه بالخمول والتواضع .

خلوته ، وجاءت أمه مرة إلىٰ عند والدي تشكي ، وقالت : قد ظهرت علىٰ بدنه بثور ، وأخشىٰ أن يعتل البدن ، بغيتك تخرجه يا حبيب أحمد .

أذكر أنني جئت معه وأنا صغير ، وقال له : يا أحمد .

قال له : لبيك .

قال له : يكفيك من الخزانة . أخذ بيده ، وخرج وجلس عند باب الخزانة وأخذ مدة طويلة ، وبعد المدة الطويلة دخل عليه أيضاً والدي وهو لا يزال في ذلك الوقت مع الله ؛ لأن الإنسان لا يخلو إلا أن حصلت له ساعة صفاء مع الله سبحانه وتعالىٰ وأخذته ـ وهٰذا كما ذكرت لكم من أول أمره ـ [هٰكذا] .

جاء إليه ، وقال له : يا أحمد .

قال له : لبيك .

قال له : اليوم يكفيك من الجلوس في الدار . فخَرَج وأخذ يحضر الدروس حق شيخه الثاني الكبير الحبيب محمد بن هادي . وكان في أول دروسه يجلس منزوي ، حتىٰ قال له الحبيب : يا بِنْ موسىٰ .

قال له : لبيك .

قال له : تعال اجلس قدام . فصار يجلس إلىٰ جنبه أو أمامه .

وجاء وقت انقباض الحبيب محمد بن هادي . . إذا جاء بِنْ موسىٰ ينطلق له ويفرح به ، وجيت أنا والحبيب في حالة النزع ،

فوجدت بِنْ موسىٰ جالسْ عن يمين الحبيب محمد بن هادي ، وأولاد الحبيب موجودون ومعهم سقاف بن محمد . كأن الحبيب حينذاك في حالة النزع ، استشعرت أنا من الأنوار التي غشيت المجلس فذكرت قول السيدة عائشة للنبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، دخل عليها في الليل وهي تخيط فسقطت الإبرة ، فأخذت تبحث عن الإبرة فما وجدتها ، ثم لما دخل عليها الوجه الصبيح صلىٰ الله عليه وآله وسلم . . أضاء المنزل كله صلىٰ الله عليه وآله وسلم فرأت الإبرة ، وأخذتها ، وقالت له : ما أضوأ وجهك يا رسول الله! قال لها : « **الويل لمن لم يرني** » إلىٰ آخر الرواية .

دخلت أنا في ظهر النهار علىٰ الحبيب محمد وهو في حالة احتضار ، وكأن المنزل في عالم من عالم الأنوار الأخرىٰ التي هي أرفع وأجلىٰ من الشمس ، والحبيب يجود بنفسه في تلك الحالة وعنده بِنْ موسىٰ ، وأحسب أن يد بِنْ موسىٰ في يد الحبيب في تلك اللحظة ، وجلست أنا إلىٰ الجانب الثاني وحضرت معهم ثم قمت ، فقال لي أحد أولاده : اخرج يا عم عبد القادر رتب له فاتحة عند الشيابة أن الله يخفف عنه من تلك الحالة .

ذكرت في تلك الحالة حالته صلىٰ الله عليه وآله وسلم . وأهل الخلافة التامة هٰذه أحوالهم ؛ لأنهم في حياتهم يضعون القدم حيث القدم ، والقول حيث القول ، والفعل حيث الفعل ، والأمر حيث الأمر ، والنهي حيث النهي ، فتكون لهم عند الموتة

ما يكون لنبيهم وأبوهم صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، وهو قد أخبر بقوله : « **يموت المرء علىٰ ما عاش عليه** » .

وكان الحبيب [أحمد بن موسىٰ] في أيامه الأخيرة أرسل كتاب لي وصلني بعد وفاته ـ كأنما هو في استيداع ـ يقول لي : طالت الغربة وأصبحتُ وحيدْ . وأنا أعرفه أنه وحيد في سماء ربه ، قَلَّ أن يكون لابن موسىٰ نظير . إذا لاقاه الإنسان وتحقق فيه . [رآه] علمْ كبيرْ ، وسَعَة كبيرة . وكنا ذات يوم في مجلس من المجالس ، وكان البحث يدور في القائلين بأن النبي رأىٰ ربه [ليلة الإسراء] والقائلين بأنها رؤيا منامية ، فلما جاءت النوبة إلىٰ عند بِنْ موسىٰ ـ شُفوا العلم والدراية والفهم ، والأخذ عن الله ـ قال : كيف ذا الكلام لي يقولوه ؟ إذاً صلاتنا جاءت عن طريق الرؤيا للنبي ، وهي أعظم شعائرالدين ! ! انتبهت أنا للكلام هـٰذا وللعلم هـٰذا الملقىٰ علىٰ صدره ، [حقيق] الصلاة أعظم الشعائر ، وسئل رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم : ما أعظم أعمال البر ؟ قال : « **الصلاة لوقتها ، ثم بر الوالدين ، ثم الجهاد ، ثم حج مبرور** » . وفي رواية مقدم الجهاد علىٰ بر الوالدين .

فلما أخذ الناس [في المجلس] ينقلون كلام أهل الكتب . . قال بِنْ موسىٰ : ذَلاًّ [فُرضت] صلاتنا برؤيا نبوية ، وليست عن طريق الوحي ! !

انتبهنا للكلام وقلنا له : صدقت ، ولو سمعها مَن قبلك يا بِنْ موسىٰ . . لكان رجعوا إلىٰ قولك .

هٰذا كله من العلم المأخوذ عن الله سبحانه وتعالىٰ . وكم كان يأتي بعبارات [غريبة] إذا جلس في مجلس واستراح وتكلم . . يأتي بأشياء غريبة . ولما جاء إلىٰ هٰذا البلد للحج[1] . . كان يقول لي بعد رجوعه : أنا عادنا أتمنىٰ أن تكون لي حجة أخرىٰ ، وأنا وُعِدت بها كما وُعِد بها الإمام الحداد . ولٰكن ، كان أمره كأمر الإمام الحداد ؟ الإمام الحداد لما جلس في (مكة) أقبل عليه أهل (مكة) في دار الشيخ حسين بافضل ، وجاءه مغربي من المغاربة قال له : أنته عبد الله بن علوي الحداد ؟

قال له : نعم .

قال له : أبشرك بحجة ثانية .

قال له : أنته من ؟

قال له : أنا فلان بن فلان المغربي .

قال له : بشرك الله بالخير .

وقال الإمام الحداد : فرحت بهٰذه البشارة . ولٰكنها لما مرت عليه سنوات . . قال : أرىٰ أن البشارة ستكون لي في عالم ثاني . وكان بِنْ موسىٰ يقول : أنا بُشِّرت بحجة ثانية . [لٰكن] ما تيسرت له الحجة الثانية ، ولٰكنه في هٰذه الحجة وضع قدمه حيث وضعه محمد . جاء إلىٰ (جدة) ونزل بها ـ وكنا في (مكة) في تلك الأيام فيما أحسب أو ما أدري أنا حضرت أو

---

(١) حجته عام ١٣٨٢ .

لا [واستدرك وقال : تذكرت] ما كنت موجود ـ ولما وصل إلىٰ (جدة) قالوا له : اطلع إلىٰ (مكة) .

قال : لا ، باسير إلىٰ (المدينة) وباجي معتمرْ من مدينة رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

ولما رجع من حجه وهو مرتاح الضمير ، راخي البال ، ظاهره عليه بشائر القبول وأشائر النعمة . . كان يقول لي في خلواته ـ التي أجلس أنا وإياه في بعض الأحيان ويتنفس فيها ، وبعض الأحيان ما يتنفس فيها ، قال لي ذلك الكلام ذكرته لكم ـ إني وقفت حول الشباك المعطر وحصلت لي ساعة [صفاء] سمعت فيها الرد من الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم . وهـٰذه المنقبة كبيرة جم ، ولا تصلح إلا لأمثال بن موسىٰ ، هـٰذا الذي وضع قدمه حيث القدم ، ما فيه عنده لغو ولا عنده لهو ، أوقاته موزعة ما بين إحياء ، وما بين علم ، وما بين تذكير ، وما بين وعظ ـ إذا جاء عنده الإنسان ـ وما بين مباسطة تدور علىٰ علم . . . وغير ذلك ، ماشي من أمور الدنيا عند هـٰذا السيد قط . وخرج من الدنيا وهو خلي اليد ، وجلس فيها وهو زاهد بعيد ، قانع بما يأتي وبما يكفي وبما يكون ، رحمه الله .

وقد رأينا في موته النقص الكبير علىٰ الأمة الإسلامية كافة ، لا علىٰ آل الحبشي ، ولا علىٰ أهل بلده ، ولـٰكن علىٰ الكون كله ؛ لأن فيما أحسب وفيما أعتقد أنه ممن يدير دفة الكون .

إمام عظيم . . جمع الله له الأخلاق والمزايا التي كانت لأهله

ولسلفه . وقد كنت أنا أذكر كثيرْ عنه :

كان يقول : لما قرأت علىٰ والدك « شرح العينية » لجده الحبيب أحمد بن زين ، الإمام الكبير الثاني ، قال : إنه لما قال : وبعد ، فيقول [وصل العبارة التي وقف عندها الإمام الحداد] قال : كان الإمام أحمد بن زين يقرؤها علىٰ شيخه الإمام الحدادْ لأنه أمره بالشرح وقال له : إذا كتبت كَمَّه كراريس . . تعال إلىٰ عندي واقرأها عَلَي . قال : كَتَبَ الأول من الكراريس وراح من غرفته[1] إلىٰ فين ؟ إلىٰ (حاوي تريم) وأخذ يقرأ فيها . وبعد ما قرأ الديباجة . . قال: وبعد ، فقد أمرني شيخي وإمامي وذخيرتي . . . إلىٰ أن قال : القطب الغوث . . . مدحه بأوصاف كلها واقعة في الإمام الحداد، [وفيه] أكبر منها، حتىٰ وصل إلىٰ قوله: العبد المحض.

قال : إنه لما ذكر العبد المحض إذا الدمع يتساقط كالدر من عيني شيخه الإمام الحداد ، قال له : رُدَّها يا ولدي ، ردها .

ولما انتهىٰ منها . . قال له : يا أحمد .

قال له : لبيك .

قال له : أنا إن صحت لي العبودية المحضة . . كله ذا ما أنا محتاج منه ، لا العلم ولا العمل ، ولا شي من هـٰذا كله إذا كنت عبدْ محضْ .

والعبد المحض هو : الذي خلَّصه الله من شوائب الهوىٰ ،

---

(١) غرفته : أي بلدة الغرفة .

وشوائب الرعونات ، وشوائب الدنيا ، وشوائب التطلع إلىٰ الكلام علىٰ الناس ، والنظر إلىٰ الناس وأحوال الناس ووضعهم في الميزان : فلان زين ، وفلان عيف ، وفلان عمله كذا ، وفلان الله يهديه ، مالَقَّىٰ كذا .

إذا وصل العبد إلىٰ العبودية المحضة . . معاد راقب الناس قط ، وصاروا الناس كلهم سَواء عنده ، معاد ينظر إلا إلىٰ اتجاه واحد ، وهو : عالم الربوبية . وعالم الربوبية هـٰذا منه تدور الدوائر وأفلاكها علىٰ رجالها وعلىٰ أهل الحضرة ، والإمام الحداد هو الأحرىٰ ؛ لأنهم أجمعوا علىٰ أن الله سبحانه وتعالىٰ وهبه علم المتقدمين كلهم ، وسر المتقدمين كلهم ، وولاية المتقدمين كلهم .

وجاء الحبيب أحمد ـ الإمام الكبير ـ أحمد بن زين ، وقالوا الشيوخ : إن ما في عبد الله حداد استكمله أحمد بن زين ، ومَن قصرت به زيارة (تريم) يزور أحمد بن زين ؛ فإنه مَجْمَع لأهل (تريم) كلهم . هـٰكذا كانوا الرجال الكُمَّل ، لا يهمهم شيء .

وكان هـٰذا الحبيب الإمام أحمد بن زين ، كان إذا جاء عنده الضيف يقدِّم هـٰذين البيتين[1] :

نقــدِّم حــاضــرَ مــا عنــدنــا وإن لم يكن غيرَ خُبز وخَلّْ

---

(١) وتنسب للإمام القفال الشاشي ، وقبلها :

أُوَسِّــعُ رحلــي علــىٰ مَــن نَــزَلْ وزادي مبــاح علــىٰ مــن أَكَــلْ

فأما الكريم فيرضىٰ به وأما اللئيم فمن لم أَبَلْ

لأنه زاهد من الزاهدين في الدنيا وقد فتح الله عليه بشي منها .

وكانوا يحكونها عن الشيخ أبي إسحاق الشيرازي الإمام الكبير .

كان الحبيب [أحمد بن زين] علىٰ مثل هٰذا الحال ، وكان وقته كله مع العلم ، ومع الدعوة ، ومع بناء المساجد . قالوا : بنىٰ أحد عشر مسجداً . حتىٰ أن الحبيب عبد الله يقول لأصحابه : قولوا له : (أحمدالمساجد) لكثرة ما بناه من المساجد .

وقالوا : إنه ما وجبت عليه جمعة ، لكثرة [تنقله] لنشره للدعوة! هٰذي هي التي فُقدت في هٰذا الزمان ، ومنها فقدت الأخلاق ، ومنها فقدت رعاية الدين ، ومنها فقدت المتانة في الرعاية الكبرىٰ ، ولٰكن ـ إن شاء الله ـ نسأل الله ببركتهم وبذكرهم أن يجعل الله في قلوبنا ـ إن شاء الله ـ نورْ من ذلك يقبس في القلب ، ويهتدي به من اهتدىٰ به إلىٰ الصراط المستقيم ، فيسلك المسلك العَلَوي النبوي ، ويدخل كما من دخل في الطريق التي مر فيها كل ذي مقام علي .

ونسأل الله بجاه هٰذ السيد الذي قَدِم علىٰ مولاه في هٰذا العام : أن يفرج عنا الكربة ، وأن يرفع عنا الغربة ، وأن يوسِّع لنا في الرزق ، ويحفظنا من الحَجْبَهْ ، وأن يكون لنا كما كان لهٰؤلاء ، وأن يتغمده برحمته ، وأن يبارك في أولاده ، وأن يجعل الخلافة فيهم باقية إلىٰ يوم الدين ، وأن يجعل ـ إن شاء الله ـ قدومه علىٰ مولاه فيه صلاح للجميع ، وللبلاد وأهل البلاد ،

ولهٰذه البلاد وأهلها ، ولجميع بلاد الإسلام عامة .

ونسأل الله ـ سبحانه ـ أن لا يوحشنا بعدهم ، ويُظهِر راية العلم ونوره وسر الخلافة في أهله ، وأن يجعلها قائمة فيمن أقامه مولاه ويجعلها رعاية تأتي من الراعي [الأكبر] ، وهداية تأتي من الهادي الأكبر ، ودلالة لكل مستبصر وغير مستبصر ، تأتي لكل مَن أعرض ولكل من نظر ، ولكل من تقدم ولكل من تأخر ، في [خير] ولطف وعافية .

وإلىٰ حضرة النبي محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

* * *

محتوى الكتاب

المجموعة الأولى
من كلام الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف

المجموعة الثانية

من كلام الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف

